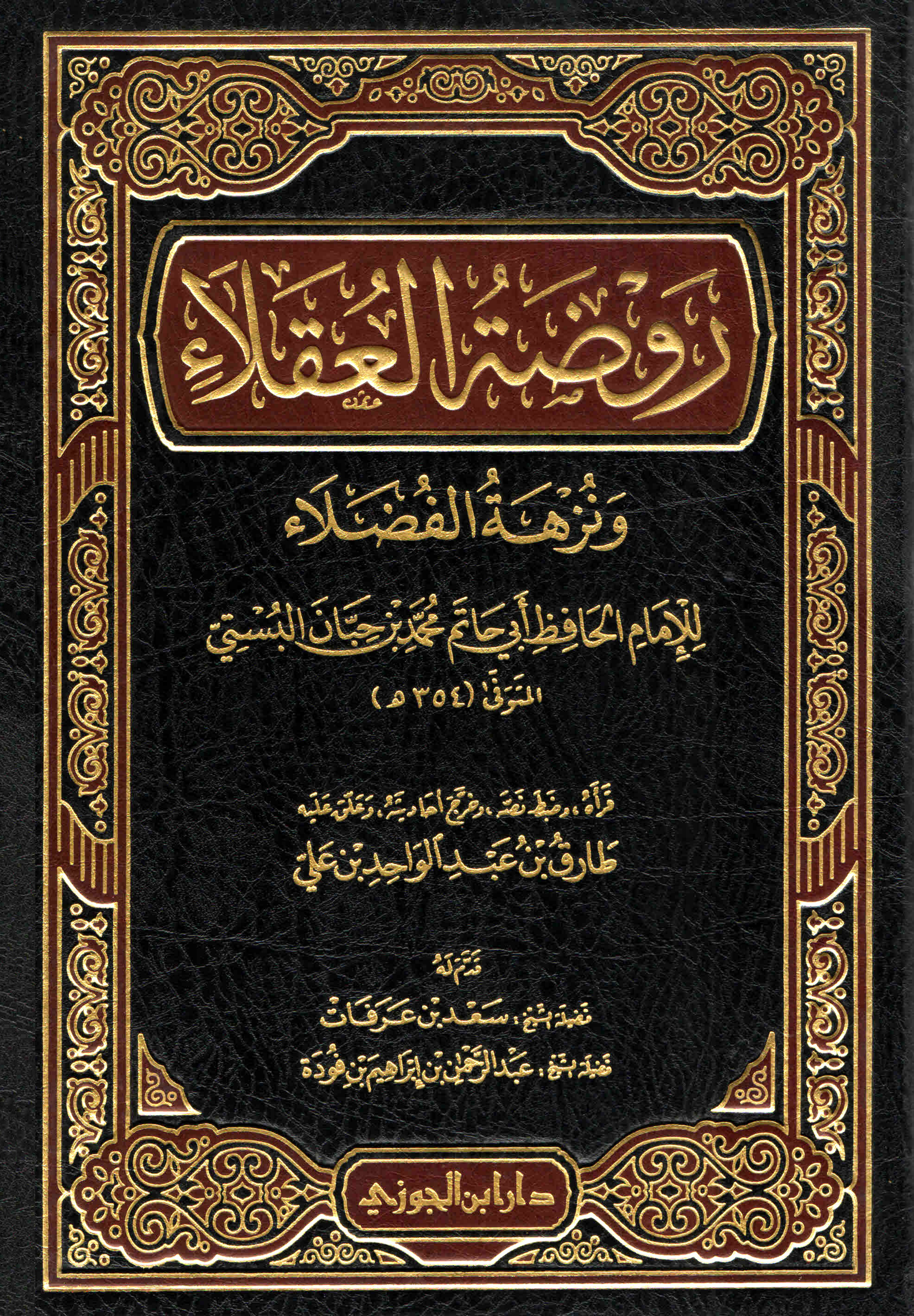
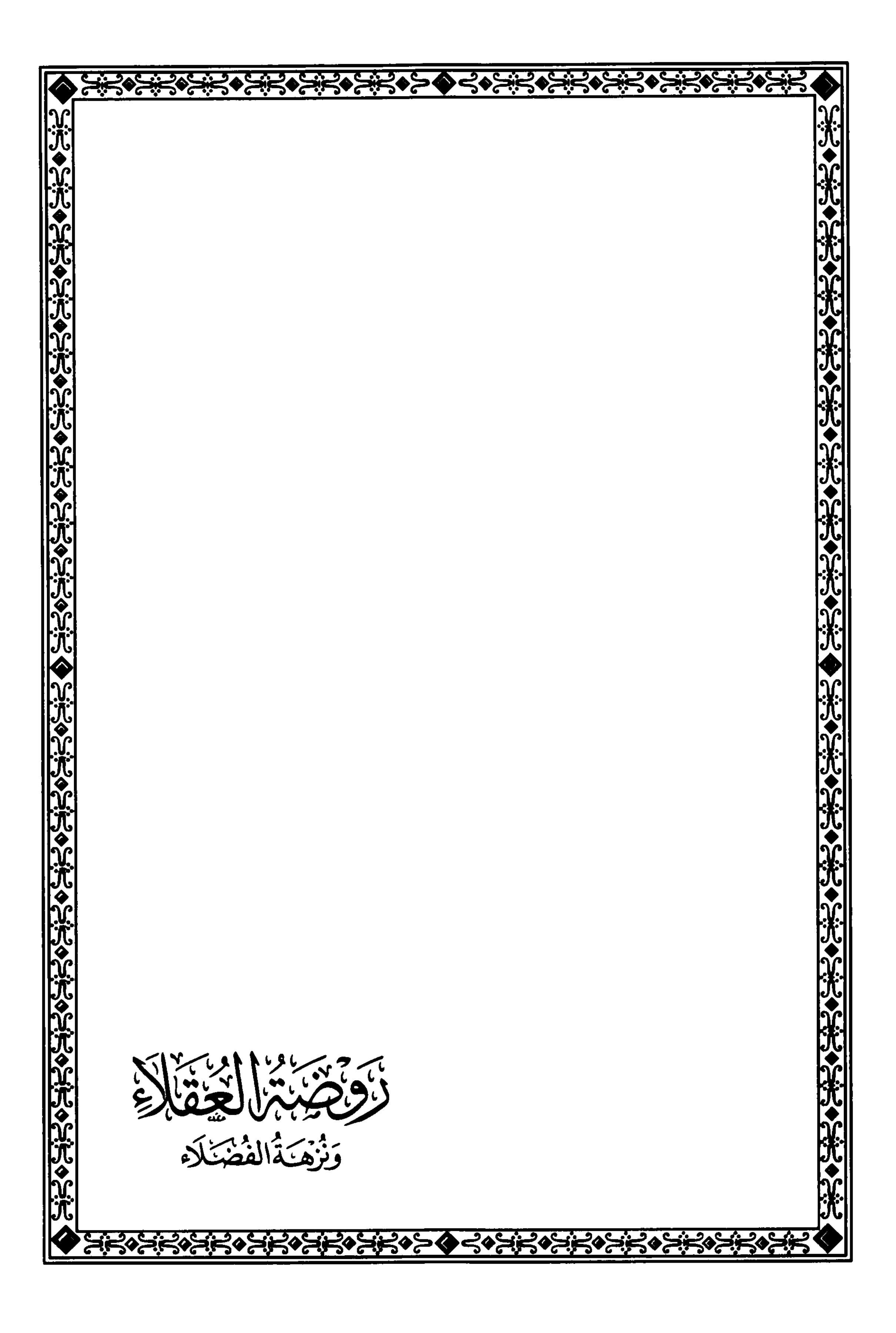

روضة العقلاء
ونزهة الفضلاء
للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي
المتوفى (٣٥٤ هـ)
قرأه، وضبط نصه، وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه
طارق بن عبد الواحد بن علي
قدّم له
فضيلة الشيخ: سعد بن عرفات
فضيلة الشيخ: عبد الرحمن بن إبراهيم بن فودة
دار ابن الجوزي


روضة العقلاء
ونزهة الفضلاء

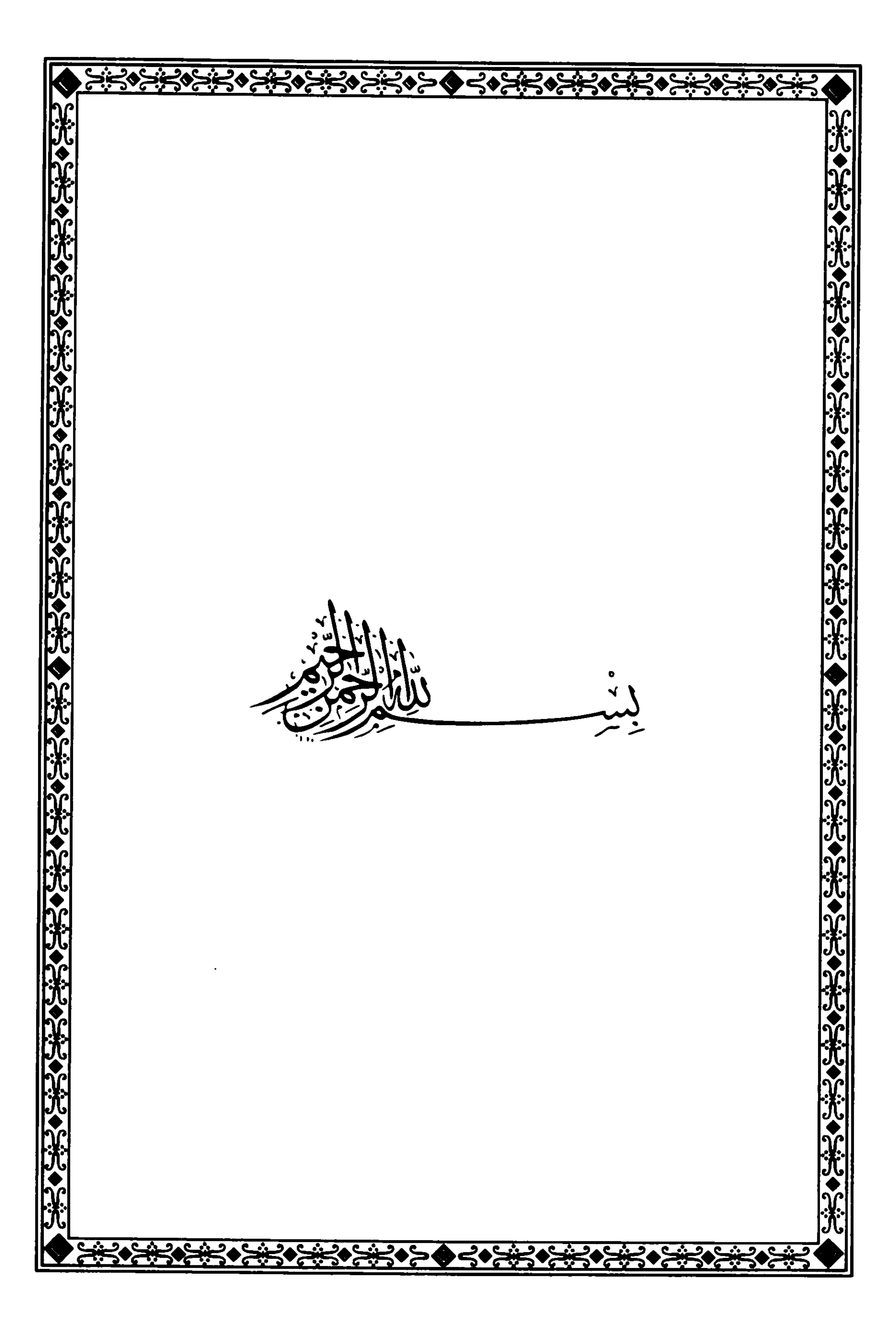




دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢
الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨ - جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨
الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - ٠٥٦٣٤٧٦٣٨٨ - بيروت - هاتف:
٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج م ع - محمول: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس:
٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ - الإسكندرية - ٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:
aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة بقلم فضيلة الشيخ:
سعد بن عرفات
ـ حفظه اللّهُ تعالى ـ

الحمدُ للهِ على عظيم مِنَنِهِ، أحْمدُه على تفضُّلِهِ علينا وإحسانه، وصلَّى اللهُ على سيدنا محمدٍ عبدِه وخاتَمِ رسله وأنبيائه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وأبرأُ إليه ـ تعالى ـ من الحَول والقوة، وأستعينُه على كلِّ ما يَعصِمُ في الدنيا من المَكاره والمَخاوف، ويُخلِّصُ في الأخرى من كلِّ هَولٍ وضِيق.

وأشهدُ ألَّا إله إلا الله؛ شهادةً نرجو بها النجاةَ يوم أن نلقاه. وأشهدُ أن سيدنا محمدًا ﷺ عبدُه ورسوله؛ شهادةً نرجو بها شفاعته يوم القيامة.

وبعد:

فإن لكل فضيلةٍ أُسًّا، ولكلِّ أَدبٍ يُنبوعًا، وأُسُّ الفضائل ويَنبوعُ الآداب هو العقلُ الذي جعله اللهُ تعالى للدين أصلًا، وللدنيا عِمادًا، فأوجبَ التكليفَ بكماله، وجعل الدنيا مدبَّرةً بأحكامه، وأَلَّف به بين خَلْقه ـ مع اختلاف هِممهم ومآربِهم، وتبايُنِ أغراضهم ومقاصدهم ـ، وجعل ما تعبَّدهم به قسمين:

ـ قسمًا: وَجَب بالعقل، فوكَّده الشرع.

ـ وقسمًا: جاز في العقل، فأوجبه الشرع.

فكان العقلُ لهما عمادًا.

لهذا قال بعضُهم: «خيرُ المواهب العقل، وشرُّ المصائب الجهل».

واعلم أن اللهَ تعالى كرَّم الإنسان، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء].

وبالعقل يمتازُ الإنسانُ عن سائر الحيوان؛ فإذا تمَّ في الإنسان سُمي «عاقلًا»، وخرج به إلى حدِّ الكمال، كما قيل:

إذا تَمَّ عقلُ المرء تَمَّت أُمورُهُ وتَمَّت أياديه وتَمَّ بناؤُهُ

وقد أخطأ طائفةٌ من الناس حينما جعلوا العقلَ مصدرًا من مصادر العقيدة، وقدَّموه على النصوص الشرعية، حتى أصبح القرآنُ والسُّنةُ عندهم تابعَينِ للعقل البشري.

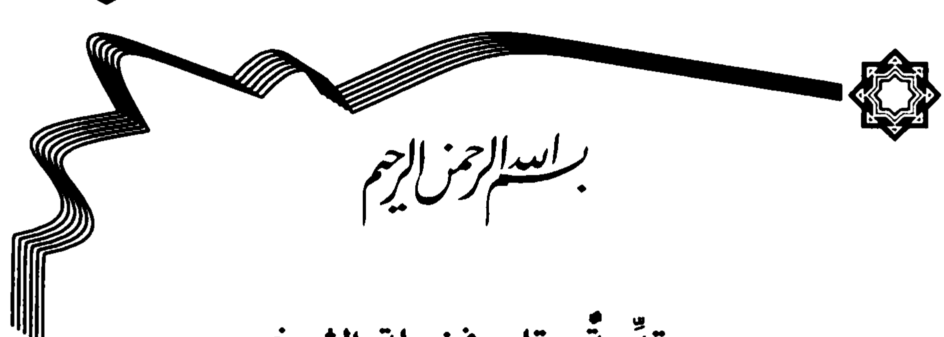
وأخطأ طائفةٌ أخرى حينما أنكروا العقلَ بالكلية.

والحقُّ أن العقلَ مؤيِّدٌ للنصوص الشرعية، فالعقلُ الصريح يؤيِّدُ النص الصحيح ولا يعارضه.

من أجل هذا كان اختيار أخي الفاضل، فضيلة الشيخ: طارق بن عبد الواحد لهذا الكتاب «**رَوضة العقلاء، ونُزهة الفضلاء**» للإمام الحافظ أبي حاتم بن حبان البُستي ـ رحِمه اللهُ تعالى ـ لإخراجه إلى الناس في هذا الزمان؛ الذي أصبح الجميعُ فيه في أمسِّ الحاجة إلى التعرُّف على الأخلاق الفاضلة، والتي لا تكتملُ معرفتُها إلا بالشرع والعقل، وقد أجاد ـ كعادته ـ وأحسن في إعادةِ صياغته؛ بضبط نصِّه بالشكل، وبيانِ غامضه، وتخريج أحاديثه، وقد بَذَل فيه غايةَ جهده؛ سائلًا ربِّي أن يبارك في سعيه، وأن يتقبل منه ومنا صالح عمله، وأن يَغفرَ لنا وله سابقَ ذنوبنا بحِلمه وكرمه.

واللهَ أسألُ أن ينفع بهذا الكتاب كاتبَه وشارحَه وناشره، وقارئه والعاملَ بما فيه.

وكتبه راجي عفو ربِّه
سعد بن عرفات
٢٥ صفر ١٤٣١هـ



مقدِّمةٌ بقلم فضيلة الشيخ: أبي محمد عبد الرَّحمن فودة

ـ حفظه اللّٰهُ تعالى ـ

الحمدُ للهِ الذي خَلق الإنسان، وعلَّمه البيان، وامتَنَّ عليه بنعمةِ العقل فميَّزه به عن الحيوان، فامتَدح في كتابه الحكيم أولي الألباب ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمَر: ٢١]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد ٣]، وعرَّض بأولئك الذين لا يعقلون.

والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمد، وآله وصحبه الكرام.

وبعد:

فإن مما يُسعِدُ المسلمَ ويُبهجُه أنه ينتمي إلى أُمة الإسلام؛ هذه الأمةُ العظيمةُ المعطاءة منذ بعثةِ النبي ﷺ وإلى أن يَرِثَ اللهُ الأرض ومَن عليها، وإن مما يُميِّزُ هذه الأُمةَ أنها أُمةُ العلم، وأن أولَ ما نَزل من كتاب اللهِ تعالى على قلب الحبيب محمدٍ ﷺ هو قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق]، كما تتابعت الآياتُ التي تَحُثُّ على العلم وطلبه وفضله، وقد استجابت الأجيالُ المسلمة ـ منذ عهد الصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعًا ـ إلى يوم الناس هذا، وتسابقت في طلب العلم ونشره في أرجاءِ المعمورة، وتنوَّعت العلومُ التي بَرَع فيها علماءُ الأمة، وبرَّزوا فيها؛ من علوم تفسيرٍ لكتاب اللهِ تعالى، إلى جَمعٍ لأحاديثِ النبي ﷺ وشرحها، وتعمُّقٍ في فقهِ الكتاب والسُّنة،

وغير ذلك من العلوم؛ التي كان منها ما يُسمَّى بـ«المُلَح والمنثورات»، والأدب ـ نثرًا وشعرًا ـ، التي غالبًا ما يتأدَّبُ بها المتأدِّبون، ويُروِّحُ عن أنفسهم بها المسلمون.

ولعلَّ مِن أهمِّ ما أُلِّف في هذ الشأن: ما قدَّمه الإمامُ ابن الجوزي في «صيد الخاطر»، وفي «أخبار الأذكياء» ـ وغيرِهما ـ، لكنه كان مسبوقًا بما قدَّمه الحافظ أبو حاتم محمد بن حِبَّانَ البُسْتي ـ المتوفَّى في (٣٥٤هـ) ـ في كتابه الماتع «روضة العقلاء، ونزهة الفضلاء» الذي جاء في أسلوبٍ سهلٍ ممتع، لا هو بالطويل المُمِل، ولا بالمختصَرِ المُخِل، وقد أورد فيه ما يُعدُّ من تجارب العقلاء وحِكَمِهم المأثورة، ودُرَرِهم المنثورة، مما يجبُ أن نتخذه نبراسًا نَهتدي به في ظلماتِ الأهواء المضِلَّة، والفتنِ التي صارت كقطع الليل المظلم؛ ترويحًا عن النفس، وإجمامًا لها، وتبصُّرًا في واقعٍ مريرٍ تعيشُه الأمة.

وقد طُبع هذا الكتاب ـ «رَوضة العقلاء ونُزهة الفضلاء» ـ طبعاتٍ عديدة، اطلعتُ على بعضها، فوجدتُها مليئةً بالأخطاء الطباعية والسقْطِ الكثير الذي يُخِلُّ بسياق الكلام، وتضيعُ منه الفائدة، وبالجُملة خرج معظمُها في صورةٍ غيرِ جيدة؛ اللَّهُمَّ إلا طبعةً وحيدة ـ أشار إليها المُعتني بهذه النسخة التي بين أيدينا ـ، ومِن ثَم لم يهتمَّ كثيرٌ من القُرَّاء بهذا الكتاب، ولم تتحققْ منه الفائدةُ المرجوَّة؛ فجاءت هذه الطبعةُ التي يقدِّمُها الأخُ الكريم أبو شُعيب طارق بن عبد الواحد ـ حفظه اللهُ وسدَّد على طريق الخير والحقِّ خُطاه ـ، وقد اطلعتُ على جهودِ الأخ «طارق» في هذا الكتاب وغيره من الكتب التي قام على خدمتها؛ سواءٌ كانت اعتناءً، أو تَهذيبًا واختصارًا، أو تأليفًا، فوجدته قد أوفَى بالغرض، فجاءت الطبعةُ ـ في ظني ـ سليمةً نقيةً، كما أنها جاءت في ثوبٍ قَشيبٍ وحُلَّةٍ بَهية، إذ ضبط نصَّها ضبطًا جيدًا، وبيَّن معاني الكلماتِ الغامضة بيانًا وافيًا؛ كما أنه خرَّج الأحاديث تخريجًا وسطًا، وبهذا يكون قد قرَّب الكتاب إلى القُرَّاء تقريبًا، وهذَّبه إليهم تَهذيبًا، وحبَّبه إليهم تحبيبًا،

فجزاه اللهُ خيرًا على ما قدم، وأسأل الله له القبول، ولكتابه النفعَ والرشاد ولسائر العباد؛ إنه ـ تبارك وتعالى ـ ولِيُّ ذلك والقادرُ عليه.

✍ وكتبه
عبد الرَّحمٰن إبراهيم فودة
مدرِّس البلاغة والنقْد بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة
٢٥ صفر ١٤٣١هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة المعتَني

ـ عفا اللّهُ عنه ـ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفُسِنا وسيئات أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضللْ فَلا هاديَ له، وأشهدُ ألَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ـ وحده لا شريك له ـ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أمَّا بعدُ:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله تعالى، وخير الهدي هَديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتها، وكلَّ مُحدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

أمَّا بعدُ:

فإن كتاب «**رَوضة العقلاء ونُزهةُ الفضلاء**»، للإمام الحافظ أبي حاتم بنِ حِبَّان البُسْتي رَحِمَهُ اللَّهُ من الكتب التي لا تُنكَرُ مكانتُها وقيمتُها العلمية، وهو ـ كما

يعلمُ أهلُ العلم والفضل ـ كتابٌ أدبيٌّ بالدرجة الأولى، وإن كان هذا الأدبُ لا ينفكُّ عن النهج الإسلامي القائم على الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهرة، وكيف لا يكون كذلك، وكلُّ أدبٍ وخُلقٍ رفيعٍ تعلَّمه البشر إنما نَبع من الشرائع الربانية التي جاء بها الرسلُ الكرام ـ عليهم جميعًا صلواتُ اللهِ وسلامه ـ!.

والحافظُ ابنُ حبان ـ كما بيَّن في مقدِّمة كتابه ـ إنما وضع كتابه هذا لمَّا رأى أقوامًا يدَّعون العقل بألسنتهم، بينما أفعالُهم عن نهج العقلاء وحالهم بمعزل؛ ذلك لأن العقلَ الصحيح هو الذي يقومُ على الأدب الرفيع ـ كتابًا وسُنّةً ـ وما كان عليه عقلاءُ الأمم عبر التاريخ والعصور، ومعلومٌ أن الكبراء إذا فسدت أعمالُهم، وانحرفوا بسلوكهم عن سُبل الرشاد، فإن الفادحة تكون أكبر؛ لأن العامةَ والغوغاء سيقتدون بهم مغمَضي الأعيُن، غافلين ـ أو متغافلين ـ عن أي سلوكٍ منحرفٍ ونهجٍ مختلٍّ يرونه فيهم.

ومعلومٌ كذلك أن بيان الحقِّ من الباطل، ومسالكِ الهدى من الضلال من أعظم واجبات العلماء والدعاةِ الربانيين، لذا؛ فقد رأى الحافظ ابنُ حبان رَحِمَهُ اللَّهُ أن من الواجب عليه ـ كعالمٍ وداعيةٍ وحافظٍ من حفَّاظ هذه الأمة ـ أن ينبِّهَ المسلمين إلى الخصال الصحيحة التي ينبغي أن يتَّصف بها العقلاء، والتي إذا حاد الإنسانُ عنها، نُزع عنه هذا الوصف السامي ـ حتى وإنِ ادعى بلسانه أنه أعقل أهل زمانه ـ!

والحقيقةُ أن الحافظ ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ وعد فوفَّى، حيث جعل كتابه يسيرًا سهلًا قريبًا ممتعًا، ابتعد به عن الإسهاب المُمِل والاختصار المُخِل، أودع فيه خلاصةَ تجارب العقلاء وكلامِهم النفيس؛ الذي يتَّخذُه كلُّ فطنٍ مِن بعدهم نبراسًا هاديًا في دياجير الأهواء والعقول والمذاهب التي تعُجُّ بها الأرضُ كلَّ يوم ـ بل كلَّ ساعة ـ.

ومعلومٌ لدينا أن كلَّ خيرٍ في اقتفاءِ نهج الأكياس ـ خاصةً المنتسبين منهم لأمَّتنا الإسلامية العظيمة ـ؛ لأنهم كانوا أقربَ منَّا إلى الأخلاق الحميدة،

وأعمقَ فهمًا للمنهج الربَّاني الذي أتى به أنبياءُ اللهِ ورسلُه الأكارم ـ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم ـ، إذ لا يَشك منصفٌ أنه كلَّما ابتعدنا عن عصور الوحي النيِّرَة، احتوشتْنا الظلمات، ظلماتُ الأهواء والآراء والمناهج المخلَّطة الفاسدة التي تتوالدُ مع مرورِ الأيام وكرور العصور والدهور، تلك الظلمات التي نغرقُ في بحورها كلَّ ساعة عالمين أو جاهلين، مما أفرزه لنا سفهاءُ الخلق وحثالةُ البشر من قِيَمٍ وموازينَ ادَّعَوا أنها قمَّةُ العقل والكياسة، وهي بعينها السفاهةُ والحمقُ والغباء والتردِّي في أودية الأخلاق الرذيلة.

إننا في أمسِّ الحاجة ـ في هذه الأيام المريرة ـ أن نعودَ للعقل النظيف، وأن تكونَ نظرتُنا للأمور كافةً نظرةً سديدةً رشيدةً صحيحة، ولن يتمَّ هذا إلا إذا تعلَّقْنا بقرآن ربِّنا وهَديِ نبيِّنا ﷺ، فلقد جرَّبت البشريةُ كلَّ منهجٍ، وحاولت كلَّ طريق لجلب المنافع والسعادة في حياتها، ولكن ـ مع بالغ الأسى ـ فَشِلت البشرية فشلًا ذريعًا ـ وهذا محتوم ـ؛ لمَّا ظنَّت أنها يمكن أن تسعد وتَرقَى وتزدهر بعيدًا عن هُدى اللهِ ورسلِه ﷺ.

لقد تدهورت الأخلاقُ تدهورًا عنيفًا، وعمَّت الفوضى أرجاء الأرض يمينًا ويسارًا، وصرت تقلِّبُ بصرك ذات اليمين وذات الشمال ليقعَ على عاقلٍ فطنٍ كيِّسٍ يصلحُ أن يكون قُدوةَ نورٍ وبِرٍّ لمن حوله، فتجدُ البصر يرتدُّ إليك خاسئًا وهو حسير، إذ ترى أغلب الخلقِ على طريق السفه والحمق والتردِّي في القيم الهابطة والأفعال المرذولة، وهذا مصداقُ قوله ﷺ: **«الناسُ كإبلٍ مِئة، لا تكادُ تَجِدُ فيها راحلةً»**[1].

لذا؛ كان من أهمِّ المهمات أن ترجع الأمةُ لدينها رجوعًا صادقًا، وأن تتعلَّق بأسلافها الكرام العِظام، الذين جعلهم اللهُ تعالى مشاعلَ نورٍ وبرٍّ عبرَ العصور، إنهم هؤلاء النبلاءُ الذين أحيا اللهُ تعالى بهم القلوبَ المَيْتة، وروَّى بهم العقولَ الجدبة، فأنبتت كلَّ خُلقٍ نبيل وسلوكٍ جليل.

---

(١) صحيح: وسيأتي تخريجه ـ إن شاء الله ـ.

وقد حوى كتابُنا هذا جُمَلًا عظيمةً نفيسةً من أقوالهم وأحوالهم، يجدُرُ بكل مَن يريد النجاةَ والسلامةَ والرفعةَ في الدنيا والآخرة أن يستمسك بها ويعتصمَ بحبائلها.

هذا؛ ومما يزيدُ هذا الكتابَ قيمةً على قيمته أنه أحدُ ما أوصَى بها العلَّامةُ الكبير محمد بن صالح العُثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ ضِمن الكتبِ التي ينبغي أن يحرصَ عليها طلبةُ العلوم الشرعية، وقد ذكر هذا في «كتاب العلم»(١).

ولا أُريد أن أُطيل عليكم في التقدمة لهذا الكتاب النفيس؛ فإن حاله مُغنٍ عن إطرائه، لكنني أُوصي نفسي وإياكم بتردادِ النظر فيه بين حينٍ وآخرَ لتُصقَل عقولُنا، وتُشرِقَ أرواحُنا، ويصحَّ مسارُ أفعالنا وسلوكنا، في زمانٍ صار العاقلُ فيه أندرَ من الكبريت الأحمر.

* عملي في الكتاب:

يتلخص عملي الضئيل في هذا الكتاب النفيس في النقاط التالية:

١ ـ قراءة الكتاب قراءةً متأنية.

٢ ـ ضبطُ النصِّ بالشَّكل ضبطًا نحويًّا معتدلًا، وهذا من أهم الأمور التي لا بد أن يهتم بها ناشرو الكتب العلمية(٢).

٣ ـ بيَّنتُ المعاني الغامضة للكلمات والجُمل، حتى لا يتعثَّرَ القارئُ الكريم في فهم معنًى من المعاني، أو يضيع وقته في البحث في المعاجم.

٤ ـ تخريجُ الأحاديث النبوية الشريفة تخريجًا متوسطًا.

٥ ـ مراجعةُ الكتاب مراجعةً دقيقةً ـ أكثرَ من مرةٍ ـ حتى تُتلافَى الأخطاء المطبعية ـ قدر المستطاع ـ.

---

(١) ص(٩٦ ـ ط: دار الثريا).

(٢) بيَّنتُ هذا بشيءٍ من التفصيل والتوسُّع في كتابي: «منزلة اللسان العربي، ودوره الهام في سيادة الأمة»، فراجعه ـ متفضلًا ـ.

ولْينتبهِ القارئُ الكريم إلى أن ما وُضع ما بين حاصِرتين [ ]؛ فهو زيادةٌ مني لإتمامِ المعنى.

هذا وقد كنتُ وقفتُ على بعض الطبعاتِ لهذا الكتاب القيِّم:

أحدها: طبعة تجارية، لا عنايةَ فيها بالنص ولا بأي شيء، وهي متميِّزة بسوء الصَّفِّ، وضعفِ الطباعة، وصِغر الخط بشكلٍ مُخِل؛ رأيتها منذ سنوات في بعض المكتبات، ولم أُعنَ بالحصول عليها.

الثانية: طبعة «المكتبة العصرية»، تحقيق الشيخين الفاضلين: عادل بن أحمد بن عبد الموجود، وعليِّ بنُ محمد بن معوَّض.

الثالثة: طبعة بتحقيق الشيوخ: محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد حامد الفقي، ومحمد عبد الرزاق حَمزة.

الرابعة: طبعة موقع «الورَّاق»؛ وقفت عليها بواسطة «الحاسب الآلي».

الخامسة: طبعة قرأتُ عنها في بعض تعليقات العلَّامة مشهور حسن آل سلمان ـ حفظه الله ـ، ولم أرها بعينيَّ، ولا أدري إن كان قصد إحدى هٰذه الطبعات الثلاثة أم غيرها.

السادسة: طبعة قرأتُ عنها في بعض مواقع الشبكة الدولية «الإنترنت»، أنها بتحقيق الشيخ عبد الله الحازمي، وقد طبعتها دار الشريف بالرياض، ولم أرها ولم أطلع عليها.

السابعة: طبعة وقفتُ عليها مؤخَّرًا أثناء مراجعتي النهائية للكتاب قُبيل دخوله المطابع، وهي الطبعة التي حققها الشيخ الفاضل عبد العليم درويش، والتي طبعتها وزارة الثقافة السورية.

ومن ناحية «التحقيق» فأفضلُ هذه الطبعات ـ رأيتها ـ هي الطبعة الأخيرة، يليها طبعة «المكتبة العصرية»، واللهُ تعالى أعلم.

ومن باب إرجاع الفضل لأصحابه، فلقد استفدتُ من تحقيق الشيخ الدرويش ـ خاصةً ـ في أسانيد الكتاب، حيث قابلتُ ما عندي من المطبوعات على تحقيق الشيخ للأسانيد؛ فأصلحتُ ما يقرُبُ من مئتي موضع من أسماء

الرواة[١]؛ ولا أُخفي هٰذا عن القارئ؛ فإنه من الجحود أن يستفيدَ طالبُ علمٍ صغير مثلي من أعمالٍ وجهود الكِبار، ولا يُرجع الفضلَ إليهم، كما لا أنكرُ أنني استفدتُ ـ كذلك ـ في بعض المواضع من طبعة «المكتبة العصرية»، وقليلٌ جدًّا من الأسانيد أصلحتُها من كتب الرجال؛ إذ ليس العلمُ بالرجال من اختصاصي، وحسبي أنني أحاولُ خدمةَ الكتب بضبط النص، وتقريب معانيها للقارئ، والتعليق على أهم المواضع التي تحتاج إلى ذلك.

وأقولُ لكم بصدق ـ وهٰذا ما ارتأيتُه بعد قراءتي لكتاب «روضة العقلاء» أكثرَ من مرة ـ لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت، لحذفتُ الأسانيدَ من الكتاب بالكلية[٢]؛ لأن غرضيَ الأساسَ من إخراج الكتاب هو الانتفاعُ بآداب القوم وحِكَمِهم ووصاياهم، وليس التدقيق في الأسانيد ـ التي هي وسائل لغاياتٍ أهم منها[٣] ـ، وقد فعلتُ هٰذا بالفعل مع الكتاب العظيم: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»[٤]؛ إذا أردت من إخواني طلبة العلم أن ينصبَّ هَمُّهم على الإفادة من متون الأخبار؛ لتزكو أخلاقُهم، ويُرى أثرُ العلم على سلوكِهم، واللهُ المستعان.

وقد يقول القارئ الكريم: ما دامَ كتاب «روضة العقلاء» قد طبع ـ لا سيما محقَّقًا ـ، فلماذا تسعى لإعادة طبعه مرةً أخرى؟.

---

(١) وليس معنىٰ هٰذا إصلاح جَميع السند؛ بل إصلاح بعض الأسماء في السند، وغالبًا ما يكون اسمًا واحدًا، فالذي ورد ـ مثلًا ـ في المطبوعات: «حسن»، بيَّن الشيخ ـ أثابه الله ـ أنه «حسين»، وبعض الأوصاف والأنساب مثل: «المديني»، بيَّن الشيخ ـ كذٰلك ـ أنها المدائني، ونحو ذلك، وكثير من الأسانيد في المطبوعات جاءت على الصواب، ولم يتعرض لها الشيخ بتصحيح.

(٢) وحينها كنت سأسميه «تهذيب روضة العقلاء».

(٣) وليس معنى كلامي إهمال شأن الأسانيد، فأمَّتُنا أمةُ الإسناد، ولولا الإسنادُ لقال مَن شاء ما شاء، ونحن نفخرُ بأسانيدنا الشرعية التي لم تَنلها أمَّةٌ أخرى؛ لٰكن ـ في باب الآداب والرقاق خاصةً ـ، أرى أننا لسنا بحاجةٍ إلى الأسانيد بقدر الانتفاع من متون تلك الأخبار النفيسة، خاصةً وأن الأسانيد محفوظةٌ بالفعل، وإنما ينتفع بها طائفةٌ قليلةٌ من «المحققين»، أما جُلُّ الطلبةِ فحاجتهم للمتن أهم وأشد، واللهُ المستعان.

(٤) وقد طبعته دار ابن الجوزي العامرة ـ أيضًا ـ بحمد الله ومِنَّتِه.

* **والجواب:**

١ ـ أن الكتاب شحيحٌ عندنا في المكتبات المصريَّة بصورةٍ كبيرة ـ ولعله كذلك في غيرها من بلدان العالَم الإسلامي ـ ووجوده قليلٌ؛ بالرغم من نفاسته وقيمته العلمية والأدبية التي يعرفها أهل الفضل.

٢ ـ أن الطبعتين المحققتين ـ لا سيما طبعة الشيخ الدرويش ـ؛ وإن كانتا قد بُذل فيهما جهدٌ كبيرٌ لا يُنكر؛ إلَّا أنهما ـ فوق انعدامهما تقريبًا عندنا ـ أُثقلتا ـ كما سلف بالحواشي إثقالاً شديداً، حتى باتت التعليقاتُ في كلِّ صفحة ـ تقريبًا ـ أكبرَ مِن مَتْنِ الكتاب نفسه، وقد يكون هٰذا في بعض الأحيان أمرًا مطلوبًا، ولكن ـ من وجهة نظري على الأقل ـ كانت تلك التعليقاتُ زائدةً أكثرَ مما ينبغي في كتابٍ كان الغرضُ الأساس من وضعه هو تهذيب النفوس، حتى إن القارئ ـ بسبب تلك الحواشي الكثيرة ـ ليبتعدُ عن التعايش مع كلام الإمام؛ وهو الأمرُ الذي لا ينبغي أن يَغيب عن ذهن المعلِّق على الكتاب أو محقِّقه الفاضل.

وكما قلتُ: هذه وجهةُ نظري، وقد يخالفني فيها غيري، وليس كلامي حجةً على أحد، ولا ألْمِزُ ولا أغمزُ عملَ من هم أعلم وأكبر وأرسخ منِّي، وأعوذ باللهِ أن يجتمع عندي حَشَفٌ وسُوءُ كيلة.

٣ ـ رغبتي في خدمة هذا الكتاب، والإسهامِ في بثِّه بين إخواني طلبة العلم ـ وبخاصةِ الدعاةُ منهم ـ، حتى يكون زادًا لهم في مؤلفاتهم وخُطبهم ومواعظهم، ومعلومٌ ما للأدب من أثرٍ ساحرٍ في كلام الداعية لدين اللهِ ﷻ.

٤ ـ أنني بدأتُ في خدمة هٰذا الكتاب قبل أن أطَّلع على الطبعاتِ المحققة، وإن كنت استفدتُ منها بعد ذلك ـ كما أشرتُ آنفًا ـ.

وقد حاولت ـ جاهداً ـ أن تكون تعليقاتي على الكتاب عند الحاجةِ فقط؛ كبيانِ معنًى أو تعليقٍ على أمرٍ ما؛ دون الإثقالِ من الحواشي، حتى لا يغيب القارئُ عن العيش معه، والغوصِ في فوائده ونفائسه.

ولا ريبَ أن عملي هذا ـ بكل صدقٍ وأمانة ـ عملٌ متواضعٌ جدًا، يمكن لأي طالبِ علمٍ أن يفعلَ ما هو أفضلُ منه آلاف المرات، وكما رأيتُم فإنه ليس «تحقيقًا» بالمعنى العلمي المعهود، بل حسبه أن يكون «خدمةً» أو «اعتناءً»، واللهُ الهادي إلى سواء السبيل.

ولا أنسى ـ في خِتام مقدمتي ـ أن أتقدَّم بخالص الشُّكر والتقدير لمن لهم عليَّ فضلٌ لا يمكنني أن أنكره ما حَيِيتُ:

أولًا: ربُّ العالمين تبارك وتعالى، الذي هيَّأ لي من الأسباب والنِّعم ما يعجزُ عن بيانه ـ فضلًا عن شكره ـ القلبُ واللسان، فله سبحانه أعظمُ الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه على نِعمه التي لا تُحصى ـ ما ظهر منها وما بطن ـ، وأسأله تعالى أن يجعلني ـ وسائرَ أحبابي ـ من الشاكرين، وكلُّ فضل لسواه، فهو من مِنَّته وجوده وكرمه ﷻ.

ثانيًا: أمِّي الحبيبة الصابرة المكافحة؛ التي ربَّتني وغذَّتني بكل طيب، وأعانتني على طلب العلم، إلى أن رحلتْ إلى الدار الآخرة؛ فجزاها اللهُ تعالى عنِّي خيرَ ما جزى أمًّا عن ولدها، وأسأله تعالى أن يُنعِمَ عليها برضوانه، وأن يُسكنَها فسيح جنَّاته.

ثالثًا: زوجي الفاضلة الديِّنةُ المجتهدةُ أمُّ شُعيب؛ جزاها اللهُ تعالى عنِّي خيرَ الجزاء؛ فقد كانت ـ ولا زالت ـ خيرَ معينٍ على طريقي في طلب العلم؛ فأسأله تعالى أن يُنيلَها رضوانه في دنياها وأخراها.

رابعًا: الشيخ الفاضل سعدُ بن فوَّاز الصُّميل ـ صاحب دار ابن الجوزي المباركة ـ، الذي فتح لي ذراعيهِ، وشرَّفني بطباعة هذا الكتاب وغيره؛ سائلاً المولَى ﷻ أن يُثيبَه أعظم الثواب، وأن يباركَ له في سعيه وجهوده وداره النفيسة العامرة.

هذا؛ وما كان من توفيقٍ فمن اللهِ الكريم المنَّان، وما كان من خطأٍ أو زللٍ أو نسيان، فمني ومن الشيطان، واللهُ المستعان.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلَّى اللهُ على الحبيب محمد، وعلى آلِهِ وصحبِه وسلم.

وكتبه
أبو شُعيب
طارق بن عبد الواحد بن عليٍّ
ـ عفا اللهُ عنه برحمته ـ

ترجمة موجَزة للإمام ابن حبّان رَحِمَهُ اللَّهُ(١)

هو الإمامُ العالِمُ الفاضلُ المتقنُ المحقِّقُ الحافظُ العلَّامة: محمدُ بن حِبَّان بن أحمد بن حبَّان، أبو حاتم التميمي البُسْتي السِّجستاني.

ونسبته «التميمي»: نسبةٌ إلى «تميم» - جد القبيلة العربية المشهورة - الذي يرتفع نسبُه إلى عدنان، فهو عربيُّ الأرومة، إلا أنه أفغانيُّ المولد.

فقد وُلِد في مدينةٍ قديمة كانت تُعدُّ من أعمال «سِجِسْتان»، وموقعُها اليوم ضمن «أفغانستان» الحديثة، يقال لها: «بُسْت»؛ من أجلِّ مُدن البلاد الجبلية في شرق «سِجِسْتان»، تقعُ على الضفَّة اليُسرى للنهر الكبير «هيلمند».

وكانت «بُسْت» قد دخلت في حَوْزة المسلمين سنة «ثلاثٍ وأربعين» للهجرة؛ إذ افتتحها «عبد الرَّحمٰن بن سمُرة»، ثم تقدَّم منها حتى بلغ «كابُل»، ففتحها، وأَسر الشاه.

وقد وُلد الحافظ ابن حبان في عُشر الثمانين ومِئتين للهجرة، ولم يَذكر أحدٌ سنةَ ولادته تحديدًا، لكنهم اتفقوا على أنه تُوفِّي سنة (٣٥٤هـ) في عُشر الثمانين.

* سيرتُه العِلمية:

ليس لدينا في المصادر المتيسِّرة لنا نصٌّ يكشفُ عن أول أمره، وكيفيةِ توجُّهه إلى طلب العلم، وهل كان ذلك باعتناءِ والده - أو أحد أقاربه، أو أحد أصحاب أسرته - أم لا، بَيْدَ أن قول الإمام الذهبي: «طلب العلمَ على رأس

---

(١) اكتفيت هنا ببعض الترجمة التي أوردها العلَّامة شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لـ«صحيح ابن حبان».

الثلاثمئة»[١] يشيرُ إلى أنه طلب بنفسه، وأن عمره آنذاك يُنيِّفُ على العشرين عامًا، فلئنْ تأخَّر قليلًا في الطلب، إلَّا أنه قد شمَّر عن ساق الجد ما أطاق، عُدَّتُه في ذلك همةٌ عالية قرَّبت إليه المسافاتِ البعيدة، وأدنت إليه البلادَ النائية، فرحل إلى شيوخِ وقته في بلادهم، وقَصَد أجِلَّةَ علماءِ زمانِه في مُدُنهم وقُراهم ليدرك الأسانيدَ العالية، فتطلَّب ذلك أن يرحلَ إلى أكثرَ من أربعين بلدًا من بلدان العالَم الإسلامي في رقعةٍ واسعةٍ مترامية الأطراف.

وشَمِلت رحلتُه كلًّا من: سِجستان، وهَراة، ومَرْو، وسمج، والصُّغْد، والشاش «طشقند»، وبُخارى، ونَسَا، ونَيسابور، وأرغيان، وجُرجان، وطهران، والكرْج، وعسكر مكرم، ودمشق، وبيروت، ومصر... وغيرها.

• ويكفينا هنا أن نذكر قوله عن كتابه «الصحيح»: «لعلَّنا قد كتبنا عن أكثرَ من ألفَيْ شيخٍ من الشاش إلى الإسكندرية».

وهذا العددُ الضخم من الشيوخ في تلك الرقعة الواسعة من الأرض لا يسعُنا معه إلا أن نردِّد قولةَ الإمام الذهبي: «كذا فلْتكنِ الهمم»[٢].

* تَحصيلُه العِلمي:

إن مما يُثير الإعجابَ بابن حبَّان ما تميَّز به طوالَ رحلته وطلبه من همةٍ لا يعتريها فتور، وحرصٍ على اقتناص الفوائد ليس له نظير، فلم يَسترح قلمُه عن كتابة ما تسمعُه أذناه من الشيوخ، حتى جاوز في ذلك الحد أحيانًا.

• فقد روى أبو حامد النَّيسابوريُّ، قال: «كنَّا مع أبي بكر بن خزيمة في بعض الطريق من نيسابور، وكان معنا أبو حاتم البستي، وكان يسألُه ويؤذيه، فقال له ابنُ خزيمة: يا بارد، تنحَّ عني لا تؤذني!! ـ أو كلمةً نحوها ـ، فكتب أبو حاتم مقالته، فقيل له: تكتب هذا؟! فقال: نعم، أكتبُ كلَّ شيءٍ

(١) «ميزان الاعتدال» (٣/ ٥٠٦).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٩٤).

يقوله»[١].

ومثل هذه الهمةِ لم يكن ليقنعَها فنٌّ واحدٌ من فنون العصر، فاتجه إلى تحصيلِ واستيعابِ أكثرَ ما كان معروفًا في زمانه من العلوم والمعارف؛ على أن أعظم ما رَسَخ فيه وبرع وغدا من أعلامه: عِلمُ الحديث، فقد صار الإمامَ الحافظَ المجوِّدَ العلَّامةَ الثقةَ الثبتَ المتقنَ المحقق ـ كما وصفه بذلك غيرُ واحدٍ من الكبار[٢] ـ.

وإذا كانت مؤلَّفاتُ الرجل مِرآةَ علمِه، فمؤلفاتُ ابن حبان شاهدةٌ له على رسوخ قدمه، وطولِ باعه، مترجِمةً عن سموِّ قدره وعلوِّ شأنه.

• وهذا ياقوت الحَمَوي ـ وهو الرجلُ المحقق ـ يشهد بذلك، فيقول: «ومَنْ تأمَّل تصانيفه تأمُّلَ مُنصفٍ، علم أن الرجل كان بحرًا في العلوم».

• ويقول: «أخرج من علوم الحديث ما عَجَز عنه غيرُه»[٣].

وفي الفقه تعب عليه، حتى صار من كبارِ فقهاءِ الشافعية[٤].

وأهَّله تمكُّنُه أن يكون قاضيًا؛ إذ لا يلي القضاءَ آنذاك إلا مضطلعٌ في الفقه، متمكِّنٌ من نواحيه، عارفٌ بدقائق مسائِله ومشكلِ وقائعه، فوَلِي القضاءَ مدةً طويلةً في أكثر من بلدةٍ؛ منها «نَسا»، و«سمرقند»... وغيرهما.

ولعلَّ هذا ـ كما يقول بعضهم ـ ما أثار حفيظةَ فقهاء الحنفيةِ الذين كانوا يَعُدُّون وظيفة «القضاء» وقفًا عليهم، فجرت بينه وبينهم منازعاتٌ وخصوماتٌ حملت ابنَ حِبَّان على مجاوزة الحد، حين لم يجد أغيظَ لهؤلاء من الطعن في إمامهم، أبي حنيفة! فألَّف كتابًا في «علل مناقبه» ـ عشرة أجزاء ـ، وكتابًا في «مثالبه» ـ عشرة أجزاء ـ، وكتابًا في «علل ما استند إليه» ـ عشرة أجزاء ـ.

---

(١) «معجم البلدان»: (بُست).
(٢) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٢٩٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٩٢).
(٣) «معجم البلدان»: (بُسْت).
(٤) وقد ترجم له السبكي في «طبقات الشافعية» (٣/ ١٣١).

وكان الأولى به أن يكظمَ غيظه، فلا يأخذَ أحدًا بذنب غيره، وأبو حنيفة إمامٌ جليلُ القدْرِ عظيمُ الشأن، طبَّق علمُه الآفاق، وعَرف فضله القاصي والداني، فكيف يَنال منه لذنبٍ اقترفه رجلٌ انتحل مذهبه بعد قرنين من وفاته؟!

فسامح اللهُ ابنَ حبان، وغفر له هذه الهفوة.

وقد تَلْمَذَ في الفقه على شيخه ـ محدِّثِ الوقت ـ محمد بن إسحاقَ بن خزيمة، وأخذ عنه طريقته في استنباط الأحكام والمسائل الفقهية.

وبرع ـ أيضًا ـ في علم العربية، حتى عَرَف أسرارها وحقيقتَها ومجازَها وتمثيلَها واستعارتها؛ مما مكَّنه من أن يستنبطَ الأحكام الشرعية من نصوصِ القرآن والسُّنَّة، وكثيرًا ما كان يمهِّدُ لاستنباطه بذكر القاعدة اللغوية المتعارَف عليها عند العرب.

ونَضِج ـ أيضًا ـ في علم الكلام، حتى تأثَّرت به عقليتُه وتلوَّن به فكرُه، واصطبغ بتقسيماته وفصولِه أسلوبُه، فتراه يذهبُ إلى تقسيم الشيء إلى كلِّي وجزئي، وتفريق الشيئين المتضادَّين والمتهاترين ـ على حدِّ تعبيره ـ، إلى غير هذا مما هو جليٌّ في تعليقاته وتفسيراته واستنتاجاته في بعض كتبه ـ ولا سيَّما «الصحيح» ـ.

• وبالإضافة إلى هذا حصَّل علم الطب والفلك، ويظهرُ أنه بلغ فيهما رتبةً أمكن معها القول فيه: «كان عالِمًا بالطب والنجوم».

• إن هذه الفنونَ الكثيرة التي تمكَّن منها، جعلت الحافظ ابن حجر يقول: «كان صاحبَ فنونٍ وذكاءٍ مُفرط، وحفظٍ واسعٍ إلى الغاية رَحِمَهُ اللهُ».

*** مِحنتُه:**

ليس أحدٌ معصومًا، ولكن العجبَ لا يكاد ينقضي من بعض الأئمة الذين تفوَّهوا بكلماتٍ كانوا في غنًى عنها، وكانت سببًا في الحكم عليهم بأحكامٍ قاسيةٍ كادت تودي بحياتهم.

إن المنزلةَ الرفيعةَ التي تبوَّأها ابنُ حبان رَحِمَهُ اللهُ أشعلت الغَيرة في صدور

حاسديه، فهم يتربَّصون به هفوةً أو سقطةً أو خطأً، ليملؤوا الدنيا نكيرًا عليه، وينفِّروا قلوبَ الخلق عنه.

ويتورَّط ابن حبان، فيتفوَّهُ بعبارةٍ صاغها أسلوبه في «فذلكة الكلام وفلسفةِ المعاني»، فيجد فيها المتربِّصون فرصةً ليقيموا عليه الدنيا، وثغرةً يَلِجون منها ليطعنوه طعنةً قاتلة، ويستريحوا منه، وهم عند عامةِ الناس منصفون، مقيمون للحدِّ الذي شرعه اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ.

• فلقد تورَّط ابنُ حبَّان، فقال: «النبوة: العلم والعمل»!

وهذا قولٌ إن أُجري على ظاهره، حُكم على صاحبه بالزندقة، واستحق به القتل[1]، وهذا ما حدث، فقد حَكم عليه بعضُ أئمةِ عصره بالزندقة، فهجره الناس، ثم كُتب بهذا الأمر الخطير إلى الخليفة، الذي سارع إلى إقامة حدِّ اللهِ على هذا القائل، فأمر بقتله، ولولا أن اللهَ سلَّم؛ لحُزَّ رأسُه بحد السيف!.

فما كان أغنى ابنَ حبَّان رَحِمَهُ اللَّهُ عن مقالته هذه! لقد أوقع نفسه، وأتعب عارفيه في الدفاع عنه وتأويل عبارته الموهمة هذه، ودَفْعِ تُهمةِ الزندقة أن تُلصق به.

بل فوق اتهامه بالبدعة والزندقة ذكره بعضُهم في الكذابين! مع أنه هو الذي قام بكشف أحوال الضعفاء والمجروحين، وبيَّن شروطَ الثقات والمعدَّلين، لكنه حُسد لفضله وتقدمه ـ كما قال تلميذه الحاكم ـ.

هذا وقد توالت أقوالُ الأئمة ـ بعد ابن حبَّان ـ في الدفاع عنه وتوجيه كلمته تلك بما هو مذكورٌ في مصادر ترجمته.

---

(١) لأنه يشير إلى إمكانِ اكتساب النبوَّة، والنبوةُ ـ كما هو معلوم ـ أمر موهبيٌّ وليس كسبيًّا، وبالطبع يكون هذا القولُ ـ إن أُخذ على ظاهره ـ تكذيبًا للقرآن في كون نبيِّنا محمدٍ ﷺ خاتمَ النبيين.

* مِن مآثِرِه الجليلة:

ويُسجِّلُ التاريخُ هنا مأثرةً عظيمةً لابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ، كان له فيها فضلُ السَّبق والتقدم، فهو ـ بالإضافة إلى قيامه ببذل علومه الغزيرة وإقراء مصنفاته النفيسة لعددٍ لا يُحصى من الطلَّاب ـ، فهو من أوائل ـ بل لعلَّه أولُ ـ مَن حوَّل مكتبتَه الخاصةَ الأثيرةَ لديه ـ والتي أنفق في تحصيلها وجمعِها عمرَه وماله ـ، حوَّلها إلى مكتبةٍ عامةٍ يُفيد منها طلَّابُ العلم كافةً ـ غنيُّهم وفقيرهم ـ؛ شريطةَ ألَّا يخرج منها كتابٌ إلى الخارج.

* أبرز شيوخ الإمام ابن حبان:

١ ـ الإمامُ الحافظ شيخ الإسلام أبو يعلى الموصلي، أحمد بن عليٍّ بن المُثنَّى، محدِّثُ الموصل، أحد الثقات الأثبات.

٢ ـ الإمام الحافظ الثبْت الحسنُ بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز النَّسَوي صاحب «المسند».

٣ ـ الإمام العلَّامةُ المحدِّثُ الأديب الأخباري أبو خليفة الفضلُ بن الحُباب الجُمحي البصري.

٤ ـ الإمام الحافظ الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي القرشي.

٥ ـ الإمام الثقة المحدِّثُ الكبير أبو العباس، محمد بن الحسن بن قُتيبة اللخمي العسْقلاني.

٦ ـ الإمام الحافظُ الثبْت الجوَّال: أبو حفص، عمرُ بن محمد البُجيري السمرقندي.

٧ ـ الإمام المحدِّث العابدُ الثقة: أبو محمد، عبد الله بن محمد بن سَلْم المقدسي الفريابي.

٨ ـ إمامُ الأئمة: الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة.

٩ ـ الإمام الحافظ الثقة محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مِهران السرَّاج.

١٠ ـ الإمام عَبْدان، عبد الله بن أحمد الأهوازي.

وغيرهم كثير.

* أبرز تلاميذه:

١ ـ الإمام أبو عبد الله الحاكم ـ صاحب «المستدرك» ـ.

٢ ـ الإمام أبو عبد الله بن مَنْدَه.

٣ ـ الإمام العلم عليُّ بن عُمر الدَّارَقُطْني.

٤ ـ العالِم الرحَّال أبو عليٍّ الهَرَوي.

٥ ـ الأديبُ أبو عمر النُّوقاتي.

٦ ـ الإمام المحدِّث أبو الحسن الزَّوزني.

وغيرهم خلقٌ كثير.

* أبرزُ مؤلفاته:

١ ـ «الأنواع والتقاسيم». وهو الكتاب الذي اشتُهر بعد ذلك بـ«صحيح ابن حبان».

٢ ـ «الهداية إلى علم السنن».

٣ ـ «شُعب الإيمان».

٤ ـ «روضة العقلاء» ـ وهو كتابنا هذا ـ.

٥ ـ «الثقات».

٦ ـ «علل أوهام أصحاب التواريخ».

٧ ـ «علل حديث مالك».

٨ ـ «علل حديث الزهري».

٩ ـ «ما انفرد به أهل المدينة من السنن».

١٠ ـ «ما انفرد به أهل مكة من السنن».

١١ ـ «الفصل بين النقَلة».

١٢ ـ «وصف العلوم وأنواعها».

١٣ ـ «معرفة المجروحين من المحدِّثين والضعفاء والمتروكين».

وغيرُ هذا مما لا يُحصيه إلا اللهُ تعالى.

* **وفاته:**

وبعد حياةٍ مجاهدٍ متواصل، قضى جُلَّها في الأسفار، وملأ ساعاتها بالطلب والسماع والإملاء والاستملاء، وعمَّر أيامها بالتأليف والتصنيف، وتعرَّض فيها لمحنٍ وأحداث، شاء اللهُ له أن يرجعَ إلى مَسقط رأسه «بُسْت»، ليُمضيَ فيها بقيةَ عمره، ويوافيَه أجلُه وهو بين أهله وأصحابه وطلابه، وذلك ليلةَ الجمعة لثماني ليالٍ بَقِينَ من شوَّال سنة (٣٥٤هـ)، فيُدفن بعد صلاة الجمعة في الصُّفَّة التي ابتناها قُربَ داره.

رحم اللهُ إمامَنا ابن حبَّان رحمةً واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وأعلى في المهديين درجاته؛ آمين.

سند الكتاب إلى مؤلفه رَحِمَهُ اللَّهُ

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ: أبو محمد، عبد القادر بن عبد الله الرُّهاوي ـ أدام اللهُ تأييده، وأجزل مِن كل خيرٍ مَزيده ـ في شهور سنة اثنتين وسِتِّمئة.

قال: حدثنا الأمير القاضي الإمام عمدةُ الدين، مُعين الإسلام، ناصرُ السُّنَّة، أبو عبد الله، محمد بن نصر بن الحسين بن محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد البُوسَنْجي ـ من لفظه ـ بـ«بوسنج» في شهور سنة اثنتين وستين وخَمْسمِئة.

قال: أخبرنا الشيخ الإمام العالِم الزاهد: عفيف الدين أبو جعفر حنبل بن عليّ بن الحسين البخاري الصوفي السُّني رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد أحمد بن محمد بن أحمد التوني، سنةَ تِسعٍ وسبعين وأربعمئة.

قال: أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الشروطي.

قال: أخبرنا أبو حاتم محمد بن حبَّان البُستي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال:



مقدِّمةُ الإمام ابنِ حِبَّان رَحِمَهُ اللهُ

الحمدُ للهِ المتفرِّد بوحدانية الألوهيَّة، المتعزِّزِ بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالَم بآجالها، والعالِم بتقلُّبها وأحوالها، المانِّ عليهم بتواترِ آلائه[١]، المتفضِّل عليهم بسوابغ نَعْمَائه[٢]، الذي أنشأ الخلق - حين أراد - بلا مُعينٍ ولا مشير، وخلق البشر - كما أراد - بلا شبيهٍ ولا نظير، فمضت فيهم بقُدرته مشيئتُه، ونَفِذت فيهم بعزَّته إرادتُه، فألهمهم حُسنَ الإطلاق، وركَّبَ فيهم تشعُّبَ الأخلاق، فهم على طبقاتِ أقدارِهم يمشون، وعلى تشعُّب[٣] أخلاقهم يدُورون، وفيما قضى وقدَّر عليهم يَهيمون[٤]، و﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

وأشهد ألَّا إلٰه إلَّا اللهُ فاطرُ السماوات العُلا، ومنشئُ الأرَضِينَ والثرى، لا مُعَقِّبَ لحكمه، ولا رادَّ لقضائه، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء].

وأشهد أن محمدًا عبده المُجْتَبى، ورسولُه المرتضَى، بعثه بالنور المُضيِّ، والأمرِ المرْضيِّ، على حين فترةٍ[٥] من الرسل، ودُروسٍ[٦] من السُّبُل، فدَمَغ[٧] به الطغيان، وأكمل به الإيمان، وأظهره على كل الأديان،

---

(١) التواتر: التتابع.
(٢) السوابغ: الواسعة الكثيرة.
(٣) التشعُّب: التفرُّق.
(٤) يَهيمون: يخوضون.
(٥) الفترة: الانقطاع.
(٦) الدرُوس: الاختفاء.
(٧) دَمغ: دمَّر.

وقَمَع به أهل الأوثان، فـ ﷺ ما دار في السماء فَلَك، وما سَبَح في الملكوت مَلَك، وعلى آله أجمعين!.

أمّا بعد:

فإن الزمان قد تبيَّن للعاقل تغيُّره، ولاح للَّبيب تبدُّله؛ حيث يَبُس ضَرْعُهُ بعد الغَزَارة[١]، وذَبُلَ فرعُهُ بعد النَّضَارة[٢]، ونَحِلَ عُودُه بعد الرطوبة[٣]، وبَشِعَ مذاقُه بعد العذوبة، فنَبغ فيه[٤] أقوامٌ يَدَّعون التمكُّنَ من العقل باستعمال ضدِّ ما يوجبُ العقلُ من شهوات صدورهم، وتركِ ما يوجبُه نفسُ العقل بِهَجَسَاتِ قلوبهم[٥]، جعلوا أساسَ العقل الذي يَعقِدون عليه عند المُعضِلات[٦]: النِّفَاقَ والمداهنة، وفروعَه عند ورود النائبات: حُسنَ اللباسِ والفصاحة، وزعموا أنَّ مَنْ أحكم هذه الأشياءَ الأربعَ فهو العاقل، الذي يجبُ الاقتداءُ به، ومَن تخلَّف عن إحكامها فهو الأنْوكُ[٧] الذي يجب الازْوِرارُ عنه[٨].

فلما رأيت الرَّعاعَ[٩] من العالَم يغترُّون بأفعالهم، والهمَجَ[١٠] من الناس يقتدون بأمثالهم، دعاني ذلك إلى تصنيف كتابٍ خفيف، يشتملُ متضمَّنُه على معنًى لطيف، مما يحتاجُ إليه العقلاءُ في أيامهم، من معرفةِ الأحوال في أوقاتهم، ليكون كالتذكرة لذوِي الحِجا عند حضرتهم[١١]، وكالمُعينِ لأولي النُّهى عند غَيبتهم، يفوقُ العالِمُ به أقرانَه، والحافظُ له أترابَه[١٢]، يكون النديمَ

---

(١) **الضرع**: الثَّدْي. **الغزارة**: الكثرة. والمراد: قلَّ خيرُه بعد كثرته.
(٢) **ذبُل**: ضعُف وقبُح. **النَّضارة**: الجمال والبهاء.
(٣) **نحل**: ضعف. **الرُّطوبة**: النداوة والاشتداد.
(٤) **نَبغ**: ظهر وعلا.
(٥) **الْهَجسات**: النداءات الخفيَّة.
(٦) **المُعضِلات**: الصِّعاب والشدائد.
(٧) **الأنوك**: الأحمق.
(٨) **الازوِرار**: الميل والابتعاد.
(٩) **الرَّعاع**: الجهلةُ الأغبياء.
(١٠) **الْهمَج**: الرُّذالة.
(١١) **الحِجا**: العقول. **حضرتهم**: حضورهم.
(١٢) **ترابه**: أمثاله.

الصادقَ للعاقل في الخلَوات، والمؤنِسَ الحافظَ له في الفَلَوات[١]، إن خَصَّ به مَن يُحبُّ من إخوانه، لم يَفتقِدْه من ديوانه، وإنِ استبدَّ به[٢] دون أوليائه، فاق به على نظرائه.

أُبَيِّن فيه ما يَحْسُنُ للعاقل استعمالُه من الخصال المحمودة، ويقبُحُ به إتيانُه من الخلال المذمومة، مع القصد في لزوم الاختصار، وترك الإمعان في الإكثار، لِيَخِفَّ على حامله، وتَعِيَه أُذُنُ مُستمعِه؛ لأن فنونَ الأخبار وأنواعَ الأشعار، إذا استَقصى المجتهدُ في إطالتها، فليس يرجو النهايةَ إلى غايتها، ومن لم يَرْجُ التمكُّنَ من الكمال في الإكثار، كان حقيقًا أن يقنعَ بالاختصار.

واللهُ الموفِّقُ للسداد، والهادي إلى الرشاد، وإياه أسألُ إصلاحَ الأسرار، وتركَ المعاقبة على الأوزار، إنه جوادٌ كريم، رؤوفٌ رحيم.

---

(١) **الفَلَوات**: الصحاري. والمراد: الأماكن الخالية.

(٢) **استَبدَّ**: احتفظ وبخل.

١

الحثُّ على لُزوم العقلِ، وصِفةُ العاقل اللبيب

١ حدَّثنا محمدُ بن يوسُف بنِ مطر: حدَّثنا عبدُ الله بن أحمد بن شبُّويه: حدَّثنا أحمد بن يونس حدَّثنا فُضَيْل بنُ عياض، عن محمد بن ثورٍ، عن مَعْمَرٍ، عن أبي حازم:

عن سهلِ بن سعدٍ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحبُّ مكارمَ الأخلاق، ويكرهُ سَفْسافَها[١]»[٢].

قال أبو حاتم [رضي الله عنه]: لستُ أحفظُ عن النبي ﷺ خبرًا صحيحًا في العقل[٣]؛ لأن «أبانَ بن أبي عيَّاش»، و«سَلمةَ بن وَرْدَانَ»، و«عُمَيْرَ بن عمران»، و«عليَّ بنَ زيد»، و«الحسنَ بن دينار»، و«عبَّادَ بن كثير»، و«مَيسرةَ بنَ عبدِ ربِّه»، و«داودَ بن المُحبَّر»، و«منصور بن صقر» ـ وذويهم ـ، ليسوا ممن أحتجُّ بأخبارهم، فأُخرِّجَ ما عندهم من الأحاديث في العقل.

وإن محبَّةَ المرءِ المكارمَ من الأخلاق وكراهتَه سفسافها: هو نفسُ العقل؛ فالعقلُ به يكون الحظُّ[٤]، ويؤنِسُ الغُربة، ويَنْفِي الفاقة[٥]، ولا مالَ أفضلُ منه، ولا يتمُّ دينُ أحدٍ حتى يَتِمَّ عقلُه.

---

(١) **السَّفْساف**: الرديء من كل شيء.

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم (١/ ٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٨٩٤)، و«الأوسط» (٢٩٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٤٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٥٥)، وصححه الحاكم، وكذا السيوطي في «الجامع الصغير»، وكذا الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٨٩).

(٣) أي: لم يصحَّ في فضل العقل حديثٌ عن النبي ﷺ. وانظر في هذا ـ متفضلًا ـ تعليقي على «إحياء علوم الدين» (١/ ٣٥٧).

(٤) **الحظ**: نيلُ الخيرات في الدنيا والآخرة. (٥) **الفاقة**: شدَّة الفقر.

و«العقل»: اسمٌ يقعُ على: المعرفة بسلوك الصواب، والعلمِ باجتناب الخطإ، فإذا كان المرءُ في أول درجته يُسمَّى «أديبًا»، ثم «أرِيبًا»، ثم «لبيبًا»، ثم «عاقلًا»، كما أن الرجل إذا دخل في أولِ حدِّ الدهاء قيل له: «شيطان»، فإذا عَتَا في الطغيان قيل: «مارِد»، فإذا زاد على ذلك قيل: «عَبْقَرِيٌّ»، فإذا جمع إلى خُبثِه شِدَّةَ شرٍّ قيل: «عِفْريت».

وكذلك الجاهل، يقال له في أول درجته: «المائق»، ثم «الرَّقيع»، ثم «الأنْوَك»، ثم «الأحمق».

وأفضلُ مواهبِ اللهِ لعباده العقلُ.

[٢] ولقد أحسن الذي يقول:

وأفضل قَسْمِ اللَّهِ للمرءِ عقلُهُ ... فليسَ من الخيرات شيءٌ يقاربُهْ
إذا أكملَ الرَّحمٰنُ للمرءِ عقلَهُ ... فقدْ كمُلتْ أخلاقُهُ ومآرِبُهْ[1]
يعيشُ الفتى في الناس بالعقل إنه ... على العقل يَجْري عِلمُهُ وتَجارِبُهْ
يَزينُ الفتى في الناس جَوْدةُ عقلِهِ ... وإن كانَ مَحظورًا عليه مكاسِبُهْ

[٣] أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس: حدَّثنا أحمد بن سَيَّار:

حدَّثنا حَبيبٌ الجلَّاب، قال: «قيل لابن المبارك: ما خيرُ ما أُعطيَ الرجل؟ قال: غريزةُ عقلٍ، قيل: فإن لم يكن؟ قال: أدبٌ حسن، قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخٌ صالحٌ يستشيرُه، قيل: فإن لم يكن؟ قال: صَمْتٌ طويل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: موتٌ عاجل».

[٤] أخبرنا محمدُ بن داودَ الرازي: حدَّثنا محمدُ بن حُميد:

حدَّثنا ابنُ المبارك؛ قال: «سئل عَقيلٌ: ما أفضلُ ما أُعطي العبدُ؟ قال: غريزةُ عقلٍ، قال: فإن لم يكن؟ قال: فأدبٌ حسن، قال: فإن لم

---
(١) المآرب: الحاجات والمنافع.

يكن؟ قال: فأخٌ شفيقٌ يستشيره، قال: فإن لم يكن؟ قال: فطُولُ صَمْت، قال: فإن لم يكن؟ قال: فموتٌ عاجل».

قال أبو حاتم [ﷺ]: العقلُ نوعان: مطبوعٌ، ومسموعٌ[١]:

- فالمطبوع منهما كالأرض.
- والمسموع كالبَذْرِ والماء.

ولا سبيل للعقل المطبوع أن يَخلُصَ له عملٌ محصولٌ، دون أن يَرِدَ عليه العقلُ المسموع، فيُنبِّهَه من رَقْدته، ويُطلِقَه من مَكامنه[٢]، كما يَستخرجُ البَذرُ والماءُ ما في قعورِ الأرض من كثرة الرَّيْع[٣].

فالعقلُ الطبيعيُّ من باطنِ الإنسان بموضعِ عروقِ الشجرة من الأرض.

والعقلُ المسموعُ من ظاهره كتدلِّي ثمرةِ الشجرة من فروعها.

[٥] أنشَدَني محمدُ بن إسحاق بن حبيبٍ الواسطي:

رأيتُ العقلَ نوعَينِ ... فمطبوعٌ ومسموعُ
ولا ينفعُ مسموعٌ ... إذا لم يَكُ مطبوعُ
كما لا تنفعُ الشمسُ ... وضَوْءُ العينِ مَمْنوعُ

[٦] اخبرنا القطَّانُ بـ«الرقَّة»: حدَّثنا موسى بنُ مروان: حدَّثنا بقيَّةُ، عن عبد الله بن حسان:

حدَّثني ابنُ عامر، قال: «قلت لعطاء بن أبي رَبَاح: يا أبا محمد، ما أفضلُ ما أُعطي العبدُ؟ قال: العقل عن الله».

---

(١) **العقل المطبوع**: هو العقلُ الذي خلقه اللهُ سبحانه في أغلب بني آدم، وبه يتميَّزُ الإنسانُ السَّوِيُّ عن المجنون. **والعقلُ المسموع**: هو العقلُ الذي تَهذَّب عن طريق «السمع» ـ الذين هو الكتاب والسُّنة وكلامُ أهل النور من سلف الأمَّة ـ، وهو الذي يُفرِّقُ به بين أهل الهدى وأهل الضَّلال.

(٢) **المكامن** ـ جمع «مَكمن» ـ: وهو المَخبأ.

(٣) **الرَّيع**: النماء والزيادة، والمراد هنا البركة، واللهُ أعلم.

﴿٧﴾ أنشَدَني أحمدُ بن محمدِ بن عبد الله الصنعاني:

لعبد الله بن عِكْراش:

يَزِينُ الفتى في الناس صحَّةُ عقلِه — وإن كان محظورًا عليه مكاسبُهْ

يَشينُ الفتى في الناس خِفَّةُ عقلِهِ — وإن كرُمت أعراقُهُ ومَناسبُهْ(١)

قال أبو حاتم [ﷺ]: فالواجبُ على العاقل: أن يكون بما أحيا عقلَه من الحكمة أكْلَفَ منه(٢) بما أحيا جسدَه من القُوت؛ لأن قوتَ الأجسام المطاعم، وقوتَ العقل الحِكَم، فكما أن الأجسادَ تموتُ عند فَقْدِ الطعام والشراب، كذلك العقول إذا فَقدت قُوتها من الحكمة ماتت.

والتقلُّبُ في الأمصار، والاعتبارُ بخلق اللهِ مما يَزيدُ المرءَ عقلًا - وإن عَدِم المالَ في تقلُّبه -.

﴿٨﴾ وأنشَدَني عبدُ الرَّحمٰن بن محمد المقاتلي:

إن ذا العَقْلِ يَرى غُنْمًا له — عَدَمَ المال إذا ما العَقلُ صَحْ

ما على المرءِ بِعُدْمٍ سُبَّةٌ — إنْ وَفَا العقلُ وإنْ دينٌ صَلَحْ(٣)

﴿٩﴾ أخبرنا محمد بن المسيَّب: حدثنا أحمدُ بن إسماعيل المدني، قال:

سمعتُ حاتمَ بنَ إسماعيل يقول: «ما استودع اللهُ عقلًا عبدًا، إلَّا استنقذه به يومًا ما».

قال أبو حاتم [ﷺ]: العقلُ دواء القلوب، ومَطِيَّةُ المجتهدين، وبَذْرُ حِراثةِ الآخرة، وتاجُ المؤمن في الدنيا، وعُدَّتُه في وقوع النوائب.

ومَن عُدِم العقلَ لم يَزِدْه السلطانُ عزًّا، ولا المالُ يرفعُه قَدْرًا.

ولا عَقْلَ لمن أغفَلَه عن أُخراه ما يجدُ من لذَّة دنياه، فكما أن أشدَّ

---

(١) **المناسب**: الأنساب.

(٢) **أكلف**: أشدَّ كَلَفًا، و«الكَلَف»: شدَّةُ الشَّغف والوَلَع.

(٣) **العُدْم**: الفقر وانعدام الغنى.

الزَّمانةِ[1] الجهلُ، كذلك أشدُّ الفاقةِ عدمُ العقل.

والعقلُ والهوى متعاديان، فالواجبُ على المرء: أن يكون لرأيه مُسْعِفًا، ولهواهُ مسوِّفًا[2]؛ فإذا اشتبه عليه أمرانِ، اجتنب أقربَهما من هواه؛ لأن في مجانبته الهوى إصلاحَ السرائر، وبالعقل تصلُحُ الضمائر.

[١٠] أخبرنا عمرُو بن محمد الأنصاري: ثنا محمد بن عُبيدِ الله الجُشَمي:

حدَّثنا المدائنيُّ، قال: «قال معاويةُ بن أبي سفيان لرجلٍ من العرب عُمِّر دهرًا: أخبِرني بأحسنِ شيءٍ رأيتَه. قال: عقلٌ طُلِب به مروءةٌ، مع تقوى اللهِ وطلبِ الآخرة».

[١١] وأنشَدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

إذا تمَّ عقل المرء تَمَّت أمورُهُ ... وتَمَّت أيادِيهِ وتمَّ بناؤُهُ[3]

فإن لم يكن عقلٌ تبيَّن نقصُه ... ولو كان ذا مالٍ كثيرًا عطاؤُهُ

[١٢] أخبَرنا الحسنُ بن سفيان: حدَّثنا أبو كامل الجَحْدَريُّ: حدثنا عمرانُ بن خالد الخزاعي، قال:

سمعتُ الحسن يقول: «ما تمَّ دينُ عبدٍ قطُّ حتى يتمَّ عقلُه».

قال أبو حاتم [ﷺ]: أفضلُ ذَوِي العقول منزلةً: أدومُهم لنفسه محاسبةً، وأقلُّهم عنها فترةً؛ فبالعقل تَعمُرُ القلوب، كما أن بالعلم تُستخرج الأحلام[4]، وعمودُ السعادة العقل، ورأسُ العقل الاختيار[5]، ولو صُوِّر العقلُ صورةً لأظلمت معه الشمسُ لنوره، فقُرْبُ العاقل مَرْجُوٌّ خيرُه على كل حال، كما أن قُربَ الجاهل مَخُوفٌ شرُّه على كل حال.

---

(١) **الزَّمَانة**: المرض.

(٢) **مُسوِّفًا**: مؤخِّرًا. والمراد: معطِّلًا.

(٣) **الأيادي**: الخيرات والمنافع.

(٤) **الأحلام**: العقول.

(٥) أي: أصلُ صحَّة عقل الإنسان حُسنُ اختياره للنافع من الأمور.

ولا يجبُ للعاقل أن يغتمَّ؛ لأن الغمَّ لا ينفع، وكثرتَه تُزْري بالعقل، ولا أن يَحزَن؛ لأن الحزنَ لا يردُّ المَرْزَأَةَ(١)، ودوامُه يُنقِصُ العقل.

والعاقلُ يَحسِمُ الداء قبل أن يُبتلى به، ويدفعُ الأمر قبلَ أن يقعَ فيه، فإذا وقع فيه رَضِيَ وصبر.

والعاقلُ لا يُخيفُ أحدًا أبدًا ما استطاع، ولا يُقيمُ على خوفٍ وهو يجدُ منه مَذْهَبًا، وإذا خاف على نفسه الهوانَ، طابت نفسُه عما يَملكُ من الطارف والتالد(٢)، مع لزوم العفاف؛ إذ هو قُطْب شُعَب العقل.

[١٣] أنشدني المنتصرُ بنُ بلال بن المنتصر الأنصاري:

أو لستَ تأمُرُ بالعفافِ وبالتُّقى ... وإليك آلَ الأمرُ حين يؤولُ؟!
فإنِ استطعتَ فخُذْ بعقلك فضلَهُ ... إن العقول يُرى لها تَفضيلُ

[١٤] أخبَرَنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني بـ«الكَرَج»: حدثنا محمّدُ بن عليٍّ الطاحي: حدَّثنا عمرُو بن عثمان الخزاز الحراني: حدَّثَنا مفضَّلُ بن صالح:

قال عليٌّ: «لمَّا أهبط اللهُ آدمَ من الجنة، أتاه جبريل، فقال: إني أمِرتُ أن أُخيِّرَك في ثلاثةٍ، فاختَرْ واحدةً، ودعِ اثنتين. فقال آدمُ: وما الثلاثُ؟ قال: الحياءُ، والدين، والعقل. فقال آدمُ: فإني قد اخترتُ العقل. قال: فقال جبريلُ للحياء والدِّين: انصرِفا ودَعَاه، فقالَا: إنَّا أُمِرنا أن نكون مع العقل حيث كان. ثم عَرَج جبريلُ وقال: شأنكم».

قال أبو حاتم [ﷺ]: مَن حَسُنَ عقلُه، وقَبُح وجهُه، فقد أفقَدَ فضائلُ نفسه قبائحَ وجهه، ومَن حَسُن وجهُه وقلَّ عقلُه، فقد أذهب محاسنَ وجهه نقائصُ نفسه(٣).

---

(١) **المرزَأة**: المصيبة.

(٢) **الطارف**: الجديد. **التالد**: القديم. والمقصود: نفائس الأموال.

(٣) معنى هذه الفقرة: أن من كان جميلَ المكارم قبيحَ الوجه، فإن مكارمَه الجميلة تُغطِّي =

ولا يجبُ للعاقل أن يغتمَّ إذا كان مُعدِمًا؛ لأن العاقلَ قد يُرجى له الغنى، ولا يوثَقُ للجاهل المُكثِرِ[(١)] ببقاء ماله.

ومالُ العاقل عقلُه وما قدَّم من صالح عمله.

وآفةُ العقل: الصَّلَفُ والبلاءُ المُرْدي[(٢)]، والرخاءُ المُفرِط[(٣)]؛ لأن البلايا إذا تواترت عليه أهلكت عقلَه، والرخاءَ إذا تواتر عليه أبطَرَه[(٤)].

والعدوُّ العاقل خيرٌ للمرء من الصديق الجاهل.

[١٥] أنشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

عدوُّك ذو العقل أبقى عليكَ ... من الجاهل الوَامِقِ الأحْمقِ[(٥)]
وذو العقل يأتي جميلَ الأمور ... ويقصِدُ للأرشدِ الأرفَقِ[(٦)]

[١٦] أخبرنا محمد بن الحسين بن قُتيبة بـ«عسقلان»: حدَّثنا ابنُ أبي السَّرِي: حدثنا داودُ بنُ الجرَّاح وضمرةُ بن ربيعة، عن خُليد بن دَعْلَج، قال:

سمعت معاويةَ بنَ قُرَّةَ يقول: «إن القومَ لَيَحُجُّون، ويعتمرون، ويُجاهدون، ويُصلُّون، ويصومون، وما يُعْطَوْن يوم القيامة إلَّا على قدر عقولهم».

[١٧] سمعت محمدَ بن محمود بن عديٍّ النَّسائي يقول: سمعت عليَّ بنَ خَشْرَمٍ يقول:

سمعت حفصَ بنَ حُميدٍ ـ الأكَّاف ـ يقول: «العاقلُ لا يُغبَن، والوَرِعُ لا يَغبِن»[(٧)].

= على صورته القبيحة. ومن كان جميلَ الصورة قبيحَ الأخلاق، فإن فساد باطنه سيُغطّي على جمال صورته.

(١) **المُكثِر**: الغني.

(٢) **الصَّلَف**: الغرور والتعالي. **المردي**: المُهلك.

(٣) **المفرِط**: الزائد عن الحد.

(٤) **أبطره**: دفعه للكبر والتعالي.

(٥) **الوامق**: المُحِب.

(٦) **الأرفق**: الأيسر.

(٧) **الغبن**: الخسارة. ولكن المراد هنا: الخداع.

قال أبو حاتم [ﷺ]: هذه لفظةٌ جامعة، تشتملُ على معانٍ شتَّى، فكما لا ينفعُ الاجتهادُ بغير توفيق، ولا الجَمالُ بغير حلاوة[1]، ولا السرورُ بغير أمْنٍ، كذلك لا ينفعُ العقلُ بغير ورع، ولا الحِفظُ بغير عمل.

وكما أن السرورَ تبَعٌ للأمن، والقرابةَ تبعٌ للمودَّة[2]، كذلك المروآتُ كلُّها تَبَعٌ للعقل.

وعقولُ كلِّ قومٍ على قدْر زمانهم، فالعاقلُ يختارُ من العمر أحسنَه - وإن قلَّ -، فإنه خيرٌ من الحياة النكِدة - وإن طالت -.

والعقلُ المُوعِي[3] غيرُ المنتفَعِ به كالأرض الطيِّبة الخراب.

والعاقلُ لا يبتدئُ الكلام إلَّا أن يُسْأَل، ولا يُكثِرُ التماريَ[4] إلَّا عند القبول، ولا يُسرِعُ الجوابَ إلَّا عند التثبُّت.

والعاقل لا يستحقرُ أحدًا؛ لأن من استحقر السلطانَ أفسد دنياه، ومن استحقر الأتقياءَ أهلك دِينَه، ومَن استحقر الإخوانَ أفنى مروءتَه، ومن استحقر العامَّة أذهب صيانته.

والعاقلُ لا يخفى عليه عَيبُ نفسه؛ لأنَّ مَن خَفِيَ عليه عَيبُ نفسه، خَفِيتْ عليه محاسنُ غيره، وإنَّ من أشدِّ العقوبةِ للمرء أن يَخفى عليه عيبُه؛ لأنه ليس بمُقلِعٍ عن عيبه مَن لم يعرفْه، وليس بنائلٍ محاسنَ الناس مَن لم يعرفْها، وما أنفعَ التجاربَ للمبتدئ!.

[١٨] انشَدَني المنتصرُ بن بلال بن المنتصر الأنصاري:

ألـم تَـرَ أن الـعـقـلَ زَيـنٌ لأهـلِـهِ وأنَّ كمالَ العقلِ طولُ التجارِبِ!
وقد وَعَظ الماضي مِن الدهر ذا النُّهى ويـزدادُ فـي أيـامِـهِ بـالـتـجـارِبِ

---

(١) يقصد: حلاوة الروح والنفس، والله اعلم.
(٢) أي: لا يتقربُ أحدٌ من أحدٍ إلا بعد أن تقعَ بينهما مودَّة.
(٣) **المُوعِي**: الممتلئ. (٤) **التماري**: الجدال.

[١٩] أخبَرَنا الحسن بنُ سفيان: حدَّثنا عثمانُ بن أبي شَيبة: حدَّثنا جرير:

عن الحكم بن عبد الله قال: «كانت العربُ تقول: العقلُ: التجارب[(١)]، والحزمُ: سوء الظن».

قال أبو حاتم [ﷺ]: لا يكونُ المرءُ بالمصيب في الأشياء، حتى تكون له خِبرةٌ بالتجارب.

والعاقلُ يكونُ حَسَنَ المأخذ في صِغَرِهِ، صحيحَ الاعتبار في صباه، حَسَنَ العفَّة عند إدراكه، رَضِيَّ الشمائل في شبابه، ذا الرأي والحزم في كُهولته، يضعُ نفسه دون غايته برَتْوة[(٢)]، ثم يجعلُ لنفسه غايةً يقفُ عندها؛ لأن مَن جاوَز الغايةَ في كل شيءٍ صار إلى النقص[(٣)].

ولا ينفع العقلُ إلَّا بالاستعمال؛ كما لا تنفعُ الأعوانُ إلَّا عند الفرصة، ولا ينفعُ الرأيُ إلَّا بالانتخال[(٤)]؛ كما لا تتمُّ الفرصةُ إلَّا بحضور الأعوان.

ومَن لم يكنْ عقلُه أغلبَ خصالِ الخير عليه، أخافُ أن يكون حَتفُه في أقرب الأشياء إليه.

ورأس العقل: المعرفةُ بما يمكنُ كونُه قبل أن يكون[(٥)].

والواجبُ على العاقل: أن يجتنبَ أشياءَ ثلاثةً ـ فإنها أسرعُ في إفساد العقل من النار في يَبِيس العَوْسَج[(٦)] ـ: الاستغراقُ في الضحك، وكثرةُ التمنِّي، وسوءُ التثبُّت[(٧)].

لأن العاقل لا يتكلَّفُ ما لا يُطيق، ولا يسعى إلَّا لِمَا يدرك، ولا يَعِدُ

---

(١) أي: ينالُ المرءُ كمالَ العقل وتمامَه بكثرة التجارب.
(٢) **الرَّتْوة**: المسافة. والمرادُ أن العاقل إذا أراد هدفًا، فإنه يقترب منه طاقتَه.
(٣) **يقصد**: في أمور الدنيا.
(٤) **الانتخال**: الانتقاء، ومعرفةُ النافع من الضار.
(٥) **يقصد**: الفِراسة.
(٦) **اليَبِيس**: الجاف. **العَوْسج**: نبات ذو شوك.
(٧) **سوء التثبت**: عدم التأكد من الأمور؛ مما يترتبُ عليه فسادُ الحكم عليها.

إلَّا بما يَقدِرُ عليه، ولا يُنفقُ إلَّا بقَدرِ ما يستفيد، ولا يَطلبُ من الجزاء إلَّا بقَدرِ ما عنده من الغَناء[1] ولا يفرحُ بما نال إلَّا بما أجدى عليه نفعُه منه[2].

والعاقلُ يبذلُ لصديقه نفسَه ومالَه، ولمعرفتِه رِفْدَه ومَحْضَرَه[3]، ولعدوِّه عَدْلَه وبِرَّه، وللعامَّةِ بِشْرَه وتحيَّته، ولا يستعينُ إلَّا بمن يُحبُّ أن يُظفِرَه بحاجته، ولا يُحدِّثُ إلَّا مَن يرى حديثَه مغنمًا؛ إلَّا أن يغلبَه الاضطرارُ إليه[4]، ولا يدَّعي ما يُحسِنُ من العلم؛ لأن فضائلَ الرجال ليست ما ادَّعَوْها، ولكن ما نَسَبها الناسُ إليهم، ولا يُبالي ما فاته من حُطام الدنيا، مع ما رُزق من الحظ في العقل.

[٢٠] أنشَدَني عبدُ الرَّحمٰن بن محمَّد المقاتلي:

فمَن كان ذا عقلٍ ولم يكُ ذا غنَى	**يكون كذِي رِجْلٍ وليست له نَعْلُ**
ومَن كان ذا مالٍ ولم يكُ ذا حِجًا	**يكون كذِي نعلٍ وليست له رِجلُ**

قال أبو حاتم [رضي الله عنه]: كفى بالعاقل فضلًا ـ وإن عَدِم المال ـ: بأن تُصرَف مساوِئُ أعماله إلى المحاسن، فتُجعلَ البلادةُ منه حلمًا، والمكرُ عقلًا، والهَذَرُ بلاغةً، والحِدَّةُ ذكاءً، والعِيُّ صمتًا[5]، والعقوبةُ تأديبًا، والجُرأةُ عزمًا، والجُبنُ تأنِّيًا، والإسرافُ جُودًا، والإمساكُ تقديرًا؛ فلا تكادُ ترى عاقلًا إلَّا موقِّرًا للرؤساء، ناصحًا للأقران، مواتيًا للإخوان، متحرِّزًا من الأعداء، غيرَ حاسدٍ للأصحاب، ولا مخادعٍ للأحباب، ولا يتحرَّشُ بالأشرار[6]، ولا يَبخلُ

---

(١) **الغَناء**: النفع والإفادة.

(٢) أي: لا يفرحُ بما يُحصِّلُه من أشياء إلَّا إذا كانت نافعةً غيرَ ضارةٍ عليه في دنياه وأُخراه، فإن من العباد مَن يفرحُ بما قد يُكبُّهُ على وجهه في نار الجحيم.

(٣) **الرِّفْد**: العطاء. **المَحضر**: الحضور. والمراد: ينفعُه بماله وجاهه.

(٤) أي: إلَّا أن يُضطرَّ إلى الجلوس معه.

(٥) **العِيُّ**: العجز عن الكلام.

(٦) **التحرش**: الاختلاط.

في الغِنى ولا يَشْرَهُ في الفاقة[١]، ولا ينقادُ للهوى، ولا يَجمحُ في الغضب[٢]، ولا يمرحُ في الولاية، ولا يتمنَّى ما لا يجد، ولا يكتنزُ إذا وجد، ولا يدخلُ في دعوى، ولا يشاركُ في مِرَاء، ولا يُدْلي بحُجَّةٍ حتى يرى قاضيًا، ولا يشكو الوجعَ إلَّا عند من يرجو عنده البُرْءَ، ولا يَمدحُ أحدًا إلَّا بما فيه؛ لأن من مَدَح رجلًا بما ليس فيه، فقد بالَغَ في هجائه، ومَن قَبِلَ المدحَ بما لم يفعلْه فقد استُهدف للسخرية.

والعاقلُ يُكرَمُ على غير مال، كالأسدِ يُهاب وإن كان رابضًا[٣].

وكلامُ العاقل يَعتدلُ كاعتدال جسدِ الصحيح، وكلامُ الجاهل يتناقضُ كاختلاط جسد المريض.

وكلام العاقل ـ وإن كان نَزْرًا ـ حُظوةٌ عظيمة، كما أن مقارفةَ المأثم ـ وإن كان نَزرًا ـ مصيبةٌ جليلة.

ومن العقل: التثبُّتُ في كلِّ عملٍ قبل الدخول فيه.

وآفةُ العقل العُجب.

و[٤]على العاقل أن يوطِّن نفسه على الصبر على جار السوء، وعشيرةِ السوء، وجليسِ السوء؛ فإن ذلك مما لا يُخطئُه على ممرِّ الأيام.

ولا يَجبُ للعاقل أن يُحبَّ أن يسمَّى به[٥]؛ لأن مَن عُرف بالدهاء حُذِر[٦]، ومِنْ عقل العاقل دفنُ عقله ما استطاع؛ لأن البِذرَ ـ وإن خفي في الأرض أيامًا ـ، فإنه لا بدَّ ظاهرٌ في أوانه، وكذلك العاقلُ لا يَخفى عقلُه ـ وإن أخفى ذلك جُهدَه ـ.

---

(١) الشَّرَه: الجشع والطمع فيما عند الغير.

(٢) يَجمح: يندفع. والمقصود: لا يُجاوز الحد في غضبه.

(٣) رابضًا: جالسًا.

(٤) في المطبوع: «بل»! ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

(٥) أي: لا يطلبُ من الناس أن يُسمُّوه «العاقل».

(٦) حُذِر: خاف الناسُ منه، ولم يتعاملوا معه على سجيتهم.

وأولُ تمكُّنِ المرء من مكارم الأخلاق هو لزوم العقل.

[٢١] انشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

إن المكارمَ أبوابٌ مُصَنَّفةٌ	فالعقلُ أوَّلُها، والصمتُ ثانيها
والعلمُ ثالثها، والحلم رابعها	والجودُ خامسُها، والصِّدقُ ساديها
والصبرُ سابعُها، والشكرُ ثامنُها	واللِّين تاسعُها، والبِرُّ عاشيها[١]

[٢٢] أخبَرَنا عمرُ بن عبد الله بن عمر الهَجري أبو حفص العابد بـ«الأُبُلَّة»: حدَّثنا عبدُ الله بن خُبيق الأنطاكي: حدَّثنا موسى بن طَريف:

قال شُعيبُ بن حَرب: «قال لي شُعبةُ: عقولُنا قليلة، فإذا جلسنا مع من هو أقلُّ عقلًا منَّا، ذهب ذلك القليل. وإني لأرى الرجلَ يجلسُ مع مَن هو أقلُّ عقلًا منه فأَمقُتُه».

قال أبو حاتم [رَحِمَهُ اللهُ]: أولُ خِصالِ الخير للمرء في الدنيا العقل، وهو من أفضلِ ما وَهب اللهُ لعباده؛ فلا يجبُ أن يُدنِّسَ[٢] نعمةَ اللهِ بمُجالسة مَن هو بضدِّها قائم.

والواجبُ على العاقل: إن يكون حَسَنَ السَّمْت[٣]، طويلَ الصمت؛ فإن ذلك من أخلاق الأنبياء، كما أن سُوءَ السَّمت وتركَ الصمت مِن شِيَمِ الأشقياء[٤].

والعاقلُ لا يطولُ أملُه؛ لأنَّ من قَوِيَ أملُه ضعُف عمله، ومَن أتاه أجلُه لم ينفعه أملُه.

والعاقلُ لا يقاتِلُ من غير عُدَّة، ولا يُخاصِمُ بغير حُجَّة، ولا يصارِعُ بغير

---

(١) في المطبوعات: «والصدق عاشيها»، وقد سبق «الصدق» في البيت السابق، والمثبَت من بعض الروايات لهذه الأبيات.
(٢) يُدنِّس: يُلوِّث.
(٣) السَّمْت: السلوك والتصرف، وفي أصل «المكتبة العصرية»: «الهَدْي».
(٤) الشِّيم: العلامات.

قوَّة؛ لأن بالعقل تحيا النفوس، وتُنوَّرُ القلوب، وتمضي الأمور، وتُعمَّرُ الدنيا.

والعاقلُ يَقيسُ ما لم يَرَ من الدنيا بما قد رأى، ويُضيفُ ما لم يسمعْ منها إلى ما قد سمع، وما لم يُصِبْ منها إلى ما قد أصاب، وما بَقِيَ مِن عُمره بما فَنِيَ، وما لم يَنَل منها بما قد أُوتي، ولا يتَّكلُ على المال ـ وإن كان في تمام الحال ـ، [لأن المالَ يَحُلُّ ويرتحل، والعقلُ يُقيم ولا يَبرَح][1]، ولو أن العقلَ شجرةٌ لكانت مِن أحسن الشجر، كما أن الصبرَ لو كان ثمرةً لكان من أكرم الثمر.

والذي يزداد به العاقلُ من نماءِ عقله هو: التقرُّبُ من أشكاله، والتباعُدُ من أضداده.

٢٣ ولقد أخبَرَنا محمد بن المهاجِر المعدَّل: حدثنا أبو جعفر ابنُ ابنةِ أبي سعيد الثعلبي:

حدثنا محمد بن أبي مالكٍ الغزِّي، قال: سمعت أبي يقول: «جالِسوا الألبَّاء ـ أصدقاءَ كانوا أو أعداء ـ؛ فإن العقول تُلقِّحُ العقول».

قال أبو حاتم [رحمه الله]: مجالسةُ العقلاء لا تخلُو من أحد معنيين:

ـ إما تَذَكُّرُ الحالةِ التي يحتاجُ العاقلُ إلى الانتباه لها.

ـ أو الإفادةُ بالشيءِ الخطير الذي يحتاجُ الجاهل إلى معرفته.

فقُربُ العاقل غُنْمٌ[2] لأشكاله، وعِبْرةٌ لأضداده على الأحوال كلِّها.

ولا يجبُ لمن تسمَّى به أن يتدلَّل[3]، إلَّا على مَن يحتملُ دَلاله، ويُقبِلَ إلَّا على مَن يُحبُّ إقباله.

ولو كان للعقل أبوانِ، لكان أحدُهما الصبر، والآخرُ التثبُّت.

---

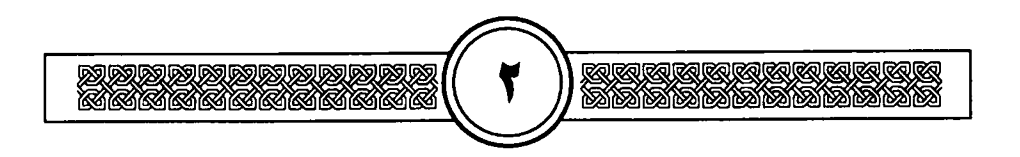
(١) جاء في أصل «المكتبة العصرية» بدلًا مما بين الحاصرتين: «فإن المال يفنى، والعلم يبقى»!.

(٢) الغُنْم: الغنيمة.

(٣) التدلُّل: الدلال. والمقصود به هنا: رفعُ الحشمة.

جَعَلنا اللهُ ممن رُكِّبَ فيه حُسنُ وجودِ العقل، فسلك ـ بتمامِ النِّعم ـ مسلكَ الخصالِ التي تُقرِّبُه إلى باريه، في دارَيِ الأمدِ والأبد[1]؛ إنه الفعَّالُ لِمَا يريد.

(١) الأَمَد: المدة المؤقَّتة. والمراد بها: الدنيا.



ذِكرُ إصلاحِ السرائر بلزومِ تقوى اللهِ ﷻ

[٢٤] اخبرنا احمدُ بن محمد بن يحيى بن زُهير بـ«تُسْتَر»: حدَّثنا عمرُ بن شَبَّة: حدَّثنا مؤمَّلُ بن إسماعيل: حدَّثنا شُعبة، عن زيادِ بن عِلاقة:

عن أُسامةَ بنِ شَريك [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما كَرِه اللهُ منك شيئًا، فلا تفعلْه إذا خلوتَ»**(١).

قال أبو حاتم [رضي الله عنه]: الواجبُ على العاقل الحازمِ أن يعلمَ أن للعقل شُعَبًا من المأمورات والمزجورات(٢)، لا بدَّ له من معرفتها واستعمالِها في أوقاتها، لِمُباينة العوامِّ وأوباش الناس بها(٣).

وإني ذاكرٌ في هذا الكتاب ـ إنِ اللهُ قضى ذلك وشاءه ـ خمسين شُعبةً من شُعب العقل ـ من المأمورات والمزجورات ـ؛ ليكون الكتابُ مشتملًا على خمسين بابًا، بِناءُ كلِّ بابٍ منها على سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ، ثم نتكلمُ في عَقيب كل سُنَّةٍ منها بحسب ما يَمُنُّ اللهُ به من التوفيق لذلك ـ إن شاء الله ـ.

فأوَّلُ شُعَبِ العقل: هو لزومُ تقوى الله، وإصلاحُ السريرة، لأنَّ من صَلَح جُوَّانيُّه، أصلح اللهُ بَرَّانيَّه(٤)، ومن فَسد جُوَّانيُّه أفسد اللهُ برَّانيَّه.

---

(١) **ضعيف**: رواه المصنِّفُ في «صحيحه» (٤٠٣)، وضعَّف إسناده العلَّامة شعيب الأرنؤوط، ونقل تضعيفه أيضًا عن الحافظ السيوطي في «الجامع الكبير» (٧٠٩).

(٢) **المزجورات**: المحرَّمات.

(٣) أي: ليتميَّز العبدُ بها عن عامة الخلق ورُذالتهم.

(٤) **الجواني**: السر. **والبرَّاني**: العلانية.

[٢٥] ولقد أحسن الذي يقول:

إذا ما خَلَوتَ الدهرَ يومًا فلا تَقُلْ ... خلوتُ، ولكن قُل: عليَّ رقيبُ
ولا تَحسبنَّ اللَّهَ يغفُلُ ساعةً ... ولا أنَّ ما يَخْفَى عليه يَغيبُ
ألم ترَ أنَّ اليوم أسرعُ ذاهبٍ ... وأنَّ غدًا للناظرين قريبُ؟

[٣٦] أخبَرَنا عبدُ الله بنُ محمود بن سليمان السعديُّ: حدثنا سعيد بن هُبيرة: حدَّثنا جعفر بن سليمان:

عن مالك بن دينار، قال: «اتَّخِذْ طاعةَ اللهِ تجارة، تأتِك الأرباحُ من غير بضاعة[(١)]».

قال أبو حاتم [ﷺ]: قُطبُ الطاعات للمرءِ في الدنيا: هو إصلاحُ السرائر، وتركُ إفساد الضمائر.

والواجب على العاقل: الاهتمامُ بإصلاح سريرته، والقيامُ بحراسة قلبِه عند إقباله وإدباره، وحركتِه وسكونه؛ لأنَّ تكدُّرَ الأوقات وتنغُّصَ اللذَّات لا يكون إلَّا عند فساده.

ولو لم يكنْ لإصلاح السرائر سببٌ يؤدِّي العاقلَ إلى استعماله إلَّا إظهارُ اللهِ عليه كيفيَّةَ سريرته - خيرًا كان أو شرًّا -: لكان الواجبُ عليه قِلَّةَ الإغضاء[(٢)] عن تعاهُدها.

[٢٧] أنشَدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

يُلبِسُ اللَّهُ في العلانيةِ العبـ ... ـدَ الذي كان يُخفي في السَّريرةْ
حسنًا كان أو قبيحًا سَيُبْدَى ... كلُّ ما كان ثَمَّ من كلِّ سِيرةْ
فاستحِ من اللَّهِ أن تُرائِيَ للنـ ... ـاس فإنَّ الرياءَ بئسُ الذَّخيرةْ

[٢٨] أخبرنا أبو يعلى: حدَّثنا سُريج بن يونس: حدَّثنا عَبَيْدة بن حُميد، عن منصور، عن عطاءِ بن أبي رَبَاحٍ، عن أبيه، قال:

---

(١) **البضاعة**: مال التجارة.
(٢) **الإغضاء**: الإهمال.

قال كعبُ [الأحبار]: «والذي فلقَ البحرَ لبني إسرائيل، إني لأجِدُ في التوراة مكتوبًا: يا ابن آدم، اتَّقِ ربَّك، وصِلْ رحمَك، وبِرَّ والدَيك، يُمَدَّ لك في عُمُرِك، ويُيَسَّرْ لك يُسرُك، ويُصْرَفْ عنك عُسْرُك».

[٢٩] حدَّثنا محمد بن سليمان بن فارس: حدَّثنا محمد بن عليٍّ الشَّقيقي: حدَّثنا أبي: حدثنا جعفر سليمان الضُّبعي:

عن مالك بن دينار، قال: «إن القلب إذا لم يكن فيه حُزنٌ خَرِب، كما يخرَبُ البيتُ إذا لم يكن فيه ساكن، وإن قلوب الأبرار تغلي بأعمالِ البرِّ؛ وإن قلوب الفجَّار تغلي بأعمالِ الفجور، واللهُ يرى هُمومكم، فانظروا ما هُمومُكم ـ رحمكم اللهُ ـ».

[٣٠] أنشَدَني محمدُ بن عبد الله بن زنجيٍّ البغدادي:

وإذا أعلنتَ أمرًا حَسَنًا ... فليكنْ أحسنَ منه ما تُسِرْ
فمُسِرُّ الخير مَوسومٌ بهِ ... ومُسِرُّ الشرِّ موسومٌ بشَرْ

[٣١] أخبرنا أبو يعلى: حدَّثنا سُريج بن يونس: حدثنا أبو معاويةَ، عن الأعمش:

عن إبراهيم قال: «إن الرجل ليتكلمُ بالكلام ينوى فيه الخير؛ فيُلقي اللهُ في قلوب العباد، حتى يقولوا: ما أراد بكلامه هذا إلَّا الخير. وإن الرجل ليتكلمُ بكلام الخير(١) لا يَنوي فيه الخير، فيُلقي اللهُ في قلوب الناس حتى يقولوا: ما أراد بكلامه هذا إلَّا الشر».

[٣٢] حدَّثنا عمر بن محمد الهَمْداني: حدثنا القَطَوَاني: حدَّثنا ابن سَيَّار: حدثنا حمَّادُ بن زيد، عن أيوب، قال:

سمعت الحسنَ [البصريَّ] يقول: «إنكم وُقوفٌ هاهنا تنتظرون آجالَكم، وعند الموت تَلْقَونَ الخبر، فخُذُوا مما عندكم لِمَا بعدكم».

---

(١) في بعض المطبوعات: «الشر».

قال أبو حاتم [ﷺ]: الواجبُ على العقل أن يأخذ مما عنده لِمَا بعده من التقوى والعمل الصالح؛ بإصلاحِ السريرة، ونَفْيِ الفساد عن خَلَلِ الطاعات عند إجابةِ القلب وإبائه[١]؛ فإذا كان صحَّةُ السبيل في إقباله موجودًا، أنفَذَه بأعضائه[٢]؛ وإن كان عدمُ وجوده موجودًا، كَبَحَه عنها[٣]؛ لأن بصفاء القلب تصفو الأعضاء.

[٣٣] وأنشَدَني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري:

وإنَّ امرأً لم يَصْفُ للَّهِ قلبُه ... لَفِي وَحْشَةٍ من كُلِّ نظرةِ ناظرِ
وإن امرأً لم يرتَحِلْ ببضاعةٍ ... إلى داره الأخرى فليس بتاجرِ
وإنَّ امرأً ابتاع دنيا بدينِهِ ... لَمُنقلِبٌ منها بصَفْقةِ خاسرِ

[٣٤] أخبَرَنا أحمدُ بن الحسن بن عبد الجبَّار الصُّوفي بـ«بغداد»: حدَّثنا أبو نصر التمَّار: حدَّثنا أبو الأشهب:

عن خالد الرَّبْعي[٤] قال: «كان لقمانُ عبدًا حبشيًّا نجَّارًا، فأمره سيِّدُه أن يذبحَ شاةً، فذبح شاةً، فقال له: ائتِني بأطيبِ مُضْغَتينِ في الشاة، فأتاه باللسان والقلب، ثم مكث أيامًا، فقال: اذبحْ شاةً، فذَبَح، فقال له: ائتِنِي بأخبثِ مُضغتين في الشاة، فألقى إليه اللسانَ والقلبَ، فقال له سيدُه: قلتُ لك ـ حين ذبحتَ الشاة ـ: «ائتني بأطيب مُضغتينِ في الشاة»، فأتيتَني باللسان والقلب! ثم قلتُ لك الآن ـ حين ذبحت الشاة ـ: «ائتني بأخبثِ مُضغتينِ في الشاة»، فألقيتَ اللسان والقلب! فقال: إنه لا أطيبَ منهما إذا طابَا، ولا أخبثَ منهما إذا خَبُثَا».

---

(١) أي: تطهيرُ القلب من مفسدات العبادات عند إقبالِ القلب على الله ﷻ وعند فتوره؛ فمِن الأمراض عند إقبال القلب: العُجب، والرياء، والمَنُّ... ونحوها؛ وعند الفتور: تأخيرها عن مواقيتها، وقلَّة الإتقان... ونحو ذلك.

(٢) أي: إذا شعُر بنشاطٍ في فعل الطاعة، اغتنمه بالمسارعة إليها.

(٣) أي: عند الفتور لا يُكرِهُ نفسه على الإكثار من الطاعات؛ حتى لا ينقطع كليَّةً.

(٤) كذا في بعض المطبوعات، وفي أصل «المكتبة العصرية»: «الزنجي».

٣٥ وأنشَدَني منصور بن محمد الكُرَيْزي:

وما المرءُ إلَّا قلبُه ولسانُهُ إذا حَصَلَتْ أخبارُهُ ومَدَاخلُهْ
إذا ما رِداءُ المرءِ لم يَكُ طاهرًا فهيهاتَ أن يُنقِيه بالماء غاسلُهْ
وما كلُّ مَن تَخشى يَنالُك شَرُّه وما كلُّ ما أمَّلْتَه أنتَ نائلُهْ

٣٦ أخبرنا أحمدُ بن عيسى بن السُّكين بـ«واسط»: حدَّثنا عبد الحميد بن محمد بن مُسْتام: حدثنا مَخْلد بن يزيد:

حدّثنا صالحُ بن حسَّان ـ المؤذِّن ـ قال: «دخلتُ على عمرَ بنِ عبد العزيز، فسمعتُه يقول: لا يتَّقي اللهَ عبدٌ، حتى يجدَ طعمَ الذُّلِّ»[1].

قال أبو حاتم [ﷺ]: العاقلُ يُفتِّشُ قلبَه في ورود الأوقات، ويَكبَحُ[2] نفسه عن جميع المزجورات، ويأخذُها بالقيام في أنواع المأمورات، ولزومِ الانتباه عند ورود الفترة[3] في الحالات، ولا يكونُ المرءُ يشاهِدُ ما قلنا دائمًا قائمًا [به]؛ حتى يوجدَ منه صحَّةُ التثبُّت في الأفعال.

٣٧ أنشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

وإذا بحثتَ عن التَّقيِّ وجدتَه رجلًا يصدِّقُ قولَه بفِعالِ
وإذا اتَّقى اللَّهَ امرؤٌ وأطاعه فيداهُ بين مكارمٍ ومَعَالِ
وعلى التَّقيِّ إذا تراسخ في التُّقَى تاجان: تاجُ سكينةٍ وجَمالِ
وإذا تناسَبَتِ الرجالُ فما أرى نسبًا يكونُ كصالحِ الأعمالِ

٣٨ أخبرنا القطَّان بـ«الرَّقَّة»: حدثنا عبدُ الله بن رومي البزَّاز:

عن أبيه قال: قلَّما دخلتُ على إسحاقَ بن أبي رِبعِيٍّ الرافقي، إلَّا وهو يتمثَّل بهذا البيت:

خيرٌ من المال والأيامُ مقبلةٌ جَيْبٌ نَقِيٌّ من الآثام والدَّنَسِ[4]

---

(١) يقصد الذل في الطاعة وترك الحرام.
(٢) الكَبْح: الكف والإمساك.
(٣) الفترة: الفتور والملل.
(٤) الجيب: القلب. والدَّنَس: القذر.

٣٩ أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد: حدَّثنا عبدُ الوارث بن عبيدِ الله، عن عبد الله: أخبرنا الربيع:

عن الحسن قال: «أفضلُ العمل الورَعُ والتفكر».

قال أبو حاتم [رضي الله عنه]: العاقلُ يدبِّرُ أحوالَه بصحَّة الورع، ويُمضي أسبابَه بلزوم التقوى؛ لأن ذلك أولُ شُعَبِ العقل، وليس له إليه سبيلٌ إلَّا بصلاح القلب.

ومَثَلُ قلبِ العاقل إذا لزم رعايةَ العقل ـ على ما نذكرُها في كتابنا هذا إنِ اللهُ قضى ذلك وشاءه ـ كأنَّ قلبَه شُرِّح بسكاكين التُّقْية، ثم مُلِّح بِمِلْحِ الخشية، ثم جُفِّف برياحِ العظمة، ثم أُحْيِيَ بماء القُربة، فلا يوجدُ فيه إلَّا ما يُرضي المولى ـ جلَّ وعلا ـ، ولا يُبالي المرءُ ـ إذا كان بهذا النَّعْت ـ أن يَتَّضع عند الناس[1]؛ ومحالٌ أن يكون ذلك أبدًا.

٤٠ سمعتُ أحمدَ بن موسى المكيَّ بـ«واسط» يقول: وجدتُ على خُفِّ عطاءٍ السُّليمى[2] مكتوبًا ـ وكان حائكًا ـ:

ألَا إنما التقوى هي العزُّ والكَرمْ ... وفخرُك بالدنيا هو الذلُّ والعَدمْ
وليس على عبدٍ تقيٍّ نقيصةٌ ... إذا صحَّح التقوى وإن حاك أو حَجَمْ

٤١ أخبَرَنا محمَّد بن زنجُويه القُشيري: حدَّثنا عمرو بن عليٍّ: حدَّثنا طريفُ بن سعيد: حدَّثنا القاسمُ بن عبد الرحمٰن الأنصاريُّ:

عن محمد بن عليِّ بنِ حسينٍ قال: «إذا بلغ الرجلُ أربعين سنةً، ناداه منادٍ من السماء: دنا الرحيلُ، فأَعِدَّ زادًا».

٤٢ وانشَدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

إذا انتسب الناسُ كان التقيُّ ... بتقواه أفضلَ مَن يَنتسبْ
ومن يتَّقِ اللَّهَ يَكْسِبْ به ... منَ الحظِّ أفضلَ ما يُكتسبْ

---

(١) يتَّضع: ينقص قدره.

(٢) في المطبوعات وكثيرٍ من الكتب: «السلمي»، والصواب ما أثبتُّه.

وَمَن يتخذ سببًا للنجاة فإنَّ تُقَى اللَّهِ خيرُ السببْ

[٤٣] وأنشَدَني أحمدُ بنُ محمد بنِ عبد الله الصنعاني لابن عِكراش:

ومهما يُسِرَّ المرءُ يَبْدُ لِرَبِّه وما يَنْسَه الإنسانُ لا يَنْس كاتبُهْ
ومَن كان غَلَّابًا بجَهدٍ ونَجْدَةٍ فذو الحظِّ في أمرِ المعيشةِ غالبُهْ

[٤٤] وأنشَدَني أبو بدرٍ - أحمدُ بن خالد بنِ عبد الملك بن عبيد الله - بـ«حرَّان»:

يا نفسُ ما هو إلَّا صبرُ أيام كأن لَذَّاتِها أضغاثُ أحلامِ
يا نفس جُوزي عن الدنيا مُبادِرَةً وخَلِّ عنها فإن العيش قُدَّامي

[٤٥] أخبَرَنا الحسينُ بن إدريس الأنصاريُّ: أخبَرَنا سُويد بن نصر: أخبرنا عبدُ الله: أخبرنا سفيانُ، عن مَعْنٍ، قال:

قال عبدُ الله[١]: «إن لهذه القلوب شهوةً وإقبالًا، وإن لها فَتْرةً وإدبارًا، فخُذوها عند شهوتها وإقبالها، ودَعُوها عند فترتها وإدبارها».

قال أبو حاتم [رضي الله عنه]: الواجبُ على العاقل ألَّا ينسى تعاهُدَ قلبه بترك ورُودِ السبب الذي يُورِّث القساوةَ له عليه؛ لأن بصلاح المَلِكِ تصلُحُ الجنود، وبفساده تفسُد الجنود؛ فإذا اهتمَّ بإحدى الخصلتين، تجنَّب أقربَهما من هواه، وتَوَخَّى أبعدهما من الردى.

[٤٦] ولقد أحسنَ الذي يقول:

وإذا تشاجر في فؤادك مَرَّةً أمرانِ فاعْمِدْ للأعفِّ الأجملِ
وإذا هَمَمْتَ بأمرِ سُوءٍ فاتَّئِدْ وإذا هَمَمْتَ بأمرِ خيرٍ فافْعَلِ

[٤٧] أخبَرَنا بكرُ بن أحمدَ بن سعيد الطاحيُّ بـ«البصرة»: حدَّثنا إبراهيمُ بن عَزْرة السامي: ثنا أبو معاوية، عن مِسْعَرِ بن كِدام، عن عَوْنِ بن عبد الله، قال:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «جالسوا التَّوابين؛ فإنهم أرقُّ أفئدةً».

---

(١) هو ابن مسعود رضي الله عنه.

[٤٨] أخبرنا أبو يعلى: حدَّثنا محمد بن عمرو بن جَبَلَة: حدثنا محمد بن مروان: حدثنا عطاءُ الأزرق:

قال رجلٌ للحسن: «يا أبا سعيد، كيف أنت؟ وكيف حالُك؟ قال: كيف حالُ مَنْ أمسى وأصبح ينتظرُ الموت، ولا يدري ما يُصْنَعُ به؟».

[٤٩] وانشَدَني منصور بن محمد الكُرَيزي:

تَخَيَّرْ قرينًا من فِعالك إنما	قَرينُ الفتى في القبر ما كان يفعلُ
فإن كنتَ مشغولًا بشيءٍ فلا تكنْ	بغير الذي يَرْضَى به اللَّهُ تُشغلُ
فلا بدَّ بعدَ القبرِ من أن تُعِدَّه	ليوم ينادَى المرءُ فيه فيُسألُ
فلن يَصحبَ الإنسانَ مِنْ قَبلِ موتِه	ولا بَعدَه إلَّا الذي كان يَعْمَلُ
ألَا إنما الإنسانُ ضيفٌ لأهله	يُقِيم قليلًا بينهم ثم يَرحَلُ

[٥٠] أخبرنا عليُّ بن سعيد العسكري: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ الجنيد: حدَّثنا محمد بن الحسين:

حدَّثنا إسماعيلُ بن زياد، قال: «قدم علينا عبدُ العزيز بن سليمان «عَبَّادان» في بعض قَدَماته، فأتيناه نُسلِّمُ عليه، فقال لنا: صَفُّوا للمُنعِمِ قلوبَكم، يَكفِكُم المؤنَ عند هَمِّكم.

ثم قال: لو خدمتَ مخلوقًا فأطلْتَ خِدمتَه، ألم يكنْ يَرْعَى لخدمتك حُرْمةً؟ فكيف بمن يُنعِمُ عليك وأنت مسيءٌ إلى نفسك، تَتقلَّبُ في نِعَمِه، وتتعرَّضُ لغضبه؟ هيهات هيهات، هذه هِمةُ البطَّالين! ليس لهذا خُلقتم، ولا بهذا أُمرتم، الكَيْسَ الكَيْسَ[1] ـ رحمكم اللهُ ـ».

وكان يُفطر على ماء البحر.

قال أبو حاتم [ﷺ]: لن تصفوَ القلوبُ من وجود الدَّرَن فيها[2]، حتى

---

(١) **الكَيْس**: العقل؛ أي: اعملوا بمقتضى العقل النظيف.

(٢) **الدَّرَن**: الوسخ والقذر.

تكون الهِممُ في الله همًّا واحدًا؛ فإذا كان كذلك كُفِيَ الهمُّ في الهموم إلَّا الهمَّ الذي يؤول مُتَعَقَّبُه[١] إلى رضا الباري جلَّ وعزَّ، بلزوم تقوى اللهِ في الخَلْوة والملإ؛ إذ هي أفضلُ زادِ العقلاء في دَارَيْهِم، وأجلُّ مَطِيَّةِ الحكماء في حالَيْهم.

٥١ وانشَدَني محمدُ بنُ إسحاقَ بن حَبيب الواسطي:

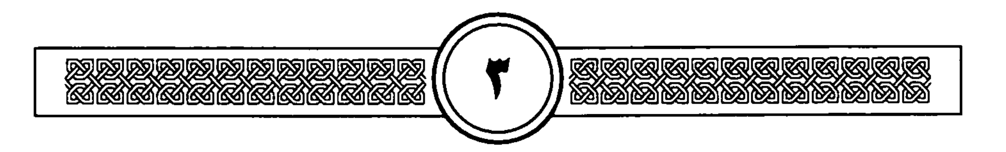
عليك بتقوى اللَّهِ في كلِّ أمره ... تَجِدْ غِبَّه يومَ الحسابِ المطوَّلِ[٢]

ألَا إن تقوى اللَّهِ خيرٌ مَغِبَّةٍ ... وأفضلُ زادِ الظاعنِ المُترَحِّلِ[٣]

قال أبو حاتم: قد ذكرتُ هذا الباب بكامله ـ بالعلل والحكايات ـ في كتاب «مَحَجَّة المبتدئين»؛ بما أرجو الغُنْيَةَ للناظر إذا ما تأمَّلها، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب، وحسبُنا اللهُ، ونعم الوكيل.

---

(١) **يؤول:** يعود. **متعقَّبُه:** عاقبتُه ونهايته، وفي أصل «المكتبة العصرية»: «منفعته».
(٢) **الغِبُّ:** العاقبة.
(٣) **الظاعن:** المنتقل.



ذِكرُ الحثِّ على لزومِ العلمِ، والمداومةِ على طَلَبه

٥٢ أخبرنا محمد بن إسحاقَ بنِ خُزيمة: حدَّثنا محمد بن يحيى ومحمد بن رافع، قالَا: حدَّثنا عبد الرزَّاق: أخبرنا مَعْمَرٌ، عن عاصمِ بن أبي النَّجُود:

عن زِرِّ بن حُبَيش قال: أتيتُ صفوانَ بن عَسَّالٍ المراديَّ، فقال: ما جاء بك؟ قلتُ: جِئتُ أَنْبِطُ العلم[1]. قال: فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«ما من خارجٍ يَخرجُ من بيته يطلبُ العلم، إلَّا وَضعت له الملائكةُ أجنحتَها رضًا بما يَصنع»**[2].

قال أبو حاتم [ﷺ]: الواجب على العاقل - إذا فرغ من إصلاح سريرته - أن يُثنِّيَ بطلب العلم والمداومةِ عليه، إذ لا وصولَ للمرء إلى صفاءِ شيءٍ من أسباب الدنيا إلَّا بصفاء العلم فيه، وحُكمُ العاقل ألَّا يُقصِّر في سلوك حالةٍ توجبُ له بَسْطَ الملائكةِ أجنحتَها رضًا بصَنيعه ذلك.

ولا يجبُ أن يكون متأمِّلًا[3] في سعيه الدنوَّ من السلاطين، أو نَوَالَ الدنيا به، فما أقبحَ بالعالِمِ التذلُّلَ لأهل الدنيا!.

٥٣ حدَّثنا محمد بن إبراهيم الخالدي: حدَّثنا داودُ بن أحمدَ الدِّمياطي: حدثنا عبد الرَّحمٰن بن عفَّان، قال:

---

(١) **أنبِطُ** - بكسر الباء وضمِّها -: أستخرج.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٣٩)، والترمذي (٣٥٣٥)، والنسائي (١٥٨)، وابن ماجه (٢٢٦)، وابن حِبَّان (٨٥). **وصححه** الإمام الترمذي، والعلَّامة شعيب الأرنؤوط، والعلَّامة الألباني.

(٣) **متأمِّلًا**: آمِلًا.

سمعت الفضيلَ بنَ عياضٍ يقول: «ما أقبح بالعالمِ يؤتَى إلى منزله، فيقال: أين العالِم؟ فيقال: عند الأمير. أين العالِم؟ فيقال: عند القاضي، ما للعالِم وما للقاضي؟ وما للعالِمِ وما للأمير؟ ينبغي للعالِم أن يكون في مسجده يقرأُ في مُصْحَفه».

٥٤ حدَّثنا أبو يعلى: حدثنا غسَّانُ بن الربيع: حدثنا سُليم مولى الشعبي:

عن الشعبي قال: «يا طلَّابَ العلم، لا تطلبوا العلمَ بسفاهةٍ وطَيش، اطلبوه بسَكينةٍ ووَقارٍ وتؤُدة».

٥٥ وأنشَدَني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي:

وفي العلم والإسلام للمرءِ وازعٌ ... وفي ترك طاعاتِ الفؤاد المتيَّمِ
بصائرُ رُشْدٍ للفتى مُسْتَبينةٌ ... وأخلاقُ صدقٍ عِلمُها بالتعلُّمِ

٥٦ أخبَرَنا إبراهيمُ بن نصر: حدثنا عبدُ بن حُميد: حدَّثنا سعيدُ بن عامر، عن حُميد بن الأسود، عن أبي عيسى الخياط، قال:

قال الشَّعبي: «إنما كان يطلبُ هذا العلمَ مَن اجتمعت فيه خَصلتان: العقل، والنُّسك، فإن كان عاقلًا ولم يكُ ناسكًا، قيل: «هذا أمرٌ لا ينالُه إلَّا النُّسَّاك»، فلم يطلُبْه. وإن كان ناسكًا ولم يكنْ عاقلًا قيل: «هذا أمرٌ لا ينالُه إلَّا العقلاء»، فلم يَطلبه».

قال الشعبي: «فلقد رُهِبتُ أن يكون يطلبُه اليومَ مَن ليس فيه واحدةٌ منهما: لا عقلٌ ولا نسك».

قال أبو حاتم [ﷺ]: العاقلُ لا يَبيعُ حظَّ آخِرتِه بما قَصَد في العلم لِمَا ينالُه من حُطام هذه الدنيا؛ لأن العلم ليس القصدُ فيه نفسَه دون غيره[1]؛ لأن المبتغَى من الأشياء كلِّها نفعُها لا نفسُها، والعلمُ ونفعُ العلم شيئان، فمن

(١) أي: العلم ليس مطلوبًا لذاته، وإنما له غايةٌ أخرى ـ وهي تحقيق العبودية ـ.

أغْضَى عن نفعِه لم ينتفعْ بنفسه، وكان كالذي يأكلُ ولا يشبع.

والعلمُ له أوّلٌ وآخِر.

[٥٧] كما حدَّثنا أحمدُ بن عليِّ بن المثنَّى: حدَّثنا عمرٌو الناقد: حدثنا يحيى بنُ اليمان، قال:

سمعتُ سفيان يقول: «أولُ العلم الإنصات، ثم الاستماع، ثم الحِفظُ، ثم العملُ به، ثم النشر».

[٥٨] وأنشَدَني الأبرش:

تعلَّمْ فليس المرءُ يُولَدُ عالمًا ... وليس أخو عِلم كمَن هو جاهلُ

وإنَّ كبيرَ القومِ لا عِلمَ عنده ... صَغيرٌ وإن التفَّت عليه المحافِلُ

[٥٩] أخبرنا أبو يعلى: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالْقاني: حدَّثنا جريرٌ، عن بُرْدِ بن سِنان، عن سليمان بن موسى قال:

قال أبو الدرداء: «لا تكونُ عالِمًا حتى تكونَ متعلِّمًا، ولا تكونُ بالعلم عالِمًا حتى تكون به عاملًا».

قال أبو حاتم [ﷺ]: العاقلُ لا يشتغلُ في طلب العلم إلَّا وقصدهُ العملُ به؛ لأنَّ مَن سعى فيه لغير ما وصفنا، ازداد فخرًا وتجبُّرًا، وللعمل تركًا وتضييعًا، فيكون فسادُه في المتأسِّين به فيه أكثرَ من فساده في نفسه، ويكون مَثلُه كما قال اللهُ تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل][1].

[٦٠] أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي: حدَّثنا داودُ بن أحمد: حدثنا عبد الرَّحمٰن بنُ عفان، قال:

سمعت الفضيلَ بن عياضٍ يقول: «في جهنم أرْحِيةٌ[2] تَطْحَن

---

(١) في المطبوع بدأت الآية من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ...﴾.

(٢) أرْحية ـ جمع «رحا» ـ: وهي آلةُ طحنِ القمح.

العلماءَ طحنًا، فقيل: من هؤلاء؟ قال: قومٌ علِموا فلم يعملوا».

[٦١] أخبرنا عبُد الله بن محمود السعدي: حدثنا محمدُ بن النضر بن مُساور: حدثنا جعفر بن سليمان:

عن مالكِ بن دينارٍ، قال: «إذا طلب الرجلُ العلمَ ليعملَ به، كَسَرَه[١] عِلمُه، وإذا طلب العلمَ لغير أن يعملَ به، زاده علمُه فخرًا».

[٦٢] أخبرنا محمد بن عمرو بن سليمان: حدَّثنا محمد بن رافع: حدثنا محمد بن بشرٍ: حدَّثني مسلمة بن الخطَّاب، عن عبد الحميد بن أبي جعفر الفرَّاء، قال:

قال الحسن: «مَنْ أحبَّ الدنيا وسرَّته، ذهب خوفُ الآخرة من قلبه، ومن ازداد علمًا ثم ازداد على الدنيا حرصًا، لم يَزددْ من اللهِ إلَّا بُعدًا، ولم يَزددْ من اللهِ إلَّا بغضًا».

[٦٣] أخبَرَنا محمد بن المنذر بن سعيد: حدثني أحمدُ بن إبراهيم الحدثي: حدثني إسماعيلُ بن الحارث: حدثني محمد بن الحسن المديني:

حدثنا محمد بن العوَّام[٢]: أن إبراهيم سمع صوتَ هاتفٍ، وهو يقول:

يا طالبَ العِلم باشِرِ الوَرَعا ... وبايِنِ النومَ واهجُرِ الشِّبَعا[٣]
ما ضرَّ عبدًا صحَّت إرادتُهُ ... أجاعَ في اللَّهِ يومًا أو شَبِعَا
ما ضرَّ عبدًا صحَّت عزائمُهُ ... أين من الأرض أينما صَقَعَا[٤]
ما طَمِعت نفسُ عابدٍ فنوى ... سؤالَ قومٍ إلا لهم خضعَا
يا أيها الناسُ ما لعالِمِكُم ... في ماء بحرِ الملوكِ قد كَرَعَا[٥]
يا أيها الناسُ أنتمُ زرعٌ ... يَحصِدُهُ الموتُ كلَّما طَلَعَا

---

(١) في المطبوعات: «سرَّه». والصواب ـ إن شاء اللهُ ـ ما أثبتُّه؛ وهو من مصادرَ أخرى.
(٢) في بعض المطبوعات: «حدثنا أبو العوام».
(٣) باين: فارِق.
(٤) صَقَع: ارتحل.
(٥) كَرَع: شرب.

٦٤ أخبَرَنا ابنُ سَلْم: حدَّثنا الحسين بن عبد الرَّحمٰن الاحتياطي: حدثنا يحيى بنُ اليمان العِجْلي:

عن سفيان الثوريِّ قال: «العالِمُ طبيبُ الدين، والدِّرهمُ داءُ الدين، فإذا اجترَّ الطبيبُ الداءَ إلى نفسه، فمتى يُداوي غيره؟».

٦٥ أنشَدَني أحمدُ بن محمد الصَّنعاني:

أنشَدَني محمد بن عبدِ الله العراقي:

عُنُوا يطلبون العلمَ في كلِ بلدةٍ ... شبابًا، فلما حَصَّلوه وحَشَّروا[1]

وصحَّ لهم إسنادُهُ وأصولُهُ ... وصَاروا شيوخًا ضَيَّعوه وأدبرُوا

ومالُوا على الدنيا فهم يَحلُبُونها ... بأخلافها مفتوحُها لا يُصَرَّرُ[2]

فيا علماءَ السوء أين عقولُكم؟ ... وأين الحديثُ المسنَدُ المتخيَّرُ؟

٦٦ أخبرنا جعفر بن محمد الهمداني بـ«صُورَ»: حدثنا محمد بن عبد الله البَعْلُبكي، قال:

سمعت عمِّي محمد بن زيد قال: كنتُ مع ابن المبارك ببغداد، فرأى إسماعيلَ بنَ عُلَيَّةَ راكبًا بَغْلةً له على باب السلطان، فأنشأ يقول:

يا جاعلَ الدِّينِ له بازيًا ... يصطادُ أموالَ السلاطينِ[3]

لا تَبِعِ الدينَ بدنيا كما ... يفعلُ ضُلَّالُ الرَّهابينِ

احتَلْتَ للدنيا ولَذاتها ... بحِيلةٍ تذهبُ بالدِّينِ

وصِرتَ مَجنونًا بها بعدَما ... كنتَ دواءً للمجانينِ

تُفكِّرُ الناسَ جميعًا بأنْ ... زَلَّ حِمارُ العلمِ في الطِّينِ

٦٧ أخبرنا عبدُ العزيز بن الحسن البَرْذعي: حدثنا زكريا بن يحيى:

حدَّثنا أحمدُ بن عبد الله التُّستَري قال: لمَّا أنْ وَلِيَ ابنُ عُلَيَّة صدقاتِ

(١) **عُنُوا**: اهتموا. **حشَّروا**: جمَّعوا. (٢) **أخلافها**: قاذُوراتها. **يُصرَّر**: يُغلَّق.

(٣) **البازي**: الصقر المُعدُّ للصيد.

الإبل والغَنَم بالبصرة، كتب إليه ابنُ المبارك كتابًا، وكتب في أسفله:

يا جاعلَ الدِّينِ له بازيًا يصطادُ أموالَ المساكينْ
احتَلْتَ للدنيا ولذَّاتها بحِليةٍ تذهبُ بالدِّينْ
يا فاضحَ العلم ومَن كان ذا لُبٍّ ومَن عاب السلاطينْ
أين رواياتُك في سَرْدها عن ابن عونٍ وابن سيرينْ؟

وزاد غير أحمد بن عبد الله:

إن قلتَ: أُكرهتُ، فما ذا كذا زلَّ حمارُ العلمِ في الطينْ

فلما قرأ ابنُ عُليَّةَ الكتاب بكى، ثم كتب جوابه، وكتب في أسفله:

أفٍّ لدنيا أبتْ تواتيني إلَّا بنقضي لها عُرَى دِيني[1]
عَيْني لِحَيْني تُديرُ مُقلتَها تطلُبُ ما سَرَّها لتُردِيني[2]

[٦٨] أخبَرَنا محمد بن عليٍّ الصَّيرفي بـ«البصرة»: حدَّثنا العباس بن الوليد النَّرْسي: حدثنا وُهيبٌ، عن أيوب، عن أبي قِلابة:

عن ابن مسعود أنه قال: «عليكم بالعلم قبل أن يُقبَض، وقَبضُه أن يَذهب أصحابُه، وإنكم ستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدْعونكم إلى كتابِ الله، وقد نبذُوه وراءَ ظهورهم، وعليكم بالعلم، فإن أحدَكم لا يدري متى يَفتقر - أو يُفْتَقر - إلى ما عنده؟ وعليكم بالعلم، وإياكم والبدعَ، وعليكم بالعتيق»[3].

[٦٩] حدثنا محمد بن زنجُويَه القُشيري: حدَّثنا عمر بن عليٍّ: حدثنا أبو قتيبة: حدثنا قُرَّةُ بن خالد، عن عون بن عبد الله، قال:

قال ابنُ مسعود: «ليس العلمُ بكثرة الرواية، إنما العلمُ الخشية».

---

(١) **تُواتيني**: توافقني. **العُرى** - جمع «عروة» -: وهي الحَلْقة.
(٢) **حَيني**: هلاكي. **مقلتها**: سوادها. **تُرديني**: تُهلكني.
(٣) **العتيق**: القديم النفيس الذي كان عليه السلفُ الصالح.

[٧٠] حدَّثني إسحاقُ بن إبراهيم القاضي: حدَّثنا الحارثُ بنُ مِسكين: حدَّثنا ابنُ القاسم، قال:

سمعت مالكًا يقول: «ليس العلمُ بكثرة الرواية، إنما العلمُ الخشية».

قال أبو حاتم [ﷺ]: الواجبُ على العاقل: مجانبةُ ما يُدنِّسُ علمَه من أسباب هذه الدنيا، مع القصد في لزومِ العمل بما قَدَرَ عليه ـ ولو استعمالُ خمسةِ أحاديث من كل مِئَتَيْ حديث ـ، فيكونُ كأنه قد أدَّى زكاةَ العلم، فمَن عَجَز عن العمل بما جمع من العلم، فلا يجبُ أن يَعجِزَ عن حفظه.

[٧١] ولقد أنبأنا ابنُ قَحطبة: حدَّثنا حُسين بن محمد الكُوفي، قال:

سمعت محمدَ بن بَشيرٍ الخُزاعي يقول:

أمَا لو أعِي كلَّ ما أسمَعُ ... وأحفظُ من ذاك ما أجمعُ
ولم أستفِدْ غيرَ ما قد جَمَعـ ... ـتُ لقيل: هو العالِمُ المُقنِعُ
ولكنَّ نفسي إلى كلِّ شيءٍ ... منَ العلمِ تسمعُهُ تَنْزِعُ
وأحضُرُ بالجهل في مجلسي ... وعلمي في الكُتْبِ مُستودَعُ
فلا أنا أحفظُ ما قد جمعتُ ... ولا أنا مِن جَمْعه أشْبَعُ
ومَنْ يكُ في عِلمِه هكذا ... يكنْ دَهْرَهُ القَهْقَرى يَرجِعُ
إذا لم تكنْ حافظًا واعيًا ... فجَمعُك للكُتْبِ لا يَنفعُ

[٧٢] وأنشَدَني محمد بن عبد الله المؤدِّب:

جامعُ العلم تراه أبدًا ... غيرَ ذي حِفظٍ ولكنْ ذا غلَطْ
وتراه حَسَنَ الخطِّ إذا ... كَتَب الخَطَّ بصيرًا بالنُّقَطْ
فإذا فَتَّشتَه عن عِلمِهِ ... قال: علمي يا خليلي في السَّفَطْ[١]
في كراريسَ جِيادٍ أُحكِمتْ ... وبخطٍّ أيِّ خطٍّ أيِّ خَطْ؟؟

(١) السَّفَط: الوعاء.

فـإذا قـلـتَ لـه: هـاتِ إذن حَكَّ لَحْيَيْه جميعًا وامْتَخَطْ!

﴿٧٣﴾ أخبَرَنا محمد بن يعقوب الخطيب بـ«الأهواز»: حدثنا حفصُ بن عمرو الرَّبالي: حدثنا الحجَّاجُ بن نُصير: حدثنا عبدُ القدوس، قال:

سمعت وهبَ بنَ مُنبِّهٍ يقول: «مَن تعلَّم علمًا في حقٍّ وسُنَّة: لم يَذهبِ اللهُ بعقله أبدًا».

﴿٧٤﴾ حدَّثنا عبدُ الله بن قَحطبة: حدثنا محمد بن عبد الأعلى:

حدَّثنا المعتمرُ بن سليمان قال: «كتب إليَّ أبي ـ وأنا بالكوفة ـ اشتَرِ الصحف، واكتُبِ العلم؛ فإن المالَ يفنى، والعلمَ يبقى».

﴿٧٥﴾ حدَّثنا الحسنُ بن سفيان: حدثنا حِبَّانُ بن موسى:

أنبأنا عبدُ الله بنُ المبارك قال: «كتب حكيمٌ من الحكماء ثلاثين صحيفةَ حِكَمٍ، فأوحى اللهُ إليه: إنك قد ملأتَ الأرض نفاقًا، وإن الله لم يتقبَّلْ شيئًا من نفاقك».

قال أبو حاتم [رضي الله عنه]: إفناءُ المرءِ عُمرَه بكثرةِ الأسفار، ومباينةِ[1] الأهل والأوطان في طلب العلم ـ دون العمل به أو الحفظِ له ـ، ليس من شِيَم العقلاء، ولا من زِيِّ الألِبَّاء.

وإنَّ من أجود ما يستعينُ المرءُ به على الحفظ: الطبعُ الجيِّد مع الهمَّة، واجتنابُ المعاصي.

﴿٧٦﴾ وأنشَدَني الأبرش:

نِعمَ عونُ الفتى الطَّلوبِ لعِلم أو لبعضِ العقول: صحَّةُ طبعِ
فـإذا الـطبـعُ فـاتـه بَطَـلَ الـعلـ ـمُ وصار العَناءُ في غيرِ نفعِ

﴿٧٧﴾ سمعتُ إبراهيمَ بن نصرٍ العَنبريَّ يقول: سمعت عليَّ بنَ خَشْرَم يقول:

---

(١) مُباينة: مفارقة.

سمعت وكيعًا يقول: «استعينوا على الحفظ بترك المعصية».

قال أبو حاتم [ﷺ]: الواجبُ على العاقل ألَّا يطلبَ من العلم إلَّا أفضلَه؛ لأن الازديادَ من العلم آثَرُ عند العاقل من الذِّكر بالعلم، والعلمُ زينٌ في الرخاء، ومَنجاةٌ في الشدة، ومَن تعلَّم ازداد، كما أن من حَلُم ساد(١).

وفضلُ العلم في غير خيرٍ مَهْلكة، كما أن كثرةَ الأدب في غير رضوان اللهِ مُوبقة، والعاقلُ لا يسعى في فنونه إلَّا بما هو أجدى عليه نفعًا في الدارينَ معًا.

وإذا رُزق منه الحظَّ لا يبخلُ بالإفادة؛ لأن أولَ بركةِ العلم الإفادة، وما رأيتُ أحدًا قطُّ بَخِل بالعلم إلَّا لم يَنتفعْ بعلمه، وكما لا يُنتفع بالماء الساكن تحت الأرض ما لم يَنبُع، ولا بالذهبِ الأحمر ما لم يُستخرجْ من مَعدِنه، ولا باللؤلؤ النفيس ما لم يَخرجْ من بَحْره، كذلك لا يُنتفع بالعلم ما دام مكنونًا(٢) لا يُنشر ولا يُفاد.

[٧٨] أنبأنا أحمدُ بن مُضر الرِّباطي: حدثنا محمّد بن سهل بن عسكر: حدثنا أبو صالحٍ الفرَّاء، قال:

سمعت ابنَ المبارك يقول: «من بخل بالحديث، يُبتلى بإحدى ثلاث: إما أن يموت فيذهبَ علمُه، أو يَنسى، أو يُبتلى بالسلطان».

[٧٩] حدَّثنا أبو يعلى الموصلي: حدثنا إسحاق بن إسماعيل: حدثنا جريرٌ، عن بُردٍ، عن سليمان بن موسى، قال:

قال أبو الدرداء: «الناس عالمٌ ومتعلِّم، ولا خير فيما بين ذلك».

[٨٠] وأنشَدَني الكُريزي:

أفِدِ العلمَ ولا تبخلْ بهِ ... وإلى عِلمِكَ عِلْمًا فاستفِدْ
استفِدْ ما اسْطَعتَ من علمٍ وكنْ ... عاملًا بالعلمِ والناسَ أَفِدْ
مَنْ يُفِدْهم يَجْزِهِ اللَّهُ به ... وسيُغني اللَّهُ عمَّن لم يُفِدْ

---

(١) حَلُم: تميَّز بالحلم.

(٢) مكنونًا: مستورًا.

لـيس مَـنْ نـافَـس فـيـه عـاجـزًا إنـمـا الـعـاجـزُ مَـن لا يَـجـتـهـدْ

[٨١] حدثنا محمد بن إسحاقَ بن خُزيمة: حدثنا عمرُ بن حفص الشَّيباني: حدثنا حمادُ بنُ واقد، عن هشامِ بن حسان:

عن الحسن قال: «لَأَنْ يتعلمَ الرجلُ بابًا من العلم فيَعبُدَ به ربَّه، فهو خيرٌ له من أنْ لو كانت الدنيا من أولها إلى آخِرِها له، فوضعها في الآخرة».

قال أبو حاتم [ﷺ]: قد ذكرتُ أسباب المتعلِّمين وأخلاقَ العلماء بعِللها في كتاب «العالم والمتعلم»، بما أرجو أن يكون فيه غُنْيةٌ لمن أراد الوقوفَ على معرفتها، فأغنى ذلك عن التكرار في هذا الكتاب؛ إذ شرْطُنا في هذا الكتاب الاختصار، كراهيةَ سلوك التطويل، والإشارةُ إلى قصدِ نفس التحصيل.

٤

ذِكرُ الحثِّ على لُزومِ الصَّمتِ وحفظِ اللسان

٨٢ أخبرنا حامدُ بن محمد بن شُعيب البَلْخي بـ«بغداد»: حدثنا منصورُ بنُ أبي مُزاحم: حدثنا ابو الأحوص، عن أبي حَصين، عن أبي صالح:

عن أبي هريرة [ﷺ] قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر، فلْيَقُلْ خيرًا، أو لِيسكتْ»**(١).

قال أبو حاتم [ﷺ]: الواجبُ على العاقل إذا رَكِبَ المَطِيَّتينِ(٢) اللتينِ ذكرتُهما قبلُ ـ إصلاحَ السريرةِ، ولزومَ العلم ـ: أن يبلغ مجهودَه حينئذٍ في حفظ اللسان؛ حتى يستقيم له؛ إذ اللسان هو المُورِدُ للمرءِ مواردَ العَطب؛ والصمتُ يُكسِبُ المحبَّةَ والوقار، ومَن حَفِظ لسانه أراح نفسه.

والرجوعُ عن الصمت أحْسنُ من الرجوع عن الكلام، والصمت منامُ العقل، والمنطق يقَظتُه.

٨٣ حدثنا محمد بن زنجُويه: حدثنا عبدُ الأعلى بن حماد: ثنا حماد بن سلمة، عن ثابتٍ:

عن أنسٍ أن لقمان قال: «إن من الحِكَمِ الصمتَ، وقليلٌ فاعله».

٨٤ وانشَدَني الكُريزي:

أقلِلْ كلامَكَ واستعِذْ مِن شرِّهِ ... إن البلاءَ ببعضِهِ مقرونُ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٦٧)، البخاري (٦١٣٨)، ومسلم (٤٧)، وأبو داود (٥١٥٤)، والترمذي (٢٥٠٠)، وابن ماجه (٣٩٧١).

(٢) **المطيَّتين**: الدابَّتين اللتينِ يُسافرُ عليهما.

واحفَظْ لسانَك واحتفِظْ من عِيِّه[١] حتـى يـكـونَ كـأنَّـهُ مـسـجـونُ
وَكِّل فؤادَك باللسان وقُلْ له: إن الـكـلامَ عـلـيـكـمـا مـوزونُ
فـزِنَـاهُ ولْـيَـكُ مُـحْـكَـمًـا ذا قِـلَّـةٍ إن البلاغـةَ في القليل تكونُ

٨٥ أخبرنا ابن قتيبة: حدثنا جعفر بن نُوح: حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع، قال:

سمعت مالكَ بنَ أنس يقول: «كلُّ شيءٍ يُنتفعُ بفضلِهِ إلَّا الكلامَ؛ فإن فَضْله يَضُرُّ»[٢].

٨٦ أخبَرَنا القطَّان: حدثنا أحمدُ بن أبي الحواري: حدثنا مرْوانُ بن محمد، عن سعيد بن عبد العزيز، قال:

قال أبو الدرداء: «لا خيرَ في الحياة إلَّا لأحدِ رجلين: مُنْصِتٍ واعٍ، أو متكلِّمٍ عالِمٍ».

قال أبو حاتم [ﷺ]: الواجبُ على العاقل ألَّا يُغالِبَ الناسَ على كلامهم، ولا يعترضَ عليهم فيه؛ لأن الكلامَ ـ وإن كان في وقته حُظْوةً جليلةً ـ، فإن الصمت في وقته مرتبةٌ عالية، ومن جُهِّل بالصمت عَيَّ بالمنطق[٣]، والإنسانُ إنما هو صورةٌ ممثَّلةٌ أو ضالَّةٌ مهملةٌ لولا اللسان، واللهُ ﷻ رَفع درجةَ اللسان على سائر الجوارح، فليس منها شيءٌ أعظمُ أجرًا منه إذا أطاع، ولا أعظمُ ذنبًا منه إذا جَنَى.

٨٧ وأنشَدَني محمد بن عبد الله بن زنجيٍّ البغدادي:

لَئِنْ كان يَجني اللومَ ما أنت قائلٌ ولم يكُ منه النفعُ فالصمتُ أيسرُ
فلا تُبْدِ قولًا من لسانك لم يَرُضْ مـواقـعَـه مـن قـبـلِ ذاك الـتـفـكُّـرُ

---

(١) العِي: الجهالة.
(٢) هذا إذا كان كلامًا في مباحاتٍ لا نفع من ورائها.
(٣) أي: إذا صَمَت فاتُّهم بالجهل، فإنه إذا تكلَّم كلامًا فاسدًا، سيُتَّهم بالجهل ـ أيضًا ـ.

[٨٨] أخبرنا ابنُ قتيبة: حدثنا هارونُ بن محمد بن بكّار، قال:

سمعت أبا مُسهِرٍ يُنشد هذا البيت:

قد أرى كثرةَ الكلام قبيحًا ... كلُّ قولٍ يَشينُهُ الإكثارُ

[٨٩] أخبرنا محمد بن سعيد القزّاز: حدثني محمد بن داود بن سليمان الرّملي: حدثنا المسيَّبُ بن واضح، قال:

سمعتُ ابنَ المبارك يقول:

تعاهَدْ لسانَك إن اللسانَ ... سريعٌ إلى المرء في قتلِهِ

وهذا اللسانُ بَريدُ الفؤادِ ... يدلُّ الرجالَ على عقلِهِ

[٩٠] أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس: حدثنا محمد بن عليٍّ الشَّقيقي: أنبأنا إبراهيمُ بن الأشعث، قال:

سمعت الفضيل بن عياض يقول: «شيئان يُقسّيانِ القلب: كثرةُ الكلام، وكثرةُ الأكل».

[٩١] أخبرنا أبو يعلى: حدثنا عمرو بن محمد الناقد قال: سمعت يحيى بنَ اليمان يقول:

قال سفيانُ الثوري: أولُ العبادة[١] الصمت، ثم طلبُ العلم، ثم العملُ به، ثم حِفظُه، ثم نشره».

[٩٢] حدَّثنا عمرو بن محمد الأنصاري: حدثنا الغلّابي: حدَّثنا العُتبي، عن وهبِ بن جرير، عن أبيه، قال:

قال الأحنفُ بنُ قيس: «الصمتُ أمانٌ من تحريف اللفظ، وعصمةٌ من زَيغ المنطق، وسلامةٌ من فضول القول، وهيبةٌ لصاحبه».

قال أبو حاتم [رحمه الله]: الواجبُ على العاقل أن يَلزمَ الصمت إلى أن يَلزمَه التكلُّم، فما أكثرَ من ندِم إذا نَطق، وأقلَّ مَن يندمُ إذا سكت!! وأطولُ

---

(١) يقصد بالعبادة هنا: الدخول في طريق الاستقامة.

الناس شقاءً وأعظمُهم بلاءً: من ابتُلي بلسانٍ مُطلَق، وفؤادٍ مُطبَق[1].

واللسانُ فيه عَشرُ خصال، يجبُ على العاقل أن يعرفَها، ويضعَ كلَّ خصلةٍ منها في موضعها:

١ ـ هو أداةٌ يَظهرُ بها البيان.

٢ ـ وشاهدٌ يُخبِرُ عن الضمير.

٣ ـ وناطقٌ يُرَدُّ به الجواب.

٤ ـ وحاكمٌ يُفصَلُ به الخطاب.

٥ ـ وشافعٌ تُدرَكُ به الحاجات.

٦ ـ وواصفٌ تُعرَف به الأشياء.

٧ ـ وحاصدٌ تذهبُ به الضغينة.

٨ ـ ونازعٌ يَجذبُ المودَّة.

٩ ـ ومُسَلٍّ يُذكِّي القلوب.

١٠ ـ ومُعَزٍّ تُردُّ به الأحزان.

[٩٣] ولقد أحسنَ الذي يقول:

إن كان يُعجِبُك السكوتُ فإنه	قد كان يُعجِبُ قبلَك الأخيارَا
ولَئِنْ نَدِمتَ على سكوتٍ مرَّةً	فلقد نَدِمتَ على الكلام مِرارَا
إنَّ السكوتَ سلامةٌ ولربَّما	زَرَع الكلامُ عداوةً وضِرارَا
وإذا تقرَّب خاسرٌ من خاسرٍ	زادَا بذاك خسارةً وتَبَارَا[2]

[٩٤] أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد: حدثنا كثيرُ بن عبد الله التميمي: حدثنا العلاء بن سعيد الكِندي:

حدّثني أبو حيَّة قال: كنتُ أُماشي إسماعيلَ بنَ سَهْل ـ وكان

---

(١) مُطبَق: مغلق، لا يَعِي الخير ولا يهتزُّ للحق.

(٢) التبَار: الهلاك.

أحد الحكماء ـ، فقال لي: ألَا أُخبِرُك ببيتِ شِعرٍ خيرٍ لك من عشرةِ آلاف درهم؟ قلتُ: بيتُ شِعر خيرٌ من عشرة آلاف درهم!! قال: أيُّما أحبُّ إليك: نفسُك أو عشرةُ آلاف درهم؟ قال: قلت: نفسي، فأنشأ يقول:

اخفِضِ الصوتَ إنْ نطقتَ بليلٍ والتَفِتْ بالنهار قبلَ المَقالِ

قال أبو حاتم [ﷺ]: الواجبُ على العاقل أن يكون ناطقًا كعَيِيٍّ، وعالِمًا كجاهل، وساكتًا كناطق؛ لأن الكلامَ لا بدَّ له من الجواب، والجوابُ لو جُعل له جوابٌ، لم يكن للقول نهاية، وخَرَج المرءُ إلى ما ليس له غاية، والمتكلمُ لا يَسْلَمُ من أن يُنسبَ إليه الصَّلَفُ والتكلُّف، والصامتُ لا يليقُ به إلَّا الوقارُ وحُسنُ السَّمت.

[٩٥] ولقد أحسن الذي يقول:

حَتْفُ امرئٍ لسانُهُ في جِدِّه أو لَعِبِهْ
بين اللَّهَا مَقتلُهُ[1] رُكِّب في مُركَّبِهْ

[٩٦] أخبَرَنا عمرُو بن محمد الأنصاري: حدثنا الغلَّابي: حدَّثنا ابنُ عائشة: حدثنا نُويدُ بنُ مجاشع، عن غالبٍ القطَّان، عن مالكِ بن دينار:

عن الأحنف بن قيس قال: قال عمرُ بن الخطاب: «يا أحنف، مَنْ كثُر كلامُه كثُر سَقَطُه، ومن كثُر سَقَطُه قَلَّ حياؤه، ومَن قلَّ حياؤه قلَّ وَرَعُه، ومَن قلَّ ورعُه مات قلبه».

[٩٧] وانشَدَني الأبرش:

ما ذَلَّ ذو صمتٍ وما مِن مُكثِرٍ إلَّا يَذِلُّ وما يُعاب صَمُوتُ
إن كان منطقُ ناطقٍ من فضَّةٍ فالصمتُ دُرٌّ زانَه الياقوتُ

---

(١) اللَّها: قطعة اللحمِ النازلة من أعلى الفم من الداخل.

۞ [٩٨] انبانا ابنُ قتيبة: حدثنا المسيَّبُ بن واضح، قال:

سمعت عليَّ بن بكَّارٍ يقول: «جعل اللهُ لكل شيءٍ بابَينِ، وجَعل للِّسانِ أربعةً: الشفتين مصراعَين، والأسنانَ مصراعين»[(١)].

۞ [٩٩] انبانا بكرُ بن احمدَ بنِ سعيد الطاحي بـ«البصرة»: حدثنا نصرُ بن عليٍّ الجَهْضمي: انبانا محمد بن يزيد بن خُنيس:

عن وُهيب بن الورد: «أن شابًّا كان يحضُرُ مجلس عمر بن الخطاب، ويُحسِنُ الاستماع، ثم ينصرفُ مِن قبلِ أن يتكلَّم، ففَطِنَ له عمر، فقال له: إنك تحضُر مجلسنا، وتُحسِنُ الاستماع، ثم تنصرفُ من قبل أن تتكلم!! فقال له الشاب: إني أحضُرُ فأتوقَّى وأتنقَّى، وأصمتُ فأسلم».

قال أبو حاتم [رحمه الله]: الواجب على العاقل أن يُنصِفَ أُذنيه مِن فيه، ويعلمَ أنه إنما جُعلت له أُذنانِ وفمٌ واحدٌ ليسمعَ أكثرَ مما يقول؛ لأنه إذا قال ربَّما نَدِم، وإن لم يقُلْ لم يندم، وهو على ردِّ ما لم يقُلْ أقدرُ منه على ردِّ ما قال.

والكلمةُ إذا تكلَّم بها مَلَكَتْه، وإن لم يتكلمْ بها مَلَكها.

والعَجَبُ ممن يتكلمُ بالكلمة، إن هي رُفِعتْ ربَّما ضَرَّته، وإن لم تُرفعْ لم تضرَّه، كيف لا يصمُت؟ ورُبَّ كلمةٍ سَلبتْ نِعمةً.

۞ [١٠٠] اخبرنا احمدُ بن قريش بن عبد العزيز: حدثنا إبراهيم بن عليٍّ الذُّهْلي، قال:

أنشدني رجلٌ من ربيعة:

لَعَمْرُك ما شيءٌ عَلِمتُ مكانَه ... أحقُّ بسَجنٍ من لسانٍ مُذَلَّلِ
على فيك مما ليس يَعنيك شأنُه ... بِقُفْلٍ وثيقٍ ما استطعتَ فأقْفِلِ
فربَّ كلامٍ قد جَرى من مُمازحٍ ... فساقَ إليهم سَهْمَ حَتْفٍ معجَّلِ
ولَلصَّمتُ خيرٌ من كلامٍ بمأثمٍ ... فكن صامتًا تَسْلَم وإن قُلْتَ فاعدِلِ

---

(١) المِصْراعين: جانبي الباب.

[١٠١] أخبرنا أبو يعلى: حدثنا إسحاقُ بن إسماعيل: حدثنا جريرٌ، عن بُردٍ، عن سليمانَ بن موسى، قال:

قال أبو الدرداء: «كفى بك ظالمًا ألَّا تزال مخاصمًا، وكفى بك آثمًا ألَّا تزال مماريًا، وكفى بك كاذبًا ألَّا تزالَ محدِّثًا، إلَّا حديثًا في ذات اللهِ تبارك وتعالى».

[١٠٢] أخبرنا محمد بن سعيدٍ القزَّاز: حدثنا معروفُ بن الحسن الكِتاني: حدثنا كثيرُ بنُ هشام، عن عيسى بن إبراهيم، عن سعيد بن أبي سعيد:

عن كعبٍ قال: «العافيةُ عشرةُ أجزاء، تسعةٌ منها في السكوت».

[١٠٣] أخبَرَنا الحسنُ بن سفيان: حدَّثنا أحمدُ بن إبراهيم الدَّوْرقي: حدَّثنا يحيى القطَّان:

عن شُعبة قال: «مِن الناس مَن عقلُه بفِنائه، ومنهم من عقلُه معه، ومنهم من لا عقل له. فأما الذي عقلُه معه: فالذي يُبصِرُ ما يخرجُ منه قبلَ أن يتكلم. وأما الذي عقلُه بفِنائه: فالذي يُبصِرُ ما يخرجُ منه بعد أن يتكلم. ومنهم من لا عقلَ له».

فحَدَّثتُ به عبدَ الرَّحمٰن بن مَهديٍّ ـ بعدما رجعنا من عند يحيى ـ، فقال: «هذه صِفتُنا ـ يعني: الذي عقلُه بفنائه ـ، واستَحسَنَ الكلام، وقال: لا ينبغي أن يكون هذا من كلام شعبة، لعلَّه سَمِعه من غيره».

[١٠٤] وأنشَدَني البغدادي محمد بن عبد الله بن زنجي:

أنت من الصمت آمِنُ الزَّلَلِ ... ومن كثيرِ الكلام في وَجَلِ
لا تَقُلِ القولَ ثم تُتْبِعُهُ: ... يا ليتَ ما كنتُ قلتُ لم أقُلِ

[١٠٥] سمعتُ محمد بن المسيَّب يقول: سمعت العباسَ بن الوليد بن مَزْيَد يقول: سمعت أبي يقول:

سمعت الأوزاعيَّ يقول: «ما بُلي أحدٌ في دينه ببلاءٍ أضرَّ عليه من طلاقةِ لسانه».

[١٠٦] سمعتُ محمد بن محمود النَّسائي: يقول: سمعتُ أبا أحمدَ بنَ أبي قُديد يقول: سمعت العباسَ بن عبد العظيم يقول: سمعت عارِمًا يقول:

سمعتُ خالدَ بن الحارث يقول: «السكوت زَينٌ للعاقل، وسِترٌ للجاهل».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: لو لم يكن في الصمت خَصلةٌ تُحمد، إلا تَزَيُّنُ العاقل وتَشيُّن الجاهل به: لكان الواجبُ على المرء ألَّا يُفارقَه الصمتُ ما وَجَد إليه سبيلًا، ومَن أحبَّ السلامة من الآثام، فلْيَقُلْ ما يُقبَلُ منه، وليُقِلَّ مما يُقبلُ منه؛ لأنه لا يجترئُ على الكلامِ الكثير إلَّا فائقٌ أو مائق[1]، وقد ترك جماعةٌ من أهل العلم حديثَ أقوامٍ أكثروا الكلام فيما لا يليقُ بهم!! من ذلك.

[١٠٧] ما حدثنا به محمد بن الحسين بن مُكْرم بـ«البصرة»: حدثنا عمرو بن عليّ: حدثنا أُميَّةُ بن خالد:

عن سعيدٍ قال: «قلت للحكم: ما لَكَ لا تكتب عن «زاذان»؟ قال: كان كثير الكلام».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: لسانُ العاقل يكونُ وراء قلبه، فإذا أراد القولَ رجع إلى القلب، فإن كان له قال، وإلَّا فلا. والجاهلُ قلبُه في طرف لسانه، ما أتى على لسانه تكلَّم به، وما عَقَلَ دينَه مَن لم يَحفَظْ لسانَه.

واللسانُ إذا صلح تبيَّن ذلك على الأعضاء، وإذا فسد فكذلك.

[١٠٨] أخبَرَنا محمد بن عبد الله بن الجنيد: حدثنا عبدُ الوارث بن عُبيد الله، عن عبد الله: أنبأنا سفيان:

عن رجلٍ قال: «إني لأكذبُ الكِذْبة فأعرفُها في عملي».

[١٠٩] أنبأنا أبو عَوَانة ـ يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق ـ: حدثنا الفضلُ بن

---

(١) **الفائق**: البليغ. **والمائق**: الأحمقُ الغبيُّ.

عبد الجبَّار: حدثنا أبو إسحاق الطالْقاني، عن الوليد بن مسلم قال: قال الأوزاعي:

عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: «ما صَلَح منطقُ رجلٍ إلَّا عُرف ذلك في سائر عملِه؛ لا فَسَد منطقُ رجلٍ إلَّا عُرف ذلك في سائر عملِه».

قال أبو حاتم ﷺ: والعاقلُ لا يَبتدئُ الكلامَ إلَّا أن يُسأل، ولا يقولُ إلَّا لمن يَقبل، ولا يُجيب إذا شُوتم، ولا يُجازِي إذا أُسمِع؛ لأن الابتداء بالصمت وإن كان حسنًا، فإن السكوت عند القبيح أحسنُ منه.

[١١٠] وأنشَدَني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري:

الصمتُ عند القبيح تسمعُهُ ... صاحبُ صدقٍ لكلِّ مُصطحِبِ
فآثِرِ الصمتَ ما استطعتَ فقد ... يُؤْثَرُ قولُ الحكيم في الكتُبِ
لو كان بعضُ الكلام من وَرِقٍ ... لكان جُلُّ السكوتِ من ذهبِ[١]

[١١١] أخبرنا بكرُ بن محمد بن عبد الوهَّاب القزَّاز: حدثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيم - أبو بشر -: حدثنا أبي: حدثنا المباركُ بنُ فَضَالة، عن المغيرة بن مسلم الهُجَيمي:

عن أُسَير بن جابر قال: «ما رضعتُ عنزًا قط، ولو قلت: «لا أرضعُها» خِفتُ أن يصير بي البلاءُ إلى أن أرضعَها، إنَّ البلاء مُوَكَّلٌ بالقول».

[١١٢] وأنشَدَني الكُريزي:

استُرِ العِيَّ ما استطعتَ بصمتٍ ... إنَّ في الصمتِ راحةً للصَّمُوتِ
واجعَلِ الصمتَ إن عَيِيتَ جوابًا ... رُبَّ قولٍ جوابُه في السكوتِ

[١١٣] وأنبأنا محمد بن المنذر: حدثنا عبد الرَّحمٰن بن محمد بن منصور: حدثنا عبد الرَّحمٰن بن مهدي: حدثنا سفيان، عن يزيد بن حيان، عن عَنْبَس بن عقبة، قال:

سمعت ابنَ مسعود يقول: «والله الذي لا إلٰه غيره، ما شيءٌ أحقُّ بطُولِ سَجْنٍ من لسان».

---

(١) الورِق - بكسر الراء -: الذهب.

قال أبو حاتم ﷺ: العاقلُ يَحفظُ أحوالَه من ورود الخلل عليها في الأوقات، وإنَّ من أعظمِ الخلل المُفسِدِ لصحَّة السرائر والمُذهِبِ لصلاح الضمائر: الإكثارَ من الكلام ـ وإن أُبيح له كثرةُ النطق ـ، ولا سبيل للمرء إلى رعاية الصمت إلَّا بترك ما أُبيح له من النطق.

[١١٤] كما أنبانا الحسنُ بنُ سفيان: حدثنا حِبَّان بنُ موسى: حدثنا عبد الله، عن سفيان، عن نُسير بن ذُعلُوق:

عن إبراهيمَ التَّيميِّ: «أخبَرَني مَن صَحِب الرَّبيعَ بن خُثَيمٍ عشرين عامًا، فلم يَسمع منه كلمةً تُعَاب».

[١١٥] أنبانا الجُنيدي ـ أحمد بن محمد بن حَبيب ـ: حدثنا عبدُ الوارث بن عُبيد الله، عن عبد الله: أنبانا سفيان، عن أبي طُعمة:

عن رجل من الحيِّ قال: «أتيت الربيعَ بنَ خُثيم بِنَعْي الحُسين ـ وقالوا: اليوم يتكلمُ مقالةً ـ، فتأوَّه ومَدَّ بها صوته، ثم قال: ﴿ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٤٦﴾ [الزُّمَر]».

[١١٦] أنبانا عمرو بن محمد الأنصاري: حدثنا الغلَّابي: حدثنا إبراهيم بن عمرو بن حبيب:

حدَّثنا الأصمعيُّ قال: «بينا أنا أطوفُ بالبادية، إذا أنا بأعرابيَّةٍ تمشي وحدها على بعيرٍ لها، فقلتُ: يا أَمَةَ الجبَّار، مَن تطلُبين؟ فقالت: مَنْ يهد اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له. قال: فعلِمتُ أنها قد أضلَّت أصحابها، فقلتُ لها: كأنكِ قد أضللتِ أصحابَكِ؟ قالت: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]. فقلتُ لها: يا هذه، مِن أين أنتِ؟ قالت: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، فعلمتُ أنها مقدسيَّة. فقلتُ لها: كيف لا تتكلَّمين؟ فقالت: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ

رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، فقال بعض أصحابي: ينبغي أن تكونَ هذه من الخوارج، فقالت: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء]، فبينما نحن نماشيها، إذ رُفعت لنا قِبابٌ وخِيَمٌ، فقالت: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل]، قال: فلم أفطِنْ لقولها، فقلت: ما تقولين؟ فقالت: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ﴾ [يوسف: ١٩]، قلتُ: بمَن أُصوِّتُ وبمَن أدعو[1]؟ فقالت: ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ﴾ [مريم: ١٢]، ﴿يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ﴾ [مريم: ٧]، ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦][2]، قال: فإذا نحن بثلاثةِ إخوةٍ كاللآلئ، فقالوا: أُمُّنا وربِّ الكعبة، أضلَلْناها منذ ثلاثٍ، فقالت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]، فأومأتْ إلى أحدهم، فقالت: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٩]، فقلتُ: إنها أَمَرَتهم أن يُزوِّدونا، فجاؤوا بخُبزٍ وكعك، فقلتُ: لا حاجةَ لنا في ذلك، فقلتُ للفِتية: من هذه منكم؟ قالوا: هذه أُمُّنا؛ ما تكلَّمَتْ منذ أربعين سنةً إلَّا من كتاب الله تعالى مخافةَ الكذب، فدنوتُ منها، فقلتُ: يا أَمَةَ اللهِ، أوصيني، فقالت: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾ [الشورى: ٢٣]، فَعلِمتُ أنها شيعيَّةٌ، فانصرفتُ»[3].

قال أبو حاتم ﷺ: قد ذكرتُ ما شاكَلَ هذه الحكايات في كتاب «حفظ اللسان»، فأغنى ذلك عن تكرارِها في هذا الكتاب.

---

(١) أي: بأي اسم أُنادي أهل تلك القِباب والخيام؟.

(٢) قصدت بهذا أن يناديَ بأسماء: «يحيى، وزكريا، وداود».

(٣) هذه الطريقةَ التي تكلَّمت بها المرأة فيها نوعُ تنطُّع، وما كان النبيُّ ﷺ - وهو أتقى الناس وأعبدُهم - ولا صحابتُه الكرام ﵃ يردُّون في كل سؤالٍ بآيات القرآن.

فالواجبُ على العاقل أن يُروِّض نفسه[1] على تركِ ما أُبيح له من النُّطق، لئلَّا يقعَ في المزجورات، فيكونَ حَتْفُه فيما يخرجُ منه؛ لأنَّ الكلام إذا أُكثر منه أورثَ صاحبَه التلذُّذَ بضدِّ الطاعات، فإذا لم يوفَّقِ العبدُ لاستكمال اللسان فيما يُجدِي عليه نفعُه في الآخرة، كان وجودُ الإمساك عن السوءِ أولى به.

[١١٧] وانشَدَني المنتصر بن بلال الأنصاري:

ولن يَهْلِكَ الإنسانُ إلَّا إذا أتى ... منَ الأمر ما لم يَرْضَهُ نصحاؤُهُ
فأقلِلْ إذا ما قُلتَ قولًا فإنه ... إذا قَلَّ قولُ المرءِ قَلَّ خَطَاؤُهُ

[١١٨] انبانا محمد بن الحسن بن الخليل: حدثنا عبد الله بن أبي زياد القَطْواني: حدثنا سيَّار: حدثنا جعفر بن سليمان: حدثنا المعلَّى بن زياد، قال:

قال مُورِّقٌ العِجْلي: «أمرٌ أنا في طلبه منذ عشرِ سنين ـ ولستُ بتاركِ طلبَه ـ. قيل: وما هو يا أبا المعتمر؟ قال: الصمتُ عما لا يعنيني».

[١١٩] انبانا إبراهيمُ بن نصر العَنْبري: حدثنا عليُّ بن الأزهر الرازي: حدثنا إبراهيم بنُ رُستم، قال:

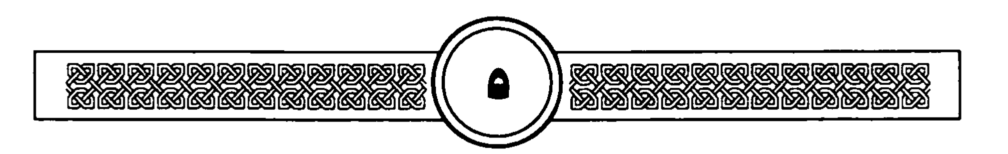
سمعت خارجةَ يقول: «صحبتُ عبدَ الله بنَ عَونٍ خمسَ عشْرةَ سنة، فما أظنُّ الملائكةَ كتبتْ عليه شيئًا».

والله أعلم.

---

(١) يُرَوِّض: يدرِّب ويُربِّي.





ذِكرُ الحثِّ على لزومِ الصِّدقِ ومجانبةِ الكذِب

١٢٠ أخبَرَني أحمدُ بنُ محمد بن حبيب الجُنيدي، قال: حدَّثنا حُميدُ بن زنجُويه: حدَّثنا محاضر بن المورِّع: حدَّثنا الأعمش، عن شَقيقٍ، قال:

قال عبد الله [بن مسعودٍ ﷺ]: قال رسولُ الله ﷺ: **«عليكم بالصِّدق؛ فإن الصدقَ يهدي إلى البرِّ، وإن البِرَّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجل لَيَصْدُقُ حتى يُكتَبَ عند الله صدِّيقًا. وإياكم والكذبَ؛ فإن الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإن الفجورَ يهدي إلى النار، وإن الرجلَ لَيكذبُ حتى يُكتبَ عند الله كذَّابًا»**[1].

قال أبو حاتم ﷺ: إن اللهَ جلَّ وعلا فضَّلَ اللسان على سائر الجوارح، ورَفع درجته، وأبانَ فضيلته بأن أنطَقَه من بين سائر الجوارح بتوحيده؛ فلا يجبُ للعاقل أن يُعَوِّدَ آلةً خَلَقها اللهُ للنطق بتوحيده: الكذبَ، بل يجبُ عليه المداومةُ على رعايته بلزوم الصدق وما يعُودُ عليه نفعُه في دارَيه؛ لأن اللسان يقتضي ما عُوِّد: إن صِدْقًا فصِدقًا، وإن كَذِبًا فكَذِبًا.

١٢١ ولقد أحسن الذي يقول:

عَوِّد لسانَك قولَ الخَير تَحْظَ بهِ ... إن اللسانَ لما عَوَّدْتَ معتادُ

موكَّلٌ بتقاضي ما سَننتَ له ... فاختَرْ لنفسك وانظرْ كيف ترتادُ[2]

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٨٤)، البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢٦٠٧)، وأبو داود (٣٩٨٩)، والترمذي (١٩٧١).

(٢) **ترتاد**: تختار.

۞ ١٢٢ أخبَرَنا محمدُ بن سعيد القزَّاز: حدَّثنا الفضلُ بن العباس البغدادي: حدَّثنا الهيثمُ بنُ خارجة: حدثنا الهيثم بن عِمران، قال:

سمعت إسماعيلَ بن عُبيد الله يقول: «كان عبدُ الملك بنُ مروان يأمرني أن أُجَنِّبَ بَنِيهِ السِّمَن، وكان يأمرني ألَّا أطعم طعامًا حتى يخرجوا إلى البِراز، وكان يقول: عَلِّم بَنيَّ الصدقَ ـ كما تُعلِّمُهم القرآن ـ، وجنِّبهمُ الكذب، وإن كان فيه كذا وكذا ـ يعني: القتل ـ».

۞ ١٢٣ وأنشَدَني الأبرش:

الكِذْبُ مُرديك وإن لم تَخَفْ   والصِّدْقُ مُنجيك على كلِّ حالِ
فانطِقْ بما شِئتَ تَجِدْ غِبَّه   لم تُبْتَخَسْ وَزْنَةَ مِثقالِ

۞ ١٢٤ أخبرنا أبو يعلى: حدثنا أبو خَيثمة: حدثنا عبد الرَّحمٰن بن مهدي: حدثنا سليم بن حيان، عن قتادة، عن حُميد بن عبد الرَّحمٰن الحِميري:

أن عمر بن الخطاب قال: «إن أبا بكر قام فينا عامَ أوَّل، فقال: إنه لم يُقسَمْ بين الناس شيءٌ أفضلُ من المعافاة بعد اليقين، ألَا إن الصدقَ والبِرَّ في الجنة، ألَا وإن الكذبَ والفجورَ في النار».

۞ ١٢٥ أخبرنا أبو خليفة: حدثنا أبو الوليد الطيالسي: حدثنا عكْرِمةُ بنُ عمار:

حدَّثني طَيْسلةُ بنُ عليٍّ البَهْدَلي، قال: «كنتُ مع ابن عمر يومًا في أصول الأراك يومَ عرفة، وبين يديه رجلٌ من أهل العراق، فقال له الرجلُ: يا ابن عمر، ما المنافق؟ قال: المنافقُ ـ ويحك ـ الذي إذا حدَّث كَذَب، وإذا وَعَد لم يُنْجِز[1]، وإذا ائتُمن لم يؤدِّ».

۞ ١٢٦ سمعتُ أحمدَ بن محمد بن الأزهر يقول: سمعت محمدَ بنَ جعفر بنِ أبي الأزهر يقول:

سمعتُ الفضيلَ بنَ عياضٍ يقول: «ما من مُضْغَةٍ أحبُّ إلى اللهِ من

(١) يُنجز: يوفِّي.

لسانٍ صدوق، وما من مُضغةٍ أبغضُ إلى اللهِ من لسانٍ كذوب».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: كلُّ شيءٍ يُستعارُ ليُتجمَّلَ به سَهلٌ وجودُه، خلا اللسان، فإنه لا يُنبئُ إلَّا عما عُوِّد، والصدقُ يُنجي، والكذبُ يُردِي، ومَن غَلب لسانَه أمَّره قومُه[1]، ومَن أكثر الكذبَ لم يترك لنفسه شيئًا يُصدَّقُ به، ولا يَكذب إلَّا مَن هانت عليه نفسُه.

[١٢٧] حدَّثنا أحمدُ بنُ محمد بن زنجُويه بـ«نَسَا»: حدثنا جعفرُ بن أبي عثمان الطيالسي: حدثنا سعيدُ بن سليمان: حدثنا أنسُ بنُ عياض، عن صالح بن حسَّان:

عن محمد بن كعبٍ القُرظي، قال: «إنما يَكذبُ الكاذبُ من مَهانةِ نفسه».

[١٢٨] وأنشَدَني الكُريزي:

كـذَبـتَ ومَـن يَـكـذِبْ فـإنَّ جـزاءَهُ إذا ما أتى بالصَّدقِ أنْ لا يصدَّقَا
إذا عُرف الكذَّابُ بالكِذبِ لم يَزَلْ لدى الناس كذَّابًا وإنْ كان صادقًا
ومِـن آفـة الـكـذَّابِ نـسـيـانُ كِـذبِـهِ وتَـلـقـاهُ ذا فَـقْـهٍ إذا كـان حـاذِقَـا

قال أبو حاتم [رضي الله عنه]: لو لم يكنْ للكِذبِ من الشَّينِ إلَّا إنزالُه صاحبَه بحيث إن صَدَق لم يُصدَّق، لكان الواجبُ على الخلق ـ كافَّةً ـ لزومَ التشبُّثِ[2] بالصدق الدائم. وإن من آفةِ الكذبِ أن يكون صاحبُه نسيًّا، فإنه إذا كان كذلك، كان كالمنادي على نفسه بالخزي في كل لحظةٍ وطَرْفة[3].

[١٢٩] سمعتُ أحمدَ بن محمد بن الأزهر يقول:

سمعت نصرَ بنَ عليٍّ الجَهْضميَّ يقول: «إن اللهَ أعاننا على

(١) أي: جعلوه أميرًا وسيدًا.
(٢) في المطبوع: «التثبت»؛ ولعل الأصح ما أثبته.
(٣) طَرْفة: غمضة عين.

الكذَّابين بالنسيان»[١].

١٣٠ وأنشَدَني محمد بن عبدِ الله البغدادي:

إذا ما المرءُ أخطأه ثلاثٌ فبِعْهُ ولو بكَفٍّ من رَمادِ
سلامةُ صدره والصِّدقُ منهُ وكتمانُ السرائرِ في الفؤادِ

١٣١ أنبأنا بكرُ بن أحمدَ الطاحي بـ«البصرة»: حدثنا إبراهيم بن عَزْرة: حدثنا سفيان بن عيينة، عن مَعْمَر، قال:

قال الزهري: «لو رأيتَ طاووسًا، لعلمتَ أنه لا يكذب».

قال أبو حاتم ﷺ: اللسانُ سَبُعٌ عَقُور[٢]، إن ضَبَطه صاحبُه سَلِم، وإن خلَّى عنه عَقَره، وبفمه يُفتضحُ الكذوب، فالعاقلُ لا يشتغلُ بالخوض فيما لا يعلم فيُتَّهَمَ فيما يعلم؛ لأن رأس الذنوبِ الكذب، وهو يُبدي الفضائحَ، ويكتمُ المحاسن.

ولا يجبُ على المرء ـ إذا سمع شيئًا يَعيبُه ـ أن يُحدِّث به؛ لأن مَن تحدَّث عن كل شيءٍ أزرَى برأيه، وأفسَد صِدقَه.

١٣٢ وقد أنبأنا أبو خليفة: حدَّثنا ابنُ كثير: أنبأنا سفيانُ الثوري، عن أبي إسحاق، عن الأحوص:

عن عبد الله قال: «حَسْبُ المؤمن من الكذب أن يُحدِّثَ بكلِّ ما سمع».

١٣٣ أنبأنا الحسن بن سفيان: حدثنا حِبَّانُ بن موسى: أنبأنا عبدُ الله: أنبأنا سفيان، عن منصور، عن سالمِ بن أبي الجَعْد، قال:

قال عيسى ابنُ مريم ﷺ: «طوبَى لمن خَزَن لسانَه، ووسِعَه بيتُه، وبكى على خطيئته».

---

(١) يقصد أنهم يَنسَون ما قالوه من قبلُ، فإذا تكلموا بعد ذلك كان كلامُهم الأخير مخالفًا للسابق، فظهر كذبُهم.
(٢) **عقُور**: مفترسٌ شرس.

[١٣٤] وأنشَدَني محمد بنُ إسحاقَ الواسطي:

وإذا الأمورُ تزاوَجَتْ ... فالصدقُ أكرمُها نِتَاجَا
الصِّدقُ يَعقِدُ فوقَ رأ ... س حَليفِهِ بالصدق تاجَا
والصِّدقُ يَقدَحُ زَندُهُ ... في كلِّ ناحيةٍ سراجَا

[١٣٥] أنبانا القطان بـ«الرقَّة»: حدثنا نُوحُ بن حبيب: حدثنا وكيعٌ: حدثنا سفيان:

عن منصورٍ، عن رِبْعِيٍّ، قالوا: «من ذكرتَ يا أبا سفيان؟ قال: ذكرتُ رِبعيًّا، وتَدْرون مَنْ كان ربعيٌّ؟ كان رجلًا من «أشجع»، زَعَم قومُه أنه لم يكذبْ قط، فسع به ساعٍ إلى الحَجَّاج، فقال: هاهنا رجلٌ من أشجع، زعم قومُه أنه لم يكذِب قط، وإنه يكذبُ لك اليوم؛ فإنك ضربتَ على ابنَيهِ البَيعة فَعَصَيَا[١]، وهما في البيت ـ وكان عقوبةُ الحجَّاج للعاصي ضربَ السيف ـ، قال: فدعاه، فإذا شيخٌ مُنْحَنٍ، فقال له: أنت رِبعيٌّ؟ قال: نعم، قال: ما فعل ابناك؟ قال: هاهما ذان في البيت، قال: فحَمَله، وكساه، وأوصى به خيرًا».

[١٣٦] أنبانا عمرو بن محمد الأنصاري: حدثنا الغلَّابي: حدثنا عُبيد الله بن محمد التيمي:

عن أبيه قال: «كان عمر بن الخطاب بمِنًى، فعَطِش، فانتهى إلى عجوز، فاستسقاها ماءً[٢]، فقالت: ما عندنا، فقال: لَبَنًا، فقالت: ما عندنا. فبَدَرت جاريةٌ[٣]، فقالت لها: أتكذِبين وما تَستحِين؟ ثم قالت لعمر: هذا السِّقاءُ فيه لبنٌ، فسأل عمرُ عن الجارية، فإذا أبوها ثَقفيٌّ، فخطبها على عاصمِ بنِ عمر، فزوَّجها منه، فوُلد له منها أمُّ عاصم، فتزوَّجها عبدُ العزيز بنُ مرْوان، فولدت له عمرَ بن عبد العزيز بن مروان ـ رحمةُ اللهِ عليه ـ».

---

(١) أي: أمرتَ ولدَيهِ بالبيعة للخليفة فأبيَا. (٢) أي: طَلب منها ماءً ليشرب.
(٣) بَدَرت: أسرعت.

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الصدقُ يرفعُ المرءَ في الدارين، كما أن الكذبَ يهوي به في الحالَين، ولو لم يكن في الصدقِ خَصلةٌ تُحمد إلَّا أن المرء إذا عُرف به قُبِل كَذِبُه ـ وصار صِدقًا عند مَن يسمُعه ـ: لكان الواجبُ على العاقل أن يبلغ مجهودَه في رياضةِ لسانه، حتى يستقيمَ له على الصدق ومجانبة الكذب.

والعِيُّ في بعض الأوقات خيرٌ من النطق؛ لأن كلَّ كلامٍ أخطأ صاحبُه موضعَه، فالعِيُّ خيرٌ منه.

[١٣٧] انشدَني المنتصرُ بن بلال الأنصاري:

تَحدَّثْ بصِدقٍ إنْ تَحدَّثْتَ ولْيكنْ ... بكلِّ حديثٍ من حديثك حِينُ
فما القولُ إلَّا كالثيابِ فبعضُها ... عليك وبعضٌ في التُّخوتِ مَصُونُ[1]

[١٣٨] وانشدَني عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

كم مِن حسيبٍ كريم كان ذا شرفٍ ... قد شانَهُ الكِذبُ وسْطَ الحيِّ إذ عَمَدَا
وآخرُ كان صُعْلُوكًا فشرَّفهُ ... صِدقُ الحديثِ وقولٌ جانَبَ الفَنَدَا[2]
فصار هذا شريفًا فوق صاحبِهِ ... وصار هذا وضيعًا تحتَه أبدَا

[١٣٩] أنبأنا أبو خليفة: حدثنا محمد بن كثير: أنبأنا سفيان الثوري، عن حبيبِ بن أبي ثابت، عن ميمونَ بن أبي شَبيب، قال:

قال عمر: «لا يجدُ عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتى يدَعَ المراءَ وهو مُحِقٌّ، ويدعَ الكذب في المزاح ـ وهو يَرى أنه لو شاء لغلب ـ».

[١٤٠] أنبأنا محمد بنُ سعيد القزاز: حدَّثني يوسفُ بن سعيد بن مسلَّم: حدثنا عليُّ بنُ بكَّار، عن يونُسَ بنِ عُبيد، عن حُميد بن هلال:

عن عبد الله بنِ عَمرٍو قال: «ذَرْ ما لستَ منه في شيءٍ، ولا تَنطِقْ فيما لا يَعنيك، واخْزُنْ لسانك كما تَخزُنُ دراهمَك».

---

(١) التُّخُوت ـ جمع «تخت» ـ: وهو الوعاء.
(٢) الصعلوك: التافه. الفَنَد: الخرف والكلام الفاسد.

﴿١٤١﴾ وأنشَدَني محمد بن المنذر بن سعيد الهروي:

القولُ كاللَّبَنِ المحلوبِ ليس له ... رَدٌّ وكيف يَرُدُّ الحالبُ اللبَنا

في ضرعِه وكذاك القولُ ليس له ... في الجوفِ ردٌّ قبيحًا كان أو حسنَا

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل تركُ الإغضاء عن تعهُّد اللسان؛ لأنَّ من كثُر كلامُه كثُر سَقَطه، والسَّقَطُ ربما تعدَّى غيرَه فيُهْلِكُه في ورطةٍ لا حِيلةَ له في التخلُّص منها؛ لأن اللسان لا يَندَمِلُ جرحُه[1]، ولا يَلتئمُ ما قُطع به، وكَلْمُ القول[2] إذا وصل إلى القلب لم يُنزع إلَّا بعد مدةٍ طويلة، ولم يُستخرج إلَّا بعد حِيلةٍ شديدة، ومن الناس مَن لا يُكْرَمُ إلا للسانه، ولا يُهان إلَّا به، فالواجبُ على العاقل ألَّا يكون ممن يهان به.

﴿١٤٢﴾ أنبأنا عبدُ الله بن محمد الأنماطي الهمَداني: حدثنا محمد بن عبيد: حدثنا عبدُ الله بن الحسين العُقيلي: حدثنا أبو سلمةَ الخزاعي: حدثنا شبيبُ بن شيبَة، قال:

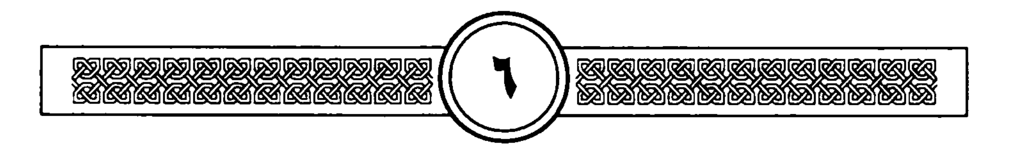
سمعت ابنَ سيرين يقول: «الكلام أوسعُ من أن يكذبَ فيه ظريفٌ»[3].

---

(١) **الاندمال**: الالتئام.

(٢) **الكَلْم** ـ بسكون اللام ـ: الجُرح.

(٣) **الظريف**: الفطِن اللطيف.



ذِكرُ الحثِّ على لزوم الحياءِ وتركِ القُحَّة(١)

[١٤٣] أنبأنا الفضلُ بنُ الحُباب الجُمَحي: حدَّثنا القَعْنَبي، عن شعبة، عن منصور، عن رِبعي:

عن ابنِ مسعود [ﷺ]: أن النبي ﷺ قال: **«إنَّ مما أدرك الناسُ من كلام النبوَّةِ الأولى: إذا لم تَستَحِ، فاصنعْ ما شئتَ»**(٢).

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل لزومُ الحياء؛ لأنه أصلُ العقل وبَذْرُ الخير، وتركُه أصلُ الجهل وبذرُ الشر، والحياءُ يدلُّ على العقل، كما أن عدمَه دالٌّ على الجهل، ومَن لم يُنصِفِ الناسَ منه حياؤه، لم يُنصفهم منه قُحَّتُه(٣).

[١٤٤] ولقد أحسن الذي يقول:

وليس بمنسوبٍ إلى العلمِ والنُّهى ... فتًى لا تُرَى فيه خلائقُ أربعُ
فواحدةٌ: تقوى الإلهِ التي بها ... يُنالُ جَسيمُ الخير والفضلُ أجْمعُ
وثانيةٌ: صِدقُ الحياء فإنه ... طباعٌ عليه ذو المروءة يُطبعُ
وثالثةٌ: حِلمٌ إذا الجهل أطلِعَتْ ... إليه خبايا من فجورٍ تسَرَّعُ
ورابعةٌ: جودٌ بمِلْكِ يمينِهِ ... إذا نابَهُ الحقُّ الذي ليس يُدفعُ

---

(١) **القُحَّة**: القُبح واللؤم.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٢١)، والبخاري (٥٧٦٩)، وأبو داود (٤٧٩٧)، وابن ماجه (٤١٨٣).

(٣) أي: إذا كان وقحًا لم يستطعِ الناسُ أن ينالوا منه حقَّهم؛ بل لا بد أن يكون ذا حياءٍ وأدب.

١٤٥ وأنشَدَني محمد بن عبد الله البغدادي:

إذا قلَّ ماء الوجه قَلَّ حياؤه ... ولا خيرَ في وجهٍ إذا قَلَّ ماؤُه

حياءَك فاحْفظْه عليك فإنما ... يدلُّ على وجهِ الكريم حياؤهُ

١٤٦ أنبأنا أبو خليفة: حدثنا ابن كثير: حدثنا سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص:

عن عبد الله قال: «أَلأَمُ شيءٍ في المؤمن الفُحْشُ».

قال أبو حاتم ﷺ: «الحياءُ»: اسمٌ يشتملُ على مجانبة المكروه من الخصال.

*** والحياء حيآن:**

أحدُهما: استحياءُ العبد من اللهِ - جلَّ وعلا - عند الاهتمام[1] بمباشرة ما حُظِر عليه.

والثاني: استحياءٌ من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول والفعل معًا.

والحيآن جميعًا محمودان، إلَّا أن أحدَهما فرضٌ، والآخرَ فضل، فلزومُ الحياء عند مجانبةِ ما نَهى اللهُ عنه فرضٌ، ولزومُ الحياء عند مقارفة ما كَرِه الناسُ فضل.

١٤٧ وأنشَدَني محمد بن المنذر بن سعيد، عن محمد بن خلف التيمي، قال:

أنشَدَني رجلٌ من خُزاعة:

إذا لم تَخْشَ عاقبةَ الليالي ... ولم تستحْيِ فاصنعْ ما تشاءُ

فلا واللَّهِ ما في العيشِ خَيرٌ ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ

يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ... ويَبقى العُودُ ما بَقِيَ اللِّحاءُ[2]

---

(١) **الاهتمام**: الهمُّ والإقبال.

(٢) **اللِّحاء**: القشرة التي تحمي عُودَ النبات من الآفات.

[١٤٨] حدثنا إسحاق بن إبراهيم القاضي: حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا الليث بن سعد، عن عُقيل:

عن الزهري: أن أبا بكرٍ الصدِّيقَ ﷺ قال يومًا ـ وهو يخطب ـ: «أيها الناس، استحيُوا من الله، فواللهِ ما خرجتُ لحاجةٍ منذ بايعتُ رسولَ الله ﷺ أُريدُ الغائطَ، إلَّا وأنا مُقَنِّعٌ رأسي حياءً من الله».

قال أبو حاتم ﷺ: الحياءُ من الإيمان، والمؤمنُ في الجنة، والبَذاء من الجفاء، والجافي في النار ـ إلَّا أن يتفضَّل اللهُ عليه برحمته فيخلِّصَه منه ـ، فإذا لزم المرءُ الحياءَ كانت أسبابُ الخير منه موجودةً، كما أن الوَقِحَ إذا لزم البَذاءَ كان وجودُ الخير منه معدومًا، وتواترُ الشرِّ منه موجودًا؛ لأن الحياء هو الحائلُ بين المرء وبين المزجورات كلِّها، فبقوَّة الحياء يضعُفُ ارتكابُه إيَّاها، وبضعف الحياء تقوى مباشرتُه إياها.

[١٤٩] ولقد أحسن الذي يقول:

ورُبَّ قبيحةٍ ما حالَ بيني … وبين رُكوبِها إلَّا الحياءُ

فكان هو الدواءَ لها ولكن … إذا ذهب الحياءُ فلا دواءُ

[١٥٠] وأنبانا محمد بن المنذر بن سعيد: حدثنا عمر بن شبَّة: حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى: حدثنا هشامٌ، عن محمد، عن كثير بن أفلَح:

عن زيدِ بن ثابت قال: «مَن لا يستحي منَ الناس لا يستحي من الله».

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل أن يعوِّد نفسه لزومَ الحياء من الناس، وإنَّ من أعظم بركته تعويدَ النفس ركوبَ الخصالِ المحمودة، ومجانبتَها الخلالَ المذمومة، كما أنَّ من أعظم بركةِ الحياء من الله: الفوزَ من النار بلزوم الحياء عند مجانبة ما نهى اللهُ عنه؛ لأن ابن آدم مطبوعٌ على الكرم واللؤم معًا في المعاملة بينه وبين الله، والعِشرةِ بينه وبين المخلوقين، وإذا قَوِيَ حياؤه قَوِيَ كرمُه وضعُف لؤمُه، وإذا ضعُف حياؤه قَوِيَ لؤمُه وضعُف كرمُه.

[١٥١] ولقد أنشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

إذا رُزق الفتى وَجْهًا وَقَاحًا ... تقلَّب في الأمور كما يشاءُ
ولم يكُ للدواء ولا لشيءٍ ... يُعالجُهُ به فيه غَناءُ
فما لك في معاتبةِ الذي لا ... حياء لوجهه إلَّا العناءُ

قال أبو حاتم [ﷺ]: إن المرءَ إذا اشتدَّ حياؤه صان عِرضَه، ودَفَن مساويَه، ونَشَر محاسنَه، ومَن ذهب حياؤه ذَهب سروره، ومَن ذهب سرور هان على الناس ومُقِتَ، ومن مُقِت أُوذي، ومَن أُوذي حَزِن، ومَن حَزِن فَقَد عقلَه، ومن أُصيب في عقله كان أكثرُ قوله عليه لا له. ولا دواءَ لمن لا حياءَ له، ولا حياءَ لمن لا وفاءَ له، ولا وفاءَ لمن لا إخاءَ له، ومَن قلَّ حياؤه صنع ما شاء، وقال ما أحب.

[١٥٢] وأنشَدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

إذا لم تَصُن عرضًا ولم تَخْشَ خالقًا ... وتستحْي مخلوقًا فما شئتَ فاصنعْ
إذا كنتَ تأتي المرءَ تُعْظِمُ حَقَّه ... ويَجهلُ منك الحق فالصَّرمُ أوسعْ[١]

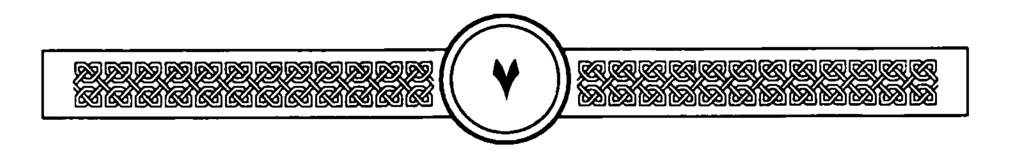
[١٥٣] أنبأنا محمدُ بن سعيدٍ القزَّاز: حدثني عبدُ الله بن مسعود الثعلبي بـ«اليمن»: حدثنا أحمدُ بن زيد بن السكن الجَنَدي، عن سفيان بن عيينة، قال:

قال يحيى بنُ جَعْدة: «إذا رأيت الرجلَ قليلَ الحياء، فاعلمْ أنه مدخولٌ في نسبه»[٢].

---

(١) **الصَّرْم**: القطع والهجر.

(٢) هذه ليست قاعدة مضطردة كما هو معلوم.



ذِكرُ الحثِّ على لزومِ التواضع ومجانبةِ الكِبْرْ

[١٥٤] أنبأنا أبو خليفة: حدثنا موسى بن إسماعيل التبُونكي: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرَّحمٰن، عن أبيه:

عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما نَقَصت صدقةٌ من مال، ولا زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عزًّا، ولا تواضَعَ أحدٌ للهِ إلَّا رفعه اللهُ»**[1].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل لزومُ التواضع ومجانبةُ التكبُّر، ولو لم يكنْ في التواضع خَصلةٌ تُحمدُ؛ إلَّا أن المرء كلَّما كثُر تواضعُه، ازداد بذلك رفعةً: لكان الواجبُ عليه ألَّا يتزيَّا بغيره.

*** والتواضع تواضعان:**

- أحدهما: محمود.
- والآخر: مذموم.

والتواضع المحمود: تركُ التطاولِ على عباد الله، والإزراءِ بهم.

والتواضع المذموم: هو تواضعُ المرء لذي الدنيا رغبةً في دنياه[2].

فالعاقل يلزمُ مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها، ولا يفارقُ التواضعَ المحمود على الجهات كلها.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨)، والترمذي (٢٠٢٩)، والدارمي (١٦٧٦)، وابن خزيمة (٢٤٣٨)، وابن حِبَّان في «صحيحه» (٣٢٤٨).

(٢) وهذا في الحقيقة يسمي: «الذُّل».

﷜ ١٥٥ ولقد أنبأنا الحسنُ بن سفيان: حدثنا قتيبةُ بن سعيد: حدثنا الليثُ، عن ابن عَجْلان، عن بُكير بن عبد الله، عن عُبيد الله بن عَدِيٍّ:

أن عمر بن الخطاب ﷛ قال: «إن الرجل إذا تواضَعَ لله، رفع اللهُ حَكَمته[١]، وقال: «انتعِشْ ـ نَعَشك الله ـ»، فهو في نفسه صغير، وفي أعيُنِ الناس كبير، وإذا تكبَّر العبدُ، وعدَا طَوْرَه[٢]، وَهَصَه اللهُ إلى الأرض[٣]، وقال: «أخسأْ ـ أخسأك الله ـ»، فهو في نفسه كبير، وفي أعين الناس صغير»[٤].

قال أبو حاتم ﷬: التواضعُ يرفعُ المرءَ قَدْرًا، ويُعظِمُ لَهُ خَطَرًا[٥]، ويَزيدُهُ نُبلًا.

* **والتواضعُ لله ـ جلَّ وعزَّ ـ على ضربين:**

أحدهما: تواضعُ العبد لربِّه عند ما يأتي من الطاعات، غيرَ مُعجَبٍ بفعله، ولا راءٍ له عندهُ حالةً يوجبُ بها أسبابَ الولاية، إلَّا أن يكون المولى

---

(١) **الحَكَمة** ـ بفتح الحاء والكاف ـ: ما يوضع في رأس الدابة ـ كاللجام ـ.

(٢) **الطَّور** ـ فتح الطاء ـ: طبيعته وصنفه. (٣) **وَهَصه**: كسره وقصمه.

(٤) ثبت عن ابن عباس ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من آدميٍّ إلَّا في رأسه حَكَمةٌ بيد مَلَك، فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حَكَمَتَه، وإذا تكبَّر قيل للمَلَك: ضعْ حَكَمته**». رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٢١٨)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٧٧)، وحسَّنه الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤٣٩٦)، وكذا الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥٧)، والسيوطي في «الجامع الصغير» (٧٩٨٤)، ووافقهم الإمام المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٤٦٦)، وحسنه أيضًا العلَّامة الألباني في «الصحيحة» (٥٣٨).

فائدة: قال الإمام المُناوي ﷀ ـ في شرح الحديث ـ: «(**قيل للمَلَك**) من قِبَل الله تعالى: (**ارفع حَكَمته**)؛ أي: قَدْرَه ومنزله، يقال: «فلانٌ عالي الحَكَمة»، فرفعُها كنايةٌ عن الإعذار، (**فإذا تكبَّر قيل للمَلَك: ضع حكمته**)، كنايةٌ عن إذلاله، فإن من صفة الذليل تنكيسَ رأسه، فثمرة التكبر في الدنيا الذِّلةُ بين عباد الله، وفي الآخرة نار الإيثار، وهي عصارةُ أهل النار كما جاء في بعض الأخبار». اهـ. «فيض القدير» (٥/ ٤٦٧). قلت: ولا أعلم حديثًا صحيحًا عن «نار الإيثار» هذه.

(٥) **الخطر**: القيمة.

جلَّ وعزَّ هو الذي يتفضَّلُ عليه، وهذا التواضعُ هو السببُ الدافع لنفس العُجب عن الطاعات.

والتواضع الآخر: هو ازدراءُ المرء نفسَه، واستحقارهُ إياها عند ذِكرِه ما قارَفَ من المآثم، حتى لا يرى أحدًا من العالَم إلَّا ويرى نفسَه دونه في الطاعات وفوقه في الجنايات.

١٥٦ كما أنبانا أحمدُ بنُ الحسن بن عبد الجبَّار الصوفي بـ«بغداد»: حدثنا يحيى بنُ معين: حدثنا عبدُ الصمد بن عبد الوارث:

عن عبدِ الله بن بكر بن عبدِ الله المُزَني، قال: قال لي أبي: «يا بُني، لو لم أحضُرِ الموسِمَ(١)، لَرجوتُ أن يُغفرَ لهم».

١٥٧ أنبانا عبد الرَّحمٰن بن بحر بن معاذٍ البزَّار: حدَّثنا هشام بن عمار: حدثنا ابن سُميع: حدثنا زُهير بن محمد، عن ابن جُريج:

عن مجاهد في قوله: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، قال: «متواضعين».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقلُ يَلزمُ مجانبةَ التكبُّر، لِمَا فيه من الخصال المذمومة:

إحداها: أنه لا يتكبَّرُ على أحدٍ حتى يَعجَبَ بنفسه، ويَرى لها على غيرها الفضل.

والثانية: ازدراؤه بالعالَم؛ لأن مَن لم يستحقِرِ الناس لم يتكبَّرْ عليهم، وكفى بالمستحقِرِ لمن أكرمه اللهُ بالإيمان طغيانًا.

والثالثة: منازعةُ الله ـ جلَّ وعلا ـ في صفاته؛ إذِ الكبرياءُ والعظمة من صفات اللهِ ـ جلَّ وعلا ـ؛ فَمَن نازعه إحداهما ألقاه في النار، إلَّا أن يتفضَّل عليه بعفوه.

---

(١) أي: موسم الحج.

[١٥٨] ولقد أحسن الذي يقول:

التِّيهُ مَفْسدةٌ للدِّينِ مَنقَصةٌ[١] للعقلِ مهتكةٌ للعِرضِ فانتبِهِ
لا تَشْرَهَنَّ فإن الذُّلَّ في الشَّرَهِ[٢] والعزُّ في الحِلم لا في البطشِ والسَّفَهِ

[١٥٩] سمعت محمد بن محمود النَّسائي يقول: سمعت أبا داود السَّنجي يقول: سمعتُ الأصمعيَّ يقول:

سمعت يحيى بنَ خالد البَرْمكيَّ يقول: «الشريف إذا تقرَّأ تواضع[٣]، والدنيءُ إذا تقرَّأ تكبَّر».

قال أبو حاتم ﷺ: لا يَمْتنعْ من التواضع أحد؛ فالتواضعُ يُكسب السلامة، ويُورِّثُ الألفة، ويرفعُ الحقد، ويُذهب الصَّد[٤]، وثمرةُ التواضع المحبة، كما أن ثمرةَ القناعة الراحة، وإنَّ تواضعَ الشريف يزيدُ في شرفه، كما أن تكبُّرَ الوضيع يزيدُ في ضَعَتِه، وكيف لا يتواضعُ من خُلقَ من نطفةٍ مَذِرَةٍ[٥]، وآخرُه يعودُ جِيفةً قذرة، وهو بينهما يَحمِلُ العَذِرة[٦]؟!.

[١٦٠] سمعت أبا يعلى يقول: سمعت إسحاقَ بن أبي إسرائيلَ يقول:

سمعتُ ابنَ عيينة يقول: «لو قيل: «أَخْرِجوا خِيارَ هذه القرية»، لأخرجوا مَن لا نعرف».

[١٦١] وأنشدَني الكُريزي:

ولا تَمْشِ فوق الأرض إلَّا تواضعًا فكم تحتَها قومٌ هُم منك أرفعُ!
فإنْ كنت في عزٍّ وخيرٍ ومَنْعةٍ فكم مات مِن قومٍ هم منك أمنعُ!

[١٦٢] أنشدَنا أبو عَرُوبة ـ أو ابن قُتيبة ـ، قال: أنشدنا المسيَّبُ بنُ واضح:

عن يوسفَ بنِ أسباط:

---

(١) التِّيه: العجب والكبر.
(٢) الشَّرَه: الطمع.
(٣) تقرَّأ: طلب العلم. والله أعلم.
(٤) الصد: نفور الناس من بعضهم.
(٥) مَذِرة: حقيرة.
(٦) العَذِرة: الغائط.

وكفى بمُلتمِسِ التواضعِ رِفعةً　　　وكفى بمُلتمِسِ العُلُوِّ سِفالَا

١٦٣ أنبانا ابنُ خزيمة: حدثنا محمد بن هشام المروَزي: حدثنا حَفصُ بنُ غِياث:

عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه قال: «حج الحسينُ بنُ عليٍّ عَشْرَ حِجَجٍ ماشيًا، ونُجُبُه[١] تُقاد إلى جَنْبه».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: أفضلُ الناس مَنْ تواضع عن رفعة، وزَهِد عن قُدرة، وأنصف عن قوَّة، ولا يَتركُ المرءُ التواضعَ إلَّا عند استحكام التكبر، فلا يتكبَّرُ على الناس أحدٌ إلَّا بإعجابه بنفسه، وعُجبُ المرء بنفسه أحدُ حُسَّادِ عقله، وما رأيتُ أحدًا تكبَّر على مَنْ دونه، إلَّا ابتلاه اللهُ بالذِّلة لمن فوقه.

١٦٤ وأنشَدَني محمد بنُ أبي عليٍّ الخلادي:

ودَعِ التِّيهَ والعُبوسَ على النا　　　س فإن العُبُوس رأسُ الحماقةْ
كلَّما شئتَ أن تعاديَ عادَيـ　　　ـتَ صديقًا وقد تَغُرُّ الصداقةْ

قال أبو حاتم رضي الله عنه: ما استُجلبت البِغضةُ بمِثل التكبُّر، ولا اكتُسبت المحبة بمِثل التواضع، ومَن استطال على الإخوان، فلا يَثِقَنَّ منهم بالصفاء.

ولا يجبُ لصاحب الكبر أن يطمعَ في حُسن الثناء، ولا تكادُ ترى تائهًا[٢] إلَّا وضيعًا.

فالعاقلُ إذا رأى مَن هو أكبرُ سنًّا منه، تواضع له، وقال: «سبقني إلى الإسلام»، وإذا رأى مَن هو أصغرُ سنًّا [منه]، تواضع له، وقال: «سبقتُه بالذنوب»، وإذا رأى مَن هو مِثلُه عدَّهُ أخًا، فكيف يَحسُنُ تكبُّرُ المرء على أخيه؟!.

ولا يجبُ استحقارُ أحد؛ لأن العُودَ المنبوذ[٣] ربَّما انتُفع به، فحكَّ الرجلُ به أُذُنَه.

---

(١) النُّجُب ـ جمع «نجيبة» ـ: وهي الناقة القوية.
(٢) تائهًا: متكبرًا. من «التِّيه».
(٣) العُود: عود الخشب. منبوذ: مُلقًى مطروح.

١٦٥ أخبَرَنا محمد بن المسيَّب بنِ إسحاق: حدثنا العبَّاس بنُ الوليد بن مزيد، قال:

سمعت محمد بنَ شعيب بنِ شابُور يقول: «دخل رجلٌ الحَمَّامَ ـ وزيدُ بنُ أبي حبيبٍ فيه، وكان أسود ـ، فقال له: يا أسود، قمْ فاغسِلْ رأسي. فقام، فشدَّ عليه إزارَه، فغسل رأسه، ودَلَّك جسده، فلما فَرغ قال له الرجلُ: كثَّر اللهُ في السُّودان مِثلَك[1]، قال: أحببتَ أن يَكثُرَ مَنْ يخدمُك».

١٦٦ أنبأنا محمد بن زنجُويه القُشيري: حدثنا عبدُ العزيز بنُ عبد الله المديني: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد:

عن ابن عباس قال: «لو بَغَى جبلٌ على جبل، لَدكَّ اللهُ الباغيَ منهما».

١٦٧ أنبأنا الحسنُ بن سفيان: حدثنا نصرُ بنُ عليٍّ: حدَّثنا نُوحُ بن قيس، عن أخيه:

عن قتادةَ قال: «ما نَسِيتُ شيئًا قط. ثم قال لغلامه: ناوِلْني نَعلي. قال: نعلُك في رِجلك».

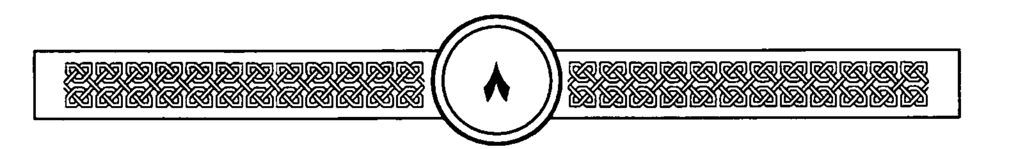
١٦٨ أنبأنا عبدُ الله بنُ محمد بن عمرو: أنبأنا عليُّ بنُ خَشْرم، قال:

سمعتُ الفضلَ بنَ موسى يقول: «كان مالكٌ ينسى، فقال لقَهْرمانه[2]: اشتَرِ لي غلامًا، وسَمِّه باسم خفيفٍ حتى لا أنساه. قال: فاشترى له غلامًا، وأدخله عليه، فقال: اشتريتُ لك هذه الغلام، وسميتُه باسم خفيف. قال: ما سمَّيتَه؟ قال: فَرْقَد، قال: فنظر إلى الغلام، وقال: اجلسْ يا واقد!».

---

(١) السُّودان: السود.

(٢) القهرمان: الخادم.



ذِكْرُ استحبابِ التحبُّبِ إلى الناس من غيرِ مُقارَفةِ المأثم(١)

١٦٩ أنبأنا أحمدُ بن الحسن بن عبد الجبَّار بـ«بغداد»: حدثنا يحيى بن مَعين: حدثنا عَبْدَةُ بنُ سليمان، عن هشامِ بن عروة، عن موسى بن عُقبة، عن عبد الله بن عمرو الأودي:

عن ابن مسعودٍ [رضي الله عنه]، عن النبيِّ ﷺ قال: **«يَحرُمُ على النار كلُّ هيِّنٍ ليِّنٍ قريبٍ سَهْلٍ»**(٢).

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل أن يتحبَّب إلى الناس بلزوم حسن الخُلق، وتركِ سوء الخلق؛ لأن الخُلُقَ الحسنَ يُذيبُ الخطايا، كما تُذيبُ الشمسُ الجليد، وإنَّ الخلُقَ السيِّئَ لَيُفسِدُ العمل، كما يُفسِدُ الخلُّ العسل.

وقد تكونُ في الرجل أخلاقٌ كثيرةٌ صالحةٌ كلُّها، وخلقٌ سيِّئ، فيُفسِدُ الخلُقُ السيئُ الأخلاقَ الصالحةَ كلَّها.

١٧٠ وأنشَدَني البغدادي:

خالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَن ... لا تكن كلبًا على الناس يَهِرْ(٣)
والْقَهُمْ منك بِبِشرٍ ثم صُنْ ... عنهم عِرضَكَ عن كلِّ قَذِرْ

---

(١) **المقارفة**: المواقعة. **المأثم**: الإثم والذنب.

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٤١٥)، وابن حِبَّان في «الصحيح» (٦٤٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٣١)، وأبو يعلى (٨٤٦٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٥٣٥)، وحسَّنه العلَّامة شعب الأرنؤوط، والعلَّامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٣٥)، وكذا الشيخ حسين الداراني.

(٣) **يَهِر**: ينبح بصوت مزعج.

[١٧١] انبأنا حامد بن شُعيب البلْخي بـ«بغداد»: حدثنا سُريجُ بن يونس: حدثنا سفيان، عن إبراهيم، عن ميسرة، عن طاووس، قال:

سمعت ابنَ عباسٍ يقول: «إن الرحم تُقْطَع، وإن النِّعمَ تُكْفَر، ولم أرَ مِثلَ تقارُبِ القلوب».

[١٧٢] انبأنا الخلادي: حدَّثنا محمد بن المغيرة النُّوفلي: حدثنا عبدُ العزيز بن مُنيب: حدثنا إبراهيمُ بن الأشعث، قال:

سمعت الفُضيلَ بنَ عياض يقول: «إذا خالطتَ، فخالِطْ حَسَنَ الخُلق، فإنه لا يدعُو إلَّا إلى خير، وصاحبُه منه في راحةٍ. ولا تُخالِطْ سيِّئَ الخُلق، فإنه لا يدعُو إلَّا إلى شر، وصاحبُه منه في عناء. ولَأنْ يَصْحَبَني فاجرٌ حَسَنُ الخُلُق أحبُّ إليَّ من أن يصحبني قارئٌ سيِّئُ الخلُق. إن الفاسق إذا كان حَسن الخُلق عاش بعقلِه، وخفَّ على الناس وأحبُّوه، وإن العابدَ إذا كان سيِّئَ الخلُق ثَقُل على الناس ومَقَتوه».

[١٧٣] وانشَدَني محمد بن المهاجر المعدَّل:

أنشَدَني محمد بن إبراهيم اليعمري:

حافِظْ على الخُلُقِ الجميلِ ومُرْ به ... ما بالجميلِ وبالقبيحِ خَفاءُ
إن ضاق مالُكَ عن صديقِك فالْقَهُ ... بالبِشرِ منك إذا يَحينُ لِقاءُ

[١٧٤] انبانا الحسينُ بنُ إسحاق الأصبهاني: حدَّثنا يحيى بنُ حكيم المُقوِّمي: حدثنا الخليل بنُ عبد العزيز، قال:

سمعت حَمَّاد بنَ سلمةَ يقول: «الصومُ في البستان من الثُّقْل»[1].

قال أبو حاتم رحمه الله: حُسْنُ الخلق بَذْرُ اكتساب المحبة، كما أن سوءَ

---

(١) جاء في طبعة «المكتبة العصرية» (ص١٠٢): «يريد أن مَن دَخَل البستان (أي: بستان الغير)، تطلَّعت نفسُه إلى الأكل من ثمره الشهيِّ، ولا ينبغي أن يعتذرَ عنه (أي: عن الأكل) بالصوم، وكان حريًا ألَّا يدخلَه وهو صائم».

الخلق بَذْرُ استجلاب البِغْضة، ومَن حَسُنَ خُلقُه صان عِرضَه، ومَن ساء خُلقُه هَتك عرضَه؛ لأن سوءَ الخلق يُورِّثُ الضغائن، والضغائنُ إذا تمكَّنت في القلوب أورثت العداوة، والعداوةُ إذا ظهرت من غير صاحبِ الدين أهوت[١] صاحبَها إلى النار، إلَّا أن يتداركَه المولى بتفضُّلٍ منه وعفوٍ.

[١٧٥] أنبأنا محمد بن المنذر: حدَّثنا أبو حاتم الرازي: حدثنا أبو عُميرِ بن النحَّاس: حدثنا ضَمرةُ، عن رجاء بن أبي سَلمة:

عن الزهريِّ قال: «وهل يُنتفع من السَّيِّئِ الخُلُقِ بشيءٍ؟».

[١٧٦] وأنشَدَني عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

لـلـخـيـرِ أهـلٌ لا تـزا	ل وجـوهُـهـم تـدعُـو إلـيـهِ
طـوبـى لـمـن جَـرتِ الأمـو	رُ الـصـالـحـاتُ عـلـى يـديـهِ
مـا لـم يَـضِـقْ خُـلُـقُ الـفـتـى	فـالأرضُ واسـعـةٌ عـلـيـهِ

[١٧٧] أنبأنا أبو يعلى: حدثنا عبدُ الله بن محمد بن أسماء: حدثنا مهديُّ بنُ ميمون، عن يونس بن عبيد:

عن ميمونَ بن مِهْران، قال: «التودُّدُ إلى الناس نِصفُ العقل، وحسنُ المسألة نصفُ العلم، واقتصادُك في معيشتك يُلْقِي عنك نِصفَ المؤونة».

قال أبو حاتم ﷺ: التحبُّبُ إلى الناس أسهلُ ما يكونُ وجهًا، وأظهرُ ما يكونُ بِشرًا، وأقصَدُ[٢] ما يكونُ أمرًا، وأرفقُ ما يكونُ نهيًا، وأحسنُ ما يكونُ خُلُقًا، وألينُ ما يكونُ كَنَفًا[٣]، وأوسعُ ما يكونُ يدًا، وأدفعُ ما يكونُ أذى، وأعظمُ ما يكونُ احتمالًا.

فإذا كان المرءُ بهذا النعت، لا يَحْزَنُ مَن يُحبُّه، ولا يَفْرَحُ من يَحسُده؛

---

(١) **أهوت**: أسقطت.
(٢) **أقصد**: أسدُّ وأصح.
(٣) **الكنَف**: الجانب.

لأن مَن جعل رضاه تبعًا لرضا الناس، وعاشرهم من حيث هم: استحقَّ الكمالَ بالسؤدُد(١).

١٧٨ وأنشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

أعاشِرُ مَعْشَري في كلِّ أمرٍ بأحسنِ ما رأيتُ وما رأيتُ
وأجتنبُ المقابحَ حيث كانت وأتركُ ما هَوِيتُ وما فَرَيْتُ(٢)

قال أبو حاتم رضي الله عنه: حاجةُ المرء إلى الناس - مع محبَّتهم إياه - خيرٌ من غناه عنهم - مع بُغضهم إياه -. والسببُ الداعي إلى ضِدِّ محبَّتهم له: هو التضايقُ في الأخلاق، وسوءُ الخلق؛ لأن مَن ضاق خُلُقُه، سَئِمه أهلُه وجيرانه، واستثقله إخوانُه، فحينئذٍ تَمَنَّوُا الخلاصَ منه، ودَعَوا بالهلاك عليه.

١٧٩ سمعتُ عمرَ بنَ سعيدِ بنِ سِنانٍ الطائي يقول: سمعتُ أبا الحسين الرُّهاوي يقول:

سمعتُ يزيدَ بنَ هارون يقول:

فقَدتُ ثِقالَ الناسِ في كلِّ بلدةٍ فيا ربِّ لا تَغفِرْ لكلِّ ثقيلِ

١٨٠ أنبأنا أحمدُ بنُ محمد بن الحسن البَلْخي: حدثنا محمد بن إدريس الحافظ: حدَّثنا محمد بن عبد الله بنِ إسماعيل، قال:

سمعتُ عمرَو بن الحارث يقول: «تسخينُ العين(٣): النظرُ إلى من تكره».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الاستثقالُ من الناس يكون سببُه شيئين:

أحدهما: مقارفةُ المرءِ ما نهى اللهُ عنه من المآثم؛ لأن مَن تعدَّى

---

(١) السؤدُد: الشرف.
(٢) فَرَيتُ: اختلقت. ويقصد أنه ترك القبائح، وما تهواه نفسُه الأمَّارة، وما قد توسوسُ إليه هي والشيطان من الأكاذيب المختلقة. واللهُ أعلم.
(٣) أي: سببُ مرضها وبلائها.

حرماتِ اللهِ أبغَضَه اللهُ، ومَن أبغَضه اللهُ أبغضته الملائكة، ثم يوضعُ له البُغضُ في الأرض، فلا يكادُ يراه أحدٌ إلَّا استثقله وأبغضه.

والسبب الآخر: هو استعمالُ المرء من الخصال ما يكرهُ الناسُ منه، فإذا كان كذلك، استحقَّ الاستثقالَ منهم.

[١٨١] وأنشَدَني الكُريزي:

ليتني كنتُ ساعةً مَلَكَ المـ ـوتِ فأُفني الثِّقالَ حتى يَبيدوا
ولو أنِّي وأنتَ في جنَّةِ الخُـ ـلدِ لَقلتُ: الخروجَ منها أريدُ
لَدخولُ الجحيم أهونُ مِن جنَّـ ـةِ خُلدٍ أراك فيها تَرُودُ[١]

[١٨٢] أنبأنا عمرُ بن حفص البزَّاز بـ«جُنديسابور»: حدثنا إسحاقُ بن الضيف: حدثنا أبو مُسهِر:

حدَّثنا هشام بن يحيى قال: «كان نَقْشُ خاتم أبيك - يعني: أبا أبي مُسهر -: «أبرَمتَ فقُمْ»[٢]، قال: فكان إذا جلس الرجلُ فتثاقل[٣]، حرَّك خاتَمه، وقال: اقرأ نقشَ خاتَمي، وكان إذا قرأ قام».

[١٨٣] أنبأنا أحمدُ بن محمَّد بن الحسن: حدثنا محمدُ بن إدريس: حدثنا موسى بن إسماعيل: حدثنا موسى بن رَبَاح، قال:

سمعت مَخْلَدًا - أبا أبي عاصم - يقول: «إذا أبغضتُ الرجل أبغضتُ شِقِّي الذي يليه».

[١٨٤] سمعت محمَّدَ بن السَّرِيِّ البغدادي يقول:

سمعت أبا بكر المروَرُّوذي يقول: «سألت أحمدَ بنَ حنبل عن الثقلاء، فقال: سألتُ عنهم بِشرًا الحافي، فقال: النظرُ إليهم سُخْنَة العين. قلتُ لأحمد: مَن الثقلاء؟ قال: أهل البدع».

---

(١) ترُود: تجيء وتروح.
(٢) أي: أمْلَلْتني، فارحلْ عنِّي.
(٣) أي: أطال الجلوس.

قال أبو حاتم رضي الله عنه: هذا الذي قال أحمدُ بنُ حنبل ـ رحمةُ اللهِ عليه ـ هو استثقالُ الخاص: إذا عَرَف أحدُهم من بعض الناس ثَلْمًا[1] في السُّنة أبغضه على بدعته؛ فأمَّا العام[2]، فلا يكادون يُعادُون ويوالون إلَّا على المحبوب من الخصال، والمكروهِ من الفِعال.

١٨٥ ألَا ترى المقنَّع الكِندي حيث يقول لبعض من صحبه:

ألَا يا مَرْكبَ المقتِ الـ ... ـذي أرسَى فلا يَبْرَحْ
ويا مَن سكراتُ المو ... تِ مِن طَلْعتِهِ أَرْوَحْ[3]
لقد صُوِّرتَ في فِكري ... فلا أدري لما تصلُحْ؟
فلا تصلُحُ أن تُهجى ... ولا تصلُحُ أن تُمدَحْ
بلى؛ تصلحُ أن تُقتـ ... ـلَ أو تُصلبَ أو تُذْبحْ

١٨٦ سمعتُ أحمدَ بن محمد البَلخيَّ الذهبيَّ يقول: قال محمد بن أبي الورد:

قال يحيى بنُ ماسُويه: «النظر إلى الثقيل حُمَّى تعتري بين الجِلدَين».

١٨٧ حدثنا أحمدُ بنُ عمر بنِ يزيد يقول: سمعت سلمةَ بن شَبيبٍ يقول:

سمعت أبا أسامة يقول: «ائتوني بمُسْتَمْلٍ خفيفٍ على الفؤاد، وإيايَ والثقلاءَ، وإيايَ والثقلاء».

١٨٨ أنبأنا أحمدُ بنُ محمد بنِ الحسن: حدثنا عباسُ بن أبي طالب: حدثنا إبراهيمُ بنُ المنذر: حدثنا حمَّادُ بن زيد، عن أيوب:

عن ابنِ سيرين قال: «سمعت رجلًا من أهل البادية يقول: نظرتُ إلى ثقيلٍ مرةً، فغُشي عليَّ».

---

(١) **الثَّلْم**: الكسر. والمقصود: الطعن. (٢) **العام**: عامة الناس.
(٣) **أروح**: أعظمُ راحةً وسعادةً.

۞ [١٨٩] وأنشدَني المنتصر بن بلال:

وأنـت عـلـى مَـوَدَّتـنـا حـريـصٌ ... ولـكـن لا تَـخِـفُّ عـلـى الـفـؤادِ
وأثـقـلُ مِـن رَحَـا بَـذْرٍ عـلـيـنـا ... كـأنـك مِـن بـقـايـا قـومِ عـادِ

۞ [١٩٠] حدثنا إبراهيمُ بنُ نصر بن عنبر: حدثنا يوسفُ بن عيسى: حدثنا وكيعٌ: حدثنا أبو سهل:

عن إبراهيم بن بُكير قال: «كان أبو هريرة إذا استثقل جليسًا له قال: اللَّهُمَّ اغفر لنا وله، وأرِحْنا منه في عافية».

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل مجانبةُ الخصال التي تورِّثُه استثقالَ الناس إياه، وملازمةُ الخصال التي تؤدِّيه إلى محبَّتهم إياه.

ومن أعظم ما يُتوسَّلُ به إلى الناس، ويُستجلَبُ به محبتهم: البذلُ لهم مما يَملكُ المرءُ من حُطام هذه الدنيا، واحتمالُه عنهم ما يكون منهم من الأذى؛ فلو أن المرء صَحِبه طائفتان: إحداهما تُحبُّه، والأخرى تُبغضه، فأحسَنَ إلى التي تُبغِضُه، وأساء إلى التي تُحبُّه، ثم أصابته نكبةٌ[1] فاحتاج إليهما، لكان أسرعهما إلى خِذلانه وأبعدُهما عن نُصرته الطائفةَ التي كانت تُحبه، وأسرعهما إلى نُصرته وأبعدُهما عن خِذلانه الطائفةَ التي تُبغضه؛ لأن الكَلْبَ إذا شَبِعَ قَوِي، وإذا قَوِيَ أَمَّل، وإذا أَمَّل تَبِعَ المأمول، وإذا جاع ضعُف، وإذا ضعُف أَيِس، وإذا أَيِسَ ولَّى عن المتبوع.

فمَن عَدِم المالَ، فليبسُط وجهَه للناس؛ فإن ذلك يقومُ مقامَ بذلِ المعروف، إذ هو أحدُ طرَفَيه.

۞ [١٩١] أنبانا محمد بن المهاجر المعدَّل: حدثنا هارون بن عبد الخالق المازِني، قال:

سُئل ابنُ المبارك عن «حُسن الخلق»، فقال: «هو بَسطُ الوجه، وبذلُ المعروف».

---

(١) النكْبة: المصيبة أو المحنة.

[١٩٢] أنبأنا الحسنُ بن سفيان: حدثنا أبو عمار ـ الحسين بن حُريث ـ: حدثنا محمد بن القاسم الأَسَدي:

عن طلحة بنِ عمرو قال: «خرج غلامٌ لنا بقمامةِ الدار ـ أو بكُناسة الدار ـ عُريانٌ ـ وسعيدُ بن جبير على الباب ـ، فقال: يا خبيث، ارفعْ إزارك».

[١٩٣] أنبأنا محمد بن إبراهيم البنوري بـ«البصرة»: حدثنا إبراهيمُ بنُ بشَّارٍ الرَّمادي: حدثنا سفيانُ بنُ عيينة، عن ابن أبي نجيح:

عن مجاهدٍ قال: «إذا لَقِيَ المسلمُ أخاه فصافحه وكَشَر[1] في وجهه: تحاتَّت ذنوبه[2]، كما تحاتُّ العِذْقُ[3] من النخْلة. فقال رجلٌ لمجاهد: يا أبا الحجَّاج، إن هذا من العمل اليسير. فقال مجاهدٌ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال]؛ أفيسيرٌ هذا؟!».

---

(١) كَشَر: ضحك.

(٢) تَحاتَّت: تساقطت.

(٣) العِذْق: السَّعفة.

٩

ذِكرُ استحبابِ لزومِ المُدَاراة، وتركِ المداهنةِ مع الناس[١]

١٩٤ أنبأنا محمد بن الحسن بن قُتيبة اللَّخْمي بـ«عسقلان»، وعمرُ بن سعيد بن سِنان الطَّائي بـ«مَنبِج» قالا: حدثنا ابنُ واضح: حدَّثنا يوسفُ بنُ أسباط: حدَّثنا سفيانُ، عن محمد بن المُنكدر:

عن جابرٍ [ﷺ] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مُداراةُ الناس صدقةٌ»[٢].

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل أن يلزمَ المداراةَ مع مَن دُفع إليه في العِشرة - من غير مقارفةِ المداهنة -، إذِ المداراةُ من المداري صدقةٌ له؛ والمداهنةُ من المداهن تكونُ خطيئةً عليه.

والفصلُ بين المداراة والمداهنة: هو أن يجعلَ المرءُ وقتَه في الرياضة[٣] لإصلاحِ الوقت الذي هو به مقيمٌ بلزوم المداراة، من غير ثَلْمٍ في الدين من

---

(١) **المداهنة**: الملاينةُ والتنازلُ عن الحق اتباعًا لأهواء الخلق، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم]. وراجع معاني المداهنة في «تفسير القرطبي» رحمه الله - خاصةً -، إذ أورد لها قُرابةَ عشرة معانٍ، وما ذكرتُه أقربها للصواب، كما رجَّح العلامة الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان».

(٢) **ضعيف**: رواه المصنِّف في «الصحيح» (٤٧١)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/٣٤٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/٢٤٦)، وابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (٣)؛ وضعَّفه العلَّامة شعيب الأرنؤوط، والعلَّامة الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٥٥).

(٣) **الرياضة**: تربيةُ النفس على الأخلاق الحسنة.

جهةٍ من الجهات، فمتى ما تخلَّق المرءُ بخُلُقٍ شابَهُ بعضُ ما كَرِه اللهُ منه في تخلُّقه، فهذا هو المداهنة ـ لا المداراة ـ؛ لأن العاقل يجتنب المُداهنة؛ لأن عاقبتَها تصيرُ إلى قُلٍّ[1]، ويلازمُ المداراة؛ لأنها تدعُو إلى صلاح أحواله، ومَن لم يُدارِ الناس مَلُّوه.

١٩٥ كما أنشَدَني عليُّ بنُ محمد البسَّامي:

دارِ مِنَ الناس مُلالاتِهِم ... مَنْ لم يُدارِ الناسَ ملُّوهُ
وَمُكرِمُ الناسِ حبيبٌ لهم ... مَن أكرَمَ الناسَ أحبُّوهُ

١٩٦ أنبأنا محمد بنُ أحمدَ بن أبي عونٍ الرياني: حدثنا أحمدُ بنُ مَنيع: حدَّثنا ابنُ المبارك، عن الحسن بن عمرٍو، عن منذرٍ الثوري:

عن ابن الحنفيَّة قال: «ليس بحكيمٍ مَن لم يُعاشِرْ بالمعروف مَن لا يجدُ من معاشرته بُدًّا، حتى يأتيَه اللهُ منه بالفرج ـ أو المخرج ـ».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل أن يداريَ الناس مداراةَ الرجل السابحِ في الماء الجاري، ومَن ذهب إلى عِشرة الناس من حيثُ هو[2]، كَدَّر على نفسه عَيشَه، ولم تَصْفُ له مَودَّتُه؛ لأن وِدادَ الناس لا يُستجلبُ إلَّا بمساعدتهم على ما هم عليه، إلَّا أن يكون مأثمًا، فإذا كانت حالةُ معصيةٍ، فلا سمع ولا طاعة. والبَشَرُ قد رُكِّب فيهم أهواءُ مختلفة وطبائعُ متباينة، فكما يَشُقُّ عليك تركُ ما جُبِلتَ عليه، فكذلك يَشُقُّ على غيرك مجانبةُ مِثْلِه، فليس إلى صَفْوِ وِدادهم سبيلٌ إلَّا بمعاشرتهم من حيث هم، والإغضاءِ عن مخالفتهم في الأوقات.

١٩٧ أنشَدَني الأبرش:

وقالت ـ وهزَّت رأسَها وتضاحَكت ـ: ... على الوُدِّ نُجْفَى أم على العهدِ نُوصَلُ؟
فقلت: فلَمْ أفعلْ.. فقالت: تُريدُه ... فقلت: فلَمْ أفعل.. فقالت: ستفعلُ

---

(١) القُلُّ ـ بضم القاف ـ: النقصان.

(٢) أي: من أراد معاشرتَهم وفقًا لطبعه هو، ولم يُراعِ طبائعهم.

[١٩٨] أنبانا ابنُ قَحطبة: حدثنا أحمدُ بنُ المقدام: حدثنا حزمٌ قال: سمعت حبيبَ ابنَ الشهيد يقول:

سمعت الحسن [البصري] يقول: «يا ابن آدم، اصحَبِ الناسَ بأيِّ خُلُقٍ شئتَ، يَصحبوك عليه».

[١٩٩] وأنشَدَني الكُريزي:

تَجَنَّى عليَّ بما قد جَنَى ... ويُغْلِظُ في القول إنْ لِنتُ لهْ
ويَسبِقُ بالعَذْل لي ظالمًا ... كأنَّ الصوابَ له لا لِيَهْ
كما قال في مَثَلٍ عالمٌ: ... خُذِ اللِّصَّ بالذنبِ لا تُغْفِلَهْ

قال أبو حاتم ﷺ: مَن التمس رضا جميع الناس، التمس ما لا يُدرَكُ، ولكن يقصدُ العاقلُ رضا مَن لا يجدُ من مُعاشرته بُدًّا، وإنْ دفعه الوقتُ إلى استحسانِ أشياءَ من العادات كان يستقبحُها، واستقباحِ أشياءَ كان يستحسنها - ما لم يكن مأثمًا -؛ فإن ذلك من المداراة، وما أكثَرَ مَن دارى فلم يسلم! فكيف توجدُ السلامة لمن لا يُداري؟!.

[٢٠٠] أنشَدَني محمد بن عبد الله البغدادي:

يا ذا الذي أصبحَ لا والدٌ ... له على الأرض ولا والدةْ
قد مات مِن قبلِهما آدمٌ ... فأيُّ نفسٍ بعده خالدةْ؟
إنْ جئتَ أرضًا أهلُها كلُّهم ... عُورٌ فغمِّضْ عينَك الواحدةْ

[٢٠١] أنبانا أبو يعلى: حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء: حدثنا مَهدِيُّ بن ميمون:

حدثنا معاذُ بنُ سعدٍ الأعور قال: «كنتُ جالسًا عند عطاءِ بن أبي رَبَاح، فحدَّث رجلٌ بحديث، فعرَّض رجلٌ من القومِ في حديثه[١]، فغَضِب، وقال: ما هذه الطِّباع[٢]؟ إني لأسمعُ الحديثَ من الرجل وأنا أعلمُ به، فأُريه كأني لا أُحسِنُ منه شيئًا».

---

(١) أي: أشار إلى أنه قد سَمِع هذا الحديثَ سابقًا.
(٢) الطبع: الخلُق.

[٢٠٢] أنبأنا محمد بن المهاجر: حدثنا أحمد بن محمد الصيداوي: حدثنا حمَّاد بن إسحاق، عن المدائني، قال:

قال معاوية: «لو أن بيني وبين الناس شَعْرةً، ما انقطعت. قيل: وكيف؟ قال: لأنهم إن مَدُّوها خَلَّيتُها، وإن خَلَّوْا مددتها».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: مَن لم يُعاشِرِ الناسَ على لزوم الإغضاء عما يأتُون من المكروه، وتركِ التوقُّعِ لِمَا يأتون من المحبوب: كان إلى تكدير عيشِهِ أقربَ منه إلى صفائه، وإلى أن يدفعَه الوقتُ إلى العداوة والبغضاء أقربَ منه إلى أن ينالَ منهم الوِدادَ وتركَ الشَّحناء.

ومَن لم يُدارِ صديق السوء كما يُداري صديقَ الصِّدق: ليس بحازم.

[٢٠٣] ولقد أحسن الذي يقول:

تجنَّبْ صديقَ السُّوءِ واصْرِمْ حِبالَهُ وإنْ لم تَجِدْ عنه مَحيصًا فدارِهِ[١]

وأحبِبْ حبيبَ الصدق واحذرْ مِراءَه تَنَلْ منه صَفْوَ الوُدِّ ما لم تُمارِهِ

[٢٠٤] أنبأنا الحسنُ بن سفيان: حدَّثنا إبراهيمُ الحُوراني: حدَّثنا أبو مُسهِر: حدَّثنا سهلُ بن هاشم، عن إبراهيم بن أدهم، قال:

قال أبو الدرداء لأم الدرداء: «إذا غضبتُ فرضِّيني، وإذا غضبتِ رضَّيتُكِ، فإذا لم نكنْ هكذا، ما أسرعَ ما نفترق!».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقلُ إذا دفعه الوقت إلى صُحبةِ مَن لا يثقُ بصداقته، أو صداقةِ مَن [لا] يَثِقُ بأُخُوَّته، فرأى من أحدِهما زَلَّةً، فرَفَضَه لزلته، بقي وحيدًا لا يجدُ مَن يُعاشر، فريدًا لا يجدُ مَن يُخادِن[٢]، بل يُغضي[٣] على الأخ الصادق زلَّاتِه، ولا يناقشِ الصديقَ السيئَ على عثراته؛ لأن المناقشةَ تلزمُه في تصحيح أصلِ الوداد أكثرَ مما تلزمُه في فرعه[٤].

---

(١) اصرِمْ: اقطع. محيصًا: مفرًّا. (٢) يُخادن: يصاحب.

(٣) يُغضي: يُعرِضُ ويتغافل.

(٤) أي: لا تُعاتِبْ صديق السوء على هفوةٍ وقع فيها، إذ أولى من ذلك أن تعاتبه على =

* ومن أنواع المُداراة:

[٢٠٥] ما حدثني به الحسن بن سفيان: حدثنا عبدُ الله بن أحمدَ بن شَبُّويه: حدثنا الحسنُ بن واقع: حدثَنا ضَمْرة:

عن ابن شَوْذَب قال: «كانت لرجل جاريةٌ، فوَطِئها سرًّا، فقال لأهله: إن مريمَ[1] كانت تغتسلُ في هذه الليلة، فاغتسِلوا، فاغتسل هو، واغتسل أهلُه.

قال ابنُ شوذب: وكانت مريمُ تغتسلُ في كلِّ ليلة».

[٢٠٦] وأنشَدَني منصورُ بن محمد الكُريزي:

أُغمِّضُ عيني عن صديقي كأنني ... لديه بما يأتي من القُبحِ جاهلُ
وما بي جهلٌ غيرَ أنَّ خَليقتي ... تُطيقُ احتمالَ الكُرهِ فيما أُحاوِلُ
متى ما يَرِبْنِي مِفْصَلٌ فقطعتُهُ ... بقيت وما لي في نهوضٍ مفاصلُ
ولكنْ أُدارِيهِ فإن صحَّ سرَّني ... فإن هو أعيا كان فيه تَحامُلُ

[٢٠٧] أنبأنا محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا محمد بن الحسن الذهْلي، عن أبي السائب، قال:

قال عليٌّ: «لا تعامِلْ بالخديعة؛ فإنها خُلُق اللئام، وامْحَضْ[2] أخاك النصيحة ـ حسنةً كانت أم قبيحة ـ، وساعده على كلِّ حال، وزُلْ[3] معه حيث زال».

* * *

= عدم صدقه في محبَّته لك أصلًا.

(١) أي: أمُّ عيسى عليه السلام.
(٢) امحض: أخلِص.
(٣) زُلْ: انتقل.

١٠

ذِكرُ استحبابِ إفشاءِ السلام وإظهارِ البشرِ والتبسُّم

[٢٠٨] أنبانا محمد بن صالح الطبري: حدثنا الفضلُ بنُ سهل الأعرج: حدثنا محمدُ بنُ جعفر المدائني: حدَّثنا وَرْقاءُ، عن الأعمش، عن زيد بن وهبٍ:

عن ابن مسعود [رضي الله عنه] قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن «السلام» اسمٌ من أسماء الله[١]، وضعه اللهُ في الأرض، فأَفشُوه بينكم؛ فإن الرجلَ المُسلِمَ إذا مَرَّ بالقوم فسلَّم عليهم، فردُّوا عليه: كان له عليهم فَضْلُ درجةٍ بتذكيرِه إياهم بالسلام، فإن لم يردُّوا عليه، رَدَّ عليه مَنْ هو خيرٌ منهم وأطيب»**[٢].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل أن يلزمَ إفشاءَ السلام على العامِّ[٣]؛ لأنَّ مَن سَلَّم على عَشَرةٍ كان له عِتقُ رَقَبة[٤]، والسلامُ مما يَذهبُ

---

(١) وهذا الاسمُ المباركُ له عدَّةُ معانٍ: **الأول**: أنه ـ سبحانه ـ الذي سَلِم من أي نقصٍ أو آفةٍ تَحُلُّ به ﷻ. **والثاني**: أنه الذي سلَّم عبادَه من شرور الدنيا والآخرة. **والثالث**: أنه الذي يُسلِّمُ على عباده في جنة النعيم؛ أي: «ذو السلام». **والرابع**: الذي سَلِم الخلْقُ من ظُلمه. انظر: «النهج الأسمى في شرح أسماء اللهِ الحسنى»، للشيخ محمود النجدي (١/ ١١٥).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٨٢)، والبزار (١٧٧١)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٦٢): «رواه البزار ـ بإسنادين ـ، والطبراني بأسانيد، وأحدهما رجاله **رجال الصحيح** عند البزار والطبراني»، **وصحَّحه العلَّامة الألباني في «الصحيحة»** (١٨٩٤).

(٣) أي: على الخلق عامةً ـ مَن يعرفُهم ومَن لا يعرفهم ـ.

(٤) أي: كأنه أعتق عشرَ رِقابٍ من الرِّق. وانظر: «كنز العمال» (٩/ ٢٢٧).

إفشاؤه بالمكتنِّ من الشحناء[١]، وما في الخَلَدِ من البغضاء[٢]، ويَقطعُ الهجران، ويُصافي الإخوان.

* والبادئُ بالسلام بين حسنتين:

إحداهما: تفضيلُ اللهِ ﷻ إياه على المسلَّم عليهم بفضل درجةٍ ـ لتذكيره إياهم بالسلام ـ.

[الثانية]: وبين رَدِّ الملائكة عليهم ـ عند غَفلتهم عن الرد ـ.

٢٠٩ ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري: حدثنا الغلَّابي: حدَّثنا شُعيبُ بن واقدٍ: حدثنا جرير، قال:

قال زُبيدٌ اليامي: «إن أجودَ الناس: مَن أعطى مالًا لا يريد جزاءَه، وإنَّ أحسنَ الناس عفوًا: مَن عفا بعد قُدرةٍ، وإن أفضلَ الناس: مَن وصل مَن قطعه، وإن أبخل الناس: مَن بَخِلَ بالسلام».

٢١٠ أخبرنا أبو خليفة: حدثنا محمد بن كثير: أنبأنا سفيانُ، عن أبي إسحاق، عن صِلَةَ بنِ زُفر العَبْسيِّ، قال:

حدثنا عمارُ بنُ ياسرٍ قال: «ثلاثٌ من جَمَعَهنَّ جَمَع الإيمان: الإنفاقُ من الإقتار[٣]، والإنصافُ من نفسك، وبذلُ السلام للعالَم».

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على المسلم ـ إذا لَقِيَ أخاه المسلمَ ـ أن يُسلِّمَ عليه متبسمًا إليه، فإنَّ من فعل ذلك تحاتُّ[٤] عنهما خطاياهما كما تحاتُّ وَرَقُ الشجر في الشتاء إذا يَبِسَ، وقد استحقَّ المحبَّةَ مِن الناس مَن أعطاهم بِشْرَ وجهه.

٢١١ ولقد أخبرني محمدُ بن المهاجر المعدَّل: حدثنا إبراهيمُ بن عبد السلام العنبري: حدثنا إبراهيم بن سعيدٍ الجوهري: حدثنا إسماعيلُ بن حمَّاد:

---

(١) المُكتنُّ: الخَفِيُّ. الشحناء: العداوة.
(٢) الخلَد ـ بفتح الخاء واللام ـ: النفس. (٣) الإقتار: قلَّةُ المال.
(٤) تَحاتُّ: تساقطت.

عن سُعيرِ بن الخِمْس[1] قال: «قيل له: ما أبشَّك! قال: إنه يقوم عليَّ برَخيصٍ».

[٢١٢] وانشَدَني الأبرش:

أخو البِشرِ محبوبٌ على حُسنِ بِشرِهِ ... ولن يَعدِمَ البغضاء مَن كان عابسًا
ويُسرِعُ بُخلُ المرء في هَتك عِرْضِهِ ... ولم أرَ مِثلَ الجودِ للمرء حارسًا

قال أبو حاتم [رضي الله عنه]: البشاشةُ إدامُ العلماء[2]، وسَجِيَّةُ الحكماء[3]؛ لأن البِشرَ يُطفئُ نارَ المعاندة، ويُحرِقُ هيجانَ المباغضة، وفيه تحصينٌ من الباغي، ومَنْجاةٌ من الساعي، ومن بَشَّ للناس وجهًا، لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يَملك.

[٢١٣] اخبرنا محمَّد بن سعيد القزَّاز: حدَّثنا إبراهيمُ بن محمَّد العبَّادي: حدَّثنا سُويدٌ، عن عليِّ بنِ مُسْهِرٍ:

عن هشامِ بن عروةَ، عن أبيه قال: «أُخبِرتُ أنه مكتوبٌ في الحكمة: يا بُنيَّ، لِيَكُنْ وجهك بَسْطًا، ولْتَكُنْ كلمتُك طيِّبةً: تكنْ أحبَّ إلى الناس من أن تعطيَهم العطاء».

[٢١٤] وانشَدَني الخلَّادي: أنشدنا أحمدُ بن بكر بن خالد اليزيدي:

لسعيد بن عُبيدٍ الطائي:

الْقَ بالبِشرِ مَن لَقِيتَ منَ النـ ... ـاس جميعًا ولاقِهِمْ بالطَّلاقةْ
تَجْنِ منهم جَنَى ثمارٍ فخُذْها ... طيِّبًا طَعمُه لذيذَ المذاقَةْ

[٢١٥] أخبرنا محمد بن صالح الطبري: حدثنا محمد بن حميد: حدثنا حَكَّامُ بن سَلْم:

عن سعيد بن عبد الرَّحمٰن الزَّبيدي قال: «يُعجِبُني منَ القُرَّاءِ كلُّ سَهلٍ طَلْقٍ مِضحاك، فأمَّا مَن تلقاه ببِشرٍ ويلقاك بعُبوسٍ - يَمُنُّ

---

(١) في المطبوع: «سعيد بن الحمس»، والتصويب من «تهذيب الكمال» (٢/ ٢٥٥).
(٢) الإدام: ما يؤكل بالخبز من الطعام - كاللحم -.
(٣) السَّجية: الطبيعة.

عليك بعِلمه ـ، فلا أكثَرَ اللهُ في القرَّاء ضربَ هذا».

قال أبو حاتم ﷺ: لا يجبُ على العاقل إذا رُزق السلوكَ في ميدان طاعةٍ من الطاعات ـ إذا رأى من قَصَّر في سلوك قَصْده ـ أن يُعبِّسَ عليه بعمله وجهَه، بل يُظهرُ البِشرَ والبشاشةَ له؛ فلعلَّه في سابق علمِ اللهِ أن يرجعَ إلى صحَّةِ الأوبة[1] إلى قصده، مع ما يجبُ عليه من الحمد للهِ والشكرِ له على ما وفَّقه لخدمته[2]، وحَرَم غيرَه مثله.

٢١٦ أخبرنا محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: أخبرني محمد بن موسى السَّمَري:

أن حمَّادَ بنَ إسحاق أنشدهم:

فتًى مثلُ صَفوِ الماء، أمَّا لقاؤُهُ ... فبِشرٌ، وأمَّا وَعْدُهُ فجميلُ
يسرُّك مُفْتَرًّا ويُشرِقُ وجهُهُ ... إذا اعتلَّ مذمومُ الفعالِ بخيلُ
عَيِيٌّ عن الفحشاء، أما لسانُه ... فعَفٌّ، وأما طَرفُه فكليلُ[3]

٢١٧ وأنشَدَني منصور بن محمد الكريزي:

لن تَستَتِمَّ جميلًا أنت فاعلُهُ ... إلَّا وأنت طليقُ الوجهِ بُهلولُ[4]
ما أوسطَ الخيرَ فابسُطْ راحتيكَ به ... وكُنْ كأنك دون الشَّرِّ مغلولُ

٢١٨ أنبأنا محمَّدُ بن المهاجر المعدَّل: حدثنا الدارمي ـ موسى بن إسماعيل ـ: حدثنا أبو عوانة، عن إسماعيل بن سالم:

عن حبيب بن أبي ثابت قال: «مِن حُسن خُلُقِ الرجل أن يحدِّثَ صاحبَه وهو يتبسَّم».

وباللهِ التوفيق.

---

(١) **الأوبة**: الرَّجْعة.

(٢) **الخدمة**: طاعةُ اللهِ تعالى، وهذا وصفٌ لم يأتِ به كتابٌ ولا سُنة، وقد كثُر جدًّا لدى المتصوفة، والصحيحُ منع استعماله؛ لأنه يُوحي بحاجةِ المخدوم إلى خادمه، وقد عُلم أن اللهَ سبحانه غنيٌّ عن العالمين. واللهُ أعلم.

(٣) **الكليل**: المتعَب. والمراد هنا: الإعراضُ عن النظر إلى ما لا يَحِل.

(٤) **البهلول**: المتلألئ بالسعادة والبشر.

١١

ذِكرُ ما أُبيح منَ المُزاح للمرءِ، وما كُره له منه

[٢١٩] أنبأنا أحمدُ بن عليِّ بن المثنَّى: حدثنا هُدبةُ بن خالد: حدثنا همَّامُ بنُ يحيى: حدَّثنا قتادة:

عن أنسٍ [رضي الله عنه] أن النبيَّ ﷺ كان له خادِمٌ ـ يقال له: «أنجَشَة» ـ، وكان حَسَنَ الصوت، فقال النبي ﷺ: **«يا أنجشةُ، لا تكسِرِ القواريرَ»**(١).

قال قتادة: «يعني: ضَعَفَةَ النساء».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل أن يستميلَ قلوبَ الناس إليه بالمزاح، وترك التعبُّس.

*** والمزاح على ضربين: فمُزاحٌ محمود، ومُزاحٌ مذموم:**

فأما المزاح المحمود: فهو الذي لا يَشُوبه ما كَرِه اللهُ عز وجل، ولا يكونُ بإثمٍ ولا قطيعةِ رحم.

وأمَّا المزاح المذموم: فالذي يُثيرُ العداوة، ويُذهِبُ البهاء، ويقطعُ الصداقة، ويُجرِّئُ الدنيءَ عليه، ويَحقِدُ الشريفُ به.

[٢٢٠] أخبرنا محمد بن المنذر: حدثنا إبراهيم بن محمَّد الرَّقِّي: حدثنا أبو موسى الأنصاري: حدثنا بكرُ بنُ سُليم، قال:

سمعت ربيعةَ يقول: «إياكم والمزاحَ؛ فإنه يُفسِدُ المودَّة، ويُغِلُّ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٥٢)، والبخاري (٥٨٠٩)، ومسلم (٢٣٢٣)، وابن حِبَّان في «صحيحه» (٥٨٠١).

الصدر[١]».

﴿٢٢١﴾ أنبانا محمد بن سعيد القزَّاز: حدثنا الفيض بن الخضر التميمي:

حدَّثنا عبد الله بنُ خُبيق قال: «كان يقال: لا تُمازِح الشريفَ فيَحقِدَ عليك، ولا تُمازحِ الوضيعَ فيجترئَ عليك».

﴿٢٢٢﴾ وأنشَدَني محمَّدُ بن عبد الله الأنصاريُّ:

أكرِمْ جليسَك لا تُمازِحْ بالأذى ... إنَّ المُزاحَ تُرَى به الأضغانُ
كم مِن مُزاحٍ جَذَّ حَبْلَ قرينِهِ ... فتجذَّمت من أجله الأقرانُ[٢]!

قال أبو حاتم رحمه الله: المزاحُ في غير طاعة اللهِ مَسْلَبةٌ للبهاء، مَقْطَعَةٌ للصداقة، يورِّثُ الضِّغن، ويُنبِتُ الغِلَّ.

وإنما سُمِّي المزاحُ «مُزاحًا» لأنه زاحَ عن الحق، وكم من افتراقٍ بين أخوين وهجرانٍ بين متآلِفين كان أولُ ذلك المزاحَ.

﴿٢٢٣﴾ أنبانا محمد بن أحمدَ بن الحسين القُرشي: حدَّثنا الأسود بن عامر، عن أبي إسرائيل:

عن الحكم قال: «كان يقال: لا تُمارِ صديقك، ولا تُمازِحْه؛ فإن مجاهدًا كان له صديقٌ، فمازحه، فأعرض كلُّ واحدٍ منهما عن صاحبه، فما زاده على السلام حتى مات».

قال أبو حاتم رحمه الله: وإن من المزاح ما يكونُ سببًا لتهييج المراء، والواجبُ على العاقلِ اجتنابُه؛ لأن المراءَ مذمومٌ في الأحوال كلِّها، ولا يخلو المُماري من أن يفُوتَه أحدُ رجُلين في المراء: إما رجلٌ هو أعلمُ منه، فكيف يُجادلُ مَن هو دونَه في العلم؟ أو يكونُ ذلك أعلمَ منه، فكيف يُماري من هو أعلمُ منه؟.

---

(١) يُغِلُّ: يضيقه، ويجلب له الحقد والضغينة.
(٢) جذَّ: قَطع. تَجذَّمت: تقطعت.

[٢٢٤] ولقد سمعتُ حفصَ بن عمرَ البزَّار يقول: سمعتُ إسحاقَ بن الضيف يقول: سمعت جعفرَ بن عونٍ يقول:

سمعتُ مِسعَرَ بنَ كِدامٍ يقول لابنه كِدام:

إنِّي نَحَلْتُك يا كدامُ نصيحتي فاسمَعْ مقالَ أبٍ عليكَ شفيقِ[١]
أمَّا المُزاحةُ والمراءُ فدَعْهما خُلُقانِ لا أرضاهُما لصديقِ
إنِّي بَلَوتُهما فلم أحْمَدْهما لمجاورٍ جارًا ولا لرفيقِ[٢]
والجهلُ يُزْرِي بالفتى في قومِه وعروقُه في الناس أيُّ عروقِ

قال أبو حاتم رضي الله عنه: المِراءُ أخو الشَّنآن[٣]، كما أن المناقشة أختُ العداوة[٤]، والمراءُ قليلٌ نفعُه كثيرٌ شرُّه، ومنه يكون السِّباب، ومن السبابِ يكون القتال، ومن القتال يكون هِراقةُ الدم[٥]؛ وما مارى أحدٌ أحدًا إلَّا وقد غيَّر المراءُ قلبَيهما.

[٢٢٥] وقد أحسن الذي يقول:

وإياك من حُلوِ المُزاحِ ومُرِّهِ ومِنْ أن يراك الناسُ فيه مماريَا
وإنَّ مِراءَ المرء يُخلِقُ وَجهَهُ وإنَّ مُزاحَ المرء يُبدي التشانيَا[٦]
دعاه مزاحٌ أو مِراءٌ إلى التي بها صار مَقْلِيَّ الإخاءِ وقاليَا[٧]

[٢٢٦] أخبرني محمد بن المنذر: حدَّثني كثير بن عبد الله التميمي: حدثني إسماعيلُ بنُ محمد الطلحي:

حدثنا أبو الأخفش الكِناني أنه قال لابنٍ له:

أبُنيَّ لا تَكُ ـ ما حَيِيتَ ـ مماريًا ودعِ السفاهةَ إنها لا تنفعُ

---

(١) **نحلتُك**: وهبتُك وأعطيتك.
(٢) **بلوتهما**: اختبرتهما.
(٣) **الشنآن**: الكراهية.
(٤) يقصد المجادلةَ الخارجةَ عن حدود الشرع والأدب.
(٥) **الهراقة**: الإراقة والإسالة.
(٦) **يُخلِقُ**: يُذهب البَهاء. **التشانيا**: الكراهية.
(٧) **القِلى**: الكراهية. **فالمَقلِيُّ**: المكروه. **والقالي**: الكاره.

لا تَحمِلَنَّ ضغينةً لقرابةٍ إن الضغينةَ للقرابةِ تقطعُ
لا تَحسَبَنَّ الحِلمَ منك مَذِلَّةً إن الحليمَ هو الأعَزُّ الأمنعُ

٢٢٧ أخبرنا محمد بنُ إبراهيم الخالدي الهروي: حدَّثنا العباسُ بن الوليد بن مَزْيَد قال: سمعتُ أبي، عن الأوزاعي:

قال بلالُ بنُ سعدٍ: «إذا رأيتَ الرجلَ لجوجًا[1] مماريًا مُعجَبًا برأيه، فقد تمَّت خسارتُه».

قال أبو حاتم ﷺ: المزاحُ إذا كان فيه إثمٌ، فهو يُسَوِّدُ الوجه، ويُدمي القلبَ، ويورِّثُ البغضاء، ويُحيي الضغينة، وإذا كان من غير معصيةٍ يُسَلِّي الهمَّ، ويُوقِعُ الخُلَّة، ويُحيي النفوس، ويُذهِبُ الحِشْمَة، فالواجبُ على العاقل أن يستعملَ من المزاح ما يُنسَبُ بفعله إلى الحلاوة، ولا يَنوي به أذَى أحدٍ، ولا سرورَ أحدٍ بمَساءةِ أحد.

٢٢٨ أخبرنا عبدُ الله بن محمد بن هاجك ـ عابدٌ كان بـ«هَراة» ـ: حدثنا أحمدُ بن عبد الله بن حكيم الفرياناني ـ قرية من قرى «مَرْو» ـ: حدثنا سهلُ بنُ يحيى، عن أبيه، عن الأعمش:

عن إبراهيم قال: «لا يُمازحُك إلَّا مَن يُحبُّك».

٢٢٩ أخبرنا محمد بن سعيد القزَّاز: حدثنا إبراهيمُ بنُ الجُنيد: حدَّثنا الصَّلْتُ بن مسعود: حدثني ابنُ عيينة قال: أظنُّني سمعته من داودَ بنِ شابور:

عن محمد بنِ المُنكدِر قال: «قالت لي أمي ـ وأنا غلام ـ: لا تُمازِحِ الغلمان، فتهونَ عليهم، أو يَجترِئُوا عليك».

٢٣٠ حدثنا عمرٌو: حدَّثنا الغَلَّابي: حدَّثنا ابنُ عائشة: حدَّثنا نُويدُ بنُ مجاشع، عن غالبٍ القطَّان، عن مالكِ بن دينار، قال:

---

(١) **اللجوج**: كثير اللغط والجدال.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «مَن كثُر ضحكُه قَلَّت هَيْبتُه، ومَن مَزح استُخِفَّ به، ومَن أكثر من شيءٍ عُرف به».

۞ [٢٣١] أنبأنا الحسنُ بنُ سفيان: حدثنا أبو الدرْداء: حدثنا أبو إسحاق الطالْقاني، عن مُبَشِّر بنِ إسماعيل:

عن راشدِ بن أبي قَبال قال: «استسقى سعيدُ بن جبير[١]، فأتيته بسَوِيقٍ محلًّى، فقال: يا راشد، شَكرَ ازدسْت شيرين[٢]».

قال أبو حاتم ﷺ: مَن مازح رجلًا من غير جِنسه[٣]، هان عليه واجترأ عليه ـ وإنْ كان المزاحُ حَقًّا ـ؛ لأن كلَّ شيءٍ لا يجبُ أن يُسلَكَ به غيرُ مَسْلَكِه، ولا يَظهرَ إلّا عند أهله.

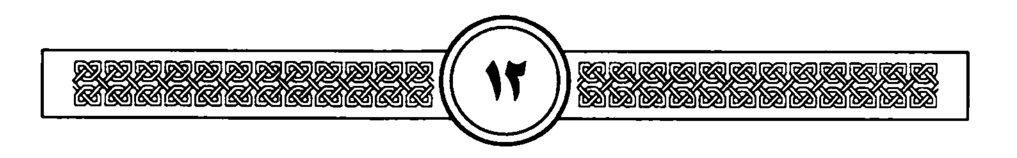
على أني أكرهُ استعمالَ المزاحِ بحضرة العوام، كما أكرهُ تركَه عند حضور الأشكال[٤].

۞ [٢٣٢] ولقد أخبرنا كاملُ بن مكرَّم: حدثنا ربيعةُ بن الحارث الجُبلاني: حدَّثنا عبدُ الله بن عبد الجبار الخبايري، قال:

قال أبو عبد الرَّحمٰن ـ الأعرج ـ: «كان إبراهيمُ بن أدهم يحدِّثُنا ويُضاحكُنا، وإذا رأى غيرَنا قال: هذا جاسوس».

---

(١) **استسقى**: طلب شرابًا.
(٢) الظاهر أنها كلمةُ شكرٍ بالفارسية؛ قالها على سبيل المزاح، واللهُ أعلم.
(٣) أي: إذا لم يكن مثله في المكانة والمنزلة.
(٤) **الأشكال**: الأصحاب المقاربين لك في المنزلة.



ذِكرُ استحبابِ الاعتزالِ من الناس عامًّا

[٢٣٣] أنبأنا عبُد الله بن محمَّد بن سَلْم بـ«بيت المقدس»: حدثنا عبد الرَّحمٰن بنُ إبراهيم: حدثنا الوليد: حدثنا الأوزاعي، عن الزهري، عن عطاءِ بن يزيدَ الليثي:

عن أبي سعيدِ الخُدْري [رضي الله عنه] قال: قيل: يا رسولَ الله، أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**رجلٌ في شِعْبٍ من الشِّعاب**[١]**، يتَّقِي اللهَ، ويَدَعُ الناسَ من شَرِّه**»[٢].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل لزومُ الاعتزال عن الناس عامًّا، مع توقِّي مخالطتهم؛ إذ الاعتزالُ من الناس لو لم يكن فيه خَصْلةٌ تُحمد إلَّا السلامةُ من مقارفة المأثم، لكان حقيقًا بالمرء ألَّا يُكَدِّرَ وجودَ السلامة بلزوم السبب المؤدي إلى المناقشة[٣].

[٢٣٤] ولقد أخبرني الحسنُ بن سفيان: حدثنا حِبَّانُ بن موسى: أنبأنا عبدُ الله: أخبرنا شعبةُ، عن خبيب بن عبد الرَّحمٰن، عن حَفْصِ بن عاصم:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «خذوا بحظِّكم من العُزلة».

[٢٣٥] أنبأنا عمر بن سعيد بن سِنانٍ الطائيُّ: حدَّثنا حامدُ بنُ يحيى البَلْخي، قال:

---

(١) **الشِّعب** ـ بكسر الشين ـ: الطريق بين الجبلين. والمراد: الأماكن الخالية.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٦)، والبخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨)، والترمذي (١٦٦٠)، والنسائي (٣١٠٥)، وابن ماجه (٣٩٧٨).

(٣) أي: العاقل لا يُضحِّي بسلامة نفسه بالدخول في السبب المؤدِّي إلى الجدال والمشاحنات، وهذا السبب هو مخالطةُ الخلق.

سمعت سفيانَ بنَ عيينة يقول: «رأيتُ الثوريَّ في المنام، فقلتُ له: أوصني. فقال: أقِلَّ معرفةَ الناس، أقِلَّ معرفة الناس، أقِلَّ معرفةَ الناس».

[٢٣٦] أنبانا القطَّان بـ«الرَّقَّة»: حدثنا المروَرُّوذي، قال:

سمعت أحمدَ بنَ حنبل يقول: «رأيتُ ابنَ السماك يكتبُ إلى أخٍ له: إنِ استطعتَ ألَّا تكون لغيرِ اللهِ عبدًا ـ ما وجدتَ من العبودية بُدًّا ـ، فافعل»[١].

قال أبو حاتم ﷺ: العاقلُ لا يَستعبدُ نفسَه لأمثالِه ـ بالقيام في رعاية حقوقهم، والتصبُّرِ على ورودِ الأذى منهم ـ ما وَجد إلى تركِ الدخول فيه سبيلًا؛ لأنه إذا حَسَم عن نفسه تَرْكَ الاختلاط بالعالَمِ والمخالطةِ بهم: تمكَّن من صفاء القلب، وعدم تكدُّر الأوقات في الطاعات.

ولقد استعمل العُزْلةَ جماعةٌ من المتقدِّمين مع العامِّ والخاص معًا.

[٢٣٧] كما أخبرنا محمَّدُ بن إبراهيم الخالدي: حدثنا داودُ بنُ أحمدَ بنِ سليمان الدِّمياطي: حدثنا عبد الرَّحمٰن بنُ عفَّان، قال:

سمعتُ ابنَ المبارك يقول: «عادَ فُضيلٌ داودَ الطائي، فأغلق داودُ الباب، وجلس فضيلٌ خارجَ البيت يبكي، وداودُ داخل البيت يبكي».

[٢٣٨] أنبانا الحسينُ بن محمَّد السنجي: حدثنا عليُّ بن المنذر: حدثنا الحسنُ بن مالك، قال:

سمعت بكرَ بن محمدٍ العابدَ يقول: «قال لي داودُ الطائي: يا بكر، استوحِشْ من الناس كما تستوحشُ من السَّبُع».

[٢٣٩] أنبانا محمد بن أحمد بنِ الفرج البغدادي بـ«الأُبُلَّة»: حدثنا إبراهيمُ بن حمَّادِ بنِ زياد:

---

(١) الكلامُ القادم للإمام ابن حبَّان سيشرح هذه الكلمة.

حدثنا عبدُ العزيز بن الخطاب قال: «رُؤي إلى جنبِ مالك بن دينار كلبٌ عظيمٌ ضخمٌ أسودُ رابضٌ[١]، فقيل له: يا أبا يحيى، ألَا ترى هذا الكلبَ إلى جنبك؟! قال: هذا خيرٌ من جليس السوء».

قال أبو حاتم ﷺ: هذا الذي ذهب إليه داودُ الطائي وضُرَباؤه من القرَّاء من لزوم الاعتزال من الخاص - كما يلزمُهم ذلك من العام - أرادوا بذلك عند رياضةِ الأنفس على التصبُّر على الوحدة، وإيثارَ ضِدِّ الخِلطةِ على المعاشرة؛ فإن المرء متى ما لم يأخذْ نفسَه بترك ما أُبيح له، فإنا خائفٌ عليه الوقوعَ فيما حُظر عليه.

*** وأمَّا السببُ الذي يوجبُ الاعتزالَ عن العالم كافة:**

فهو ما عرَّفتُهم به من وجودِ دَفنِ الخير ونَشْرِ الشر؛ يدفنون الحسنة، ويُظهرون السيئة، فإن كان المرءُ عالِمًا بَدَّعوه، وإن كان جاهلًا عَيَّروه، وإن كان فوقَهم حسدوه، وإن كان دونهم حَقَرُوه، وإن نطق قالوا: «مِهذار»، وإن سكت قالوا: «عَيِيٌّ»، وإن قَدَر[٢] قالوا: «مُقَتِّر»، وإن سَمَح[٣] قالوا: «مبذِّر»!

فالنادمُ في العواقب، المحطوطُ عن المراتب: مَن اغترَّ بقومٍ هذا نَعْتُهم، وغرَّه ناسٌ هذه صفتُهم.

[٢٤٠] ولقد انبانا محمدُ بنُ المهاجر المعدَّل: أخبرني احمدُ بنُ محمد بن بكر الأَبْناوي، عن داودَ بنِ رُشيد، قال:

حدثني إبراهيمُ بن شمَّاس، قال: «قال لي الأكَّافُ - حفصُ بنُ حُميد - صاحبُ ابنِ المبارك بـ«مَرْو»: يا إبراهيمُ صحبتُ الناسَ خمسينَ سنةً، فلم أجِدْ أحدًا ستر لي عورة، ولا وَصَلني إذا قطعتُه، ولا أَمِنتُه إذا غضب، فالاشتغالُ بهؤلاء حُمقٌ كبير».

---

(١) رابض: جالس.
(٢) قَدَر: ضيَّق على نفسه.
(٣) سَمَح: بذل مالًا كثيرًا.

٢٤١ وأنشَدَني محمد بن المهاجر المعدَّل لعليٍّ بن حُجرٍ السَّعدي:

زمانُك ذا زمانُ دخولِ بيتٍ وحفظٍ للِّسانِ وخفضِ صوتِ
لقد مَرِجَتْ عهودُ الناس إلَّا أقلَّهم فبادِرْ قبلَ فَوْتِ(١)
فما يبقى على الأيامِ شيءٌ وما خُلِق امرؤٌ إلَّا لموتِ

٢٤٢ أخبرنا يعقوبُ بن إسحاق القاضي: حدثنا ابن يحيى قال: وفيما قرأت على نافع، عن مالك بن أنس ﷺ: أنه بلغه:

عن أبي ذرٍّ قال: «كان الناسُ وَرَقًا لا شوك فيه، فهم اليومَ شَوْكٌ لا وَرَق فيه».

٢٤٣ أنبأنا محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا جُنيدُ بن حكيم الدقَّاق: حدَّثنا سليمانُ بن أبي شيخ، قال:

كان القَحْذَميُّ يُنشدُ كثيرًا:

ذَهَبَ الحُسنُ والجمالُ من النـ ـاس ومات الذين كانوا مِلاحَا
وبَقي الأسمجونَ من كلِّ صِنفٍ إنَّ في الموتِ من أولئك راحَا(٢)

قال أبو حاتم ﷺ: العاقلُ يعلمُ أن البَشَر مجبولون على أخلاقٍ متباينة، وشِيَمٍ مختلفة، فكلُّ واحد يُحبُّ اتِّباعَ مساعدته، وتركَ مباعدته، فمتى رام مِن أخيه ضِدَّ ما وطَّن نفسه عليه قَلَاه، وإذا تبيَّن له منه خلافُ ما أضمر عليه قلبَه مَلَّه، ومِن المُلال يكون الاستثقالُ، ومن الاستثقال يكونُ البُغض، ومن البُغض تَهيجُ العداوة، فالاشتغالُ بمن هذا نعتُه للعاقل حُمْقٌ.

٢٤٤ ولقد أحسن النَّبَاجي حيث يقول:

ارفض الناس فكلٌّ مشغَلة قد بَخِلَ الناسُ بمِثلِ الخردلةْ
لا تسألِ الناسَ وسَلْ مَن أنت لهْ

---

(١) مَرِجت: اختلطت وأفسدت.

(٢) الأسمجون: أهل السخافة والقباحة.

[٢٤٥] وأنشَدَني ابنُ أبي عليٍّ قال: أنشَدَني محمد بنُ أبي يعقوب العبدي:

إذا قلتُ: هذا صاحبٌ قد رَضِيتُهُ وقَرَّت به عينايَ، بَدَّلتُ آخَرَا

وذلك أنّي لا أُصاحبُ صاحبًا من الناس إلَّا خانني وتغيَّرَا

[٢٤٦] أخبرنا عبدُ الله بن محمَّد بن سَلْم: حدثنا أحمدُ بن أبي الحَوَاري: حدثنا أبو مُسهِر، عن سعيدِ بن عبد العزيز، قال:

قال مكحولٌ: «إن كان في مخالطة الناس خيرٌ، فالعزلةُ أسلم».

[٢٤٧] أنبأنا عليُّ بن سعيدٍ العسكري: حدثنا شُعيب بن يحيى: حدثنا أحمدُ النسائي: حدثنا يحيى بنُ عبد الأعلى:

أن مالكَ بنَ دينار كان يقول: «مَن لم يأنس بحديثِ اللهِ عن حديث المخلوقين، فقد قَلَّ عِلمُه، وعَمِيَ قلبُه، وضيَّع عُمرَه».

[٢٤٨] أنبأنا القطَّان: حدثنا أحمدُ بن أبي الحواري: حدثنا محمد بن رَوحٍ، قال:

سمعتُ إبراهيمَ البخاريَّ يقول: «دخلتُ المسجدَ الحرام بعد المغرب، فإذا فُضَيلٌ جالس، فجئتُ، فجلستُ إليه، فقال: مَن هذا؟ فقلت: إبراهيم. قال: ما جاء بك؟ قلتُ: رأيتُك وحدك، فجلستُ إليك، قال: تحبُّ أن تغتاب، أو تتزيَّن، أو ترائي؟ قلت: لا، قال: قمْ عنِّي».

١٣

ذِكرُ استحبابِ المؤاخاةِ للمرء مع الخاصِّ

٢٤٩ انبأنا أحمدُ بنُ عليِّ بنِ المثنَّى بـ«الموصل»: حدَّثنا قَطَنُ بنُ نُسير: حدَّثنا جعفرُ بن سليمان: حدثنا ثابت:

عن أنس [ﷺ] قال: «آخَى رسولُ الله ﷺ بين سلمانَ وأبي الدرداء، وآخى بين عَوفِ بن مالكٍ وبين الصَّعْبِ بن جَثَّامة»[١].

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل ألَّا يَغفُلَ عن مؤاخاة الإخوان، وإعدادِه إياهم للنوائب والحَدَثان[٢]؛ لأنَّ مَن تَعزَّى عن موضع سَلْوته بأخيه عند الهموم والغموم، كان عقلُه إلى التقديح أقرب، ومن النماء أنقص[٣].

٢٥٠ ولقد أنبأنا محمد بنُ المنذر: حدثنا الفضلُ بن عبد الصمد الأصبهاني: حدثنا يزيدُ بن خالد الرَّمْلي: حدثنا سُهيلٌ أبو عمرو، قال:

---

(١) **المؤاخاةُ بين سلمان وأبي الدرداء** ﷺ ثابتة في «صحيح البخاري» (١٩٦٨)، و«سنن الترمذي» (٢٤١٣)، و«صحيح ابن حِبَّان» (٣٢٠). **أما المؤاخاة بين عوف والصعب** ﷺ، فقد رواه ابن عساكر في «التاريخ» (٤٧/ ٤٨)، ورواه البخاري في «التاريخ الصغير» (١/ ٣٩)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣٤١) ـ من طريق شهر بن حوشب عن ثابتٍ البُناني ـ مرسلًا. وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٣/ ٤٢٦): «أخرج أبو بكر بن لال في كتاب «المتحابين» ـ من طريق جعفر بن سليمان ـ عن ثابتٍ قال: آخى رسولُ اللهِ ﷺ بين عوف بن مالك والصعب بن جثَّامة، فقال كلٌّ منهما للآخر: إن مِتَّ قبلي فتَراءَ لي (أي: قابلني في المنام). فمات الصعبُ قبل عوف...» الحديث.

(٢) **الحدثان**: حوادث الدهر.

(٣) المقصود: أن من فرَّط في الاستعانةِ بالإخوان عند حُلول نوائب الدهر، أدَّى ذلك به إلى فسادِ عقلِه ونقصانه، والله أعلم.

قال محمدٌ بن واسع: «لم يَبْقَ من العيش إلَّا ثلاثٌ: الصلاةُ في الجماعة، تُرزَقُ فضلَها، وتُكفَى سَهْوَها، وكَفافٌ من معاشٍ ليست لأحدٍ من الناس عليك فيه مِنَّة، ولا للهِ عليك فيه تَبِعة[1]، وأخٌ مُحسِنُ العشرة، إذا زِغْتَ قَوَّمك[2]».

[٢٥١] أنبأنا عبدُ الرَّحمٰن بن عبد المؤمن بـ«جُرجان»: حدثنا محمد بن عبد الله العصَّار: أنبأنا عبدُ الرزَّاق:

عن ابنِ المقفَّع قال: «ثلاثٌ من اللذَّات: محادثةُ الإخوان، وأكلُ القَديد[3]، وحَكُّ الجَرَب».

[٢٥٢] أنبأنا محمد بن أبي عليٍّ: حدثنا محمدُ بن هُريم الشَّيباني، قال:

أنشَدَنا محمد بن عمران الضَّبي:

وما المرءُ إلَّا بإخوانِهِ ... كما تَقبِضُ الكفُّ بالمِعْصَم
ولا خيرَ في الكَفِّ مقطوعةً ... ولا خيرَ في الساعدِ الأجْذَمِ[4]

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل ألَّا يُعِدَّ في الأدْواء[5] إخاءَ من لم يُواسِهِ في الضَّراء، ولم يُشارِكْه في السرَّاء، ورُبَّ أخي إخاءٍ خيرٌ من أخي ولادة[6].

ومِن أتمِّ حِفاظِ الأُخُوَّة[7]: تفقُّدُ الرجلِ أمورَ من يَوَدُّه.

والوُدُّ الصحيح: هو الذي لا يَميلُ إلى نفع، ولا يُفسِدُه منع.

---

(١) **التَّبِعة**: السؤال والمحاسبة.
(٢) **زِغْت**: ابتعدتَ عن الحق. **قوَّمك**: سدَّدك وأرشدك.
(٣) **القَديد**: اللحم المملَّح المجفَّف في الشمس.
(٤) **الأجذم**: المقطوع.
(٥) **الأدواء**: الأمراض، مفردها «داء». والمراد: المحن.
(٦) أي: رُبَّ أخٍ في الله أفضل لك من أخيك لأبيك وأمك.
(٧) أي: ومن أعظم ما يحفظُ الأخوَّة.

والمودَّةُ أمنٌ، كما أن البغضاءَ خوف.

والعاقلُ لا يؤاخي إلَّا من خالفه على الهوى، وأعانه على الرأي، ووافق سرَّه علانيتُه؛ لأن خيرَ الإخوان مَنْ لم يُناقِش[١]، كما أن خيرَ الثناء ما كان على أفواه الأخيار.

والمستوخِمُ[٢] لا يُؤلَف، كما أن غيرَ الثقةِ لا يُوَدُّ، فمتى ما آخى المرءُ مَن لم يُصافِه بالوَفاء، يجبُ الاستظهارُ عليه بمَن يُسَلِّيه عنه[٣]؛ لأن التودُّدَ ممن لا يَوَدُّ يُعَدُّ مَلَقًا[٤].

*** ولا يفوتُ الإنسانَ في الأخوة أحدُ رجلين:**

- إمَّا أريبٌ[٥] قَصَّر في حقوقه، فاغتاله بمكره.
- وإمَّا جاهل لم يُصافِهِ، فيؤذيه بسُوء معاشرته.

وصيانةُ الأُخوَّة ليست إلَّا في الاستغناء عن الإخوان[٦].

[٢٥٣] ولقد أحسن العباس بن عُبيد بن يَعيش حيث يقول:

كم من أخٍ لكَ لم يَلِدْه أبُوكا ... وأخٍ أبوهُ أبوك قد يَجفُوكا
صافِ الكِرامَ إذا أردتَ إخاءَهم ... واعلَمْ بأنَّ أخا الحِفَاظِ أخوكَا
كم إخوةٍ لك لم يَلِدْك أبوهُمُ ... وكأنما آباؤُهم ولَدُوكَا
لو كنتَ تَحملُهم على مكروهةٍ ... تَخشى الحُتوفَ بها لَمَا خذلُوكَا
وأقاربَ لو أبصروك معلَّقًا ... بنِياطِ قلبك ثَمَّ ما نصَرُوكَا
الناسُ ما استغنيتَ كنتَ أخًا لهم ... وإذا افتقرتَ إليهمُ فضحوكَا

(١) المناقشة: المُحاسبةُ الدقيقةُ على كل صغيرةٍ وكبيرة.
(٢) المستوخِم: الثقيل.
(٣) أي: متى لم تجِدْ من يصدُقْ في محبَّته ووفائه لك، فابحثْ عن غيره.
(٤) أي: تحبُّبُك لمن لا يُحبُّك يُعدُّ ذلًّا وخنوعًا.
(٥) الأريبُ: العاقل الحكيم.
(٦) أي: عدم التطلُّع لأموالهم.

[٢٥٤] أخبرنا القطَّان بـ«الرَّقَّة»: حدَّثنا أحمد بنُ إسماعيل السهمِي: حدثنا عبدُ الرزَّاق:

عن مَعْمَرٍ قال: «دخلتُ على قتادة وأنا ظمآن، وفي الحُجرة حُبُّ ماءٍ[١]، فقلت: أشربُ من مائكم هذا؟ قال: أنت لنا صديق».

قال أحمد: قال عبدُ الرزاق: «يتأوَّلُ القرآن: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور: ٦١]؛ يقول: لا يستأذن».

[٢٥٥] أنبانا محمدُ بن سعيد القزَّاز: حدَّثنا عِلَّانُ بنُ المغيرة المَصْري: حدَّثنا عمرٌو الناقد: حدثنا ابنُ عيينة:

عن أيوبَ السَّختياني أنه قال: «يَزيدُني حرصًا على الحجِّ لقاءُ إخوانٍ لي، لا ألقاهم بغير الموسم».

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل أن يعلمَ أن الغرضَ من المؤاخاة ليس الاجتماعَ والمؤاكلةَ والمشاربة؛ لأن البِغَال والحميرَ تجتمعُ على المؤاكلة والمُشارَبة، والسُّرَّاقُ يُداخِلون الرجالَ على التقارُف[٢]، ولا يزدادون بذلك مودَّةً، ولكنْ من أسباب المؤاخاة التي يجبُ على المرء لزومُها: مشي القَصْد، وخَفْضُ الصوت، وقلَّةُ الإعجاب، ولزومُ التواضع، وترك الخلاف.

ولا يجبُ للمرء أن يُكثِرَ على إخوانه المؤونات فيُبرِمَهم[٣]؛ لأنَّ المرضَعَ إذا كثُر مَصُّه، ربَّما ضَجِرت أُمُّهُ فتُلقيَه.

ولا ينبغي ـ لمن قَدَر ـ أن يمنعَ أخاه شيئًا يحتاجُ إليه ليَجبُرَ به مصيبتَه، أو يُفرِّجَ به كُرْبَتَه.

والعاقلُ لا يؤاخي لئيمًا؛ لأن اللئيم كالحيَّة الصَّمَّاء[٤]، لا يوجدُ

---

(١) **الحُبُّ** ـ بضم الحاء ـ: إناءٌ واسع.

(٢) أي: «يخالطون أمثالهم على الإثم والعدوان على الناس، ولا يزداد بذلك حبُّهم لبعضهم البعض». من طبعة «المكتبة العصرية» (١٤٤).

(٣) **المؤونات**: الحاجات. يُبرمهم: يضايقهم ويضجرهم منه.

(٤) **الصماء**: التي لا تسمع، أو: شديدة السُّمِّيَّة.

عندها إلَّا اللَّذغُ والسُّم، ولا يَصِلُ اللئيمُ[1] ولا يُؤاخي إلَّا عن رغبةٍ أو رهبة.

والكريمُ يَوَدُّ الكريمَ على لَقْيَةٍ واحدة[2]، ولو لم يلتقيا بعدَها أبدًا.

[٢٥٦] حدَّثَنا البجيري ـ عمر بن محمد الهَمَداني ـ: ثنا محمد بن سَهل بن عسكر: ثنا سعيدُ بن كثير بن عُفير: ثنا الفضلُ بن المختار، عن أبي حَمزة:

عن ابن عباس [رضي الله عنهما] قال: «إن مِن أفضل الحسنات تَكرِمَةَ الجلساء».

[٢٥٧] ولقد أخبرنا محمد بن المنذر: حدثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ بنِ يونس: حدثنا إسماعيلُ بنُ محمود، عن ابن المبارك، عن سفيان:

عن يونُسَ بنِ عُبيدٍ: «أنه أُصيب بمصيبة، فقيل له: ابنُ عَوفٍ لم يأتك؟ فقال: إنا إذا وَثِقْنا بمودَّةِ أخينا، لم يَضُرَّه ألَّا يأتيَنا».

قال أبو حاتم رحمه الله: العاقل يتفقَّدُ تركَ الجفاء مع الإخوان، ويُراعي محوَها ـ إنْ بَدَتْ منه ـ، ولا يجبُ أن يستضعفَ الجَفْوَةَ اليسيرة؛ لأنَّ مَنِ استصغر الصغير يُوشِكُ أن يَجمع إليه صغيرًا، فإذا الصغيرُ كبيرٌ، بل يبلغُ مجهودَه في مَحْوِها؛ لأنه لا خيرَ في الصدق إلَّا مع الوفاء، كما لا خيرَ في الفقهِ إلَّا مع الورع، وإنَّ مِن أخرَقِ الخُرْقِ[3] التماسَ المرءِ الإخوانَ بغير وفاء، وطلبَ الأجر بالرياء، ولا شيءَ أضيَعُ من مودَّةٍ تُمنَحُ مَنْ لا وفاءَ له، وصنيعةٍ تُصطنع عند مَنْ لا يشكرها.

[٢٥٨] وأنشدَني الخلَّادي قال: أنشدني محمدُ بنُ محمد البكْري:

احْذَرْ مودَّةَ ماذِقٍ[4] ... خَلَطَ المَرَارةَ بالحلاوَةْ
يُحصي الذنوبَ عليك أيـ ... ـامَ الصداقةِ للعداوةْ

(١) أي: لا يتقرب لأحد.
(٢) أي: يُحبُّه من لقاءٍ واحد.
(٣) أي: أحمقِ الحُمق.
(٤) الماذق: الذي يَخلِطُ بين الأشياء.

[٢٥٩] وأنشَدَني محمد بن إبراهيم البصري بـ«صُور» لنفسه:

لا يَغرَّنكَ صديقٌ أبْدَا ... لكَ في المنظَر حتى تَخْبُرَهْ
كم صديقٍ كنتُ منه في عَمًى ... غَرَّني منه زمانًا مَنْظَرُهْ
كان يلقاني بوجهٍ طَلْقٍ ... وكلام كاللآلي يَنثُرُهْ
فإذا فتَّشْتُه عن غيبِهِ ... لم أجِدْ ذاك لودٍّ يُضمِرُهْ
فَدَعِ الإخوانَ إلَّا كلَّ مَن ... يُضمرُ الوُدَّ كما قد يُظهِرُهْ
فإذا فزتَ بمَن يَجمعُ ذا ... فاجْعَلَنْهُ لك ذُخْرًا تَذْخَرُهْ

[٢٦٠] أنبأنا القطَّانُ بـ«الرَّقَّة»: حدثنا هشامُ بنُ عمار: حدثنا إبراهيمُ بنُ موسى المكِّي، عن يحيى بن سعيدٍ الأنصاري:

عن سعيد بن المسيَّب قال: «وضع عمرُ بن الخطاب ﷺ للناس ثمانَ عَشْرَةَ كلمةً - كلُّها حِكَم -، قال:

١ - ما كافأتَ مَن يَعصي اللهَ فيك بمِثلِ أن تُطيعَ اللهَ فيه.

٢ - وضَعْ أمرَ أخيك على أحسنه، حتى يأتيَك منه ما يَغلِبُك.

٣ - ولا تَظُنَّنَّ بكلمةٍ خرجت من مسلمٍ شَرًّا، وأنت تجدُ لها في الخير مَحْمَلًا.

٤ - ومن تَعَرَّض للتُّهمة، فلا يلومنَّ مَن أساء به الظن.

٥ - ومن كتم سِرَّه كانت الخِيَرَةُ في يديه.

٦ - وعليك بإخوانِ الصدقِ، فعِشْ في أكنافهم، فإنهم زِينةٌ في الرخاء، وعُدَّةٌ في البلاء.

٧ - وعليك بالصِّدق - وإن قَتلَك الصدق -.

٨ - ولا تَعَرَّضْ لِمَا لا يَعنيك.

٩ - ولا تسألْ عما لم يكن، فإنَّ فيما كان شغلًا عما لم يكن.

١٠ - ولا تَطلُبَنَّ حاجتَك إلى مَن لا يُحِبُّ لك نجاحَها.

١١ ـ ولا تَصْحَبَنَّ الفاجرَ فتَعَلَّمَ فجورَه.

١٢ ـ واعتزل عدوَّك.

١٣ ـ واحْذَرْ صديقَك إلَّا الأمين.

١٤ ـ ولا أمين إلَّا مَن خَشِيَ اللهَ(١).

١٥ ـ وتخشَّعْ عند القبور.

١٦ ـ وذِلَّ عند الطاعة.

١٧ ـ واعتصِمْ عند المعصية.

١٨ ـ واستشِرْ في أمرك الذين يَخشَون اللهَ؛ فإن اللهَ يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقلُ لا يُؤاخي إلَّا ذا فضلٍ في الرأي والدِّين والعلم والأخلاق الحسنة، ذا عقلٍ، نشأ مع الصالحين؛ لأنَّ صُحبةَ بليدٍ نشأ مع العقلاء خيرٌ من صُحبةِ لبيبٍ نشأ مع الجهَّال.

ورأس المودَّةِ الاسترسال(٢)، وآفتُها المُلالة.

ومَن أضاع تعهُّدَ الوُدِّ من إخوانه، حُرم ثمرةَ إخائهم، وآيَسَ الإخوانَ من نفسه.

ومَن ترك الإخوانَ مخافةَ تعاهُدِ الود، يوشكُ أن يبقى بلا أخ، كما أن مَن ترك نزعَ الماء إشفاقًا على رِشائه(٣)، يوشِكُ أن يموت عطشًا.

والعاقلُ يستخبرُ أمورَ إخوانه قبل أن يؤاخيَهم، ومِن أصحِّ الخِبرةِ للمرء وجودُ حالته بعد هيجانِ الغضب.

---

(١) هذه الجملة يصلحُ أن تكون تتمَّةَ لِمَا قبلها، لكنني فصلتُها حتى تتمَّ الكلمات ثمان عشرة، وإلا فبدون هذا الفصل تكون الكلمات سبعَ عشرة. واللهُ تعالى أعلم.

(٢) **الاسترسال**: التعامل مع الإخوان بدون تصنُّع وتكلُّف.

(٣) **الرِّشاء** ـ بكسر الراء ـ: الحبْل الذي يُربط به الدلْو.

[٢٦١] أنبأنا عمرو بن محمد الانصاري: حدثنا الغلّابي: حدَّثنا عبدُ الله بن الضحَّاك الهدادي: حدثنا هشامُ بن محمد، عن عوانةَ بنِ الحكم، قال:

قال لقمانُ لابنه: «يا بني، إذا أردتَ أن تؤاخيَ رجلًا، فأغضِبْه قبل ذلك، فإنْ أنصفك عند غضبه، وإلّا فدَعْه».

[٢٦٢] أنبأنا محمد بن صالح الطبري: حدثنا أبو هشام الرفاعي: حدثنا داود، عن يحيى بن اليمان، عن أبيه:

عن سفيانَ قال: «اصحبْ من شئت، ثم أغضِبْه، ثم دُسَّ إليه من يسألُه عنك».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: مَن لم يُنصِفْك عند غضبه، لم تَوَدَّك أيامُه، وليس الصديقُ كالمرأة يُطلِّقُها المرءُ إذا شاء، والجاريةِ يبيعُها متى أحب، لكنه عِرضُهُ ومروءتُه؛ فالتثبُّتُ والاتِّئادُ أولى به من التهاجر والانقطاع، ومَن غاب عنه أخوه، فلا يَغِبْ عمَّا يجبُ له عليه، ولْيُكْثِرْ منهم عُدَّةً للشدائد؛ لأن الشَّعْرَ ـ مع دِقَّته ـ إذا جُمع عُمل منه الحبلُ الغليظ الذي يقهرُ الفيلَ المُغتَلِم[١].

ولا يصلحُ أن يكونَ رفيقًا مَن لم يزدرِدْ ريقًا[٢].

[٢٦٣] وأنشَدَني الخلادي قال: أنشَدَني محمد بن محمد البكري:

لصالح بن عبد القُدُّوس:

إذا كان ودُّ المرءِ ليس بزائدٍ ... على «مرحبًا» أو «كيف أنت وحالُكا»

أو القولِ «إني وامقٌ لك حافظ» ... وأفعاله تُبدي لنا غيرَ ذلكَا[٣]

ولم يكُ إلَّا كاشِرًا اوْ مُحدِّثًا ... فأُفٍّ لودٍّ ليس إلَّا كذلكَا[٤]

ولكنَّ إخاءَ المرء مَن كان دائمًا ... لذي الودِّ منه حيثما كان سالكَا

---

(١) المغتلم: الهائج الثائر.

(٢) أي: لا يصلح أن يكون صديقًا وفيًّا مَن لم يتحمل زلَّات إخوانه.

(٣) الوامق: المُحِبُّ. (٤) الكاشر: الضاحك.

[٢٦٤] أخبرنا أبو يعلى: حدثنا عليُّ بن الجعد: حدثنا سفيان الثوري:

عن شعبة قال: «خرج عبدُ الله بن مسعود على أصحابه، فقال: أنتم جِلاءُ حُزني».

[٢٦٥] أخبرني محمد بن سعيد القزَّاز: حدثنا هلالُ بن العلاء: حثنا إسحاق بن الضيف، عن شَيبةَ بن أبي مُسهِر، عن الحكم بن هشام:

قال خالدُ بن صفْوان: «لم يَبْقَ من لذَّات الدنيا إلَّا ثلاثٌ: مجالسةُ النسوان، وشَمُّ الوِلدان[١]، ولُقِيُّ الإخوان».

[٢٦٦] حدَّثنا محمد بن المنذر: حدثنا مَسعَدةُ بن حازم المصري: حدَّثنا خالي هارون بن سعيد: حدثنا خالد بن نِزار: حدثنا سفيان:

عن موسى بن عقبة قال: «إنْ كنتُ لَألْقَى الأخَ من إخواني، فأكونُ بُلقيِّه عاقلًا أيامًا».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: قد ذكرتُ ما يُشاكِلُ هذه الحكايات في كتاب «مراعاة العِشْرَة»، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب.

فالواجبُ على العاقل: أن يعلمَ أنه ليس من السرور شيءٌ يَعْدِل صحبةَ الإخوان، ولا غمٌّ يعدلُ غَمَّ فقدِهم، ثم يتوقَّى جَهدَهُ مُفاسدَةَ مَنْ صافاه، ولا يسترسلُ إليه فيما يَشينُه[٢]، وخيرُ الإخوان مَنْ إذا عَظَّمْتَه صانك، ولا يَعيبُ أخاه على الزَّلَّة، فإنه شريكه في الطبيعة - بل يَصفح -.

ويتنكَّبُ محاسدةَ الإخوان؛ لأن الحسدَ للصديق مِن سَقَم المودَّة، كما أن الجودَ بالمودَّةِ أعظمُ البذل؛ لأنه لا يَظهرُ وُدٌّ مستقيم من قلبٍ سقيم.

ولْيحذرِ المرءُ في إخائه ألَمَ التَّثقيل على أخيه؛ لأن مَن ثَقُل على صديقه خفَّ على عدوِّه.

وإن مِن أعظم المعونة على تسلية الهم: الرضا بالقضاء، ولُقِيَّ الإخوان.

---

(١) أي: تقبيلُهم وضمُّهم.

(٢) يَشينه: يعيبه.

﴿٢٦٧﴾ أنبأنا محمد بن عثمان العَقَبِي: حدثني يونس بن إبراهيم العدنيّ: حدثنا إبراهيم بنُ عبد الله العدَني:

عن سفيان أنه قيل له: «ما ماءُ العيش[1]؟ قال: لقاء الإخوان».

﴿٢٦٨﴾ حدَّثنا القطَّانُ: حدثنا أحمدُ بن أبي الحواري: حدثنا المسيَّبُ بنُ واضح، عن ابنِ المبارك، قال:

قال سفيان: «لربَّما لَقِيتُ الأخَ من إخواني، فأُقيمَ شهرًا عاقلًا بلقائه».

﴿٢٦٩﴾ وأنشدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

استكثرنَّ من الإخوان إنهمُ ... خيرٌ لكانِزِهم كنزًا من الذهبِ
كم مِنْ أخٍ لك لو نابتك نائبةٌ[2] ... وجدتَه لك خيرًا من أخي النَّسَبِ

﴿٢٧٠﴾ وأنشدَني الكُريزي:

مِن خير ما حُزْتَه وُدٌّ لذي كرم ... يَجزيك ما عِشتَ بالإحسان إحسانَا
تَلقَى بَشَاشته في قُربه وإذاً ... أنَالَ نَالَكَ منه البِرُّ ما كانَا

﴿٢٧١﴾ أنبأنا القطَّان: حدثنا أحمدُ بن أبي الحواري، قال:

سمعت أبا سليمان يقول: «كنت أنظرُ إلى أخٍ من إخواني بالعراق، فأعملُ على رؤيته شهرًا».

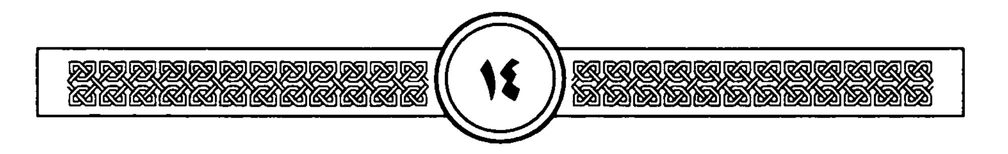
﴿٢٧٢﴾ حدَّثنا الحسنُ بن سفيان: حدَّثنا سُويدُ بن سعيد: حدثنا مسلمُ بن عُبيدٍ - أبو فراس -، قال:

قال ربيعةُ: «المروءةُ مروءتان: فللسفر مروءةٌ، وللحضر مروءة؛ فأمَّا مروءةُ السفر: فبَذلُ الزاد، وقِلَّةُ الخلافِ على أصحابك، وكثرةُ

---

(١) أي: ما هو الشيءُ الذي يُطيِّب حياتنا.
(٢) أي: أصابتك مصيبة.

المزاح في غيرِ مَساخِطِ الله. وأمَّا مروءةُ الحضر: فالإدمانُ إلى المساجد، وكثرةُ الإخوان في الله، وتلاوةُ القرآن».



ذِكرُ كراهيةِ المُعاداةِ للناس

[٢٧٣] أنبأنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام بـ«بيروت»: حدثنا محمد بن محمد بن مصعب:

حدَّثني ابن المبارك، عن عمرو بن واقد، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن أم الدرداء:

عن أبي الدرداء [ﷺ]، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ أولَ شيءٍ نهاني عنه ربِّي ـ بعد عبادة الأوثان ـ لَعنُ الحَمير، ومُلَاحاةُ الرجال**(١)»(٢).

قال أبو حاتم ﷺ: الواجب على العاقل أن يعلمَ أنَّ مَن يَوَدُّه لم يَحسُدْه، ومَن لم يحسُدْه لم يُعادِهِ؛ فيكونَ للعدوِّ المكاتِم أشَدَّ حَذرًا منه للعدو المبارِز، ومَن وَجد عنده مغترًّا، وكان ممن لا يعفو، ثم لا ينتصفُ منه؛ أصابته الندامةُ.

---

(١) الملاحاة: المنازعة والمخاصمة.

(٢) ضعيف جدًّا: رواه الطبراني في «الكبير» ـ كما في «كنز العمال» (٨٣١٤) ـ، ورُوي من حديث معاذ بن جبل ﷺ، رواه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٨٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٠٣)، وروي أيضًا عن أم سلمة ﷺ، رواه الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٢٥٠)، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٢٦٧)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٩٤)، و«الشعب» (٦/ ٣٤٢)، ورواه أيضًا ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٩٧) عن عروة بن رُويم. وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٥٩): «فيه يحيى بن المتوكل»، وهو ضعيف عند الجمهور، ووثقه ابن معين في رواية»، وضعفه الحافظ العراقي في التعليق على «الإحياء» (٣/ ٧١)، وضعفه جدًّا العلَّامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٢١٣٧)، و«الضعيفة».

والرأيُ إذا كان من الأريب[١]، كان أبلغ في هلاك العدوِّ من العدد الكثير من الجنود.

وتركُ العداوة ـ على الأحوال كلِّها ـ أحوطُ للعاقل من الخوض في سلوكها.

[٢٧٤] أنبأنا الحسن بن سفيان: حدثنا حِبَّانُ بن موسى: أخبرنا عبدُ الله عن هارون ـ هو الأعور ـ:

عن إسماعيل قال: «لَا تَشتَرِيَنَّ عداوةَ رجلٍ بمودَّةِ ألفِ رجل».

[٢٧٥] وأنشَدَني عمرُو بن محمد قال: حدثنا الغلَّابي، قال:

أنشَدَني مَهديُّ بن سابق:

تكثَّرْ من الإخوان ما اسْطَعْتَ إنهمُ ... عمادٌ إذا استنجدْتَهُمْ وظُهورُ

وليس كثيرًا ألفُ خِلٍّ لصاحبٍ ... وإنَّ عدوًّا واحدًا لَكثيرُ

قال أبو حاتم رضي الله عنه: لا يجبُ على العاقل أن يكافئَ الشرَّ بمثله، وأن يتَّخذَ اللعنَ والشتمَ على عدوِّه سلاحًا؛ إذ لا يُستعانُ على العدوِّ بمثل إصلاح العيوب، وتحصينِ العورات، حتى لا يجدَ العدوُّ إليه سبيلًا.

والعاقلُ لا يرحمُ مَنْ يخافُه[٢]، ولا يتركُ إحصاءَ معائبِ العدو، ويتفقَّدُ عثَراته ـ مع السكوت عن ثَلْبِه[٣] ـ، ولا يستضعفُ عدوًّا بحِيلةٍ؛ فإنَّ مَنِ استضعف الأعداءَ اغترَّ، ومَنِ اغترَّ لم يَسلَم، اللَّهُمَّ إلَّا أن يكون العدوُّ ذليلًا، فإذا كان كذلك عَطَف عليه بالإغضاء[٤]؛ لأنَّ العدوَّ الذليلَ أهلٌ أن يُرحم، كما أن المستجيرَ[٥] الخائفَ أهلٌ أن يؤمَّن، والمعاداةُ للعاقل خيرٌ من المصافاة للجاهل.

---

(١) **الأريب**: العاقل الحكيم.

(٢) أي: لا يتعامل مع عدوِّه الذي يريدُ الإضرار به بالرحمة؛ لأن العاقلَ لو فعل ذلك لاستضعفه ذلكم العدوُّ المتربص، ولأوقع به الضرر بكلِّ يسر، فلا بد للعاقل أن يأخذ حذره منه، وأن تقوى شوكتُه عليه. واللهُ أعلم.

(٣) **الثلْب**: العيب والطعن.

(٤) **الإغضاء**: التجاوز والإعراض.

(٥) **المُستجير**: طالب الحماية.

[٢٧٦] وأنشَدَني الخلادي: أنشَدَني أحمدُ بن محمد البكْري:

وَلَمَنْ يُعادي عاقلًا خيرٌ له ... من أن يكونَ له صديقٌ أحمقُ
فارغبْ بنفسك أن تصادقَ أحمقًا ... إنَّ الصديقَ على الصديقِ مُصَدَّقُ

[٢٧٧] وأنشَدَني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي:

أخْلِقْ بذي الصبر أن يَحْظَى بحاجتهِ ... ومُدمِنِ القَرْعِ للأبوابِ أن يَلِجَا
أبْصِرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الخَطْوِ موضعَها ... فمَن عَلا قُلَّةً عن غِرَّةٍ زَلَجَا(١)

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقلُ يُبصِرُ مواضعَ خُطواته قبل أن يضعَها، ثم يقاربُ عدوَّه بعضَ المقاربة، لينالَ حاجته، ولا يقاربُه كلَّ المقاربة فيجترئَ عليه.

والعاقلُ لا يُعادي ما وَجد إلى المحبَّةِ سبيلًا، ولا يُعادي مَن ليس له منه بُدٌّ، ولا العدوَّ الحنقَ الذي لا يُطاق؛ فإنه ليس له حيلةٌ إلَّا الهربَ منه، وحيلةُ السبيل إلى القُدرةِ على العدو وجودُ الغِرَّة فيه، وأنْ يُرِيَ العدوَّ أنه لا يتَّخذُه عدوًّا، ثم يصادقُ أصدقاءه، فيدخلُ بينه وبينهم.

وأحزمُ الأمور في أمرِ العدو: ألَّا يَذْكُرَه بسُوءٍ إلَّا عند الفرصة، وإنَّ مِن أيسرِ الظَّفَرِ بالأعداء: اشتغالَ بعضهم ببعض؛ وإن مما يستعينُ به المرءُ على عدوِّه: مجانبةَ من يعاشرُه ويصحبُ عدوَّه.

[٢٧٨] اخبرني محمد بن سعيد القزَّاز: حدَّثني أحمدُ بنُ زُهيرِ بن حرب قال: سمعت يحيى بنَ معين يقول:

قال ابن السَّماك: «لا تَخَفْ ممن تحذَر، ولكنِ احذَرْ ممن تأمَن».

[٢٧٩] وانشَدَني عليُّ بنُ محمدٍ البسَّامي:

تَمنيتُ أَن أبقى معافًى وأن أرى ... على من يُناويني تدورُ الدوائرُ(٢)
فيصبحُ مخذولًا وأُمسي سالِمًا ... إلى اللَّهِ داعٍ بالكفايةِ ناصرُ

---

(١) القُلَّة: قمَّة الجبل. والمقصود: لا بدَّ للعاقل أن يُبصِرَ موضع قدميه، فمن صعِد في جبل، ولم ينظر إلى مواقع أقدامه، ربَّما ينزلق فجأةً دون أن يشعر.

(٢) يُناويني: يُعاديني. وأصلها: «يُناوِئُني».

[٢٨٠] سمعت محمدَ بن محمود يقول: سمعت عليَّ بنَ خَشرم يقول:

سمعتُ الفضلَ بنَ موسى الشيبانيَّ يقول: «كان صيادٌ يصطادُ العصافير في يوم ريح. قال: فجعلت الرياحُ تُدخلُ في عينيه الغُبار فتذرِفان، فكلَّما صاد عصفورًا كسَر جناحَه وألقاه في ناموسه[١]. فقال عصفورٌ لصاحبه: ما أرقَّه علينا! ألَا ترى إلى دُموع عينيه؟ فقال له الآخر: لا تنظرْ إلى دموعِ عينيه، ولكن انظرْ إلى عملِ يديه».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقلُ لا يأمنُ عدوَّه على كلِّ حال، إن كان بعيدًا لم يأمنْ مغادرتَه[٢]، وإن كان قريبًا لم يأمن مواثبتَه.

والعاقلُ لا يخاطرُ بنفسه في الانتقام من عدوه؛ لأنه إن هلك في قصده قيل: «أضاع نفسه»، وإن ظفِر قيل: «القضاءُ فَعَله».

والمعاداةُ بعد الخُلَّة فاحشةٌ عظيمة، لا يليقُ بالعاقل ارتكابها، فإن دفعه الوقتُ إلى ركوبها تَركَ للصُّلح موضعًا.

[٢٨١] وانشَدَني بعضُ أهل الأدب لأبي الأسود الدُّؤلي:

وأَحْبِبْ إذا أحببت حُبًّا مُقاربًا ... فإنك لا تدري متى أنت نازعُ؟[٣]

وأبغِضْ إذا أبغضتَ غيرَ مجانِبٍ ... فإنك لا تدري متى أنت راجعُ؟

وكنْ مَعدِنًا للحِلْم واصْفَحْ عن الأذى ... فإنك راءٍ ما عمِلتَ وسامعُ

[٢٨٢] وانشَدَني منصور بن محمد الكُريزي:

إذا أنت عاديتَ امْرَءًا خُلَّةً ... فدَعْ في غدٍ للعَوْدِ والصُّلحِ موضعَا

فإنك إنْ نابذتَ مَنْ زَلَّ زَلَّةً ... ظَلَلْتَ وحيدًا لم تَجدْ لك مَفزَعَا

[٢٨٣] انبانا محمدُ بن إسحاق الثقفي: حدثنا أبو همَّام: حدَّثنا ابنُ وهب: أخبرني يونُسُ بنُ يَزيد:

---

(١) الناموس: صندوق الصائد.

(٢) المغادرة: الغَدْر، أو يكون المقصود أنه قد يُغادِرُ مكانه البعيد، ويأتيك ليضرك.

(٣) نازع: تارك المحبة.

عن ابن شهابٍ قال: «اجتمع مروانُ بن الحكَم وابنُ الزُّبير يومًا عند عائشة ﵄، فجلسا في حجرتها - وبينها وبينهما الحجاب -، فسألَا عائشةَ ﵄ شِعرًا وحديثًا، ثم قال مروانُ:

ومَن يَشَإِ الرحمٰنُ يَخفِضْ بقَدرِهِ ... وليس لمنْ لم يَرفعِ اللَّهُ رافعُ

وقال ابن الزبير:

وفَوِّضْ إلى اللَّهِ الأمورَ إذا اعترت ... وباللَّهِ - لا بالأقربين - تُدافعُ

وقال مروان:

وداوِ ضميرَ القلب بالبِرِّ والتُّقى ... لا يستوي قلبانِ قاسٍ وخاشعُ

وقال ابن الزبير:

ولا يستوي عبدانِ: عبدٌ مكلِّمٌ ... عُتُلٌّ لأرحامِ الأقاربِ قاطعُ[1]

وقال مروان:

وعبدٌ يُجافي جنبَه عن فراشِه ... يَبيتُ يُناجي ربَّه وهْو راكعُ

وقال ابن الزبير:

وللخيرِ أهلٌ يُعرَفون بهَديهم ... إذا اجتمعت عند الخطوبِ المجامعُ

وقال مروان:

وللشرِّ أهلٌ يُعرَفون بشَكلِهم ... تُشيرُ إليهم بالفُجورِ الأصابعُ

قال: فسكت ابنُ الزبير، فلم يُجِبْ مروانَ بشيءٍ؛ فقالت عائشةُ: يا عبد الله، ما لك لم تُجِبْ صاحبك؟ والله ما سمعتُ تجاوبَ رجُلينِ تجاوَلَا[2] نحو ما تجاوَلتما فيه أعجبُ إليَّ من مجاولتكما! قال ابن

---

(١) لعل المراد من «مكلِّم»: مجرِّح. من «الكَلْم» وهو الجرح، لا من «الكلام»، والمقصود به من يجرحُ الناس ويؤذيهم. واللهُ أعلم.

(٢) **المجاولة**: إدارة الكلام أو تَبادُله.

الزبير: إني خِفتُ عَوَزَ القول[١]، فكففتُ. فقالت عائشة: إنَّ لمروانَ في الشِّعر ما ليس لك».

[٢٨٤] أنبانا محمد بن المنذر: حدثنا عصامُ بن الفضل الرَّازي: حدثني الزبير بن بكَّار، عن محمد بن حرب، قال:

قال عبدُ الله بن حسن لابنه محمد: «إياك ومعادَاةَ الرجال، فإنها لا تُعدِمُك مَكْرَ حليم، أو مباذاةَ جاهل[٢]».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقلُ لا يُعَادي على الحالات كلِّها؛ لأن العداوة لا تخلُو من أن تكون لأحد رجلين: إما حليمٍ لا يؤمَنُ مَكْرُه، أو جاهلٍ لا يُؤمَنُ شتمُه.

ولا يجبُ على العاقل ـ إذا عادى ـ أن يغُرَّه إحسانُه إلى عدوِّه وما يرى من سكونه إليه؛ فإن الماء وإن أُطيل إسخانه، ليس بمانعه ذلك من إطفاءِ النار إذا صُبَّ عليها، ولا يجبُ أن يَعظُمَ عليه حَمْله عدوَّه على عاتقه إذا وَثِقَ بحُسن عاقبته؛ لأن اللِّين والمكرَ أنكى[٣] في العدو من الفظاظةِ والمكابرة. ألَا ترى النارَ ـ مع حرِّها ـ لا تَحرِقُ من الشجر إلَّا ما ظهر! والماءُ مع برده ولِينه يستأصلُها؛ ومجانبةُ المرء عدوَّه في العِشرة أحدُ الأعوان عليه عند الفرصة.

[٢٨٥] كما أنبانا عمرُو بن محمد الأنصاري: حدثنا الغلَّابي: حدثنا العُتبي، عن أبيه، قال:

قال الأحنفُ بنُ قيس: «مَن جالَس عدوَّه، حفِظ عليه عيوبه».

[٢٨٦] وأنشَدَني الأبرش:

لا تَخافَنَّ إن رماك عدوٌّ	بعيوبٍ إذا تكونُ بَرِيًّا
إنما العيبُ أن يكونَ مُحِقًّا	في الذي قاله ولستَ نقيًّا

---

(١) أي: «ما يدفعُني للجور في الكلام، أو الخروج إلى ما لا يليق»، نقلًا عن نسخة «المكتبة العصرية» ص(١٥٨).

(٢) المُباذاة: الفحش.

(٣) أنكى: أعظم نكايةً وعقوبةً.

فـإذا كـان كـاذبًـا كـنـتَ بـالـصِّـد ق عـلى الـعـائبِ الـكـذوبِ جَـرِيًّـا
ولـقـد يُـلـزِقُ الـعـدوُّ بـجـنـب الـ ـمـرءِ عـيـبًـا تَـخـالُـهُ مَـكْـوِيًّـا

قال أبو حاتم ﷺ: العاقلُ لا يُغيِّرُه إلزاقُ العدوِّ به العيوبَ والقبائحَ؛ لأن ذلك لا يكونُ له وقْعٌ، ولا لكثرته ثبات، ولا يلتذُّ المرءُ ما كان عدوُّه باقيًا[١]، كما لا يجدُ السقيمُ طعمَ النوم والطعامَ حتى يبرأ.

وأشدُّ مكيدةِ العدو: ما يعمل فيك مِن سبيل مأمنك[٢]، والغالبُ بالشرِّ مغلوبٌ.

وإن من أعظم الأعوان على الأعداء: تعاهُدَ المرءِ ولَدَه وعيالَه وخَدَمه، وتوقِّيَه إياهم من المعايب والزلَّات[٣].

[٢٨٧] أنبانا الحسنُ بن سفيان: حدثنا محمَّدُ بن الصبَّاح: حدثنا الوليد، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، قال:

قال سليمانُ بنُ داودَ لابنه: «يا بُني، إذا أردت أن تَغيظَ عدوَّك، فلا ترفعْ عنِ ابنك العصا».

---

(١) أي: لا يفرحُ الإنسانُ ما دام عدوُّه موجودًا.
(٢) أي: أن يُوقِعَ بك الضررَ والألم من حيث ظننتَ السلامةَ والأمان.
(٣) أي: من أعظم ما يُعينُ على الانتصار على الأعداء أن يربِّيَ العاقلُ أولاده على مكارم الأخلاق والشجاعة، ويصرفَهم عن الأخلاق السيئة، فإنهم إذا كبروا، علموا أن عدوَّ أبيهم ذو أخلاق رديئة، فأبغضوه، وكانوا عونًا لأبيهم عليه. والله أعلم.

١٥

ذِكرُ الحثِّ على صُحبةِ الأخيار، والزَّجرِ عن عِشرةِ الأشرار

[٢٨٨] حدَّثنا الحسنُ بن سفيان النَّسائي: حدثنا عُبيدُ الله بن معاذٍ العنبري: حدثنا أبي، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس:

عن أبي موسى [رضي الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَثَلُ الجليسِ الصالحِ مَثَلُ العطَّار، إنْ لم يَنَلْك منه أصابك مِن رِيْحه، ومَثَلُ جليسِ السوء مَثَلُ القَيْن[١]، إن لم تُصِبْكَ نارُه، أصابَك شَرَرُه»**[٢].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقلُ يلزمُ صُحبةَ الأخيار، ويُفارِقُ صُحبةَ الأشرار؛ لأن موَدَّةَ الأخيار سريعٌ اتصالها، بطيءٌ انقطاعها؛ ومَوَدَّةُ الأشرار سريعٌ انقطاعها، بطيءٌ اتصالها.

وصُحبةُ الأشرار تورِّثُ سُوءَ الظنِّ بالأخيار، ومَن خادَنَ[٣] الأشرارَ، لم يَسْلَمْ من الدخول في جملتهم.

فالواجب على العاقل: أن يجتنبَ أهل الرِّيَب، لئلَّا يكونَ مريبًا؛ فكما أن صحبةَ الأخيار تورِّثُ الخير، كذلك صحبةُ الأشرار تورِّثُ الشر.

---

(١) **القَيْن**: الحداد.

(٢) **صحيح**: رواه ابن حِبَّان (٥٧٩)، والحميدي (٧٧٠)، وانظر اللفظ الذي عند: البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨)، وانظر: «المسند» (٣٢/ ٣٩٩).

(٣) **خادَن**: صاحب.

[٢٨٩] وأنشَدَني محمد بنُ عبد الله زنجي البغدادي:

عليك بإخوانِ الثِّقاتِ فإنهم ... قليلٌ فَصِلْهُم دون مَن كنتَ تَصحبُ
ونفسَك أكرِمْها وصُنْها فإنها ... متى ما تُجالِسْ سِفْلَةَ الناس تَغضَبُ

[٢٩٠] سمعت أبا يعلى يقول: سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول:

سمعتُ سفيانَ بنَ عيينة يقول: «مَن أحبَّ رجلًا صالحًا، فإنما يحبُّ اللهَ تبارك وتعالى».

[٢٩١] أنبانا محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا عبدُ الله بن الصقر السكري: حدثنا وهب بن محمد بن مُنبِّه البُناني، قال: سمعت الحارث بن وجيه يقول:

سمعتُ مالكَ بنَ دينار يقول: «إنك أنْ تنقُلَ الحجارةَ مع الأبرار، خيرٌ من أن تأكلَ الخَبيصَ[١] مع الفجَّار».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقلُ لا يُدَنِّس عِرضَه، ولا يُعوِّدُ نفسَه أسبابَ الشر بلزوم صحبةِ الأشرار، ولا يُغضي[٢] عن صيانةِ عِرضِه ورياضةِ نفسه بصُحبةِ الأخيار، على أن الناسَ عند الخِبرة يتبيَّنُ منهم أشياءُ ضدَّ الظاهر منها.

[٢٩٢] أنشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

وقلَّما احْلَوْلى كلامُ امرئٍ ... ولَانَ إلَّا كان مُرَّ الفِعالْ
وربَّما احْلَوْلى كلامُ الفتى ... وكان محمودًا على كلِّ حالْ
وربَّما لم يكُ ذا مَنْظَرٍ ... فكان خِلوَ الفِعلِ منَ المقالْ
فكلُّ هذا أنت راءٍ إذا ... تُصاحِبُ الناسَ وتبلو الرِّجالْ

[٢٩٣] حدثنا بكر بن أحمدُ بن سعيدٍ الطاحي: حدثنا نصرُ بن عليٍّ: أنبانا نُوحُ بن قيس: حدثنا حَوشب:

عن الحسن في قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾

---

(١) **الخبيص**: نوع من الحلوى الفارهة. (٢) **يُغضي**: يتجاهل ويهمل.

[الفرقان: ٦٣]، قال: «حُلَماء علماء، صُبُرٌ ثُبُتٌ[1]، إذا ظُلموا لم يَظلموا، وإن بُغي عليهم لم يَبغُوا، قد براهم الخوفُ كأنهم القِدَاح[2]».

٢٩٤ أنبانا حامدُ بن محمد بن شعيب البَلْخي: حدَّثنا سُريج بن يونس: حدثنا شجاعُ بن أبي نصرٍ - أبو نعيم القاري -:

عن أبي عمرِو بن العلاء، قال: «رآني سعيدُ بنُ جُبَير وأنا جالسٌ مع الشباب، فقال: ما يُجلِسُك مع الشباب؟ عليك بالشيوخ».

٢٩٥ أنبانا الحسن بن سفيان: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا أبو أسامة، عن سفيان، عن أبي المُحَجَّل، عن ابن عِمرانَ بن حِطَّان، عن أبيه، قال:

قال أبو الدرداء: «لَصاحبٌ صالحٌ خير من الوحدة، والوحدةُ خيرٌ من صاحب السوء، ومُملي الخير خيرٌ من الساكت، والساكتُ خيرٌ من مُملي الشر».

قال أبو حاتم ﷺ: العاقلُ لا يُصاحِبُ الأشرار؛ لأن صُحبةَ صاحبِ السوء قطعةٌ من النار، تُعقِبُ الضغائن، ولا يستقيمُ وُدُّه، ولا يَفِي بعهده.

* وإن من سعادة المَرء خصالًا أربعًا:

١ - أن تكون زوجتُه موافقةً.

٢ - وولدُه أبرارًا.

٣ - وإخوانُه صالحين.

٤ - وأن يكون رِزقُه في بلده.

وكلُّ جليسٍ لا يستفيدُ المرءُ منه خيرًا، تكونُ مجالسةُ الكلب خيرًا من عِشرته، ومَن يصحبْ صاحبَ السوءِ لا يَسلم، كما أنَّ مَن يدخلْ مداخلَ السوء يُتَّهم.

---

(١) صبُرُ: عظيمو الصبر. ثُبُت: عظيمو التثبُّت.

(٢) براهم: جعلهم نحيفي الجسد. القِداح: السهام.

[٢٩٦] وما أُشبِّهُ صحبةَ الأشرار إلَّا بما أنشَدَني منصورُ بن محمد الكريزي:

فلو كان منه الخيرُ إذ كان شرُّهُ ... عتيدًا ضربتُ الخيرَ يومًا مع الشرِّ

ولو كان لا خيرًا ولا شرَّ عندَه ... رَضِيتُ لَعَمْري بالكَفافِ مع الأجرِ

ولكنه شرٌّ ولا خيرَ عنده ... وليس على شرٍّ إذا طال مِن صَبرِ

[٢٩٧] أخبرنا إسحاقُ بن إبراهيم القاضي: حدَّثنا الحسنُ بن محمد بن الصبَّاح: حدثنا ابنُ عُليَّة، عن يونس:

عن الحسن قال: «أيها الرجل، إن أشدَّ الناس عليك فَقدًا: لَرجلٌ إذا فَزِعتَ إليه وجدت عنده رأيًا، ووجدت عنده نصيحةً، بينا أنتَ كذلك إذ فقدتَه، فالتمستَ منه خَلَفًا، فلم تجدْه».

[٢٩٨] أنبأنا محمد بن سعيد القزَّاز: حدثنا خطَّابُ بن عبد الرَّحمٰن الجنَدي: حدثنا عبدُ الله بن سليمان، قال:

قال جعفرُ بن محمد: «مَن كان فيه ثلاثٌ، فقد وجب له على الناس أربعٌ: إذا خالَطَهم لم يَظلِمْهم، وإذا حَدَّثهم لم يَكذِبْهم، وإذا وَعَدهم لم يُخلِفْهم.

وعلى الناس: أن يُظهروا عَدْلَه، وأن تكمُل فيهم مروءتُه، وأن يجب عليهم أُخُوَّتُه، وأنْ يَحْرُمَ عليهم غِيبتُه».

[٢٩٩] وأنشَدَني محمد بن إسحاق بن حبيبٍ الواسطي:

اصحَبْ خِيارَ الناسِ أين لَقِيتَهمْ ... خيرُ الصحابةِ مَنْ يكونُ ظريفَا

والناسُ مثلُ دراهمٍ مَيَّزْتَها ... فرأيتَ فيها فِضَّةً وزُيوفَا

[٣٠٠] أخبرنا ابن قتيبة: ثنا أحمد بن يحيى بن يزيد الصوري: ثنا الهيثم بن جَميل، قال: قال عمارة بن زاذان:

عن مكحولٍ قال: «قلت للحسن: إني أريدُ الحَجَّ. فقال لي: إياك أن تَصحَبَ من يَكرُمُ عليك، فتفرِّقَ الذي بينك وبينه».

[٣٠١] وأخبرنا ابن قَحْطبة: حدثنا عباسُ بنُ عبدِ العظيم: حدثنا إسماعيل بن عبد الكَريم: حدثنا عبدُ الصمد بن مَعقِل:

أنه سمع وَهْبًا يقول: «إن اللهَ لَيحفظُ بالعبد الصالحِ القبيلَ من الناس»(١).

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل أن يستعيذَ باللهِ مِن صُحبةِ مَن إذا ذَكَر اللهَ لم يُعِنْه، وإن نَسِيَ لم يُذكِّرْه، وإن غَفَل حَرَّضه على ترك الذِّكر.

ومَن كان أصدقاؤه أشرارًا، كان هو شرَّهم، وكما أن الخيِّر لا يصحبُ إلَّا البَررَة، كذلك الرَّدِيُّ(٢) لا يصحبُ إلَّا الفَجَرة؛ فإنَّ المرءَ إذا اضطرَّه الأمرُ فلْيصحبْ أهلَ المروءات.

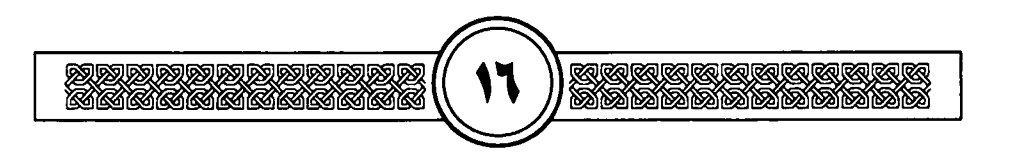
[٣٠٢] لأنَّ محمَّدَ بن عثمان العَقَبي حدَّثنا قال: حدثنا أحمدُ بنُ داود البصري: حدثنا ابنُ عائشة قال:

قال عبدُ الواحد بنُ زيد: «جالسوا أهلَ الدين من أهل الدنيا(٣)، ولا تجالِسوا غيرهم، فإن كنتم لا بُدَّ فاعلين، فجالِسوا أهل المروءات؛ فإنهم لا يَرْفُثُون(٤) في مجالسهم».

وباللهِ التوفيق.

---

(١) القبيل: الجماعة الكثيرة.
(٢) الردي: الهالك.
(٣) أي: جالسوا من الأغنياء والوجهاء مَن كان عنده دين.
(٤) الرفث: الكلام القبيح.



ذِكرُ كراهيةِ التلوُّنِ في الوِدادِ بين المتآخِيَين

[٣٠٣] انبانا محمد بن الحسن بن قُتيبة بـ«عَسْقَلان»: حدَّثنا إبراهيم الحوراني: حدثنا بكَّارُ بن شعيب: حدثنا ابنُ أبي حازمٍ، عن أبيه:

عن سهلٍ [رضي الله عنه] قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا خيرَ في صُحبة مَن لا يَرى لك من الحق مثلَ ما ترى له»**(١).

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل ـ إذا رَزَقه اللهُ وُدَّ امرئٍ مسلم صحيح الوِدادِ محافظٍ عليه ـ: أن يتمسَّكَ به، ثم يوطِّنَ نفسَه على صِلَتِه إنْ صَرَمَه(٢)، وعلى الإقبال عليه إن صَدَّ عنه، وعلى البَذْل له إن حَرَمه، وعلى الدنُوِّ منه إن باعَدَه، حتى كأنه رُكنٌ من أركانه، وإنَّ مِن أعظم عيبِ المرء تلوُّنَه في الوِداد.

[٣٠٤] وأنشَدَني المنتصر بن بلال الأنصاري:

وكم من صديقٍ وُدُّه بلسانِهِ ... خؤونٍ بظَهرِ الغيبِ لا يتندَّمُ
يضاحكني كَرهًا لكيما أوَدُّه ... وتَتْبَعُني منه إذا غِبتُ أسهمُ

---

(١) ضعيف: رواه المصنف في «المجروحين» (١/ ١٩٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٠٧)، وبنحوه في «كنز العمال» (٩/ ٦٥ ـ ٦٦) عن أنس رضي الله عنه، وعزاه للعسكري في «الأمثال»، وابن عدي، وهو في «الكامل» (٣/ ١٤٧)، وضعَّفه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث «الإحياء» (٢/ ١٤١)، وقد حكم عليه الصغاني بالوضع ـ كما في «الفوائد المجموعة» (١٤٧) ـ، وضعَّفه العجلوني في «كشف الخفا» (٢٢٨١)، وضعَّفه الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (٢/ ١٧٠٣).

(٢) صَرَمه: قطعه.

[٣٠٥] أخبرنا محمدُ بن المهاجر المعدِّل: حدثني ابنُ أبي شَيبة، قال: قال الأصمعي:

قال رجلٌ من الأعراب: «إنَّ مِن أعجز الناسِ مَن قَصَّر عن طلب الإخوان، وأعجزُ منه: مَن ظَفِر بذلك منهم فأضاع مودَّتهم، وإنما يُحسِنُ الاختيارَ لغيره مَن أحسَنَ الاختيارَ لنفسه».

قال أبو حاتم ﷺ: العاقلُ لا يُقصِّرُ في تعاهُدِ الوِداد، ولا يكونُ ذا لَونَينِ وذا قَلبَينِ، بل يوافِقُ سِرُّه علانيتَه، وقولُه فِعلَه.

ولا خيرَ في متآخيَينِ ينمو بينهما الخلل، ويزيدُ في حاليهما الدَّغَل[١].

[٣٠٦] كما أنشدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

لحا اللَّهُ[٢] من لا ينفعُ الودُّ عنده ... ومَنْ حَبْلُهُ مُدَّ غيرَ متينْ
ومَن هو ذو لونَينِ ليس بدائم ... على الوصلِ خَوَّانٌ لكلِّ أمينْ
ومَن هو ذو قلبَينِ، أمَّا لقاؤهُ ... فخِلْوٌ وأمَّا غيبُه فظَنينْ[٣]
ومَن هو إن تُحدِثْ له العينُ نظرةً ... يُقطِّعُ بها أسبابَ كُلِّ قرينْ

[٣٠٧] وأنشدَني عمرُو بن محمد النَّسائي لابن الأعرابي:

العينُ تُبدي الذي في نفس صاحبِها ... من الشَّناءة أو وُدٌّ إذا كانَا[٤]
إن البغيضَ له عينٌ يَصُدُّ بها ... لا يستطيعُ لما في الصدرِ كتمانَا
فالعينُ تنطقُ والأفواهُ ساكتةٌ ... حتى تَرى من ضميرِ القلبِ تِبيانَا

[٣٠٨] وأنشدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

وجارٍ لا تزالُ تزورُ منه ... قوارضُ لا تَنام ولا تُنيمُ[٥]
قريبُ الدارِ نائي الودِّ منه ... معاندةٌ أبت لا تستقيمُ

---

(١) الدغَل: الفساد.
(٢) لحا اللهُ: قبَّح اللهُ.
(٣) أي: إذا قابلتُه لم أنتفع بمقابلته، وإذا غاب عني، اتهمني بما شاء.
(٤) الشناءة: الكراهية.
(٥) القوارض: المضارُّ.

يُـبـادِرُ بـالـسـلام إذا الـتـقـيـنـا ... وتَـحـتَ ضُـلـوعِـه قـلـبٌ سـقـيـمُ

﴿٣٠٩﴾ أنبأنا محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا أحمدُ بنُ محمد بن بكر الأَبناوي، عن هشام بن عبد الملك بن عمرانَ اليَزَني:

قال المُقَنَّع الكندي:

أَبْـلُ الـرِّجـالَ إذا أردتَ إخـاءَهـم ... وتـوسَّـمَـنَّ أمـورَهـم وتَـفَـقَّـدِ[1]
فإذا ظَفِرتَ بذِي اللُّبابة والتُّقى ... فبِهِ اليدينِ قريرَ عينٍ فاشْدُدِ[2]
ومـتـى يَـزِلُّ ـ ولا مـحـالـةَ ـ زلَّـةً ... فعلى أخيك بفَضلِ رأيك فاردُدِ[3]
وإذا الخنا نَقَض الحُبى في موضعٍ ... ورأيتَ أهلَ الطَّيشِ قامُوا فاقْعُدِ[4]

﴿٣١٠﴾ أخبرنا عبدُ الله بن قحْطبة: حدَّثنا محمد بن الصبَّاح: حدثنا الوليد، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثيرٍ، قال:

قال سليمان بنُ داودَ لابنه: «يا بُنيَّ، عليك بالحبيب الأول، فإن الآخِرَ لا يَعدِلُه».

﴿٣١١﴾ أنبأنا محمد بن سعيد القزَّاز: حدثنا أحمدُ بن بكر بن سَيف:

حدَّثني محمدُ بن حسين قال: «كان أعرابيٌّ بالكوفة، وكان له صديقٌ، وكان يُظهر له مودَّةً ونصيحة، فاتخذه الأعرابيُّ من عُدده للشدائد إذا حَزَب الأعرابيَّ أمرٌ، فأتاه، فوَجَده بعيدًا مما كان يُظهِرُ للأعرابيِّ، فأنشأ يقول:

إذا كـان وُدُّ الـمـرءِ لـيـس بـزائـدٍ ... على «مرحبا» أو «كيف أنت وحالكا»
ولـم يَـكُ إلَّا كـاشـرًا اوْ مُـحـدِّثًـا ... فـــأُفٍّ لـوُدٍّ لـيـس إلَّا كـذلـكـا
لـسـانُـك مـعـسـولٌ ونفسُـك بَـشَّـةٌ ... وعند الثريَّا من صديقِك مالُكا

---

(١) أَبْلُ: اختبر. توسَّمَن: تفرَّس وتأمَّل. (٢) اللُّبابة: العقل. قرير عين: سعيد.
(٣) أي: عُدْ عليه برأيك السديد لتصلح عيبَه.
(٤) الخنا: الفحش والقبيح. نقض الحُبى: كشف السوءات.

وأنـت إذا هَـمَّـت يـمـيـنُـك مَـرَّةً لتفعلَ خيرًا قاتلتْها شمالُكا

[٣١٢] سمعت محمد بنَ المنذر يقول: سمعت عبد العزيز بن عبدِ الله يقول:

قال محمد بن حازم:

وإن مـن الإخـوانِ إخـوانَ كَـشْـرةٍ وإخوانَ «حيَّاك الإلهُ» و«مرحبًا»[(١)]

وإخوان «كيف الحالُ والأهل كلُّه؟» وذلك لا يسْوى نقيرًا مترَّبَا[(٢)]

جوادٌ إذا استغنيتَ عنه بماله يقول: إلى القرضِ والقرضَ فاطلُبَا

فإن أنت حاولتَ الذي خَلفْ ظَهرِهِ وجدتَ الثريَّا منه في البُعدِ أقربَا

قال أبو حاتم رحمه الله: العاقل لا يُصادِقُ المتلوِّن، ولا يؤاخي المتقلِّب، ولا يُظهِرُ من الوِداد إلَّا مِثلَ ما يُضمر، ولا يُضمرُ إلَّا فوق ما يُظهر، ولا يكون في النوائب ـ عند القيام بها ـ إلَّا ككونه قبل إحداثها والدخولِ فيها؛ لأنه لا يُحمَدُ منَ الإخاء ما لم يكن كذلك.

[٣١٣] وانشَدَني محمدُ بن المنذر، قال: أنشَدَني محمد بن خلَف التيمي:

أنشَدَني رجلٌ من خزاعة:

ولـيـس أخـي مـن وَدَّنـي بـلـسـانِـه ولكنَّ أخي من وَدَّني في النوائبِ

ومن مالُه مالي إذا كنتُ مُعدِمًا ومالي له إن عَضَّ دهرٌ بغارِبِ[(٣)]

فلا تَحْمَدَنْ عند الرخاء مؤاخيًا فقد تُنكَرُ الإخوانُ عند المصائبِ

وما هو إلَّا «كيف أنت» و«مرحبًا» وبـالـبـيـضِ رَوَّاغٌ كـرَوْغِ الـثـعـالـبِ

[٣١٤] أخبرنا ابنُ قَحطبة: حدثنا محمد بن الصبَّاح: حدثنا أبو معاوية:

عن هشام بنِ عروة، عن أبيه، قال: «مكتوب في الحكمة: أحبِبْ خليلَك وخليلَ أبيك».

---

(١) الكشرة: الابتسامة.

(٢) النقير: النقطة التي في ظَهْر نواة البلح. المترب: المليء بالتراب.

(٣) عضَّ دهرٌ بغارب: نزلت فيه مصيبة.

قال أبو حاتم ﷺ: إنَّ من أعظم الأمارات على معرفةِ صحَّةِ الوداد وسَقَمه: ملاحظةَ العين إذا لَحَظَتْ، فإنها لا تكادُ تُبدي إلَّا ما يُضمرُ القلبُ من الوُدِّ، ولا تكادُ تُخفي ما يُجِنُّه الضميرُ من الصد، فالعاقلُ يَعتبرُ الوُدَّ بقلبه وعينِ أخيه، ويجعلُ له بينهما مسلكًا لا يردُّه عن معرفةِ صحَّته شيءٌ تخيَّله.

[٣١٥] ولقد أخبَرَنا محمد بن المهاجر المعدِّل: حدثنا محمد بنُ الحسن الذُّهْلي: حدثنا عليُّ بن محمد المدائني، عن محمد بن إبراهيم العباسي:

عن عبد الله بن الحجاج ـ مَولى المَهدي ـ، وعن إبراهيم بن شِكْلَة قال: «اعلمْ أن مَن أظهر ما تُحبُّ أو ما تكره، فإنما لك أن تقيسَ ما أضمر قلبُه بالذي أظهر لسانُه، وليس لك أن تعرفَ ما أسرَّ ضميرُه، فعامِلْه على نحوِ ما يُبدي لك لسانُه.

وفي ذلك أقول:

ليس المسيءُ إذا تغيَّب سَوْؤُهُ ... عنِّي بمنزلةِ المسيءِ المُعْلِنِ[1]

مَن كان يُظهِرُ ما أُحِبُّ فإنه ... عندي بمنزلةِ الأمين المُحسِنِ

واللَّهُ أعلمُ بالقلوب، وإنما ... لك ما بدا لك منهمُ بالألسُنِ

ولقد يُقالُ خلافُ ذلك، إنما ... لك ما بدا لك منهمُ بالأعيُنِ

غير أن خالي خالفني في ذلك، وزعم أن الأعيُنَ أبينُ شهادةً على ما في القلوب من الألسن.

وكتب في ذلك رسالةً: «أما بعدُ، فقد بدا لي مِن صَدِّك ما آيَسني من وُدِّك، ولم يزلْ يُخبِرُني لَحظُك[2] ما تُضمِرُ لي من بُغضِك».

وكتب في أسفل ذلك:

وما أُحِبُّ إذا أحببتُ مُكتتِمًا ... يُبدي العداوةَ أحيانًا ويُخفيها

---

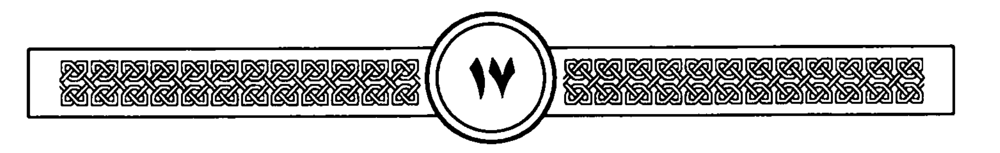
(١) **تغيَّب سوؤه**: خَفِيَتْ إساءته.

(٢) **اللحظ**: العين.

تظلُّ في قلبِه البغضاءُ كامنةً فالقلبُ يكتُمُها والعينُ تُبديها
والنفسُ تعرفُ في عيني مُحَدِّثِها مَنْ كان سِلْمَها أو مِنْ أعاديها
عيناك قد دلَّتا عينيَّ منك على أشياءَ لولاهما ما كنتُ أدريها»

[٣١٦] أخبرنا الخلادي: حدثنا أحمدُ بن محمد الصوفي: حدثنا محمد بن صالح البغدادي، قال:

سمعت إبراهيمَ الحجَبي يقول: «دلائلُ الحُب تُعرفُ في المحب - وإنْ لم يَنطِقْ لسانُه -».



ذِكرُ ائتلافِ الناس واختلافُهم

[٣١٧] أخبرنا عمرانُ بن موسى بن مُجاشع السَّختياني: حدَّثنا عبد الأعلى بن حمَّاد النَّرْسي: حدثنا حَمَّادُ بنُ سلمة، عن سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه:

عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«الأرواح جُنودٌ مجنَّدة، فما تعارَفَ منها ائتلف، وما تناكَر منها اختلف»**(١).

[٣١٨] حدثنا أبو خليفة: حدَّثنا محمد بن كثير: أخبرنا سفيانُ الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطُّفيل، قال:

قال عليٌّ: «الأرواحُ جُنودٌ مجنَّدة، فما تعارَف منها ائتلف، وما تناكَر منها اختلف».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: سببُ ائتلاف الناس وافتراقِهم - بعد القضاءِ السابقِ - هو تعارُفُ الرُّوحين، وتناكُرُ الرُّوحين، فإذا تعارَفَ الرُّوحان وُجِدت الألفةُ بين نَفسَيهما، وإذا تناكَر الرُّوحانِ وُجدت الفُرقةُ بين جِسمَيهما.

[٣١٩] ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر: حدَّثنا محمد بن عبد الله بن مِهران: حدثنا يوسفُ بنُ يعقوب الصَّفَّار: حدثنا أبو بكر بن عيَّاش، عن أبي يحيى:

عن مجاهدٍ قال: «رأى ابنُ عباس رجلًا فقال: إن هذا ليُحِبُّني. قالوا: وما عِلمُك؟ قال: إني لأُحِبُّه، والأرواحُ جنودٌ مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكَر منها اختلف».

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٩٥)، ومسلم (٢٦٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٤)، وابن حِبَّان في «صحيحه» (٦١٦٨)، ورواه البخاري (٣٣٣٦) عن عائشة رضي الله عنها.

[٣٢٠] وأنشدَني محمد بن أبي عليٍّ الخلادي:

أنشَدَني أحمدُ بنُ محمد بن بكر الأُبناوي:

إن القلوبَ لأَجنادٌ مُجنَّدةٌ ... للَّهِ في الأرض بالأهواءِ تَعترِفُ
فما تعارَفَ منها فهو مؤتلفٌ ... وما تناكَر منها فهو مُختلفُ

[٣٢١] أنبأنا ابن مُكرَّم بـ«البصرة»: حدثنا بِشر بن الوليد: حدثنا الحكم بن عبد الملك:

عن قتادة في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩]، قال: «للرحمة والطاعة، فأمَّا أهلُ طاعةِ الله فقلوبهم وأهواؤهم مجتمعة ـ وإن تفرَّقت ديارهم ـ، وأهلُ معصيةِ اللهِ قلوبهم مختلفة ـ وإن اجتمعت ديارهم ـ».

[٣٢٢] وأنشدَني منصور بن محمد الكُريزي:

فما تُبصِرُ العينانِ والقلبُ آلفٌ ... ولا القلبُ والعينانِ مُنطبقانِ
ولكن هما رُوحانِ تَعْرِض ذي لذي ... فيَعرِفُ هذا ذي فيلتقيانِ

قال أبو حاتم ﷺ: إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرءُ من تقلُّبه وسكونه: هو الاعتبارُ بمن يُحادِثُه ويودُّه؛ لأن المرءَ على دِينِ خليله، وطيرُ السماء على أشكالها تقعُ. وما رأيتُ شيئًا أدلَّ على شيءٍ ـ ولا الدخانُ على النار ـ مثلَ الصاحب على الصاحب.

[٣٢٣] وأنشدَني الأبرش:

يُقاسُ المرءُ بالمرءِ ... إذا ما هو ما شاهُ
وذو العَرِّ إذا احتـ ... ـكَّ ذا الصحةِ أعداهُ[1]
وللشيءِ على الشيءِ ... مقاييسٌ وأشباهُ
وللرُّوح على الرُّوح ... دليلٌ حين يلقاهُ

(١) العَرُّ ـ بفتح العين ـ: الجَرَب.

[٣٢٤] حدثنا أبو خليفة: حدثنا محمد بن كثير العبديُّ: أنبأنا سفيان، عن أبي إسحاق:

عن هُبيرة قال: «اعتبِرِ الناس بأخدانهم».

[٣٢٥] أنبأنا محمد بن المهاجر: حدثنا محمد بن موسى الأخباري: حدثنا محمد بن صالح العدَوي: حدثنا الحُسين بن جعفر بن سليمان الضُّبَعي قال: سمعت أبي يقول:

سمعت مالكًا يقول: «الناسُ أشكالٌ كأجناس الطير، الحَمام مع الحمام، والغُرابُ مع الغراب، والبطُّ مع البط، والصَّعْوُ مع الصَّعْو[1]؛ وكلُّ إنسان مع شكله».

[٣٢٦] وأنشَدَني المنتصر بن بلال الأنصاري:

يَزِينُ الفتى في قومِه ويَشِينُهُ ... وفي غيرهم أَخدانُهُ ومَداخِلُهْ
لكلِّ امرئٍ شكلٌ من الناس مِثلُه ... وكلُّ امرئٍ يهوي إلى ما يُشاكِلُهْ

[٣٢٧] وأنشَدَني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي:

إن كنتَ حُلْتَ وبي استبدلتَ مُطَّرِحًا ... وُدًّا فلم تأتِ مكروهًا ولا بِدْعَا
فكلُّ طيرٍ إلى الأشكالِ موقعُها ... والفرعُ يَجري إلى الأعراقِ منتزِعَا

قال أبو حاتم ﷺ: العاقلُ يجتنبُ مماشاةَ المريبِ في نفسه، ويفارقُ صُحبةَ المتَّهم في دينه؛ لأن مَن صَحِبَ قومًا عُرف بهم، ومَن عاشر امْرَأً نُسب إليه، والرجلُ لا يُصاحبُ إلَّا مِثلَه أو شَكْلَه، فإذا لم يجدِ المرءُ بُدًّا من صُحبة الناس، تَحرَّى صُحبةَ مَنْ زانه إذا صحبه، ولم يَشِنْه إذا عُرف به، وإنْ رأى منه حسنةً عَدَّها، وإن رأى منه سيئةً سترها، وإن سكت عنه ابتدأه، وإن سأله أعطاه.

فأما اليوم، فأكثرُ أحوال الناس تكونُ ظواهرُها بخلاف بواطنها، وما أُشبِّهُ عِشرتَهم إلَّا بما:

---

(١) **الصَّعو**: عصفور صغير.

[٣٢٨] أخبرني محمد بن يعقوب البغلاني: حدثني عبدُ الصمد بنُ الفضل: حدثنا الحسن بنُ سهيل التياس:

عن أبي عبيدة قال: «تكلَّم عصفورٌ في بني إسرائيل مع فَخٍّ، فقال العصفور: انحناؤك لماذا؟ قال: من العبادة. قال: دفنُك في التراب لماذا؟ قال: من التواضع. قال: فما هذا الشَّعْر؟ قال: هذا لباسي. قال: ما هذا الطعام؟ قال: هذا أعددتُه لعابر السبيل. قال: أفتأذنُ لي فيه؟ قال: نعم. قال: فنَقَر العصفور نَقْرةً، فأَخَذَ بعنقه، فجعل العصفور يقول: شَغْ شَغْ شَغْ[1]. وقال: واللهِ لا يغرُّني قارئٌ بعدَك أبدًا».

[٣٢٩] وانشَدَني محمد بن أبي عليٍّ للأقيشر:

إن كنت تبغي العلمَ أو نحوَه ... أو شاهدًا يُخبِرُ عن غائبِ
فاعتبِرِ الأرضَ بأسمائها ... واعتبِرِ الصاحبَ بالصاحبِ

[٣٣٠] وانشَدَني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي:

تَعَارَفُ أرواحُ الرجالِ إذا التَقَوا ... فمنهم عدوٌّ يُتَّقى وخليلُ
كذاك أمورُ الناس والناسُ منهمُ ... خفيفٌ إذا صاحبتَه وثقيلُ

[٣٣١] وانشَدَني المنتصر بن بلال الأنصاري:

اجعلْ قرينَك مَنْ رَضِيتَ فِعالَهُ ... واحذَرْ مقارنةَ القرينِ الشائنِ[2]
كم من قرينٍ شائنٍ لقرينِهِ ... ومُهجِّنٍ منه لكلِّ محاسنِ

قال أبو حاتم رضي الله عنه: إنَّ من الناس مَن إذا رآه المرءُ يُعجَبُ به، فإذا ازداد به علمًا ازداد به عُجْبًا، ومنهم مَن يُبغضُه حين يراه، ثم لا يزدادُ به علمًا إلَّا ازداد له مَقْتًا، فاتفاقُهما يكون باتفاقِ الرُّوحَينِ قديمًا، وافتراقُهما يكون بافتراقهما، وإذا ائتلفا ثم افترقا فِراقَ حياةٍ ـ من غير بُغضٍ حادثٍ ـ

---

(١) لعلَّه صوتُ الاختناق. واللهُ أعلم.

(٢) الشائن: الملوِّثُ سِيرةَ مَن يصاحبه.

أو فراقَ ممات، فهنالك الموتُ الفظيع، والأسفُ الوجيع.

ولا يكونُ موقفٌ أطولَ غُمَّةً، وأظهرَ حسرةً وأدومَ كآبةً، وأشدَّ تأسُّفًا، وأكثرَ تلهُّفًا: من موقف الفراق بين المتآخِيَينِ، وما ذاق ذائقٌ طعمًا أمرَّ من فراق الخِلَّينِ، وانصرامِ القرينين.

[٣٣٢] حدثنا محمدُ بن يعقوب الخطيب قال: سمعت مَعمَرَ بنَ سهلٍ يقول: سمعتُ جعفرَ بنَ عون يقول:

سمعت مِسعرَ بنَ كِدامٍ يقول:

لن يلبثَ القُرناءُ أن يتفرَّقوا ... ليلٌ يَكِرُّ عليهمُ ونهارُ

[٣٣٣] أنبأنا محمد بن المهاجر المعدَّل: حدثنا أبو أحمدَ بنُ حمَّادٍ البربري: حدثنا الزُّبير بن بكار:

حدَّثني محمد بن موسى ـ أبو غزيَّة ـ قال: كان أبو العتاهية إذا قَدِم المدينة يجلس إليَّ، فأراد مرةً الخروج، فودعني وقال:

إن نَعِشْ نجتمعْ وإلَّا فما ... أشْغَلَ مَن مات عن جميعِ الأنامِ!

[٣٣٤] حدثنا محمدُ بن أبي عليٍّ، قال: أنشدنا محمد بن موسى السَّمري:

أنشَدَنا أحمدُ بنُ عبد الأعلى الشيباني:

فيا عجبًا ممن يَمُدُّ يمينَه ... إلى إلفِه عند الفِراقِ فيُسرِعُ

ولمَّا رأيت البينَ قد جَدَّ جِدُّهُ ... وأيدي المطايا بالأحبَّةِ تُسرِعُ

ضعُفتُ عن التوديع لما رأيتُه ... فصافحتُه بالقلب والعينُ تدمعُ

[٣٣٥] وأنشَدَني ابنُ فيَّاضٍ للبحتري:

اللَّهُ جارُك في انطلاقِكْ ... تلقاءَ شامِكَ أو عِراقِكْ

لا تَعذُلَنِّي في مَسـ ... ـيري يومَ سِرتَ ولم أُلاقِكْ

إني خشيتُ مواقفًا ... للبَينِ تُسفِحُ غَرْبَ ماقِكْ[1]

(١) تُسفح: تُسيل. غرب: مسيل الدمع. ماقك: طرف العين.

وعلمتُ ما يَخشى المودِّ ... عُ عند ضمِّك واعتناقِك
فتركتُ ذاك تعمُّدًا ... وخرجتُ أهربُ مِن فِراقِك

[٣٣٦] وأنشَدَني منصور بن محمد الكُريزي:

أفي كلِّ يوم حَيَّةُ البَينِ تَقرعُ ... وعيني لبينٍ من ذَوِي الوُدِّ تَدمَعُ؟
فلا النفسُ مع تَهيامِها مستفيقةٌ ... ولا بالذي يأتي به الدهرُ تَقنعُ[١]

[٣٣٧] وأنشَدَني محمد بن بُندار بن أصرم:

أيا قلبُ لا تَجزَعْ من البين واصطبرْ ... فليس لما يُقْضَى عليك بدافعِ
توكَّلْ على الرَّحمٰن إن كنتَ مؤمنًا ... يُجِرْك ودَعْني من نُحوسِ الطَّوالِعِ
وكلُّ الذي قد قَدَّر اللَّهُ واقعٌ ... وما لم يُقدِّرْه فليس بواقعِ

[٣٣٨] وأنشَدَني عبد الرَّحمٰن بن يحيى بنِ حبيبٍ الأندلسيُّ لنفسه:

نَطَقَتْ مدامعُه بما في قلبه ... وعنِ الجواب لسانُه لا يَنطِقُ
فكأنه ممَّا يُقاسي قلبُه ... دَنِفٌ مريضٌ أو أسيرٌ مُوثَقُ[٢]
وكأنما الأشجانُ في أحشائِهِ ... لِفراقِ أهلِ الوُدِّ نارٌ تَحرِقُ
كيف السُّلُوُّ وهل له مِن سَلوةٍ ... مَنْ بان أحبابُه يَتَفَرَّقُ[٣]

قال أبو حاتم ﷺ: السبب المؤدِّي إلى إظهار الجزع عند فراق المتواخِيَينِ: هو تركُ الرضا بما يوجبُ القضاء، ثم ورودُ الشيء على مُضمَرِ الحشا بضدِّ ما انطوى عليه قديمًا، فمَن وطَّن نفسَه في ابتداء المعاشَرة على ورود ضدِّ الجميل عليها مِن صُحبته، وتأمَّل ورودَ المكروه منه على غفلته، لا يُظهِرُ الجزعَ عند الفراق، ولا يشكو الأسفَ والاحتراق، إلَّا بمقدار ما يوجبُ العلمُ إظهارَه.

ولقد أُولِعَ بجماعةٍ الفراقُ، حتى إنهم خرجوا إلى ثَلْبِ الطيور ومَدْحِ

---

(١) **التهيام**: الشوق والولع.
(٢) **الدنِف**: الذي لازمه المرض.
(٣) **السُّلُوُّ**: النسيان. **بان**: رحل.

الدِّمَنِ[١]، وتأوَّلوا لعنَ نوح عليه السلام الغرابَ.

[٣٣٩] أنبانا جعفر بن أحمدَ بنِ سِنان القطَّان بـ«واسط»: حدثنا عمرو بن محمد بن عيسى الضبَعي: حدثنا عبدُ الأعلى بن عبد الأعلى: حدثنا الجُريري، عن أبي السَّليل:

عن أبي مُراوح قال: «بَعث نوحٌ الغرابَ والحمامةَ حيث استقرَّت السفينة على «الجودِيِّ»، يلتمسانِ له الجُدَّ ـ يعني: الأرض ـ فأما الغرابُ، فرأىٰ جِيفةً، فوقع عليها، فأكل منها؛ وأما الحمامةُ، فجاءت عاضَّةً على غُصنِ شجرةٍ بطينٍ أحمر، قال: فدعا للحمامة بالبركة، وأمَّا الغراب فلعنه، وقال له قولًا شديدًا»[٢].

[٣٤٠] أنبانا محمد بن جعفر بن الحسن البغدادي: حدثنا أحمدُ بنُ محمد بن الحسن البَغَوي، قال:

قال سُليمُ بنُ منصور: أَمَرَتْ «لُبنَى»، فاشتُري له أربعُ غِربانٍ، فلما رأتْهُنَّ صرخت وبكت وكتَّفتهُنَّ، وجعلتْ تَضربُهنَّ بالسَّوط حتى قتلتهنَّ جميعًا. وأنشأت تقول:

لقد نادى الغرابُ ببَينِ لُبْنَى ... فطار القلبُ مِن حَذَرِ الغرابِ
وقال: غدًا تُباينُ دارَ لُبنى ... وتنأى بعدَ وُدٍّ واقترابِ
فقلتُ: تَعِستَ ـ ويْحكَ ـ من غرابٍ ... أكُلَّ الدهرِ سعيُك في تَبابِ[٣]؟
لقد أولَعتَ ـ لا لُقِّيتَ خيرًا ـ ... بتفريقِ المُحِبِّ عن الحِبابِ[٤]

---

(١) الدِّمَن ـ بفتح الميم ـ: المزابل. وبتسكينها: البَعْر.

(٢) هذا مما يُتوقفُ فيه ـ وإن كان الغالبُ على الظن كَذِبَه ـ، ويَحتاجُ إلى نقلٍ صحيحٍ ثابتٍ عن المعصوم ﷺ.

(٣) التباب: الخسار والهلاك.

(٤) هذا الخبر ـ وكذا الأخبارُ القادمة في ذم الغراب ـ، وأنه سبب الفراق ونحوًا من ذلك، هذا كلُّه مرفوضٌ شرعًا، ولا يُذمُّ هذا المخلوقُ المسكينُ بفعل غيره، ولم يأتِنا هذا في الشريعة المطهرة، فضلًا عن أنه داخلٌ في باب التشاؤم المنهيِّ عنه، ولم يأمرنا الله ورسوله بتعذيب مخلوقاته تعالى بمثل هذا السبب. والله أعلم.

[٣٤١] وأنشَدَني إبراهيم بن عليٍّ الطرفي، قال:

أنشَدَني عليُّ بن إسحاق:

غرابَ البينِ ويْحكَ صِحْ بقربٍ ... كما قد صِحتَ ويْحك بالبِعادِ
تُنادى بالتفرُّق كلَّ يوم ... فما لك بالتواصل لا تُنادي؟
أراني اللَّهُ رِيشَكَ عن قريبٍ ... تُمرِّطُهُ البُزاةُ بكلِّ وادي[(١)]
كما أسخَنْتَ يومَ البَيْن عيني ... وألقيتَ الحزازةَ في فؤادي[(٢)]

[٣٤٢] أنبانا إبراهيمُ بن محمد بن يعقوب بـ«هَمذان»: حدثنا عبدُ الكبير بن محمد الأنسي:

حدثنا بعضُ أصحابنا، قال: «مررتُ بالبصرة على باب دارٍ، فإذا بصوتِ غرابٍ يُجْلَد[(٣)]، فدنوتُ من الدار، فإذا صاحبةُ الدار، وبين يديها جَوَارٍ، وهي تأمرُ بجَلْدِه. فقلتُ: أما تتَّقون اللهَ في هذا الغراب؟ فقُلْنَ لي: هذا الغرابُ الذي قيل فيه:

ألَا يا غُرابَ البَينِ قد طِرْتَ بالذي ... أُحاذِرُ من لُبْنَى، فهل أنت واقعُ؟

فقلت: ليس هذا ذاك الغراب: فقالت: واللهِ ما نراك تأخذُ البريءَ بالسقيم حتى تظفرَ بذلك الغراب».

قال أبو حاتم ﷺ: قد ذكرت ما شاكَل هذه الحكاياتِ والأشعارَ على التقصِّي في كتاب «الوداع والفراق»، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب؛ إذ شرطُنا فيه الإشارةُ إلى الشيءِ المحصول، والإيماءُ إلى الشيءِ المقُول.

---

(١) **تُمرِّطُه**: تقطِّعه. **البُزاة**: الصقور.
(٢) **الحزازة**: الألم.
(٣) وهذا لا يَحِلُّ في شرع اللهِ ﷻ.

١٨

ذِكرُ الحثِّ على زيارةِ الإخوان وإكرامِهم

[٣٤٣] أنبأنا الحسن بن سفيان: حدثنا يزيد بن صالح اليشكري: حدثنا حمَّادُ بنُ سلمة، عن ثابتٍ، عن أبي رافعٍ:

عن أبي هريرة [رضي الله عنه]، عن رسول الله ﷺ: **«إن رجلًا زار أخًا له في قريةٍ، فأرصَدَ اللهُ على مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا**[١]**، فقال: أين تريد؟ فقال: أريدُ أخًا لي في هذه القرية، فقال: هل له عليك من نعمةٍ تَرُبُّها**[٢]**؟ قال: لا؛ إلَّا أني أُحِبُّه في الله، قال: إني رسولُ الله إليك أنَّ اللهَ ـ تبارك وتعالى ـ أحَبَّك كما أحببتَه»**[٣].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل تعاهُدُ الزيارةِ للإخوان، وتفقُّدُ أحوالهم؛ لأن الزائرَ ـ في قصده الزيارةَ ـ يشتملُ على مصادفة معنيين:

أحدهما: استكمالُ الذُّخرِ في الآجل بفِعله ذلك.

[٣٤٤] وقد قال بعض القدماء: «إن الرجل إذا زار أخًا له في الله، لم يَبْقَ في السماء مَلَكٌ إلَّا حيَّاهُ بتحيةٍ مستأنَفةٍ لا يُحيِّيه مَلَكٌ مثلَه[٤]، ولم تَبْقَ شجرةٌ من شجر الجنة إلَّا نادت صاحبتها: ألَا إن فلانَ بنَ فلانٍ زار أخًا في الله»[٥].

---

(١) **أرصد**: أعدَّ وأقعَدَ. **مدرجته**: طريق ذهابه.
(٢) **تربها**: تقوم بإصلاحها، وتنهض إليه بسببها.
(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٩٢)، ومسلم (٢٥٦٧)، وابن حِبَّان (٥٧٦).
(٤) أي: يُحيِّيه كلُّ مَلَكٍ بتحيةٍ جديدة، لا يُحييه بها مَلَكٌ آخر.
(٥) لا أعلمُ دليلًا شرعيًّا على هذا.

والآخر: التلذُّذُ بالمؤانسة بالأخ المزور، مع الانقلاب بغنيمتين معًا.

[٣٤٥] ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري: حدثنا الغلَّابي:

حدثنا عبدُ الله بن رجاء الغُدَاني قال: «كان عتبةُ الغُلام يأوِي [إلى] المقابر والصحاري، ثم يخرجُ إلى السواحل فيقيمُ بها، فإذا كان يومُ الجمعة دخل البصرةَ، فشهد الجمعة، ورأى إخوانه، فسلَّم عليهم».

[٣٤٦] حدثنا الحسنُ بن سفيان: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عفان: حدثنا جعفر بن سليمان: حدثني بعض مشيختِنا، قال:

قال عامرُ بن عبد قيس: «إنما أجدُني آسَفُ[1] على البصرة لأربع خصال: تجاوُبِ مؤذِّنيها، وظمإِ الهواجر، ولأنَّ بها إخواني، ولأنَّ بها وطني».

[٣٤٧] أنبأنا محمدُ بن المهاجر المعدَّل: حدثنا محمد بن بِشرٍ الخطَّابي: حدثنا محمدُ بن سهلٍ التميمي، قال:

سمعت الفريابيَّ يقول: «جاءني وكيعُ بن الجرَّاح من بيت المقدس وهو مُحرِمٌ بعُمرة، فقال: يا أبا محمد، لم يكن طريقي عليك، ولكني أحببتُ أن أزورَك وأُقيمَ عندك. فأقام عندي ليلةً، وجاءني ابنُ المبارك وقد أَحرَمَ بعُمرةٍ من بيت المقدس، فأقام عندي ثلاثًا، فقلت: يا أبا عبد الرَّحمٰن، أقِمْ عندي عشرةَ أيام، قال: لا؛ الضيافةُ ثلاثةُ أيام».

قال أبو حاتم ﷺ: الناسُ في الزيارة على ضربين:

١ - فمنهم من صحَّح الحال بينه وبين أخيه، وتعرَّى عن وجود الخلل، وورود البُغض فيه، فإذا كان بهذا النعت، أحببتُ له الإكثارَ من الزيارة، والإفراطَ في الاجتماع؛ لأن الإكثارَ من الزيارة بين مَن هذا نعْتُه لا يُورِّثُ المُلالة، والإفراطُ في الاجتماع بين مَن هذه صفتُه يزيدُ في المؤانسة.

(١) آسَف: أحزَن.

٢ ـ والضربُ الآخر: من لم يَستحكمِ الوُدُّ بينه وبين مَن يُؤاخيه، ولا أدَّاهما الحالُ إلى ارتفاعِ الحشمة بينهما فيما يَبتذلانِ لمهنتيهما[١]، فإذا كان بهذا النعتِ أحببتُ له الإقلالَ من الزيارة؛ لأن الإكثارَ منها بينهما يؤدِّي إلى المُلالة، وكلُّ مبذول مملول، وكلُّ ممنوع ملذوذ.

وقد رُوي عن النبي ﷺ أخبارٌ كثيرةٌ تُصرِّحُ بنفي الإكثار من الزيارة:

٣٤٨ حيث يقول: «زُرْ غِبًّا، تَزْدَدْ حُبًّا»[٢].

إلا أنه لا يصحُّ منها خبرٌ من جهة النَّقل، فتنكَّبْنا عن ذكرها وإخراجها في الكتاب، وإليها ذهب بعضُ الناس حتى ذكروها في أشعارهم.

٣٤٩ من ذلك ما أنشَدَني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي:

وقد قال النبيُّ ـ وكان بَرًّا ـ: إذا زُرتَ الحبيبَ فزُرْهُ غِبًّا
وأَقْلِلْ زَوْرَ من تهواه تزددْ إلى مَن زُرتَهُ مِقَةً وحُبًّا[٣]

٣٥٠ وانشَدَني محمد بن أبي عليٍّ:

إني رأيتُك لي مُحبًّا وإليَّ حينَ أغيبُ صَبًّا[٤]
فقعدتُ لا لِمُلالةٍ حَدَثَتْ ولا استحدثتُ ذنبًا
إلَّا لقولِ نبيِّنا: زُوروا على الأيامِ غِبًّا

٣٥١ أنبأنا محمد بن المهاجر المعدَّل: حدثنا خالد بن أحمد الشيباني: حدثنا سعيد بن عَنْبسة: حدثنا حميدُ بنُ عبد الرَّحمٰن الرؤاسي، قال:

---

(١) أي: لا زالا يخجلان من بعضهما إذا رأى أحدُهما أخاه بثيابِ المهنة.

(٢) حسن: رواه الطيالسي (٢٥٣٥)، والطبراني في «الأوسط» (١٧٥٤)، وفي «الصغير» (٥٦٤١)، والبيهقي في «الشعب» (٨٣٦٣)، والقضاعي (٦٢٩)، والخطابي في «العزلة» (٩٨ـ تهذيبي)، وقد ورد من حديث أبي هريرة وابن عمرو وأبي ذر ﷺ. وقد حسَّن الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٢١) رواية عبد الله بن عمرو ﷺ. وقال العلامة الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٨٣): «**صحيح لغيره**».

(٣) زَوْر: زيارة. المِقَة: المحبة.

(٤) صبًّا: مشتاقًا.

سمعت الحسنَ بن صالح يقول: «كلُّ مودَّةٍ لا تزدادَ إلَّا بالالتقاء: مدخولةٌ».

قال أبو حاتم ﷺ: مَن صحَّح الحال بينه وبين الإخوان، لم يضرَّه كثرةُ الالتقاء، ولا يضرُّه قِلَّةُ الاجتماع، لاستحكامِ الحال بينهما، والمودَّةُ إذا أضرَّ بها قِلَّةُ الالتقاء تكون مدخولة، وأمَّا مَن لم يَحُلَّ في نفس صحَّة الحال، ولم يستحكمْ أسبابَ الوداد؛ فالتوقِّي من الإكثار في الزيارة أولى به، لئلَّا يُستثقَلَ ويُمَلَّ.

[٣٥٢] وانشَدَني الخلادي: أنشَدَني أحمدُ بن محمد الصيداوي:

عليك بإقلالِ الزيارة إنها ... تكونُ إذا دامت إلى الْهجرِ مَسْلكَا
فإني رأيتُ القَطْرَ يُسْأمُ دائبًا ... وَيُسْأل بالأيدي إذا هو أمسكَا

[٣٥٣] وانشَدَني الكُريزي:

أَقْلِلْ زيارتَك الحبيـ ... ـبَ تكونُ كالثوب استَجَدَّهْ
إن الصديقَ يُمِلُّهُ ... ألَّا يزالَ يَراك عِندَهْ

[٣٥٤] وانشَدَني ابن أوسُ أحمدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أوس لأبي تمام:

وطولُ مُقامِ المرءِ في الحَيِّ مُخلِقٌ ... لديباجتيهِ فاغْتربْ تتجدَّدِ
فإني رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ مَحبَّةً ... إلى الخلق إذْ ليست عليهم بسَرْمَدِ[1]

[٣٥٥] انبانا الحسن بن سفيان: حدثنا حُميد بن زنجويه: حدثنا حسين بن الوليد: حدثنا عبدُ الله بن المؤمَّل، عن ابن أبي مُليكة، قال:

قال ابنُ عباس: «أكرمُ الناسِ عليَّ جليسي، الذي يتخطَّى رقابَ الناس حتى يجلسَ إليَّ».

[٣٥٦] انبانا مكحول بـ«بيروت»: حدثنا عُبيد الله بن محمد بن هارون: حدثنا عمرُو بن أبي سلمة، عن سعيد بن بَشير:

---

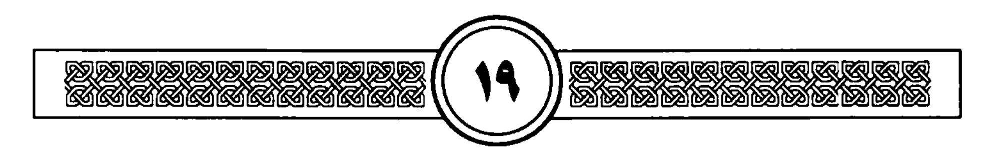
(١) السَّرْمد: الأبدية الدائمة.

عن قتادةَ في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1]، قال: «يُشفَّعون في إخوانهم»، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٦]، قال: «يُشفَّعون في إخوانِ إخوانهم»[2].

---

(١) أي: يستجيب اللهُ تعالى لهم ـ كما قال المفسِّرون ـ.

(٢) هذا نوعٌ من الاستجابة؛ والآية عامة في كل سؤال يسأله المؤمنون ربَّهم تبارك وتعالى.



ذِكرُ صِفةِ الأحمقِ والجاهل معًا

[٣٥٧] أنبأنا محمد بن نصرِ بن نوفل: أنبأنا أبو داود السِّنجي: حدثنا أبو عاصم، عن شُبيل بن عَزرة:

عن أنس بن مالكٍ [ﷺ] قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَثَلُ الجليسِ الصالح مَثَلُ العطَّار، إن لم يُعطِكَ شيئًا، يُصِبْك مِن عِطره، ومَثَلُ الجليسِ السُّوء مَثَلُ القَيْن[1]، إن لم يُحْرِق ثوبك، أصابك من دخانه»**[2].

قال أبو حاتم ﷺ: «شُبيل بن عزْرة» هذا من أفاضل أهل البصرة وقرَّائهم، ولكنه لم يحفظ إسنادَ هذا الخبر؛ لأن أنسَ بن مالك سمع هذا الخبر من أبي موسى عن النبي ﷺ، فقصَّر به شُبيل ولم يحفظه.

والواجبُ على العاقل: تركُ صُحبةِ الأحمق، ومجانبةُ معاشرة النَّوْكَى، كما يجبُ عليه لزومُ صحبة العاقل الأريب، وعِشرةُ الفطِنِ اللبيب؛ لأن العاقل وإن لم يُصِبْك الحظُّ من عقله، أصابك من الاعتبار به، والأحمقُ إن لم يُعْدِك حُمقُه تدنَّسْتَ بعشرته.

[٣٥٨] وقد أنبأنا الحسين بن محمد السِّنجي: حدثنا إبراهيمُ بن أبي داود البَرلُّسي: حدثنا زُهير بن عبَّاد: حدثنا شهابُ بن خِراش، عن أبيه:

عن يُسير بن عمرو ـ وكان قد أدرك الصحابة ـ قال: **«اهجُرِ الأحمق، فليس للأحمق خيرٌ من هجرانه»**.

---

(١) **القَيْن**: الحداد.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم برقم (٢٨٧).

[٣٥٩] أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل: حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربعي: حدثنا أحمدُ بن إسحاق الخشَّاب، عن الأصمعي:

عن سلمةَ بنِ بلال قال: كان فتًى يُعجِبُ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فرآه يومًا وهو يماشي رجلًا متَّهمًا، فقال له:

فلا تَصْحَبِ أخا الجهل ... وإيَّاكَ وإيَّاهُ
فكم من جاهلٍ أردى ... حليمًا حين آخاهُ
يُقاس المرءُ بالمرءِ ... إذا ما هو ماشاهُ
وللشيءِ من الشيءِ ... مقاييسٌ وأشباهُ
وللقلبِ على القلبِ ... دليلٌ حين يلقاهُ

[٣٦٠] وأنشَدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

اختَرْ ذَوِي التمييزِ واستَبْقِهِمْ ... وجانِبِ النَّوْكَى وأهْلَ الرِّيَبْ
فصُحبةُ العاقلِ زَينُ الفتى ... وصُحبةُ الأنوكِ أخذُ السببْ

قال أبو حاتم رضي الله عنه: من علاماتِ الحمق ـ التي يجبُ للعاقل تفقُّدها ممن خَفِيَ عليه أمره ـ: سرعةُ الجواب، وتركُ التثبُّت، والإفراطُ في الضحك، وكثرةُ الالتفات، والوقيعةُ في الأخيار، والاختلاط بالأشرار.

والأحمقُ إذا أعرضْتَ عنه اغتمَّ، وإن أقبلتَ عليه اغترَّ، وإن حَلُمتَ عنه جَهِل عليك، وإن جَهِلتَ عليه حَلُم عنك، وإن أسأتَ إليه أحسن إليك، وإن أحسنتَ إليه أساء إليك، وإذا ظلمتَه انتصفتَ منه، ويظلمُك إذا أنصفته.

وما أُشبِّهُ عِشرةَ الحمقى إلَّا بما:

[٣٦١] أنشَدَني محمد بن إسحاق الواسطي:

لي صديقٌ يرى حقوقي عليه ... نافلاتٍ وحقَّه كان فرضَا
لو قطعتُ الجبال طولًا إليه ... ثم مِن طولها سِرتُ عَرْضَا
لرأى ما صنعتُ غيرَ كبيرٍ ... واشتهى أن أزيدَ في الأرض أرضَا

[٣٦٢] حدثنا محمد بن سعيد القزَّاز: حدثنا إبراهيمُ بن الجنيد قال: قال لي أبو

طاهر بن السرح، قال: حدثني خالي - أبو رجاء عبدُ الرَّحمٰن بن عبدِ الحميد -:

عن سعيد بن أبي أيوب قال: «لا تصاحبْ صاحبَ السوء، فإنه قطعةٌ من النار، لا يستقيمُ وُدُّه، ولا يَفِي بعهده».

[٣٦٣] وأنشَدَني المنتصر بن بلال الأنصاري:

لن يسمعَ الأحمقُ مِن واعظٍ ... في رِفعةِ الصوت وفي همسِهِ
لن تبلغَ الأعداءُ من جاهلٍ ... ما يبلغُ الجاهلُ من نفسِهِ
والحُمقُ داءٌ ما له حِيلةٌ ... تُرجى كبُعدِ النَّجم في لَمْسِهِ

قال أبو حاتم ﷺ: أظلمُ الظلمات الحمقُ، كما أن أنفذَ البصائرِ العقل، فإذا امتُحن المرءُ بعِشرةِ الأحمق، كان الواجبُ عليه اللزومَ لأخلاق نفسه، والمباينةَ لأخلاقه، مع الإكثار من الحمد للهِ على ما وهب له من الانتباه لِمَا حَرَم غيرَه التوفيقَ له، فإن جرى الأحمقُ في صُحبته مَيدانَه في عشرته، فالواجبُ على العاقل لزومُ السكوت حينئذٍ في أوقاته.

[٣٦٤] لأن ابا حمزةَ - محمد بنَ عمر بن يوسف - أنبانا بـ«نَسَا»: حدثنا نصرُ بن عليٍّ الجَهْضَمِيُّ: حدثنا ابنُ داود، قال:

سمعت الأعمش يقول: «السكوت للأحمق جواب».

قال أبو حاتم ﷺ: وإنَّ من الحمقى مَنْ لا يَصدُّه عن سلوكه السكوتُ عنه، ولا يدفعُه عن دخول المكامن الإغضاءُ عنه ولا ينفعه.

فالعاقلُ إذا امتُحن بعِشرةِ مَن هذا نَعتُه، تكلَّف بعضَ التجاهُل في الأحايين[1]؛ لأن بعضَ الحِلمِ إذعانٌ[2]، كما أن استعماله في بعض الحالات قُطبُ العقل.

---

(١) أي: بين حين وآخر.

(٢) الإذعان: الخضوع. ولعله يقصد أن حِلمَك عن الأحمق يدفعه للخضوع لك.. والله أعلم.

٣٦٥ ولقد أنشَدَني محمد بن إسحاق الواسطي:

لئن كنتُ محتاجًا إلى الحِلْم إنني ... إلى الجهل في بعض الأحايينِ أحوجُ
ولي فرسٌ للحِلمِ بالحِلمِ مُلجَمٌ ... ولي فرسٌ للجهل بالجهل مُسرَجُ(١)
فمَن شاء تقويمي فإني مقوَّمٌ ... ومَن شاء تعويجي فإني معوَّجُ
وما كنت أرضى الجهلَ خِدْنًا ولا أخًا ... ولكنني أرضى به حين أُحْرَجُ
فإن قال بعض الناس: «فيه سماجةٌ» ... فقد صَدَقوا والذُّلُّ بالحُرِّ أسمجُ(٢)

٣٦٦ وأنشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

لن تُرْضيَ الرَّذْلَ إلَّا حين تُسخِطُهُ ... وليس يَسَخطُ إلَّا حين تُرضِيهِ
ولا يسوؤُك إلَّا حين تُكرِمُهُ ... ولا يسرُّك إلَّا حين تُقصِيهِ

٣٦٧ حدثنا أبو يعلى: حدثنا سُريج بن يونس: حدثنا أبو سفيان المعمري:

عن سفيان الثوري قال: «ابنُ آدم لم يُخلقْ إلَّا أحمق، ولولا ذلك لم ينفعْه عيشُه».

٣٦٨ حدثنا محمدُ بن سعيد القزَّاز: حدثنا عصام بن الفضل الرازي: حدثنا الزبير بن بكَّار، عن محمد بن حرب، قال:

قال عبدُ الله بنُ حسنٍ لابنه: «يا بُنيَّ، احذر الجاهل - وإن كان لك ناصحًا - كما تَحذَرُ العاقلَ إذا كان لك عدوًّا؛ فيوشِكُ الجاهلُ أن يورِّطَك بمشورته في بعض اغترارك، فيسبقُ إليك مكرُ العاقل».

قال أبو حاتم ﷺ: ومن شِيَمِ الأحمق(٣): العَجَلةُ، والخِفَّةُ، والعَجزُ، والفجورُ، والجهلُ، والمقتُ، والوهنُ، والمهانةُ(٤)، والتعرُّضُ، والتحاسدُ، والظلمُ، والخيانةُ، والغفلةُ، والسهوُ، والغَيُّ، والفحشُ، والفخرُ، والخُيلاء، والعدوانُ، والبغضاء.

---

(١) **مُلجَم**: مقيَّد. **مسرج**: مُعَدٌّ.
(٢) **السماجة**: القباحة.
(٣) **الشيم**: الأخلاق.
(٤) **المهانة**: الوقوف مواقف الذل.

وإن من أعظم أمارات الحمقِ في الأحمق: لسانُه؛ فإنه يكونُ قلبُه في طرف لسانه، ما خَطَر على قلبه نَطَق به لسانُه.

والأحمقُ يتكلمُ في ساعةٍ بكلامٍ يَعجِزُ عنه سَحبانُ وائلٍ[١]! ويتكلمُ في الساعة الأخرى بكلامٍ لا يعجِزُ عنه باقِلٌ[٢].

والعاقلُ يجبُ عليه مجانبةُ مَنْ هذا نعتُه، وتركُ مخالطةِ مَنْ هذه صفته، فإنهم يجترؤون على مَن عاشرهم؛ ألَا ترى الزُّطَّ[٣]؛ ليسوا هم بأشجعِ الناس، ولكنهم يجترؤون على الأُسْدِ لكثرة ما يرونها!.

[٣٦٩] وأنشَدَني محمد بن يوسف بن أيوب الأرمني:

ولَمَنْ يُعادي عاقلًا خيرٌ له ... من أن يكون له صديقٌ أحمقُ
فارغبْ بنفسك أن تصادقَ أحمقًا ... إنَّ الصديقَ على الصديق مصدَّقُ

[٣٧٠] وأنشَدَني منصور بن محمد الكريزي: أنشَدَني أبي:

لصالح بن عبد القدُّوس رَحِمَهُ اللهُ:

احذَرِ الأحمقَ أن تصحبَهُ ... إنما الأحمقُ كالثوبِ الخَلِقْ[٤]
كلَّما رقَّعتَه من جانبٍ ... حرَّكته الرِّيحُ وهنًا فانخرَقْ
أو كصدعٍ في زجاجٍ فاحشٍ ... هل تَرى صَدْعَ زجاجٍ يَلتصقْ؟
كحمارِ السُّوءِ إن أقْضَمْتَهُ ... رَمَح الناسَ وإن جاع نَهَقْ
وإذا جالستَهُ في مجلسٍ ... أفسدَ المجلسَ منه بالخَرَقْ[٥]
وإذا نَهنهتَهُ كي يرعوي ... زاد شرًّا وتمادى في الحَمَقْ[٦]
عجبًا للناس في أرزاقهم ... ذاك عطشانٌ وهذا قد غَرِقْ!

---

(١) سَحبان وائل: أحد فصحاء العرب.
(٢) الباقل: بائع البقول.
(٣) الزُّط: جيلٌ أسودُ من السند.
(٤) الخلِق: القديم البالي.
(٥) الخرق: الحُمق.
(٦) نَهنهتَه: غمزتَه وحركته.

[٣٧١] أنبأنا يعقوب بن إسحاق القاضي: حدثنا أبو هانئ - عبد الحميد بن عبد الله -: حدثنا عبد المُنعم، عن أبيه:

عن وهبِ بنِ مُنبِّهٍ قال: «الأحمقُ كالثوب الخَلِق، إنْ رَفَّأْتَه[١] من جانبٍ، انخرق من جانبٍ آخر، ومِثلِ الفَخَّار المكسور، لا يُرَقَّع، ولا يُشْعَب[٢]، ولا يُعادُ طينًا».

فهذا مَثَلُ الأحمق: إن صَحِبتَه عنَّاك[٣]، وإن اعتزلتَه شتمك، وإن أعطاك منَّ عليك، وإن أعطيتَه كَفَرك[٤]، وإن أسَرَّ إليك اتَّهمك، وإن أسررتَ إليه خانك، وإن كان فوقَك حَقَرك، وإن كان دونك غَمَزك.

[٣٧٢] وأنشَدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

اعلم بأنَّ منَ الرجالِ بهيمةً ... في صورةِ الرجلِ السميعِ المبصرِ
فَطِنًا بكلِّ مصيبةٍ في مالِهِ ... وإذا يُصابُ بدينه لم يشعُرِ

[٣٧٣] وأنشَدَني محمد بن عبد الله البغدادي:

وإن عناءً أن تفهِّم جاهلًا ... فيحسبَ جهلًا أنه منك أعلمُ
وتَشْخَصُ أبصارُ الرَّعاعِ تعجُّبًا ... إليه وقالوا: إنه منك أفهمُ

قال أبو حاتم ﷺ: الأحمقُ يَتوهَّمُ[٥] أنه أعقلُ من رُكِّبَ فيه الروح، وأن الحُمقَ قُسِّم على العالَمِ غيرِه! والأحمقُ مُبَغَّض في الناس، مجهولٌ في الدنيا، غيرُ مَرْضيِّ العمل، ولا محمودِ الأمر عند الله وعند الصالحين، كما أن العاقل محبَّبٌ إلى الناس، مُسَوَّدٌ في الدنيا[٦]، مرضيُّ العملِ عند اللهِ في الآخرة، وعند الصالحين في الدنيا.

---

(١) **رفَّأته**: أصلحته.
(٢) **يُشعَب**: يُلصَق طرفاه.
(٣) **عنَّاك**: أتعبك.
(٤) **كفرك**: أنكر نعمتَك.
(٥) **يتوهَّم**: يتخيل.
(٦) **مُسَودً**: مجعولٌ سيدًا.

[٣٧٤] أنبانا محمد بن المنذر بن سعيد: حدثنا خطاب بن عبد الرَّحمٰن الجنَدي: حدثنا عبد الله بن سليمان، قال:

كان الحسنُ يقول: «أنا للعاقل المدبِر أرجى منِّي للأحمق المقبل».

[٣٧٥] وانشَدَني المنتصر بن بلال الأنصاري:

وما الغيُّ إلَّا أن تُصاحبَ غاويًا ... وما الرشدُ إلَّا أن تصاحبَ مَنْ رَشَدْ

ولن يصحَبَ الإنسانُ إلَّا نظيرَه ... وإن لم يكونَا مِن قَبيلٍ ولا بلدْ

[٣٧٦] وانشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

لنا جليسٌ تاركٌ للأدب ... جليسُهُ مِن نَوْكِهِ في تعبْ

يَغضَبُ جهلًا عند حالِ الرِّضا ... عمدًا ويرضى عند حالِ الغضبْ

فنحنُ منه كلَّما جاءنا ... في عجبٍ قد جازَ حدَّ العجبْ

فكأنه من سوءِ تأديبِهِ ... أُسْلِمَ في كُتَّاب سوءِ الأدبْ

[٣٧٧] أنبانا محمد بن المهاجر المعدَّل: حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربعي: حدثنا عبدَ الله بن موسى البصري: حدثنا العتبي، قال:

سمعت أعرابيًا يقول: «العاقلُ بخشونةِ العيش مع العقلاء أسرُّ منه بلِينِ العيش مع السفهاء».

قال أبو حاتم ﷺ: وإنَّ من شِيَم العاقل: الحِلمَ، والصمتَ، والوقارَ، والسكينةَ، والوفاءَ، والبَذْلَ، والحكمةَ، والعلمَ، والورعَ، والعدلَ، والقوَّةَ، والحزمَ، والكياسةَ، والتمييزَ، و[حُسْنَ] السَّمتِ، والتواضعَ، والعفوَ، والإغضاءَ[1]، والتعفُّفَ، والإحسانَ.

فإذا وُفِّق المرءُ لصُحبةِ العاقل، فلْيَشُدَّ يديه به، ولا يُزايِلْه[2] على الأحوال كلِّها.

والواجبُ على العاقل ألَّا يصحبَ بحِيلةٍ مَن لا يستفيدُ منه خيرًا.

---

(١) الإغضاء: المسامحة.

(٢) يُزايلُه: يفارقه.

[٣٧٨] ولقد أنبأنا محمد بن محمود بن عديٍّ النَّسوي: حدثنا عليُّ بن سعيد بن جرير، قال: سمعت أحمدَ بنَ حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول:

أُخبِرتُ عن مالكِ بن دينار أنه قال: «مررتُ براهبٍ في صومعتِه، فناديته، فأشرف عليَّ، فكلَّمني وكلَّمته، فقال لي فيما يقول: إذا استطعتَ أن تجعلَ فيما بينك وبين الدنيا حائطًا من حديدٍ، فافعلْ. وإياك وكلَّ جليسٍ لا تستفيدُ منه خيرًا، فلا تجالِسْه ـ قريبًا كان أو بعيدًا ـ».

٢٠

ذِكرُ الزَّجرِ عن التجسُّسِ وسوءِ الظن

[٣٧٩] حدثنا محمد بن أحمد الرَّقام بـ«تُستَر»: حدثنا أبو الخطاب ـ زياد بن يحيى ـ: حدثنا أبو داود: حدثنا سُليم بن حيَّان، عن أبيه:

عن أبي هريرة [ﷺ] قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إياكم والظنَّ؛ فإن الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تَجسَّسوا، ولا تَحسَّسوا[١]، ولا تباغضوا، وكونوا ـ عبادَ اللهِ ـ إخوانًا»[٢].**

[٣٨٠] حدثنا محمد بن عثمان العَقَبي: حدثنا جعفر بن محمد بن الحجاج الرَّقِّي: حدثنا محمد بن حاتم الجرجرائي: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن يونس بن نافع، عن كثير بن زياد، قال:

سمعتُ الحسنَ يقول: «لا تسأل عن عملِ أخيك ـ الحسنِ والسيئ ـ، فإنه من التجسس».

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل لزومُ السلامة بترك التجسُّس على[٣] عيوب الناس ـ مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه ـ؛ فإنَّ مَنِ اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بَدَنَه، ولم يُتعِبْ قلبَه، فكلَّما اطَّلع على عيبِ

---

(١) التجسس والتحسس متقاربا المعنى ـ على المعتمد عند أهل العلم ـ. وانظر: «تفسير القرطبي» (١٩/٣٩٨ ـ ط: الرسالة).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/٢٨٧)، والبخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣)، وأبو داود (٤٩١٧)، والترمذي (٢١٠٥)، وابن حِبَّان (٥٦٨٧).

(٣) في المطبوع: «عن»، ولعل الأصح ما أثبتُّه.

لنفسه، هان عليه ما يرى مثلَه من أخيه، وإنَّ منِ اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عَمِيَ قلبُه، وتَعِب بدنُه، وتعذَّر عليه تركُ عيوب نفسه، وإنَّ مِن أعجز الناس مَن عاب الناسَ بما فيهم، وأعجزُ منه مَن عابهم بما فيه، ومن عاب الناسَ عابُوه.

[٣٨١] ولقد أحسن الذي يقول:

إذا أنت عِبتَ الناسَ عابُوا وأكثروا ... عليك وأبدَوا منك ما كان يُستَرُ
وقد قال في بعضِ الأقاويل قائلٌ ... لـه منطقٌ فيـه كـلامٌ مُحَبَّرُ:
إذا ما ذكرتَ الناسَ فاتركْ عيوبَهم ... فلا عيبَ إلَّا دونَ ما منك يُذكَرُ
وإن عِبتَ قومًا بالذي ليس فيهمُ ... فذلك عند اللَّهِ والناسِ أكبرُ
وإن عِبتَ قومًا بالذي فيك مِثلُه ... فكيف يَعيبُ العُورَ مَن هو أعورُ؟
وكيف يَعيبُ الناسَ مَن عَيْبُ نفسِه ... أشدُّ إذا عَدَّ العيوبَ وأنكرُ؟
متى تلتمسْ للناس عيبًا تَجِدْ لهم ... عيوبًا ولكنَّ الذي فيك أكثرُ
فسالِمْهمُ بالكفِّ عنهم فإنهم ... بعيبك مِن عينيك أهدى وأبصَرُ

[٣٨٢] حدثنا محمد بن سعيد القزَّاز: حدَّثنا هارونُ بن صَدَقة القاضي:

حدثنا سعيدُ بنُ مَسْلَمةَ الإياديُّ، قال: «ادَّعت امرأةٌ على رجلٍ حمارًا لها، فقدَّمته إلى القاضي، فسألها البيِّنة، فأحضرت أبا دِلامةَ ورجلًا آخر، فقال لها القاضي: أما شاهِدُكِ هذا فقد قبِلنا شهادته، فأْتِينَا بشاهدٍ آخر، فأتت أبا دلامةَ فأخبرته، فصار إلى القاضي، وأنشأ يقول:

إنِ الناسُ غطَّوني تغطَّيتُ عنهمُ ... وإن بحثوا عني ففيهم مباحثُ
وإن حَفَروا بئري حَفَرتُ بئارهم ... ليُعلمَ يومًا كيف تلك النبائثُ؟[1]

فقال القاضي للمرأة: كم ثمنُ حِمارِكِ؟ قالت: ثلاثُمِئةٍ. قال: قد احتملتُها لكِ من مالي».

---

(١) النبائث: حفر القبور والآبار.

[٣٨٣] وانشَدَني الكريزي:

أرى كلَّ إنسانٍ يرى عيبَ غيره ... ويَعْمَى عن العيب الذي هو فيهِ
وما خيرُ مَنْ تخفَى عليه عيوبُه ... ويبدو له العيبُ الذي لأخيهِ؟

[٣٨٤] حدثنا محمد بن المنذر: حدثنا الليثُ بن عَبْدةَ المصري: حدثنا الحسنُ بن واقع: حدثنا ضمرة:

عن الشَّيبانيِّ قال: «في الكتب مكتوب: كما تدينُ تدان، وبالكأس الذي تَسقي به تَشرب وزيادةً؛ لأن البادئَ لا بدَّ له من أن يُزاد».

قال أبو حاتم ﷺ: التجسُّسُ من شُعب النفاق، كما أن حُسنَ الظنِّ من شُعب الإيمان، والعاقلُ يُحسِنُ الظنَّ بإخوانه، وينفردُ بغُمومه وأحزانه، كما أن الجاهلَ يسيءُ الظنَّ بإخوانه، ولا يُفكِّرُ في جناياته وأشجانه.

[٣٨٥] ولقد أحسن الذي يقول:

ما يستريحُ المُسيءُ ظنًّا ... مِن طُولِ غمٍّ وما يُريحُ
وقلَّ وجهٌ يَضيقُ إلَّا ... ودونَه مذهبٌ فَسيحُ
مَنْ خفَّفَ اللَّهُ عنه هبَّت ... مِن كلِّ وجهٍ إليه رِيحُ
والجسمُ حيث استقرَّ هادٍ ... والرُّوحُ جَوَّالةٌ تسيحُ
كما تذبحُ الأرضُ من بَنِيها ... كلُّ بنيها لها ذبيحُ
لن يَهلِكَ المرءُ من سماحٍ ... وقلَّما يُفلِحُ الشَّحيحُ

قال أبو حاتم ﷺ: سوءُ الظن على ضربين:

أحدُهما: منهيٌّ عنه بحكم النبيِّ ﷺ.

والضرب الآخر: مستحبٌّ.

١ ـ فأمَّا الذي نُهي، فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافةً ـ على ما تقدم ذِكرُنا له ـ.

٢ ـ وأما الذي يُستحبُّ من سوء الظن، فهو لمن بينه وبينه عداوةٌ أو شحناءُ في دينٍ أو دنيا، يخافُ على نفسه مَكْرَه، فحينئذٍ يلزمُه سوءُ الظنِّ

بمكائدِه ومكرِه، لئلَّا يصادفَه على غِرَّةٍ[١] بمكره فيُهلِكَه.

[٣٨٦] وفي ذلك أنشَدَني الأبرش:

وحُسنُ الظنِّ يَحسُنُ في أمورٍ ... ويَكمُنُ في عواقبِهِ نَدامةْ
وسوءُ الظن يَسمُجُ في وجوهٍ ... وفيه من سماجته حَزَامَةْ[٢]

[٣٨٧] وأنشَدَني محمد بن إسحاق الواسطي:

ما ينبغي لأخي لُبٍّ وتَجرِبةٍ ... أن يتركَ الدهرَ سوءَ الظنِّ بالناسِ
حتى يكونَ قريبًا في تباعُدِه ... غِبًّا ويَدفعُ ضُرَّ الحرصِ بالياسِ[٣]

[٣٨٨] حدثنا محمد بن المنذر: حدثنا إبراهيم بن هانئ: حدثنا ابنُ أبي مريم: أنبأنا الليثُ، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن بُسْر بن سعيد:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «مكتوبٌ في التوراة: من نَحَر نُحر، ومَن حفر حفرةَ سُوءٍ لصاحبه وقع فيها».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل مباينةُ العوامِّ في الأخلاق والأفعال، بلزوم ترك التجسس على عيوبِ الناس؛ لأن مَن بَحث عن مكنونِ غيره، بُحث عن مكنون نفسه، وربما طَمَّ مكنونُه على ما بَحث من مكنون غيره، وكيف يُستحسَنُ بمُسلمٍ ثَلْبُ مسلمٍ بالشيء الذي هو فيه؟!.

[٣٨٩] وأنشَدَني المنتصر بن بلال الأنصاري:

لَا تَلْتَمِسْ من مَساوِي الناسِ ما سَتَروا ... فيَهتِكَ الناسُ سِترًا مِن مَساويكَا
واذكُرْ محاسنَ ما فيهم إذا ذُكِروا ... ولا تَعِبْ أحدًا عيبًا بما فيكَا

[٣٩٠] وأنشَدَني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي:

إذا ما اتَّقيتَ الأمرَ من حيثُ يُتقَى ... وأبصرتَ ما تأتي فأنت لبيبُ

---

(١) الغِرَّة ـ بكسر الغين ـ: الغفلة.
(٢) السماجة: القباحة. الحزامة: الحزم.
(٣) اليأس: اليأس.

ولا تكُ كالناهي عن الذنب غيرَهُ وفي كَفِّه مما يُذَمُّ نصيبُ
يَعيبُ فِعالَ السوء مِن فِعلِ غيرِهِ ويفعلُ أفعالَ الذينَ يَعيبُ

[٣٩١] حدثنا محمد بن المهاجر المعدَّل: حدثنا محمد بن موسى السمري: حدثنا حمَّادُ بن إسحاق بن إبراهيمَ، عن أبيه، قال:

وحدَّثني عزيز[1]، عن الزبير بن موسى المخزومي قال:

قالت ابنةُ عبد اللهِ بن مُطيع الأسود ـ وهي زوجة طلحة بن عبد الله بنِ عوفٍ ـ لزوجها: «ما رأيتُ أحدًا قَطُّ ألْأم من أصحابك. قال: مَهْ! لا تقولي ذاك فيهم، وما رأيتِ من لؤمهم؟ قالت: أمرًا ـ واللهِ ـ بَيِّنًا. قال: وما هو؟ قالت: إذا أيسَرْتَ لزِموك، وإذا أعسرت جانبوك. قال: ما زدتِ على أن وصفتِهم بمكارمِ الأخلاق. قالت: وما هذا من مكارم الأخلاق؟! قال: يأتوننا في حال القوَّة منَّا عليهم، ويفارقوننا في حال الضعف منَّا عليهم».

[٣٩٢] أخبرنا عمر بن محمد الهمداني: ثنا الفضلُ بن سهل الأعرج: ثنا يعقوبُ بن إبراهيم بن سعد: ثنا أبي، عن صالح بن كَيسان، عن ابن شهاب: حدثني زُرارةُ بن مصعب بن عبد الرَّحمٰن بن عوف: أن المِسوَرَ بنَ مَخرمة أخبره:

أن عبد الرَّحمٰن بن عوفٍ أخبره: أنه حَرَسَ ليلةً مع عمر بن الخطاب ﷺ، فبينما هم يمشُون إذ شَبَّ لهم سِراجٌ في بيت، فانطلقوا

(١) كذا في المطبوع، ولعلها «عُزير»، وعلى ما في المطبوع، فقد ورد النهي عن هذا الاسم في السُّنَّة المشرَّفة، فعن خيثمةَ بن عبد الرَّحمٰن بن سبرة ﷺ أنه ذهب مع جده إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «ما اسمُ ابنِكَ؟» قال: عزيز. فقال النبي ﷺ: «لا تُسمِّهِ عزيزًا؛ ولكن سمِّه عبد الرَّحمٰن». ثم قال: «إن خيرَ الأسماء: عبدُ الله وعبد الرَّحمٰن والحارث». وهو حديث صحيح: رواه أحمد (١٧٨/٤)، والبزار (١٩٩٣)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (١٦٢/٢)، وابن سعد (٢٨٦/٦)، وابن حِبَّان (٥٨٢٨)، والحاكم (٢٧٦/٤) ـ مختصرًا ـ، وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه العلَّامة شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٤٧/٢٩).

يؤمُّونه؛ حتى إذا دنَوا إذا بابُ البيت مُجافٍ على قومٍ لهم فيه أصواتٌ مرتفعةٌ ولَغَطٌ، فقال عمر ـ وأخذ بيد عبد الرَّحمٰن ـ: أتدري بيتَ من هذا؟ فقال: هذا بيتُ ربيعةَ بن أُميةَ بنِ خَلَف، وهم الآن في شُرْب[1]، قال: فماذا ترى؟ فقال عبد الرَّحمٰن: أرى أنا قد أتينا ما نُهينا عنه! قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، وقد تجسَّسنا، فانصرف عمرُ وتركه».

(١) أي: يشربون الخمر.

٢١

ذِكرُ الحثِّ على مجانبةِ الحرص للعاقل

[٣٩٣] حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا بِشرُ بن معاذ العقَدِي: حدثنا أبو عوانة، عن قتادة:

عن أنسٍ [رضي الله عنه] قال: قال النبي ﷺ: «**يَهْرَمُ ابنُ آدم، وتَشِبُّ منه اثنتانِ: الحرصُ، والحسَد**»(١).

قال أبو حاتم رضي الله عنه: رَكَّب اللهُ جلَّ وعزَّ في البشر الحرصَ والرغبةَ في الدنيا الفانية، لئلَّا تَخرَب، إذ هي دار الأبرار، ومكسَبُ الأتقياء، وموضعُ زاد المؤمنين، واستجلابُ المِيْرَةِ للصالحين(٢)، ولو تعرَّى الناس عن الحرص فيها بَطَلت وخَرِبت، فلم يجدِ المؤمنُ ما يستعينُ به على أداء فرائض الله، فضلًا عن اكتساب ما يُجْدِي عليه النفعَ في الآخرة نفلًا.

والإفراطُ في الحرص مذموم.

[٣٩٤] كما أنشدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

ليس عندي إلَّا الرضا بقضاء اللَّه ... فيما أحببتُه أو كرِهتُهْ

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ: وهذا الإسناد فيه «بِشرُ بن معاذ العَقَدي»، قال عنه الحافظ في «التقريب» ترجمة (٧٠٤): «صدوق»، وإنما وقفت على ألفاظ مقاربة. منها: «**يهرمُ ابنُ آدم، وتَشِبُّ معه اثنتان: الحرصُ على المال، والحرصُ على العمر**». رواه مسلم (١٠٤٧)، والترمذي (٣٢٢٩). ومنها: «**قلبُ الشيخ شابٌّ على حبِّ اثنتين: طول الحياة، وحب المال**». رواه أحمد (٢/ ٣٩٤)، ومسلم (١٠٤٦)، والترمذي (٢٣٣٨)، وفي لفظ آخر للبخاري (٦٤٢٠): «**لا يزالُ قلبُ الكبير شابًّا في اثنتين: حُبِّ الدنيا، وطول الأمل**»، وهناك ألفاظ مقاربة أخرى. وقد تشهد لرواية المصنف هنا. واللهُ أعلم.

(٢) **الميرة**: الزاد.

لَوْ إلَيَّ الأمورُ أختارُ منها ... خيرَها لي عواقبًا ما عرفتُهْ
ولو أنِّي حرَصتُ جَهدي أن أد ... فع أمرًا مقدَّرًا ما دفعتُهْ
فأرى أن أردَّ ذاك إلى مَن ... عنده عِلمُ كلِّ ما قد جَهِلتُهْ

[٣٩٥] وأنشدَني محمد بن نُصير المديني:

يا كثيرَ الحرصِ مشغو ... لًا بدنيا ليس تبقَى
ما رأينا الحرصَ أدنى ... من حريصٍ قَطُّ رزقًا
لا ولكن في قضاءِ اللَّه ... أن تَغْيَا وتَشقَى
تعرِفُ الحقَّ ولكنْ ... لا ترى للحقِّ حقًّا

[٣٩٦] أنبانا أحمدُ بن محمَّد بن سعيد القَيسي: حدثنا محمَّد بن الوليد بن أبَان: حدثنا نُعيم بنُ حَمَّاد:

عن ابن المبارك قال: «سخاءُ النفسِ عما في أيدي الناس أكثرُ من سخاء البذْل، ومروءةُ القناعة أكثرُ من مروءة الإعطاء».

[٣٩٧] أنشدَنا أبو يعلى قال: أنشدونا منذ دهرٍ للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَدَرُ اللَّهِ واقعٌ ... حيث يُقضَى وُرُودُهْ
قد مضى فيك حُكمُهُ ... وانقضى ما يُريدُهْ
وأخو الحرصِ حِرصُهُ ... ليس مما يَزِيدُهْ
فأرِدْ ما يكونُ إذ ... لَمْ يكنْ ما تريدُهْ

[٣٩٨] أنبانا عبد اللهِ بنُ عروة: حدثنا يعقوبُ الدَّورقي: حدثنا ابنُ عُليَّة، عن أيوب:

عن ابن سيرين قال: «إذا لم يكن ما تريد، فأرِدْ ما يكون».

قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أغنى الأغنياء مَن لم يكن للحرص أسيرًا، وأفقرُ الفقراء مَن كان الحرصُ عليه أميرًا؛ لأن الحرصَ سببٌ لإضاعة الموجود عن مواضعه، والحرصُ مَحْرَمَة[1]، كما أن الجُبْنَ مَقتلة، ولو لم يكنْ في الحرص

---

(١) مَحْرَمة: حرمان.

خَصلةٌ تُذمُّ إلَّا طولُ المناقشة بالحساب في القيامة على ما جَمَع، لكان الواجبُ على العاقل تركَ الإفراط في الحرص.

[٣٩٩] وقد كان بعضُ أصحابنا كثيرًا ما يُنشد:

تَجانَبِ الحرصَ ودعْ عنك الحسدْ   ففيهما الذُّلُّ وإتعابُ الجسدْ

[٤٠٠] وانشَدَني الكريزي:

وأرَّقني طولُ التفكُّرِ أنني   عجبتُ لدهرٍ ما تَقَضَّى عجائبُهْ
فكمْ عاجزٍ يُدْعى جليدًا لغَشْمه   ولو كُلِّفَ التقوى لَكلَّت مضارِبُهْ[1]
وعفٍّ يسمَّى عاجزًا لعفافِهِ   ولولا التُّقَى ما أعجزَتْه مذاهِبُهْ
فليس بحرصِ المرء أدركه الغِنَى   ولا باحتيالٍ أدرك المالَ كاسِبُهْ
ولكنه قَبضُ الإلهِ وبَسطُهُ   فلا ذا يُجاوِزُهُ ولا ذا يُغالِبُهْ

قال أبو حاتم ﷺ: الحرصُ غيرُ زائدٍ في الرزق، وأهونُ ما يعاقَبُ الحريصُ بحرصه: أن يُمنعَ الاستمتاعَ بما عنده من محصوله[2]، فيتعبُ في طلب ما لا يَدري: أيَلحَقُه، أم يحُولُ الموتُ بينه وبينه؟.

ولو لَزِم الحريصُ تركَ الإفراط فيه، واتَّكل على خالق السماء، لأتحَفَه المولى - جلَّ وعزَّ - بإدراكِ ما لا يَسعى فيه، والظَّفرِ بما لو سعى فيه - وهو حريصٌ عليه - لَتعذَّر عليه وجودُه.

[٤٠١] وانشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

ألَا رُبَّ باغٍ حاجةً لا ينالُها   وآخَرَ قد تُقْضَى له وهو آيسُ[3]
يحاولها هذا وتُقضى لغيره   وتأتي الذي تُقضى له وهو جالسُ

[٤٠٢] وانشَدَني عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

وكم مِن أكلةٍ مَنعت أخاها   بلذَّةِ ساعةٍ أكَلاتِ دهرِ!

---

(١) الجليد: القوي. الغَشم: الظلم. كلَّت: ضعفت. مَضاربه: قوَّته.
(٢) محصوله: ما حصله من متاع الدنيا. (٣) باغ: طالب. آيس: يائس.

وكم من طالبٍ يسعى لشيءٍ ... وفيه هلاكُه لو كان يدري!

قال أبو حاتم ﷺ: الحرصُ علامة الفقر، كما أن البُخلَ جِلبابُ المسكنة، والبُخلُ لِقاحُ الحرص، كما أن الحميَّةَ لقاحُ الجهل، والمنعُ أخو الحرص، كما أن الأَنَفَةَ[1] توأمُ السَّفه.

[٤٠٣] وأنشدَني عمرُو بن محمَّد، قال: أنشدني الغلَّابي:

لا تأتينَّ نذالةً لِمنالةٍ ... فليأتينَّك رزقُكَ المقدورُ

واعلمْ بأنك آخِذٌ كلَّ الذي ... لك في الكتاب مُحَبَّرٌ مسطورُ[2]

واللَّهِ ما زاد امرءٌ في رِزقِه ... حرصٌ ولا أزْرَى به التقصيرُ

[٤٠٤] وأنشدَني محمَّد بن عبد اللهِ بن زنجي البغدادي:

وارضَ من العيش في الدنيا بأيسرِهِ ... ولا ترُومنَّ ما إن رُمتَهُ صَعُبَا

إنَّ الغنيَّ هو الراضي بعِيشته ... لا مَن يَظلُّ على ما فات مكتئبَا

[٤٠٥] انبانا محمد بن سعيد القزَّاز: حدثنا عبد اللهِ بن يحيى بن حُميدٍ الطويل:

حدّثنا أبو عبد الرَّحمٰن العُتبي: حدثني أبي، قال: «اختصمتْ بنو إسرائيل في القَدَر خَمْسَمِئة عام، ثم تحاكموا إلى عالِمٍ من علمائهم، فقالوا له: أخبِرْنا عن القَدَر، وقَصِّر وبيِّن لِتفهمَه عنكَ العَوامُّ. فقال: حرمانُ عاقل، وحظُّ جاهل»[3].

قال أبو حاتم ﷺ: لا حظَّ في الراحة - إن أطاع الحرص - إذ الحرصُ سائقُ البلايا، فالواجبُ على العاقل ألَّا يكون بالمُفرِطِ في الحرص على الدنيا؛ فيكونَ مذمومًا في الدارَين، بل يكونُ قصدُه إقامةَ فرائض الله، ويكونُ لبُغيته نهايةٌ يرجعُ إليها؛ لأن مَن لم يكن لقصده منها نهايةٌ، آذى

---

(١) الأنفة: الكبر والترفع. (٢) مُحبَّر: مكتوب.

(٣) ليست هذه قاعدةً ثابتةً لا تتخلَّف - وإن كانت شائعةً -، وليتَه إذ سُئل عن القدر قال: «هو سرُّ اللهِ في خلقه»، إذ هذا أصحُّ وأسد، والله تعالى أعلم.

نفسَه، وأتعب بدنه؛ فمَن كان بهذا النعت، فهو من الحرص الذي يُحمد.

[٤٠٦] وأنشَدَني المنتصر بن بلال الأنصاري:

الحرص عونٌ للزمان على الفتى ... والصبرُ نِعمَ القِرْنُ للأزمانِ[1]

لا تَخضعنَّ فإن دهرَك إن رأى ... منك الخضوعَ أمَدَّهُ بهوانِ

وإذا رآك وقد قصدتَ لِصَرفِهِ ... بالصبر لاقى الصبرَ بالإذعانِ

[٤٠٧] وانشَدَني منصور بن محمد الكُريزي، قال:

أنشَدَني شُعيبُ بن أحمد لأبي العتاهية:

لا تخضعنَّ لمخلوقٍ على طمعٍ ... فإن ذاك مُضِرٌّ منك بالدِّينِ

[٤٠٨] وانشَدَني الكُريزي ـ أيضًا ـ، قال:

أنشَدَني شُعيب بن أحمد لأبي العتاهية:

قدشاب رأسي ورأسُ الحرص لم يَشِبِ ... إنَّ الحريصَ على الدنيا لفي تَعَبِ

ما لي أراني إذا حاولتُ منزلةً ... فنِلتُها طَمِحتْ نفسي إلى رُتَبِ!

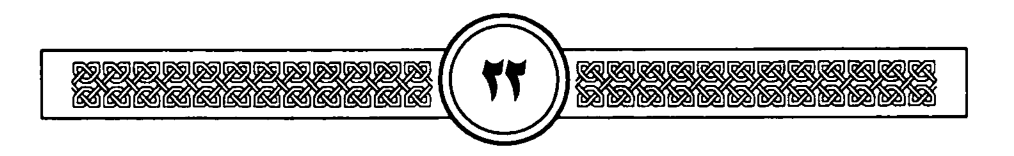
لو كان ينفعُني علمي وتَجرِبتي ... مَا اشتَدَّ غيظي عَلَى الدنيا ولا كَلَبي[2]

قال أبو حاتم رضي الله عنه: قد ذكرت ما يُشاكلُ هذه الحكاياتِ بعِللها في كتاب «الثقة بالله»، بما أرجو أن يكون فيه غُنْيةٌ لمن أراد الوقوف على معرفتها، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب.

---

(١) **القِرْن** ـ بكسر القاف ـ: الصاحب.

(٢) **الكَلَب** ـ بفتح اللام ـ: الشَّرَه.



ذِكرُ الزَّجرِ عن التحاسُد والبغضاء

[٤٠٩] أنبأنا محمد بن الحسين بن مكرم البزَّاز بـ«البصرة»: حدثنا عمرو بن عليٍّ الفَلَّاس: حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج:

حدّثني عطاءٌ أنه سمع أبا هريرة [ﷺ] يقول: قال رسول الله ﷺ: **«لا تباغَضوا، ولا تَحاسدوا، ولا تدابَروا، وكونوا ـ عبادَ الله ـ إخوانًا»**(١).

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل مجانبةُ الحسد على الأحوال كلِّها؛ فإن أهونَ خصالِ الحسد هو تركُ الرضا بالقضاء، وإرادةُ ضدِّ ما حَكَم اللهُ جلَّ وعلا لعباده، ثم انطواءُ الضمير على إرادةِ زوال النِّعم عن المسلم.

والحاسدُ لا تهدأُ روحُه، ولا يَسكُنُ قلبُه، ولا يستريحُ بدنه إلَّا عند رؤية زوالِ النعمة عن أخيه، وهيهاتَ أن يُساعِدَ القضاءُ ما للحُسَّاد في الأحشاء.

[٤١٠] وأنشَدَني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي:

اعذِرْ حَسُودَكَ فيما قد خُصِصْتَ بهِ ... إنَّ العُلا حسنٌ في مِثلِها الحسدُ
إنْ يحسُدوني فإني لا ألُومُهمُ ... قبلي منَ الناس أهلُ الفضل قد حُسِدُوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهمُ ... ومات أكثرُنا غيظًا بما يجدُ
أنا الذي وجدوني في صُدورِهِمُ ... لا أرتقي صَدَرًا منهم ولا أرِدُ

[٤١١] أنبأنا أبو خليفة: حدثنا ابن كثير: أنبأنا سفيان الثوري، عن أبي إسحاق:

عن عمرو بن ميمون، قال: «رأى موسى رجلًا عند العرش، فغَبَطه

(١) **صحيح**: وقد تقدم برقم (٣٧٨) من طريق عطاءٍ عن أبي هريرة ﷺ.

بمكانه، فسأل عنه[١]، فقال: ألَا أُخبِرُك بعملٍ كان يعملُه؟ كان لا يحسُدُ الناس على ما آتاهم اللهُ من فضله، ولا يعُقُّ والديه. قال: وكيف يعقُّ والديه؟ قال: يَستَسِبُّ لهما حتى يُسَبَّا[٢]، ولا يمشي بالنميمة».

[٤١٢] أنشَدَني ابنُ بلال الأنصاري:

عينُ الحسود عليك الدهْرَ حارسةٌ ... تُبدي مساويك والإحسانُ يُخفيها
فاحذرْ حراستَها واحذرْ تكشُّفَها ... وكنْ على قَدرِ ما تُوليك توليها

[٤١٣] أنبأنا عبدُ الرَّحمٰن بن زياد الكِتاني بـ«الأُبُلَّة»: حدثنا أبو يحيى الضرير: حدثنا موسى بن داود: حدثنا ابن لَهيعة، عن كعب بن علقمة:

قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: «ما من أحدٍ عنده من اللهِ نعمةٌ، إلَّا وجدتَ له حاسدًا، ولو كان المرءُ أقومَ من القِدْح لوجدتَ له غامزًا، وما ضرَّت كلمةٌ لم يكنْ لها خواطب»[٣].

[٤١٤] وأنشَدَني عليُّ بن محمد البسامي:

حَسَدوا الفتى إذ لم ينالُوا سَعْيَه ... فالقومُ أندادٌ له وخُصومُ
كضرائرِ الحسناءِ قُلْنَ لوجهها ... حسدًا وبغيًا: إنه لَدميمُ
وترى اللبيبَ مُحَسَّدًا لم يَجْتَلِبْ ... شَتْمَ الرجالِ وعِرْضُهُ مشتومُ

[٤١٥] أخبرنا محمد بن سعيد القزَّاز: حدثنا أحمدُ بن زهير بن حرب: حدثنا غسَّانُ بن المفضَّل: أخبرني محمد بن يزيد، عن يونس بن عُبيد، قال:

قال ابنُ سيرين: «ما حسدتُ أحدًا على شيءٍ من الدنيا؛ لأنه إن كان من أهل الجنة، فكيف أحسدُه على شيءٍ من الدنيا وهو يصيرُ إلى

---

(١) أي: سأل اللهَ تعالى.
(٢) أي: يَسُبُّ شخصًا ما، فيسب هذا الشخصُ أباه وأمَّه، فيكون الأولُ كأنه هو الذي سبَّ والديه.
(٣) أي: لا تضرُّ الكلمةُ ما لم تجدْ لها سامعًا. والله أعلم.

الجنة؟ وإن كان من أهل النار، فكيف أحسدُه على شيءٍ من الدنيا وهو يصيرُ إلى النار؟».

قال أبو حاتم ﷺ: الحسدُ من أخلاق اللئام، وتركُه من أفعال الكرام، ولكلِّ حريقٍ مُطفئٌ، ونارُ الحسد لا تُطفأ.

ومن الحسد يتولَّدُ الحِقْدُ، والحقدُ أصل الشر، ومَنْ أضمر الشرَّ في قلبه، أنبتَ له نباتًا مُرًّا مُذاقُه، نماؤُه الغيظ، وثمرتُه الندم.

والحسدُ هو: «اسمٌ يقعُ على إرادةِ زوال النِّعم عن غيره، وحُلولها فيه»؛ فأمَّا من رأى الخير في أخيه، وتمنَّى التوفيق لمثله، أو الظفَرَ بحاله ـ وهو غيرُ مُريدٍ لزوالِ ما فيه أخوه ـ؛ فليس هذا بالحسد الذي ذُمَّ ونُهي عنه.

ولا يكادُ يوجدُ الحسد إلَّا لمن عَظُمت نعمةُ اللهِ عليه، فكلَّما أتحفه الله بترداد النِّعم، ازداد الحاسدون له بالمكروه والنِّقم.

[٤١٦] وقد كان داودُ بنُ عليٍّ ـ رحمةُ اللهِ عليه ـ يُنشِدُ كثيرًا:

إني نشأتُ وحُسَّادي ذوُو عددٍ ... يا ذا المعارجِ لا تَنْقُصْ لهم عددَا
إنْ يَحسُدُوني على ما كان من حسنٍ ... فمثلُ خُلُقيَ فيهم جَرَّ لي حسدَا

[٤١٧] حدثنا عمرُو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا مهديُّ بن سابق: أخبرنا عبَّاد بن عبَّاد المهلَّبي، قال:

قال أبو جعفر المنصورُ لسفيانَ بن معاوية: «ما أسرعَ الناسَ إلى قَدْمَتِك المدينةَ! فقال: يا أمير المؤمنين:

إن العرانينَ تلقاها مُحَسَّدةً ... ولن ترى للئام الناسِ حُسَّادَا[1]

[٤١٨] وأنشَدَني الكريزي: أنشدني محمد بن الحُسين العَمِّي:

حسَدوا النعمةَ لما ظهرت ... فرَمَوها بأباطيلِ الكَلِمْ
وإذا ما اللَّهُ أبدى نِعمةً ... لمَ يَضِرْها قولُ حُسَّادِ النِّعمْ

---

(١) **العرانين**: السادة والكبراء.

[٤١٩] سمعت أحمدَ بن محمد بن الأزهر يقول: سمعت أحمدَ بن سعيد الدارميَّ يقول:

سمعت أبا إسحاق الطالْقاني يقول: «كنا نتعلَّمُ في الكُتَّاب ـ كما نتعلمُ «أبو جاد» ـ: جهلٌ نَيسابوري، وبُخلٌ مَرْوَزِي، وحسدٌ هَرَوي، وكَرَم بَلْخي».

[٤٢٠] أنبأنا محمد بن عثمان العَقَبي: حدثنا عمرانُ بن موسى بن أيوب: حدثني أبي، عن مَخْلَد بنِ الحسين، عن هشام:

عن ابن سيرين قال: «ما حسدتُ أحدًا على دينٍ ولا دنيا»[١].

قال أبو حاتم ﷺ: لا يوجدُ من الحسود أمانٌ أحْرَزُ[٢] من البُعد منه؛ لأنه ما دام مشرفًا على ما خُصِصتَ به دونه، لم يَزِدْه ذلك إلَّا وحشةً وسُوءَ ظنٍّ بالله، ونماءً للحسد فيه.

فالعاقلُ يكون على إماتةِ الحسد ـ بما قَدَر عليه ـ أحرصَ منه على تربيته، ولا يجدُ لإماتته دواءً أنفعَ من البُعاد؛ فإن الحاسدَ ليس يحسُدُك على عيبٍ فيك، ولا على خيانةٍ ظهرت منك، ولكن يحسُدُك لِمَا تَركَّب فيه من ضدِّ الرضا بالقضاء.

[٤٢١] كما قال العتبي:

أفكِّرُ ما ذنبي إليك؟ فلا أرى ... لنفسيَ جُرمًا غيرَ أنك حاسِدُ

[٤٢٢] وأنشدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

ليس للحاسدِ إلَّا ما حَسدْ ... وله البغضاءُ من كلِّ أحدْ

وأرى الوِحدةَ خيرًا للفتى ... مِن جليسِ السُّوءِ فانْهضْ إنْ قَعَدْ

[٤٢٣] وأنشدَني محمد بن نُصير المديني لحبيب بن أوس:

وإذا أراد اللَّهُ نشْرَ فضيلةٍ ... طُوِيت أتاح لها لسانَ حسودِ

---

(١) راجع الأثر (٤١٦)، فهو أتمّ.

(٢) أحرزُ: أشدُّ أمانًا.

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورت ... ما كان يُعرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ
لولا التخوُّفُ للعواقب لـم تَزَلْ ... للحاسدِ النُّعْمَى على المحسودِ

٤٢٤ أنبأنا محمد بن المنذر: حدثنا يحيى بن أبي طالب: حدثنا رَوحُ بن عبادة: حدثنا حمَّادٌ:

عن حُميدٍ قال: «قلتُ للحسن: يا أبا سعيد، هل يحسُدُ المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب ـ لا أبَا لك ـ حيث حسَدوا يوسف! ولكن غُمَّ[1] الحسدَ في صدرك، فإنه لا يضرُّك، ما لم يَعْدُ لسانَك وتعملْ به يدُك».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقل إذا خَطَر بباله ضربٌ من الحسد لأخيه، أبلَغَ المجهودَ في كتمانه، وترَك إبداءَ ما خطر بباله.

وأكثرُ ما يوجدُ الحسدُ بين الأقران، أو مَن تَقارَبَ في الشكل؛ لأن الكَتَبَةَ[2] لا يحسُدها إلَّا الكَتَبة، كما أن الحَجَبةَ[3] لا يحسُدُها إلَّا الحَجَبة، ولن يبلغَ المرءُ مرتبةً من مراتب هذه الدنيا، إلَّا وَجد فيها مَنْ يُبغِضُه عليها، أو يحسُدُه فيها.

والحاسدُ خَصمٌ معانِدٌ، لا يجبُ للعاقل أن يجعلَه حَكَمًا عند نائبةٍ تحدُث، فإنه إنْ حكم لم يحكمْ إلَّا عليه، وإن قَصَد لم يَقصِدْ إلَّا له[4]، وإن حَرَم لم يَحرِمِ إلَّا حَظَّه، وإن أعطى أعطى غيرَه، وإن قَعَد لم يقعُد إلَّا عنه، وإن نَهض لم ينهضْ إلَّا إليه، وليس للمحسودِ عنده ذنبٌ إلَّا النِّعمُ التي عنده!.

فلْيحذرِ المرءُ ما وصفت من أشكاله وأقرانه وجيرانه وبني أعمامه.

٤٢٥ ولقد أنبأنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي:

حدثنا العبَّاسُ بن بكَّارٍ، قال: «قال رجلٌ لشبيب بن شَبَّة: إني

---

(١) غُمَّ: اكتُم.
(٢) الكَتَبة: الكُتَّاب.
(٣) الحَجَبة: الحراس.
(٤) أي: إنْ قَصَد الإضرار، لم يضرَّ إلا مَن يحسُدُه. والله أعلم.

لأحبُّك. قال: صدقتَ، قال: وما عِلمُك؟ قال: لأنك لست بجارٍ ولا ابنِ عمٍّ».

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل الحازمِ أن يوطِّنَ نفسه على تحمُّلِ مُقاساةِ ألَم الحسد من الحاسد فيه. وأكثرُ ما يوجدُ الحسدُ من الجيران والإخوان ـ إذا تعرَّوا عن الديانة ولزوم أسباب الصيانة ـ، ثم من الأقارب؛ إذ الأقاربُ في الحقيقة عقارب ـ إلَّا من عصمه اللهُ، وجاز به عن أمثالِها ـ، ثم في أهل الصناعة الذين لم يَسلُكوا مَسلَكَ ذَوِي الحِجَى، ولا راموا مَحِلَّ أُولي النِّحَل في مجانبة الدِّين في الأقوال، ولزوم ضدِّه بالأعمال.

٤٢٦ وانشَدَني محمد بن عبد اللهِ بن زنجي البغدادي:

أنت امرؤٌ قصُرَتْ عنه مروءتُه ... إلَّا مِن الغِشِّ للإخوان والحسدِ
أإنْ تراني خيرًا منك تَحسُدُني؟ ... إن الفضيلةَ لا تخلُو من الحسدِ

قال أبو حاتم ﷺ: بِئس الشِّعارُ للمرء الحسد؛ لأنه يورِّثُ الكَمَد[1]، ويورِّثُ الحزن، وهو داءٌ لا شفاءَ له.

والحاسدُ إذا رأى بأخيه نعمةً بُهت[2]، وإن رأى به عَثْرَةً شَمِت، ودليلُ ما في قلبه كمين على وجهٍ مُبِين[3]، وما رأيتُ حاسدًا سالَمَ أحدًا.

والحسدُ داعيةٌ إلى النكد؛ ألَا ترى إبليس! حَسَد آدم، فكان حسدُه نكدًا على نفسه، فصار لعينًا بعدما كان مَكينًا[4]، ويسهلُ على المرء تَرَضِّي[5] كلِّ ساخطٍ في الدنيا حتى يرضى، إلَّا الحسود؛ فإنه لا يُرضيهِ إلَّا زوالُ النعمة التي حَسَدَ من أجلها.

٤٢٧ ولقد حدَّثني محمد بن عثمان العقبي: حدثنا محمد بن زكريا الغلَّابي: حدثنا ابنُ عائشة، قال:

---

(١) الكَمَد: الهم والألم. (٢) بُهت: انكسر.
(٣) أي: حسدُه مستورٌ في قلبه، لكنه ظاهرٌ على وجهه.
(٤) مكينًا: ذا مكانةٍ سامية. (٥) ترضِّي: إرضاء.

قال بعض الحكماء: «ألزَمُ الناس للكآبة[1] أربعةٌ: رجلٌ حديد[2]، ورجلٌ حسود، وخليطٌ للأدباء ـ وهو غيرُ أديب ـ، وحكيمٌ محتقَرٌ لدى الأقوام.

وأبعدُ الناس من الدخول في دين الحق والنصيحة لأهله:

١ ـ جاهلٌ وَرِثَ الضلالةَ عن أهلِه ورأسِ أهل مِلَّتِه، حَظِيَ فيهم بفضلِ الضلالة[3].

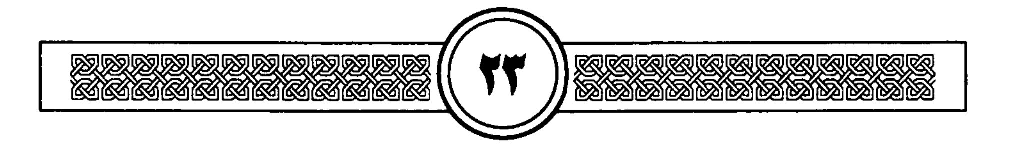
٢ ـ ومُعظِّمٌ للدنيا، يَرى بَهجتَها دائمةً محبوبةً، ويرى ما رُجِيَ من خيرها قريبًا، وما صُرف من شرِّها بعيدًا، ليس يعقدُ قلبُه على الإيمان.

٣ ـ ورجلٌ خالَط النُّسَّاك[4]، فانصرف عنهم لحرصه وشَرَهه، ودامجهم[5] على مكر وخديعة».

وباللهِ التوفيق.

---

(١) أي: أكثرهم لزومًا لها ولصوقًا بها.
(٢) **حديد**: قاسي القلب.
(٣) أي: أخذ منهم بقيةَ الضلالة.
(٤) **النُّسَّاك**: العُبَّاد.
(٥) **دامجهم**: خالطهم.



ذِكرُ الحثِّ على مجانبةِ الغضب، وكراهيةُ العَجَلة

٤٢٨ أنبأنا عمرُ بن حفص البزَّاز بـ«جُنديسابور»: حدثنا محمد بن زياد الزيادي: حدثنا الفُضيل بن عياض، عن سليمان، عن أبي صالح:

عن أبي هريرة ـ أو جابرٍ ـ قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: علِّمني شيئًا ـ يا رسول الله ـ أدخلُ به الجنَّةَ، ولا تُكثِرْ عليَّ؛ لعلِّي أعقِلُ. قال: **«لا تغضبْ»**(١).

قال أبو حاتم رضي الله عنه: أحسنُ الناس عقلًا: مَن لم يَحْرِد(٢)، وأحضرُ الناس جوابًا مَن لم يغضب.

وسرعةُ الغضب أنكى في العاقل من النار في يَبيس العَوْسَج(٣)؛ لأنَّ من غَضِب زايَلَه عقلُه(٤)، فقال ما سوَّلتْ له نفسُه، وعَمِل ما شانه وأرداهُ(٥).

٤٢٩ ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبي: حدثنا إسحاق بن زكرياء البُناني: حدثنا عبدُ الصمد بن حسَّان:

حدَّثني وُهيب قال: «مكتوبٌ في الإنجيل: ابنَ آدم، اذكُرْني حين تغضب، أذكرْك حين أغضب، فلا أمحقُك فيمن أمحق. وإذا ظُلْمت فلا تنتصر، فإن نُصرتي لك خيرٌ من نصرتك لنفسك».

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٦٢)، والبخاري (٦١١٦)، والترمذي (٢٠٢٠).

(٢) **الحَرْد**: الغضب.

(٣) **اليبس**: الجاف. **العوسج**: شجرٌ كثير الشوك.

(٤) **زايَله**: فارَقه.

(٥) **شانه**: فضحه. **أرداه**: أهلكه.

٤٣٠ وأنشَدَني الكُريزي:

ولم أرَ فضلًا تَمَّ إلَّا بشِيمةٍ ... ولم أرَ عقلًا صحَّ إلَّا على الأدبِ

ولم أرَ في الأعداء حين اختبرتُهم ... عدوًّا لعقلِ المرء أعدى منَ الغضبِ

قال أبو حاتم ﷺ: سرعةُ الغضب من شِيَم الحمقى، كما أن مجانبتَه من زِيِّ العقلاء.

والغضبُ بَذْرُ الندم، فالمرءُ على تركه ـ قبلَ أن يغضب ـ أقْدَرُ منه على إصلاح ما أفسده بعد الغضب.

٤٣١ ولقد أنبأنا محمد بن إسحاق الثقفي: حدثنا حاتمُ بن الليث الجوهري:

حدَّثنا بكَّارُ بنُ محمد قال: «كان ابنُ عون لا يغضب، فإذا أغضبه إنسانٌ قال: بارك اللهُ فيك»!.

٤٣٢ وأنشَدَني محمدُ بن إسحاق بن حبيب الواسطي:

لم يأكلِ الناسُ شيئًا مِن مآكِلِهم ... أحلى وأحْمدَ عاقبةً من الغضبِ

ولا تلحَّفَ إنسانٌ بملحفةٍ ... أبهى وأزينَ مِن دِينٍ ومِن أدبِ

٤٣٣ أنبأنا كاملُ بن مكرم: حدثنا الربيع بن سليمان: حدثنا أسدُ بن موسى: حدثنا ضمرةُ:

عن أبي سعيد قال: «كان عَونُ بن عبد الله بن عتبة إذا غضب على غلامه قال: ما أشبَهك بمولاك[1]! أنت تعصيني وأنا أعصي اللهَ! فإذا اشتدَّ غضبُه قال: أنت حرٌّ لوجه الله».

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل ـ إذا ورد عليه شيءٌ بضدِّ ما تهواه نفسُه ـ أن يذكر كثرةَ عصيانِه ربَّه، وتواتُرَ[2] حِلمِ اللهِ عنه، ثم يُسكِّنُ غضبَه، ولا يُزْري بعقله بالخروجِ إلى ما لا يليقُ بالعقلاء في أحوالهم، مع تأمُّلِ وفورِ الثواب في العُقبى بالاحتمال ونفي الغضب.

---

(١) يقصد عونٌ نفسَه.

(٢) تواتر: تتابع.

[٤٣٤] وانشَدَني الانصاري:

وكظميَ الغيظَ أولى من محاولتي غـيظَ العدوِّ بإضراري بإيماني
لا خيرَ في الأمرِ تُرديني مَغبَّتُهُ يومَ الحساب إذا ما نُصَّ مِيزاني[١]

[٤٣٥] انبانا محمد بن المنذر: حدثنا عمرُ بن عليِّ بن زياد العنبري، قال:

سمعت سَلْمَ بنَ ميمونَ الخواص يقول:

سكتُّ عن السفيهِ فظنَّ أنِّي عَيِيتُ عن الجوابِ وما عَيِيتُ[٢]
شِرارُ الناس لو كانوا جميعًا قذًى في جوفِ عيني ما قَذِيتُ[٣]
فلستُ مجاوبًا أبدًا سفيهًا خَزِيتُ لِمن يُجاوبُهُ خَزِيتُ
إذا نَطَق السفيهُ فلا تُجِبْهُ فخيرٌ من إجابته السكوتُ

[٤٣٦] وانشَدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

تأنَّ في أمرك وافهمْ عنِّي فليس شيءٌ يَعدلُ التأنِّي
تأنَّ فيه ثم قلْ فإنِّي أرجو لك الإرشادَ بالتأنِّي

[٤٣٧] اخبرني محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا عبد الله بن جعفر الزبيري، عن سعيد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة، قال: أنشَدَني يونسُ بن إبراهيم بن محمد بن طلحة:

لمحمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله:

فلا تَعجَلْ على أحدٍ بظُلْمٍ فإن الظلمَ مرتعُهُ وخيمُ[٤]
ولا تفحَشْ وإن مُلِّيتَ غيظًا على أحدٍ فإن الفحش لُومُ[٥]
ولا تقطعْ أخًا لك عند ذنبٍ فإن الذنبَ يغفرُهُ الكريمُ
ولكنْ داوِ عَوجاهُ برِفقٍ كما قد يُرْقَعُ الخَلِقُ القديمُ[٦]

---

(١) نُصَّ: رُفع.
(٢) عَيِيتُ: عجزتُ.
(٣) القذى: ما يدخل في العين ويؤذيها.
(٤) أي: عاقبته مشؤومة.
(٥) مُلِّيتَ: مُلئت. لوم: لؤم.
(٦) عوجاه: اعوجاجه وعيبه. الخَلِق: البالي.

ولا تَجزعْ لريبِ الدَّهرِ واصبِرْ فإن الصبْرَ في العُقبى سليم[١]
فما جَزَعٌ بمُغْنٍ عنك شيئًا ولا ما فاتَ تُرْجِعهُ الهمومُ

قال أبو حاتم ﷺ: لو لم يكن في الغضب خَصلةٌ تُذمُّ إلَّا إجماعُ الحكماء قاطبةً على أن الغضبان لا رأيَ له، لكان الواجب عليه الاحتيالُ لمفارقته بكل سبب.

والغضبانُ لا يَعذِرْه أحدٌ في طلاقٍ ولا عتاق؛ ومن الفقهاء مَن عَذَرَ السكرانَ في الطلاق والعتاق[٢].

والخَلقُ مجبولون على الغضبِ والحِلمِ معًا، فمَن غضب وحَلُم في نفس الغضب؛ فإن ذلك ليس بمذموم، ما لم يخرِجْه غضبُه إلى المكروه من القول والفعل، على أن مفارقته في الأحوال كلِّها أحمدُ.

[٤٣٨] ولقد أنبأنا عمرُو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا مهديُّ بن سابق، عن عطاءٍ، قال:

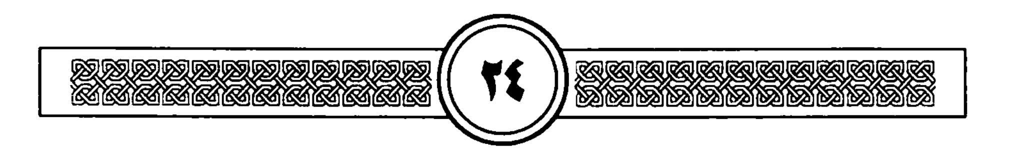
قال عبدُ الملك بن مروان: «إذا لم يغضَبِ الرجلُ لم يَحلُمْ؛ لأن الحليمَ لا يُعرف إلَّا عند الغضب».

وباللهِ التوفيق.

---

(١) ريب الدهر: حوادث الزمان.

(٢) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الغضبُ على ثلاثة أقسام:
أحدها: ما يُزيل العقل، فلا يشعر صاحبُه بما قال. وهذا لا يقعُ طلاقُه بلا نزاع.
والثاني: ما يكون في مَباديه، بحيث لا يمنعُ صاحبَه من تصوُّرِ ما يقول وقصدِه، فهذا يقعُ طلاقُه.
الثالث: أن يستحكم ويشتدَّ به، فلا يُزيلُ عقلَه بالكلية، ولكن يحُولُ بينه وبين نيَّته، بحيث يندمُ على ما فَرَط منه إذا زال؛ فهذا محلُّ نظر، وعدمُ الوقوع في هذه الحالة قويٌّ متَّجِه». «زاد المعاد» (٥/ ١٩٥)، نقلًا عن: «معالِم أصول الفقه عند أهل السُّنة والجماعة»، للشيخ محمد بن حسين الجيزاني (٣٤٨ ـ ط: دار ابن الجوزي).



ذِكرُ الزَّجْرِ عن الطمعِ إلى الناس

[٤٣٩] أنبانا محمد بن أحمدَ بنِ المستنير بـ«المِصِّيصة»: حدَّثنا يوسفُ بن سعيد بن مسلم: حدثنا خالدُ بن عمرو، عن سفيان، عن أبي حازمٍ:

عن سهل بن سعدٍ [رضي الله عنه] قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، علِّمني عملًا إذا أنا عمِلتُه أحبَّني اللهُ، وأحبَّني الناس؛ فقال: **«ازهَدْ في الدنيا يُحِبَّكَ اللهُ، وازهَدْ فيما في أيدي الناس يُحِبَّك الناسُ»**[١].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل تركُ الطمع إلى الناس كافةً بكمالِ الإياس منهم[٢]؛ إذ الطمعُ فيما لا يُشَكُّ في وجوده في الناس فقرٌ حاضر، فكيف بما أنت شاكٌّ في وجوده أو عدمِه[٣]؟.

[٤٤٠] ولقد أحسن الذي يقول:

لأجعلنَّ سبيلَ اليأسِ لي سبُلًا ... ما عشتُ منكَ ودارَ الْهَجرِ أوطانَا
والصبرُ أجعلُه غُرْمًا أنالُ به ... في الناس قُربى وعند اللَّهِ رضوانَا

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٢)، والحاكم (٤/ ٣٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٩٣)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٤٤)، وصحَّحه الإمام الحاكم والعلَّامة الألباني، وحسَّنه الإمام النووي في «الأربعين النووية - مع جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٧٤) -، بينما ضعفه البوصيري في «زوائد ابن ماجه»، وحكم الإمام الذهبي على أحد رواته بأنه «وضَّاع»، وضعَّفه العلَّامة شعيب الأرنؤوط في تحقيق «جامع العلوم» (٢/ ١٧٤).

(٢) الإياس: اليأس.

(٣) أي: الطمعُ في الموجود الحاضر عند الخلق نوعٌ من الفقر - إذ لا يمكنُك تحصيلُه -، فما بالك بالطمع فيما لا تعلم هل يمكنُهم تحصيلُه لك أم لا؟.

فالنفسُ قانعةٌ والأرضُ واسعةٌ والدارُ جامعةٌ مَثْنَى ووُحدانَا

[٤٤١] وأنشَدَني عمرو بن محمد بن عبد الله النَّسائي، قال:

أنشَدَني الحسين بن أحمد بنِ عثمان:

اليأسُ أدَّبني ورفَّع همَّتي واليأسُ خيرُ مؤدِّبٍ للناسِ
إني رأيتُ مواضعَ الطمعِ الذي يَضَعُ الشريفَ مواضعَ الأخساسِ[١]

[٤٤٢] وأنشَدَني محمَّد بن عبد الله البغدادي:

فأجْمَعتُ يأسًا لا لُبانةَ بعدَه واليأسُ أدنى للعفافِ من الطمعْ[٢]
والنفسُ تطمعُ هشَّةً إنْ أُطمِعت وتنالُ باليأسِ السُّلُوَّ فتَقنعْ[٣]

[٤٤٣] أنبأنا محمد بن عثمان العقبي: حدثنا يزيد بن عبد الصمد: حدثنا يحيى بنُ صالح: حدثنا سعيد بن عبد العزيز:

عن سعدِ بنِ عُمارة أنه قال لابنه: «يا بني، أظهِرِ اليأسَ، فإنه غِنى؛ وإياك والطمعَ، فإنه فقرٌ حاضر».

قال أبو حاتم ﷺ: أشرفُ الغِنى تركُ الطمع إلى الناس، إذ لا غِنًى لذي طمع، وتاركُ الطمع يجمعُ به غايةَ الشرف، فطوبى لمن كان شعارَ قلبه الورع، ولم يُعْمِ بَصَرَه الطمع.

ومَن أحبَّ أن يكون حرًّا، فلا يهوى ما ليس له؛ لأن الطمعَ فقر، كما أن اليأسَ غِنى، ومَن طَمِع ذلَّ وخضع، كما أن مَن قَنِع عفَّ واستغنى.

[٤٤٤] ولقد أنشَدَني الكُريزي:

لا خيرَ في عزمٍ بغيرِ رويَّةٍ والشكُّ عجزٌ إن أردتَ سَراحَا
واليأسُ مما فاتَ يُعقِبُ راحةً ولَرُبَّ مَطْمَعةٍ تعودُ ذَباحَا[٤]

---

(١) الأخساس: الأرذال.
(٢) اللُّبانة: الحاجة.
(٣) هشَّة: سعيدة.
(٤) أي: تعود عليه بالهلاك.

[٤٤٥] وانشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

فكنتَ لي أملًا دهرًا لطالبهِ ... فغيَّرتْهُ صروفُ الدهرِ أطوارًا[١]
صرفتُ باليأس عنه النفسَ فانصرفت ... فما أبالي أقام الدهرُ أم سارَا

[٤٤٦] أنبانا محمد بن المهاجر المعدَّل: حدثنا عبد الله بن أبي شيبة: حدثنا عبدُ اللهِ بنُ مروان:

حدّثنا محمد بن هانئ الطائي قال: «بعث أبو الأسود الدِّيَلي إلى جارٍ له يقترضُ منه، فلم يُقرِضْه واعتلَّ عليه ـ وكان حَسَنَ الظنِّ به ـ، فقال أبو الأسود:

لا تُشْعِرَنَّ النفسَ يأسًا فإنما ... يعيشُ بجِدٍّ عاجزٌ وجليدُ[٢]
ولا تَطْمَعَنَّ في مالِ جارٍ لقُربِهِ ... فكلُّ قريبٍ لا يُنالُ بعيدُ
وفوِّض إلى اللَّهِ الأمورَ فإنما ... تروحُ بأرزاق العبادِ جُدودُ[٣]

[٤٤٧] أنبانا القطّان بـ«الرقة»: حدثنا المروَزيُّ قال: سمعت أحمدَ بن حنبل يقول:

سمعتُ ابنَ السَّمَّاك يقول: «الرجاءُ حَبْلٌ في قلبك، وقَيدٌ في رِجلك، فأخرِجِ الرجاءَ من قلبك، ينفكُّ القَيدُ مِن رِجْلِك».

قال أبو حاتم رحمه الله: الطمعُ غُدَّةٌ[٤] من قلبِ المرء له طرَفان، أحدُهما: القَيدُ في رجليه، والآخر: الطبعُ على لسانه، فما دامت العقدةُ قائمةً لا تنفكُّ رجلاه، ولا ينطقُ لسانه، فإذا أخرج الطمعَ من قلبه، انفكَّ القيدُ عن رِجليه، وزال الطبعُ عن لسانه، فسعى إلى ما شاء، وقال ما أحبَّ.

ودواءُ زوال الطمع عن القلب: هو رؤيةُ الأشياء مِن مُكوِّنها بدوامِ الخَلْوة، وتركِ الناس.

---

(١) **صروف الدهر**: تقلُّباته. **والأطوار**: الحالات.
(٢) **الجليد**: القويُّ الصلب.
(٣) **الجدود**: الأقسام المقدَّرة.
(٤) **الغُدَّة**: الطاعون.

[٤٤٨] كما أنشَدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

كُنْ لِقَعْرِ البيت حِلْسًا[١] ... وارْضَ بالوِحدةِ أُنْسَا
لستَ بالواجدِ حُرًّا ... أو تَرُدُّ اليومَ أمسَا
فاغرِسِ اليأسَ بأرضِ الـ ... ـزُّهد ما عُمِّرْتَ غرسَا
ولْيَكُنْ يأسُك دون الـ ... ـطمعِ الكاذبِ تُرْسَا

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقلُ يجتنبُ الطمع من الأصدقاء؛ فإنه مَذِلَّة، ويلزمُ اليأس عن الأعداء؛ فإنه منَجاة، وتركُه مَهْلكة.

والإياسُ هو بَذرُ الراحة والعز، كما أن الطمعَ هو بَذرُ التعب والذُّل، فكم من طامعٍ تَعِبَ وذَلَّ ولم يَنَلْ بُغيَته، وكم من آيسٍ استراح وتعزَّز، وقد أتاه ما أمَّل وما لم يأمَل.

[٤٤٩] وأنشَدَني الأبرش:

يَعْرَى ويَغْرَثُ من أمسى على طَمَعٍ ... منَ المكارم وَهْوَ الطاعمُ الكاسي[٢]
إن المَطامِعَ ذلٌّ للرقاب ولو ... أمسى أخوها مكانَ السيِّدِ الراسِ

[٤٥٠] وأنشَدَني محمد بن إسحاق الواسطي:

ألم تعلَمي أني إذا النفسُ أشرفَتْ ... على طمعٍ لم أنْسَ أنْ أتكرَّمَا
ولستُ بلوَّامٍ على الأمر بعدما ... يفوتُ ولكن علَّ أن أتقدَّمَا

[٤٥١] أنبانا محمد بن سعيد القزَّاز: حدثنا الفضل بن يوسف الكُوفي: حدثنا عبدُ الله بن جَبَلَة الكِناني، عن معاويةَ بن عمار:

عن أبي جعفرٍ قال: «اليأس عما في أيدي الناس عزٌّ».

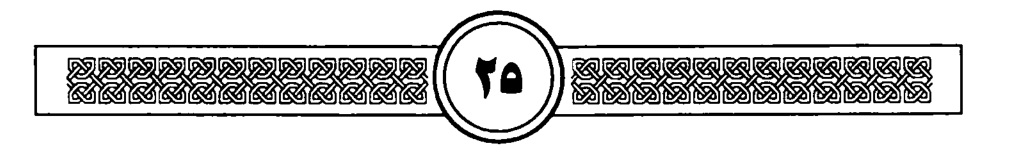
ثم قال: أما سمعتَ قولَ حاتمِ الطائي:

إذا ما عرفتَ اليأسَ ألْفَيتَه الغِنَى ... إذا عَرَفَتْه النفسُ والطَّمَعُ الفقرُ

---

(١) الحِلْس: الكساء البالي. والمراد: الملازمةُ الدائمة.

(٢) يَغْرَث: يجوع.



ذِكرُ الحثِّ على مجانبةِ المسألةِ، وكراهيتُها

[٤٥٢] حدثنا أبو يزيد - خالدُ بنُ النضْر بنِ عمرٍو القُرشي - بـ«البصرة»: حدثنا عبد الواحد بن غِياث: حدثنا حمَّادُ بن سلمة: حدثنا هشامُ بنُ عروة:

عن أبيه - الزبير بن العوَّام [ﷺ] - أن رسول الله ﷺ قال: **«لأَنْ يأخذَ أحدُكم حبلًا، فيأتيَ بحُزْمةٍ من حطَبٍ فيبيعَها، خيرٌ له من أن يسألَ الناسَ، أعطَوه أو مَنعُوه»**[1].

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل مجانبةُ المسألة على الأحوال كلِّها، ولزومُ تركِ التعرُّض؛ لأن الإفكار في العزم على السؤال يورِّثُ المرءَ مَهانةً في نفسه، ويَحطُّه رَتْوةً[2] عن مرتبته، وتركُ العزم على الإفكار في السؤال يُورِّثُ المرءَ عزًّا في نفسه، ويرفعُه درجةً عن مرتبته.

[٤٥٣] ولقد أنبانا محمد بن المنذر: حدثنا الفيضُ بن الخضر التميمي: حدثنا عبدُ اللهِ بن خُبَيق، قال:

قال موسى بنُ طَريف: «إن الحاجة لَتَعرِضُ لي إلى الرجل، فيُخرِجُ عِزِّي من قلبي قَطْعَ الحاجةِ من ناحيته، فيرجع عِزِّي إلى قلبي».

[٤٥٤] وأنشَدَني الكُريزي قال: أنشدنا الحسينُ بن أحمد:

لعليِّ بن الجَهْم:

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ١٦٤)، والبخاري (١٤٧١)، وابن ماجه (١٨٣٦).

(٢) رَتوة: خُطوة. والمراد: المنزلة.

هي النفسُ ما حَمَّلتَها تتحمَّلُ ... ولـلـدهـر أيـامٌ تـجـورُ وتَـعْـدِلُ
وعاقبةُ الصبرِ الجميلِ جميلةٌ ... وأفضلُ أخلاقِ الرجالِ التفضُّلُ
ولا عارَ إن زالتْ عن الحر نعمةٌ ... ولـكـنَّ عـارًا أن يـزولَ الـتـجمُّـلُ

٤٥٥ أخبرنا زكرياءُ بن يحيى الساجي: حدثنا عبدُ الواحد بن غِياث: حدثنا خالدُ بن عبد الله: حدثنا داودُ بن أبي هندٍ، عن الشعبي:

أن عمرَ بن الخطاب ﷺ قال: «مَن سأل ليُثرِيَ ماله، فإنما هو رَضْفٌ[١] من النار يُلْقَمُه، فمَن شاء استقلَّ، ومَن شاء استكثر».

٤٥٦ أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس الدلَّال: حدثنا الحسنُ بن محمد بن الصبَّاح: حدثنا أبو عبَّاد - يحيى بن عباد -: حدثنا شعبة، عن قتادة قال: سمعت مطرِّف بن عبد اللهِ يحدِّثُ:

عن حَكيمِ بن قيسِ بن عاصمٍ، عن أبيه أنه أوصى بَنيه عند موته، فقال: «يا بَنيَّ! إياكم ومسألةَ الناس؛ فإنها آخِرُ كسبِ الرجل».

قال أبو حاتم ﷺ: العاقلُ لا يَسألُ الناسَ شيئًا فيردُّوه، ولا يُلحِفُ[٢] في المسألة فيَحرِموه، ويلزمُ التعفُّفَ وَالتكرُّم، ولا يطلبُ الأمرَ مُدبِرًا[٣]، ولا يتركُه مُقبلًا؛ لأن فَوْتَ الحاجة خيرٌ من طلبها إلى غير أهلها، وإنَّ مَن سألَ غيرَ المستحقِّ حاجةً حَطَّ نفسَه مرتبتين، ورفع المسؤولَ فوقَ قَدْره.

٤٥٧ أخبرني محمد بن المنذر: حدثنا أحمدُ بنُ مدرك المصري، قال: سمعت حامد بن يحيى يقول:

سمعت سفيانَ بن عيينة يقول: «مَن سألَ نَذلًا حاجةً، فقد رفعه عن قَدْرِه».

---

(١) **الرَّضْف**: الحجارة المُحْمَاة.
(٢) **الإلحاف**: الإلحاح.
(٣) أي: لا ينظر في الأمور بعد انقضائها.



٤٥٨ انشَدَني ابنُ زنجي البغدادي:

ذلُّ السؤال شَجًى في الحَلْق مُعترِضُ ... مِن دونه شَرَقٌ من خَلْفِه جَرَضُ(١)
ما ماءُ كَفِّك إنْ جادت وإنْ بَخِلَتْ ... مِن ماءِ وجهي إذا أفنيتُه عِوَضُ

٤٥٩ وانشَدَني محمد بن عبدِ اللهِ المؤدِّب:

ما اعتاض باذلُ وجهِه بسؤالِهِ ... عِوَضًا وإن نال الغِنى بسؤالِ
وإذا السؤالُ مع النَّوالِ وزَنْتَهُ ... رجحَ السؤالُ وخفَّ كلُّ نَوَالِ
وإذا ابتُليتَ ببذلِ وجهِك سائلًا ... فأبذُلْه للمتكرِّم المِفضالِ

٤٦٠ انبأنا محمد بن المهاجر المعدَّل: حدثنا أبو جعفر ـ ابن ابنةِ أبي سعيد الثعلبي الدمشقي ـ: حدثنا حاجبُ بن أبي علقمة العُطاردي قال: سمعت أبي يقول:

قال مُطرِّفُ بنُ عبد الله بنِ الشِّخِّير لابن أخيه: «يا ابن أخي، إذا كانت لك حاجةٌ إليَّ، فاكتبْ بها إلَيَّ في رُقعة، فإني أصونُ وجهَك عن ذُلِّ السؤال وبَذْلِ الجُهَّال.

وأنشَدَني في ذلك:

يا أيها المُتْعَبُ بذُلِّ السؤالِ ... وطالبَ الحاجات من ذي النَّوالِ
لا تَحسَبَنَّ الموتَ مَوتَ البِلَى ... وإنما الموتُ سؤالُ الرِّجالِ
كلاهُما موتٌ ولكنَّ ذا ... أعظمُ من ذاك لذُلِّ السؤالِ»

قال أبو حاتم رضي الله عنه: أعظمُ المصائب سوءُ الخلُق، والمسألةُ من الناس، والهمُّ بالسؤال نصفُ الهَرَم، فكيف المباشرةُ بالسؤال؟ ومَن عَزَّت عليه نفسُه، صغُرت الدنيا في عينه، ولا يَنْبُلُ الرجلُ حتى يَعِفَّ عما في أيدي الناس، ويتجاوزَ عما يكونُ منهم، والسؤالُ من الإخوان مُلال، ومن غيرهم ضِدُّ النَّوال.

---

(١) الشَّجى: الشوك. مُعترِض: واقفٌ عَرْضًا. الشَّرَق: الغُصة. الجَرَض: الريق يُغصُّ به الحلْق.

٤٦١ وأنشَدَني الأبرش:

انبُلْ بنفسك أن تكون حريصةً ... إن الحريصَ إذا يُلِحُّ يهانُ
من يُكثِرِ التَّسآلَ من إخوانه ... يستثقلوه وحظُّه الحرمانُ

٤٦٢ وأنشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

أتيتُ أبا عمرٍو أُرَجِّي عطاءَه ... فزاد أبو عمرٍو على حُزني حزنَا
فكنت كباغي القَرْن أسلَمَ أُذْنَه ... فبات بلا أُذنٍ ولم يَستفِدْ قرنَا

٤٦٣ حدثنا محمد بن عثمان العقبي: حدثنا خطاب بن عبد الرَّحمٰن الجنَدي:

حدّثنا عبدُ الله بن سليمان قال: «كان أكْثَم بن صَيفي يقول: السؤال ـ وإن قَلَّ ـ أثمنُ من النَّوَال ـ وإن جلَّ ـ».

قال أبو حاتم ﷺ: لا يجبُ للعاقل أن يَبذُلَ وجهَه لمن يَكرُمُ عليه قدرُه، ويعظُمُ عنده خَطَرُه[1]، فكيف بمَن يهون عليه ردُّه، ولا يَكرُم عليه قدْرُه؟ وأشدُّ اللقاء الموت، وأشدُّ منه الحاجةُ إلى الناس دون السؤال، وأشدُّ منه التكلُّفُ بالسؤال؛ لأن السؤالَ إذا كان بنجاحِ الحاجة مقرونًا، لم يَخْلُ من أن يكون فيه ذلُّ السؤال، وإذا الحاجة لم تُقْضَ كان فيه ذُلَّانِ موجودان: ذُلُّ السؤال، وذلُّ الرَّد.

٤٦٤ وأنشَدَني منصور بن محمد الكُريزي:

لا يُحِسَّ الصديقُ منك بفقرٍ ... لا ولا والدٌ ولا مولودُ
ذاك ذلٌّ إذا سألتَ بخيلًا ... أو سألتَ الذي عليك يَجُودُ

٤٦٥ انبانا أحمدُ بنُ الحسن بن عبد الجبار بـ«بغداد»: حدثنا عليُّ بن الجعْد: انبانا شعبةُ، عن الأعمش، قال: سمعت المَعرورَ بنَ سُويدٍ يُحدِّث:

عن عبد الله قال: «إن في طلب الرجلِ الحاجةَ إلى أخيه فِتنةً، إذا

---

(١) **الخطر**: القيمة والقَدْر.

أعطاه حَمِد غيرَ الذي أعطاه، وإن منعه ذمَّ غيرَ الذي منعه»[(١)].

قال أبو حاتم ﷺ: لو لم يكنْ في السؤال خَصلةٌ تُذمُّ إلا وجودُ التذللِ في النفس عند الاهتمام بالسؤال وإبدائه، لكان الواجبُ على العاقل أنْ لوِ اضْطَرَّه الأمرُ إلى أن يَسْتَفَّ[(٢)] الرمْل، ويَمُصَّ النَّوَى: ألَّا يتعرَّض للسؤال أبدًا ـ ما وجد إليه سبيلًا ـ، فأمَّا مَن دفعه الوقتُ إلى ذلك، فسأل مَن يعلمُ أنه يقضي حاجته، أو ذا سلطان، لم يُحَرَّجْ[(٣)] في فعله ذلك، كما لم يُحرَّجْ في القبول إذا أُعطِيَ من غير مسألة، ومَن استغنى باللهِ أغناه اللهُ، ومَن تعزَّز باللهِ لم يُفقِرْه، كما أن مَن اعتزَّ بالعبيد أذلَّه اللهُ.

[٤٦٦] ولقد أنبأنا محمدُ بن سعيدُ القزَّاز: حدثنا أبو الهيثم الرازي: خالدُ بن يزيد: حدثنا إبراهيمُ بن موسى: حدثنا هشامُ بن يوسف، عن مَعْمَرٍ، قال:

قال أبو معاوية ـ رجلٌ مِن وَلَدِ كعب بن مالك ـ: «لقد رأيتُني أنضحُ[(٤)] أولَ النهار، وأضربُ آخرَ النهار على بطني بالمِعوَل في المَعدِن[(٥)].

قال[(٦)]: قلتُ: لقد لقيتَ مؤونةً؟ قال: أجل، إنا طلبْنا الدراهم من أيدي الرجال ومِن الحجارة، فوجدناها من الحجارةِ أسهلَ علينا».

---

(١) أي: إذا أعطاه شكره ونسي المعطي الحقيقي وهو الله تعالى، وإذا منعه ذمَّه بالرغم من أن المانع الحقيقي هو الله تعالى أيضًا، فيكون ذامًّا لله تعالى في الحقيقة، والله أعلم.
(٢) **يَستفُّ**: يبتلع.
(٣) **يُحرَّج**: يأثم ويُلام.
(٤) **أنضح**: أستقي من البئر.
(٥) **على بطني**: لإشباع بطني. **المِعْول**: آلةٌ ـ كالفأس ـ لتكسير الحجارة. **المَعدن**: مكانُ استخراج المعادن. من طبعة «العصرية» (٢٥٣).
(٦) القائل: مَعمر.

٢٦

ذِكرُ الحثِّ على لزوم القناعة

٤٦٧ حدثنا الحسن بن سفيانَ الشيباني: حدَّثنا محمد بن أبي بكر المقدمي: حدثنا محمد بن عبد الرَّحمٰن الطُّفاوي، عن الأعمش، عن مجاهد:

عن ابن عمرَ [ﷺ] قال: أخذ رسولُ الله ﷺ بمِنكَبي، فقال: «**كُنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل**»(١).

قال أبو حاتم ﷺ: قد مكثتُ بُرهةً من الدهر متوهِّمًا أن الأعمشَ لم يسمع هذا الخبرَ من لَيث بن أبي سُليم، فدلَّسه؛ حتى رأيتُ عليَّ بن المَديني حدَّث بهذا الخبر عن الطُّفاويِّ عن الأعمش، قال: حدثني مجاهدٌ. فعلمتُ حينئذٍ أن الخبرَ صحيحٌ لا شكَّ فيه، ولا امتراءَ في صحته.

فقد أمَر النبيُّ ﷺ ابنَ عمر - في هذا الخبر - أن يكونَ في الدنيا كأنه غريبٌ أو عابرُ سبيل؛ فكأنه أمَره بالقناعة باليسير من الدنيا؛ إذ الغريبُ وعابرُ السبيل لا يَقصِدان في الغَيبة الإكثارَ من الثروة، بل القناعةُ إليهما أقربُ من الإكثار من الدنيا.

٤٦٨ ولقد أخبرني محمد بن عثمان العَقَبي: حدثني جعفرُ بن سُنيد بن داود: حدَّثني أبي: حدثني حجَّاجٌ: حدثنا عتبةُ بن سِنانٍ، قال:

قال أكثمُ بن صَيفي لابنه: «يا بُني، مَن لم يأسَ(٢) على ما فاته،

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٤)، والبخاري (٦٤١٦)، والترمذي (٢٣٣٣)، وابن ماجه (٤١١٤)، وابن حِبَّان (٦٩٨).

(٢) من «اليأس». والمقصود: عدمُ الالتفات لما لم يحصِّله العبدُ.

وُزِّع بَدَنُه[١]، ومَن قَنِع بما هو فيه قرَّت عينُه».

[٤٦٩] وأنشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

مِن تمامِ العَيشِ ما قرَّتْ بهِ … عينُ ذي النِّعمةِ أثرى أو أقَلْ
وقليلٌ أنت مسرورٌ به … لك خيرٌ من كثيرٍ في دَغَلْ[٢]

[٤٧٠] وأنشَدَني ابن زنجي البغدادي:

أقول للنفس: صبرًا عند نائبةٍ … فعُسر يومِك موصولٌ بيُسر غدِ
ما سَرَّني أنَّ نفسي غيرُ قانعةٍ … وأنَّ أرزاقَ هذا الخَلْقِ تحت يدِي

[٤٧١] أنبأنا أبو خليفة: حدثنا محمدُ بن كثير: أنبأنا سفيانُ الثوري، عن عيسى بن عبد الرَّحمٰن، عن القاسم بن عبد الرَّحمٰن، عن أبيه:

عن ابن مسعودٍ قال: «أربعٌ قد فُرغ منها: الخَلْق، والخُلُق، والرزق، والأجل. وليس أحدٌ بأكسبَ من أحد[٣]».

قال أبو حاتم ﷺ: مِن أكثر مواهب اللهِ لعباده وأعظمِها خطرًا: القناعة، وليس شيءٌ أروحَ للبدن من الرضا بالقضاء، والثقةِ بالقَاسم[٤]؛ ولو لم يكن في القناعة خصلةٌ تُحمد إلا الراحةُ وعدمُ الدخول في مواضع السوء لطلب الفضل[٥]، لكان الواجبُ على العاقل ألَّا يفارقَ القناعةَ على حالةٍ من الأحوال.

[٤٧٢] ولقد أنبأنا عمرُ بن حفص بن عمرو البزَّار: حدثنا أبو مسعود: محمدُ بنُ عبد الله بن عُبيد بن عقيل: حدثنا عبد الله بن إبراهيم المدني:

---

(١) يقصد: أنه سيظل مهمومًا. واللهُ أعلم. وفي بعض المطبوعات: «ودع» بدل: «وزع».
(٢) **الدغل**: الفساد.
(٣) ليس المرادُ نفيَ الكسب عن العباد، ولا أن يكون الاجتهادُ سببًا في كسب المجتهد المزيدَ مما لا يكتسبه مَن لم يجتهد مثلَه، ولكن المقصود ـ واللهُ أعلم ـ، أن شدَّة سعي المرءِ لن تَزيدَه على المقدَّر والمكتوب له.
(٤) **القاسم**: اللهُ تعالى.
(٥) **الفضل**: الزائد عن الحاجة.

حدّثنا أبو بكر بن محمد بن المنْكدِر، عن أبيه قال: «القناعةُ مالٌ لا يَنفد».

[٤٧٣] سمعت محمدَ بن المنذر يقول: سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول:

قال محمد بن حُميد الأكَّاف:

تقنَّعْ بالكفافِ تَعِشْ رَخِيًّا ... ولا تَبْغِ الفضولَ من الكفافِ
ففي خُبزِ القَفار بغير أُدْمٍ ... وفي ماءِ الفرات غِنًى وكافِ
وفي الثوب المرقَّع ما تُغطِّي ... به من كلِّ عُري وانكشافِ
وكلُّ تزيُّنٍ بالمرء زَينٌ ... وأزينُه التزيُّنُ بالعفافِ

[٤٧٤] وأنشدَني الكُريزي:

لَعَمْرُكَ ما طولُ التعطُّل ضائري ... ولا كلُّ شغلٍ فيه للمرءِ منفعةْ
إذا كانت الأرزاقُ في القُربِ والنَّوى ... عليك سواءً فاغتنم راحةَ الدَّعةْ
وإن ضِقتَ فاصبر يُفَرِّجِ اللَّهُ ما ترى ... ألا رُبَّ ضِيقٍ في عواقبه سَعَةْ

[٤٧٥] وأنشدَني محمد بن إسحاق الواسطي:

الحمدُ للَّهِ حمدًا دائمًا أبدًا ... لقد تزيَّن أهلُ الحرصِ بالشَّينِ
لا زينَ إلا لراضٍ في تقلُّلِهِ ... إن القُنوعَ لَثوبُ العزِّ والزَّينِ

قال أبو حاتم رحمه الله: العاقلُ يعلم أن الأقسام لم توضع على قدْر الأحظاء[١]، وأنَّ مَن عَدِم القناعة لم يَزِدْه المالُ غنًى، فتمكُّنُ المرءِ بالمال القليل - مع قِلَّةِ الهم - أهنأُ من الكثير ذي التَّبِعة.

والعاقلُ ينتقم من الحرص بالقُنوع، كما ينتصرُ من العدوِّ بالقِصاص؛ لأن السببَ المانع رزقَ العاقل هو السببُ الجالب رزقَ الجاهل[٢].

[٤٧٦] وأنشَدَني محمدُ بن سعيد القزَّاز، أنشدنا محمد بن خلَف التيمي، قال:

أنشَدَني رجلٌ من خزاعة:

---

(١) **الأحظاء**: جمع «حظ».

(٢) وهذا السبب هو القدر - واللهُ أعلم -.

رأيتُ الغنى والفقرَ حَظَّين قُسما ... فأُحرِمَ مُحتالٌ وذو العِيِّ كاسبْ
فهذا مُلِحٌّ دائبٌ غيرُ رابح ... وهذا مُريحٌ رابحٌ غيرُ دائبْ

[٤٧٧] وأنشَدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

إذا المرءُ لم يَقْنَعْ بعيشٍ فإنه ... وإن كان ذا مالٍ من الفقر مُوقَرُ(١)
إذا كان فضلُ الناس يُغنيك بينهم ... فأنت بفضل اللَّهِ أغنَى وأيسرُ

[٤٧٨] أخبرنا أحمدُ بنُ محمد بن سعيد القَيْسي: حدثنا محمد بن الوليد بن أبان: حدثنا نُعيم بن حماد، قال:

سمعت ابن المبارك يقول: «مروءةُ القناعة أفضلُ من مروءة الإعطاء».

قال أبو حاتم ﷺ: القناعةُ تكون بالقلب، فمَن غَنِيَ قلبُه غَنِيَتْ يداه، ومَن افتُقر قلبُه لم ينفعه غناه، ومَن قنع لم يَتسخَّط، وعاش آمنًا مطمئنًّا. ومَن لم يقنعْ لم يكن له في الفوائد نهايةٌ لرغبته، والجد والحرمان كأنهما يصطرعان بين العباد.

[٤٧٩] ولقد أحسن الذي يقول:

فما كلُّ ما حاز الفتى مِن تِلادِهِ ... بكَيْسٍ ولا ما فاته بتَوانِ
فأَجْمِلْ إذا طالبتْ أمرًا فإنه ... سيكفيكه جَدَّانِ يصطرعانِ

[٤٨٠] حدثنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا عبيد الله بن محمد العَيْشي:

عن المدائني قال: «كان يُقال: مروءةُ الصبر عند الحاجة والفاقةِ بالتعفف والغنى، أكثرُ من مروءة الإعطاء».

[٤٨١] وأنشَدَني عمرو بن محمد: أنشدنا الغلَّابي:

أنشَدَني ابنُ عائشة:

---

(١) **الموقر**: المحمَّل.

غِنى النفس يُغني النفسَ حتى يُعِفَّها ... وإن مَسَّها حتى يَضُرَّ بها الفقرُ
وما شدةٌ! فاصبر لها إن لَقِيتَها ... بدائمةٍ إلَّا سيتبعُها يُسْرُ

[٤٨٢] وأنشَدَني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي:

فيا رُبَّ كُرهٍ جاء من حيثُ لم تَخَفْ ... ومسرورِ أمرٍ بالذي أنت خائفُ
ترى الناسَ ما لم تُبْلَ إخوانَ ظاهرٍ ... وإن تُبْلَ تُنْكِرْ جُلَّ ما أنت عارفُ

[٤٨٣] أنبأنا محمد بن عثمان العقبي: حدثنا إبراهيم بن مهدي الأبلِّي: حدثني محمد بن يحيى بن أبي عمر، قال:

سمعت سفيانَ بن عيينة ـ وذُكر عنده «الفضل بن الربيع» وضرباؤه ـ، فأنشأ سفيان يقول:

كم من قويٍّ قويٍّ في تقلُّبِه ... مُهَذَّبِ الرأي عنه الرزقُ منحرفُ
ومن ضعيفٍ ضعيفِ العَقْل مُختلطٍ ... كأنه من خليج البحرِ يغترفُ

قال أبو حاتم ﷺ: مَن نازعته نفسُه إلى القُنوع، ثم حَسد الناسَ على ما في أيديهم، فليس ذلك لقناعةٍ ولا لسخاوة، بل لعجزٍ وفشل؛ فمَثَلُه كمثل حمارِ السوء الذي يفرحُ بخِفَّةِ حِمْله، ويحزَنُ إذا رأى العلفَ يُؤثَر به ذو القوة والحملِ الثقيل، فالقانعُ الكريم أراح قلبَه وبدنه، والشَّرِهُ اللئيم أتعب قلبَه وجسمه، والكرامُ أصبرُ نفوسًا، واللئامُ أصبرُ أجسادًا.

[٤٨٤] وأنشَدَني عمرو بن محمد قال: أنشدني الغلَّابي:

لَعَمْرُكَ ما الأرزاقُ مِن حِيلةِ الفتى ... ولا سببٌ في ساحةِ الحيِّ ثاقبُ
ولكنها الأرزاقُ تُقسَمُ بينهم ... فما لك منها غيرُ ما أنت شاربُ

[٤٨٥] وأنشَدَني محمد بن سعيد، قال: أنشَدَني هلال بن العلاء الباهلي:

تجمَّلْ إذا ما الدهرُ أولاك غِلظةً ... فإنَّ الغِنى في النفس لا في التموُّلِ[1]
يَزِينُ لئيمَ القوم كثرةُ مالِهِ ... وما زَيَّن الأقوامَ مثلُ التَجملِ

---

(١) التموُّل: ادخار الأموال.

486 حدثنا الحسين بن سفيان: حدثنا عبد العزيز بن مُنيب: حدثنا محمد بن يحيى الصائغ، قال:

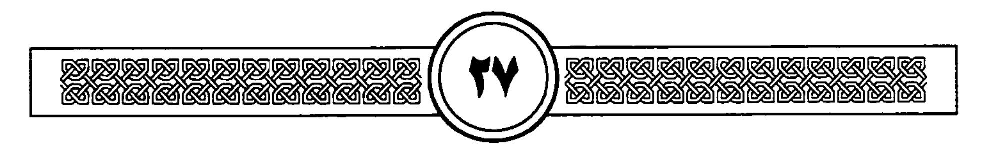
قال الخليل بن أحمد:

إن لم يكن لك لحمٌ ... كفاك خَلٌّ وزيتُ
إن لا يكنْ ذا وهذا ... فكِسْرةٌ وبُيَيْتُ
تُظَلُّ فيه وتأوي ... حتى يَجيئك موتُ
هذا لَعمري كفافٌ ... فلا يَغُرَّك «ليتُ»

487 أنبأنا كامل بن مكرَم: حدثنا محمد بن مروان البيروتي: حدثنا أبو مُسهِر: حدثنا سعيد بن عبد العزيز:

عن محمد بن كعبٍ القُرَظي - في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] -، قال: «القناعة».

وبالله التوفيق.



ذِكرُ الحثِّ على لزومِ التوكُّل على مَن ضَمِن الأرزاق

[٤٨٨] أنبأنا زكريا بن يحيى بن عبد الرَّحمٰن الساجي بـ«البصرة»: أنبأنا أبو الربيع الزَّهراني: حدثنا المُقرئ: حدثنا حَيْوَةُ بنُ شَريح وابنُ لَهيعة، قالا: حدثنا أبو هانئ ـ حُميد بن هانئ الخولاني ـ قال: سمعت أبا عبد الرَّحمٰن الحُبُلِي يقول:

سمعتُ عبدَ الله بنَ عمرِو بنِ العاص [رضي الله عنهما] يقول: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**قدَّر اللهُ المقاديرَ قبل أن يَخلُقَ السماواتِ والأرضَ بخَمْسِمِئةِ سنةٍ**[١]»[٢].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل لزومُ التوكل على من تكفَّل بالأرزاق؛ إذ التوكلُ هو نظامُ الإيمان، وقرينُ التوحيد، وهو السبب المؤدِّي إلى نفيِ الفقر ووجودِ الراحة، وما توكَّل أحدٌ على الله جلَّ وعلا من صحة قلبه ـ حتى كان اللهُ جلَّ وعلا بما تضمَّن من الكفالة أوثقَ عنده بما حوته يدُه ـ، إلا[٣] لم يَكِلْه اللهُ إلى عباده، وآتاه رزقَه من حيث لم يحتسب.

[٤٨٩] وأنشَدَني منصور بن محمد الكُريزي:

توكَّلْ على الرَّحمٰن في كل حاجةٍ ... أردتَ فإن اللَّهَ يقضي ويُقدِّرُ
متى ما يُرِدْ ذو العرش أمرًا بعبدِه ... يُصِبْهُ وما للعبدِ ما يتخيَّرُ

---

(١) الثابت في الروايات في جميع مصادر التخريج القادمة: «**خمسين ألف سنة**»، فلعل الثابت هنا تحريف من الناسخ أو الطابع.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/١٦٩)، ومسلم (٢٦٥٣)، والترمذي (٢١٥٦)، وابن حِبَّان (٦١٣٨).

(٣) هذا جواب قوله: «وما توكل».

وقد يَهلِكُ الإنسانُ من وجهِ أَمْنِهِ ... وينجو ـ بإذن اللَّه ـ من حيث يَحذَرُ

[٤٩٠] وأنشَدَني عليُّ بن محمد البسامي:

أحسِنِ الظنَّ بمن قد عوَّدكْ ... كلَّ إحسانٍ وسَوَّى أَوَدَكْ[١]

إنَّ من قد كان يكفيك الذي ... كان بالأمسِ سيكفيك غدَكْ

[٤٩١] أنبأنا محمد بن الحسن بن قُتيبة بـ«عسقلان»: حدثنا أبو مروان الأزرق: حدثنا الوليد، عن ابن جابر، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، عن أم الدرداء:

عن أبي الدرداء قال: «إن الرزقَ ليطلبُ العبدَ كما يطلبُه أجَلُه»[٢].

[٤٩٢] وأنشَدَني عبد العزيز بن سليمان الأبرش.

لعليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

لو كان في صخرةٍ في البحر راسيةٍ ... صَمَّاء ملمومةٍ مُلْسٍ حواليها

رِزقٌ لعبدٍ بَرَاه اللّهُ لانفلقتْ ... حتى تؤدِّيَ إليه كلَّ ما فيها

أو كان بين طِباقِ السبع مَطْلبُه ... يومًا لسهَّل في المرقَى مراقيها

حتى ينالَ الذي في اللوح خُطَّ له ... إن هي أتتهُ وإلا فهْوَ آتيها

[٤٩٣] وأنشَدَني منصور بن محمد الكريزي:

أنشَدَني محمد بن الحسين العَمِّي:

سَلِ كلَّ حاجاتِكَ من سيدٍ ... ليس له سِترٌ ولا حاجبْ

يُعطِي عطاياه إذا شاءها ... مِن غير توقيعٍ إلى كاتبْ

[٤٩٤] حدثنا محمدُ بن الحسين بن الخليل بـ«نَسَا»: حدثنا القطواني: حدثنا سيَّار:

حدَّثنا رَياحٌ القيسيُّ قال: «إن لله ملائكةً موكَّلين بأرزاق بني آدم،

---

(١) الأود: القوة.

(٢) ورد هذا الكلام مرفوعًا للنبي ﷺ: رواه ابن حِبَّان (٣٢٣٨)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٧١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٨٦)، وعزاه الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٧٠٣) للبزار ـ أيضًا ـ، ثم جوَّد إسناده، وقال العلَّامة الألباني: «صحيح لغيره». وقوّاه العلّامة شعيب الأرنؤوط.

يَحمِلون أرزاقَهم على درجاتهم، ثم قال(١): أيُّما عبدٍ من عبادي جعل همَّه هَمًّا واحدًا، فضمِّنوا السماواتِ والأرَضينَ وبني آدم رِزقَه، وأيُّ عبدٍ طلب رزقَه، فأعطُوه رزقَه حيث أراد، فإن تحرَّى مكاسبَه بالعدل، فطيِّبوا له رِزقه، وإن تعدَّى إلى الحرام، فلْيأخذْ مِن هواه إلى غايةِ درجته التي ليس فوقها، ثم حُولُوا بينه وبين سائر الدنيا؛ فلا يأخذنَّ من حلالها ولا من حرامها فوقَ الدرجة التي كتبتُ له».

قال أبو حاتم ﷺ: العاقلُ يعلمُ أن الأرزاق قد فُرغ منها، وتضمنها العليُّ الوفيُّ على أن يُوفِّرها على عباده في وقتِ حاجتهم إليها، والاشتغالُ بالسعي لِمَا تَضمَّن وتَكفَّل ليس من أخلاق أهلِ الحزم، إلا مع انطواءِ صحَّةِ الضمير، على أنه ـ وإن لم يَسْعَ في قصْده ـ أتاه رزقُه من حيث لم يحتسب.

[٤٩٥] وأنشَدَني محمد بن إسحاق بن حبيبٍ الواسطي:

لـمَّـا رأيتُـك قـاعـدًا مـسـتـقـبِـلِـي ... أيـقـنـتُ أنـك لـلـهـمـوم قـريـنُ
فـارفُـضْ لـهـا وتـعـرَّ عـن أثـوابـهـا ... إن كـان عـنـدك لـلـقـضـاءِ يـقـيـنُ
هـوِّنْ عـلـيـك وكـنْ بـربِّـك واثـقًـا ... فـأخـو الـتـوكُّـلِ شـأنـه الـتـهـويـنُ
طَـرَحَ الأذى عـن نـفـسِـه فـي أمـره ... مَـن كـان يـعـلـمُ أنـه مـضـمـونُ

[٤٩٦] حدثنا أبو خليفة: حدثنا محمد بن كثير: انبانا سفيان الثوري، عن أبي قيس:

عن هُذيل بن شُرحبيل قال: جاء سائلٌ إلى النبي ﷺ ـ وفي البيت تمرةٌ ـ، فقال رسولُ الله ﷺ: **«هاكَ؛ لو لم تأتِها أتتْك»**(٢).

---

(١) أي: اللهُ تعالى.

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٢٤٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٧٠)، وجوَّد إسناده الإمام المنذري في «الترغيب» (١٧٠٥)، وصححه العلَّامة الألباني، وقوَّاه العلَّامة شعيب الأرنؤوط.

[٤٩٧] وأنشدَني المنتصرُ بن بلال الأنصاري:

فنحن بتوفيقِ الإلهِ وأمرِه — على كلِّ حالٍ أمرُنا متواسِعُ
عطاءُ مَليكٍ لا يُمَنُّ عطاؤه — خبيرٌ بما تُحْنَى عليه الأضالعُ(١)

[٤٩٨] أنبأنا محمد بن إبراهيم الشافعي: حدثنا داودُ بن أحمد الدِّمياطي: حدثنا عبد الرَّحمٰن بن عفان، قال:

سمعتُ الفُضيلَ بن عياض يقول: «ما اهتممتُ لرزقٍ قط».

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل أنْ يعلمَ أنَّ السبب الذي يُدرِكُ به العاجزُ حاجتَه، هو الذي يحُولُ بين الحازم وبين مصادفته(٢)، فلا يجبُ أن يَحزَنَ العاقل لِمَا يهوى وليس بكائنٍ، ولا لِمَا لا يهوى وهو ـ لا محالةَ ـ كائن؛ فما كان من هذه الدنيا للمرء أتاه من غير تعبٍ فيه، وما كان عليه لم يدفعه بقوَّته.

ولا يُدْرِكُ بالطلب المحروم، كما لا يُحرَمُ بالقعود المرزوق.

[٤٩٩] ولقد أحسنَ الذي يقول:

يَنالُ الغنى مَنْ ليس يَسعى إلى الغنى — ويُحرَمُ مَنْ يسعى له ويُداومُ
وما العجزُ يَحرِمُهُ ولا الحرصُ جالبٌ — وما هو إلا حظوةٌ ومقاسمُ

[٥٠٠] وانشَدَني عمرو بن محمد الأنصاري، قال: أنشدنا الغلَّابي، قال:

أنشَدَنا العُتبي:

ورِزقُ الخلقِ مقسومٌ عليهمُ — مقاديرُ يقدِّرُها الجليلُ
فلا ذو المالِ يُرْزَقُه بعقلٍ — ولا بالمالِ تُقتسمُ العقولُ

[٥٠١] أنبأنا الهيثم بن خَلَف الدُّوري بـ«بغداد»، قال: سمعت إسحاقَ بن موسى الأنصاري يقول:

---

(١) يُمن: يقطع. الأضالع: الضلوع.

(٢) أي: هناك أسبابٌ لا يستطيع المرءُ جَلْبَها بقوته، وقد تأتي للعاجز الخامل.

سمعت يَمَانَ النجْرانيَّ - وكان لا يدَّخرُ شيئًا - يقول: «مررتُ براهبٍ في قارعةِ فلاةٍ من الأرض - وأنا جائع -، فقلت: يا راهب، هل عندك من فضل؟ فأدْلى إليَّ زُنْبيلًا[١]، فيه فِلَقٌ من خبز، فأكلت منها، ورميتُ إليه الباقي، فقال: تزوَّدْه، قلتُ: الذي أطعمني في هذا الموضع - وليس فيه إنسِيٌّ -، يُطعِمُني إذا جُعتُ ولا يكون معي شيءٌ».

[٥٠٢] وأنشَدَني ابنُ زنجي البغدادي:

لا تَتَّهِمْ ربَّك فيما قضى وهوِّنِ الأمرَ وطِبْ نَفْسَا
لكلِّ هَمٍّ فَرَجٌ عاجلٌ يأتي على المُصْبَحِ والمُمسَى

قال أبو حاتم ﷺ: التوكُّلُ هو قطعُ القلب عن العلائق، برفضِ الخلائق، وإضافتُه بالافتقار إلى محوِّلِ الأحوال، وقد يكونُ المرءُ موسرًا في ذات الدنيا وهو متوكلٌ صادقٌ في توكله - إذا كان العدمُ والوجودُ عندهِ سِيَّينِ لا فرقَ عنده بينهما[٢] -، يشكرُ عند الوجود، ويرضى عند العدم، وقد يكونُ المرءُ لا يَملِكُ شيئًا من الدنيا بحيلةٍ من الحيل، وهو غيرُ متوكلٍ - إذا كان الوجود أحبَّ إليه من العدم -، فلا هو في العدم يرضى حالتَه، ولا عند الوجود يشكرُ مرتبتَه.

[٥٠٣] وأنشَدَني الكُريزي:

فلو كانتِ الدنيا تُنالُ بفِطنةٍ وفضلِ عقولٍ نِلتُ أعلى المراتبِ
ولكنها الأرزاقُ حَظٌّ وقسمةٌ بمِلْكِ مليكٍ لا بحيلةِ طالبِ

[٥٠٤] وأنشَدَنا عمرو بن محمد الأنصاري: أنشدنا الغلَّابي:

أنشَدَنا مهديُّ بن سابق:

---

(١) الزُّنْبيل: المِكتل «وعاء كبير».

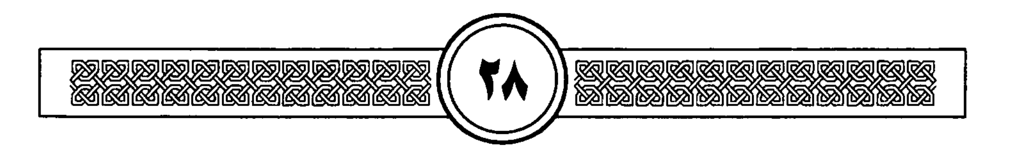
(٢) من الصعب أن يستويَ حالُ القلب عند الضراء والسراء، ولم تكنْ هذه حالةَ الحبيب محمد ﷺ - الذي هو الميزانُ النظيف للأعمال، ولقد ضلَّ الصوفية وأمثالهم بمثل هذه الزلَّات، وادَّعوا أن مقامات الإيمان - من التوكل وغيره - لا تُنال إلا عند استواء الحالات في القلب، وهذا خطأٌ.

أَلَا ترى الدهرَ لا تَفنَى عجائبُهُ والدهرُ يَخلِطُ ميسورًا بمعسورِ!
وليس للَّهْوِ إلا كلُّ صافيةٍ كأنها دمعةٌ مِن عينِ مهجورِ

﴿٥٠٥﴾ أنبأنا عليُّ بن سعيد العسكري: حدثنا إبراهيم بن الجُنيد: حدثنا سهل بن عاصم:

حدَّثنا نافعُ بن خالد، قال: «دخلنا على رابعةَ العدوية، فذكرنا أسبابَ الرزق، فخُضنا فيه ـ وهي ساكتة ـ، فلما فرغنا قالت رابعة: خيبةً لمن يدَّعي حُبَّه، ثم يتَّهمُه في رزقه».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: قد ذكرت هذا الباب بالعلل والحكايات على التقصيّ في كتاب «التوكل»، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب.



ذِكرُ الحثِّ على لزوم الرضا بالشدائد، والصبر عليها[١]

[٥٠٦] أنبأنا أحمد بن عليِّ بن المثنى بـ«الموصل»: حدثنا أحمد بن جميل المروزي: حدثنا ابن المبارك: أنبأنا رباح بن زيد عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بزَّة، عن سعيد بن جُبير:

عن ابن عباس [رضي الله عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ: **«أولَ ما خَلَق اللهُ القلم، ثم أمره، فكتب ما يكونُ إلى يوم القيامة»**[٢].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل أن يُوقِنَ أن الأشياءَ كلَّها قد فُرغ منها، فمنها ما هو كائنٌ لا محالة، وما لا يكونُ فلا حِيلةَ للخلق في تكوينه، فإن دَفَعه الوقتُ إلى حالِ شدَّةٍ، يجبُ أن يتَّزرَ[٣] بإزارٍ له طرفان:

أحدهما: الصبر.

والآخر: الرضا.

لِيستوفِيَ كمالَ الذُّخْرِ بفعله ذلك، فكم من شِدَّةٍ قد صَعُبت، وتعذَّر زوالُها على العالَم بأسره، ثم فُرِجَ عنها السهلُ في أقلَّ من لحظة!.

---

(١) أصح الأقوال: أن «الصبر» واجب، بينما «الرضا» مستحب.

(٢) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٢٣٢٩)، والبيهقي في «السنن» (٩/٣)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١١٢)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنَّة» (٢/٣٩٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢٥٠٠). وله طرقٌ أخرى، **وصححه** العلَّامة الأباني، **وصححه** الشيخ باسم بن فيصل الجوابرة في تحقيق «السُّنَّة»، لابن أبي عاصم (١/١٠٥ ـ ط: دار الصميعي)، **وصححه** الشيخ حسين الداراني ـ محقق «مسند أبي يعلى» ـ.

(٣) **يتَّزر**: يرتدي الإزار، والجملة هنا تشبيه، والمراد: يتّصف.

٥٠٧ ولقد أنشَدَني محمد بنُ إسحاق بن حبيب الواسطي:

كم مِنْ أمر قد تضايقتُ به ... فأتاني اللَّهُ منه بالفرجْ
وبعيدٍ مُواسٍ قرَّبَهُ ... قَدَر اللَّهِ فعاد بالنَّهَجْ[1]
وكذاك اللَّهُ ربٌّ قادرٌ ... يُصلح الأمرَ الذي فيه عِوَجْ
فله الحمدُ على ذي سرمدًا ... ما أضاء الصبحُ يومًا أو بَلَجْ
وله الحمدُ على آلائه ... يستديمُ اليُسرَ منه والفَلَجْ[2]

٥٠٨ حدثنا أبو خليفة: حدثنا محمد بن كثير: أنبانا سفيانُ، عن أبي إسحاق:

عن أبي الحَجَّاج الأزْديِّ قال: «سألْنا سلمانَ: ما الإيمانُ بالقدَر؟ قال: إذا عَلِم العبدُ أن ما أصابه لم يكن ليخطئَه، وما أخطأه لم يكن ليصيبَه».

٥٠٩ وأنشَدَني الأبرش:

هَوِّنْ على نفسِك مِن سَعْيها ... فليس ما قُدِّر مردودُ
وارْضَ بحكم اللَّهِ في خلقِه ... كلُّ قضاءِ اللَّهِ محمودُ

٥١٠ أنبأنا عبد الله بن قَحْطَبة الصِّلْحي: حدثنا منصورُ بن قُدامة الواسطي: حدثنا محمدُ بن كثير:

عن مَعْمَرٍ قال: لمَّا حاصر الحَجَّاجُ ابنَ الزُّبير بمكة، جَعلت الحجارةُ تضربُ الحائط، فقيل له: إنا لا نأمنُ عليك أن يصيبَك منها حجر! فقال ابن الزبير:

هوِّنْ عليك فإن الأمورَ ... بكفِّ الإلهِ مقاديرُها
فليس بآتيك منهيُّها ... ولا يتأخرُ عنك مأمورُها

٥١١ أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري: حدَّثنا الغلَّابي: حدثنا إبراهيم بن بشَّار الرَّمادي: حدثنا سفيان:

---

(١) **مواس**: ميؤوس منه. **عاد بالنهج**: عاد سريعًا.
(٢) **الفلَج**: انفراج الأحوال.

عن مِسْعَرٍ: «أن رجلًا ركب البحر، فكُسر به، فوقع في جزيرةٍ من جزائر البحر، فمكث فيها ثلاثًا لا يَرى أحدًا، ولا يأكلُ طعامًا، ولا يشربُ شرابًا، فأيس من الحياة، فتمثَّل:

إذا شاب الغرابُ أتيتُ أهلي وصار القارُ كاللبنِ الحليبِ

فأجابه مجيبٌ يقول:

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه يكونُ وراءهُ فرجٌ قريبُ

فنظر، فإذا سفينةٌ في البحر، فلوَّح لهم، فأتَوه، فحملوه، وأصاب معهم خيرًا، ورجع إلى أهله سالمًا».

[٥١٢] وأنشَدَني محمدُ بن جعفر الهمداني بـ«صور» - على ساحل بحر الروم -:

لا تَضِيقنَّ في الأمور فقد تُكـ ـشفُ غُمَّاؤها بغير احتيالِ
ربَّما تَكرهُ النفوسُ من الأمـ ـر له فُرجةٌ كحَلِّ العِقالِ

[٥١٣] وأنشَدَني المنتصر بن بلال الأنصاري:

عسى فرجٌ يأتي به اللَّهُ إنه له كلَّ يوم في خليقَتِه أمرُ
عسى ما تَرى ألَّا يدومَ وأن ترى له فرجًا ممَّا ألحَّ به العُسْرُ
إذا اشتدَّ عُسرٌ فارْجُ يُسرًا فإنه قضى اللَّهُ أن العُسرَ يتبعُه اليُسرُ

[٥١٤] أنبانا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة:

حدَّثنا محمدُ بن عثمان العِجْلي، قال: لمَّا حدَّث شريكٌ بحديث الأعمش عن سلمان، عن ثوبانَ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**استقيموا لقريش - ما استقاموا لكم -، فإذا خالفوكم فضعُوا سيوفَكم على عواتقكم، فأبيدُوا خضراءهم، فإن لم تفعَلوا فكونوا زرَّاعين أشقياء**»[1]. فسُعي به إلى

---

(١) ضعيف: رواه الخلَّال في «السُّنَّة» (٨٠)، وابن الأعرابي في «المعجم» (١٣٠١)، والطبراني في «الصغير» (٢٠١)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٥١٧)، وأبو نعيم في =

المهدي، فبَعث إلى شَريك، فأتاه، فقال: حَدَّثتَ بها؟ قال: قلت: نعم. قال: عمَّن رويتها؟ قال: عن الأعمش، قال: ويلي عليه! لو عرفتُ مكانَ قبره، لأخرجته فأحرقته بالنار، قلت: إنْ كان لَمأمونًا على ما رَوى، قال: يا زنديق، لأقتلنَّك، فقلت: الزنديقُ من يشربُ الخمرَ ويَسفِكُ الدم، قال: واللهِ لأقتلنك، قلتُ: أوْ يكفي الله. قال: فخرجنا من عنده، فاستقبلني الفضلُ بن الربيع، فقال: ليس لك موضعٌ تَهربُ إليه؟ قلت: بلى، قال: فإنه قد أَمر بقتلك، قال: فخرجتُ إلى جبل، فخرجت يومًا أتجسس الخبر، فأقبل ملَّاحٌ من بغداد، فاستقبله ملَّاحٌ آخرُ من البصرة، فسأله: ما الخبر؟ قال: مات أمير المؤمنين، قلت: يا ملَّاح قَرِّب، فقرَّب».

[٥١٥] وانشَدَني منصور بن محمد الكُريزي:

تَجري المقاديرُ إنْ عسرًا وإن يُسرًا ... ولـلـمـقـاديـر أسـبـابٌ وأبـوابُ
ما اشتدَّ عُسرٌ ولا انسدَّت مذاهبُه ... إلا تـفـتَّـح مـن مـيـسـوره بـابُ

[٥١٦] وانشَدَني محمدُ بن عبد الله بن زنجي البغدادي:

ألَا رُبَّ عُسرٍ قد أتى اليُسرُ بعدَه ... وغَـمْـرةِ كَـرْبٍ فُـرِّجـت لِـكَـظـيـمِ
هـو الـدهـرُ يـومٌ يـومُ بـؤسٍ وشـدةٍ ... ويـومُ سـرورٍ لـلـفـتـى ونـعـيـمِ

[٥١٧] انبانا ابو عَوَانة - يعقوب بن إبراهيم - حدثنا محمد بن عبد الوهَّاب النيسابوري: حدثنا بشر بن الحكم:

عن عليِّ بن عثَّامٍ قال: «رُئي إبراهيمُ بن أدهم مُتنفِّط الرِّجلَينِ[1]، رافعَهما على ميل، وهو يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد]».

= «تاريخ أصبهان» (١/ ١٢٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٦٦، ١٢/ ١٤٦)، ولا يصح. وانظر: «تحقيق المسند» (٣٧/ ٧٢ - ط: الرسالة).

(١) متنفِّط: منتفخ من الأورام.

[٥١٨] أنبانا القطَّان بـ«الرقَّة»: حدثنا أحمدُ بن أبي الحواري: حدثنا عبد العزيز بن عُمير، عن عطاءٍ الأزرق:

عن عبد الواحد بن زيدٍ قال: «قلت للحسن: يا أبا سعيد، مِن أين أُتي هذا الخَلْق[1]؟ قال: من قلَّةِ الرضا عن الله. قلت: ومِن أين أُوتوا مِن قلَّةِ الرضا عن الله؟ قال: من قلَّة المعرفة بالله».

قال أبو حاتم ﷺ: يجبُ على العاقل إذا كان مبتدئًا أن يَلزمَ ـ عند ورود الشدة عليه ـ سلوكَ الصبر، فإذا تمكَّن منه حينئذٍ، يرتقي من درجة الصبر إلى درجة الرضا، فإن لم يُرزق صبرًا فلْيلزمِ التصبُّر؛ لأنه أولُ مراتب الرضا، ولو كان الصبرُ من الرجال لكان رجلًا كريمًا؛ إذ هو بَذْر الخير، وأساس الطاعات.

[٥١٩] ولقد أخبرني محمد بن سعيد القزاز: حدثنا طاهرُ بن الفضل بن سعيد:

حدَّثنا سفيان بن عيينة قال: «سمعت رجلًا من أهل الكتاب أسلم، قال: أَوحى اللهُ إلى داود: يا داود، اصبِرْ على المؤونة، تأتك منِّي المعونة».

[٥٢٠] وأنشَدَني عبد الله بن الأحوص بن عمار القاضي:

صبرًا جميلًا على ما ناب من حَدَثٍ ... والصبرُ ينفعُ أقوامًا إذا صبروا
الصبرُ أفضلُ شيءٍ تستعينُ بهِ ... على الزمانِ إذا ما مَسَّكَ الضررُ

[٥٢١] وأنشَدَني إبراهيمُ بن محمد بن سهل، قال:

أنشَدَني أبو يعلى الموصلي:

إني رأيتُ وفي الأيام تَجربةٌ ... للصبر عاقبةٌ محمودةَ الأثرِ
وقلَّ من جَدَّ في شيءٍ يحاولُه ... فاستصحبَ الصبر إلا فاز بالظفَرِ

---

(١) أي: ما سبب نزول العقوبات عليهم؟.

٥٢٢ وانشَدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

أتاك الرَّوحُ والفرجُ القريبُ وساعدك القضاءُ فلا تَخيبُ
صبرتَ فنِلتَ عُقْبَى كلِّ خيرٍ كذاك لكلِّ مصطبرٍ عقيبُ

٥٢٣ انبانا عمرو بن محمد الانصاري: حدثنا الغلَّابي: حدثنا محمدُ بن عليٍّ قال: سمعت مُضَرَ - ابا سعيد - يقول:

قال عبدُ الواحد بن زيد: «ما أحببتُ أن شيئًا من الأعمال يتقدمُ الصبرَ إلَّا الرضا، ولا أعلمُ درجةً أشرفَ ولا أرفعَ من الرضا، وهو رأس المحبَّة».

قال أبو حاتم ﷺ: الصبرُ جُمَّاعُ الأمر، ونظامُ الحزم، ودِعَامةُ العقل، وبَذرُ الخير، وحِيلةُ مَن لا حِيلةَ له.

وأولُ درجته الاهتمام، ثم التيقُّظ، ثم التثبت، ثم التصبُّر، ثم الصبر، ثم الرضا، وهو النهاية في الحالات.

٥٢٤ ولقد انبانا محمدُ بن عثمان العَقَبي: حدثنا شعيب بن عبد الله البزار: حدثنا عليُّ بن مَعبد، عن أبي المليح:

عن ميمونَ بنِ مهران، قال: «ما نال عبدٌ شيئًا من جسيم الخير - من نبيٍّ أو غيره - إلا بالصبر».

٥٢٥ وانشَدَني المنتصرُ بن بلال الأنصاري:

فما شدَّةٌ يومًا وإن جَلَّ خَطْبُها بنازلةٍ إلا سيتبعُها يُسرُ
وإن عسُرت يومًا على المرء حاجةٌ وضاقت عليه كان مفتاحَها الصبرُ

٥٢٦ وانشَدَني عليُّ بنُ محمد البسَّامي:

تعزَّ فإنَّ الصبرَ بالحُرِّ أجملُ وليس على رَيبِ الزمان معوَّلُ[1]

---

(١) ريب الزمان: مصائب الدهر. معوَّل: معتمد؛ أي: ليس لها استمرار.

فإن تكنِ الأيامُ فينا تبدَّلتْ بنُعمى وبُؤسى والحوادثُ تفعلُ
فما ليَّنتْ منَّا قناةً صليبةً ولا ذلَّلتْنا للذي ليس يَجمُلُ[(١)]
ولكن رَحَّلناها نفوسًا كريمةً تُحمَّلُ ما لا تستطيع فتَحمِلُ

[٥٢٧] وأنشَدَنا عمرو بن محمد الأنصاري، قال:

أنشَدَنا الغلَّابي:

إني رأيتُ الخيرَ في الصبر مسرعًا وحسبُك من صبرٍ تحوزُ به أجرَا
عليكَ بتقوى اللّهِ في كل حالةٍ فإنك إن تفعلْ تُصيبُ به ذُخرَا

[٥٢٨] أخبرنا عمرُ بن محمد الهَمَداني: ثنا زيد بن أخزَم: ثنا سليمانُ بن حرب: ثنا حَمَّاد بن زيد، قال:

قال أيوبُ: «إذا لم يكن ما تُريد، فأرِدْ ما يكون».

قال أبو حاتم ﷺ: الصبرُ على ضروبٍ ثلاثة:

١ ـ فالصبر عن المعاصي.

٢ ـ والصبر على الطاعات.

٣ ـ والصبر عند الشدائد المصيبات.

فأفضلُها الصبرُ عن المعاصي[(٢)].

فالعاقلُ يُدبِّرُ أحواله ـ بالتثبُّت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها ـ بلزوم الصبر على المراتب التي وصفناها قبلُ، حتى يرتقيَ بها إلى درجة الرضا عن اللهِ جلَّ وعلا في حال العسر واليسر معًا.

نسألُ اللهَ الوصول إلى تلك الدرجة بمنِّه.

---

(١) صليبةً: صلبةً قوية.

(٢) ذهب شيخُ الإسلام ابنُ تيمية وتلميذُه البارُّ العلامةُ ابن القيم ﷺ إلى أن الصبر على الطاعات أحبُّ إلى الله تعالى من الصبر عن المحرمات. انظر تفاصيل ذلك في: «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٥١)، و«عدة الصابرين» (٦٨).

٥٢٩ ولقد أنشدَني عبد الله بن الأحوص:

تَعَزَّ بحُسنِ الصبرِ عن كلِّ هالِكٍ ففي الصبرِ مَسلاةُ الْهموم اللوازِمِ
إذا أنت لم تَسْلُ اصطبارًا وحِسبةً سلوتَ على الأيام مثلَ البهائمِ
وليس يذودُ النفسَ عن شهواتها منَ الناس إلا كلُّ ماضي العزائمِ

٥٣٠ وأنشدَني ابنُ زنجي البغدادي:

غايةُ الصبرِ لذيذٌ طعمُها وَبَدِيُّ الصبرِ منه كالصَّبِرْ
إن في الصبرِ لَفضلًا بَيِّنًا فاحمل النفسَ عليه تصطبرْ

٥٣١ وأنشدَني الكريزي:

صبرتُ ومَنْ يَصبرْ يَجِدْ غِبَّ صبرِه ألذَّ وأحلى من جَنَى النحلِ في الفم
ومَن لا يَطِبْ نفسًا ويَسْتَبْقِ صاحبًا ويَغفِرْ لأهل الوُدِّ يُضْرَمْ وَيُصْرِمِ(١)

٥٣٢ أنبانا محمد بن زنجويه القشيري: حدثنا عبد الأعلى بن حمادٍ النَّرسي: حدثنا حمَّادُ بن سلمة، عن ثابت البناني:

عن مُعاذةَ ـ امرأةِ صِلَةَ بنِ أشيم ـ قالت ـ لمَّا أتاها نَعْي زوجها وابنها ـ، جاءها النساء، فقالت: «إن كنتُنَّ جِئتُنَّ لتهنئتَنا بما أكرمنا اللهُ به، وإلا؛ فارجِعْنَ».

قال ثابتٌ: «وكان صِلةُ يأكلُ يومًا، فأتاه رجلٌ، فقال: مات أخوك، قال: هيهات، قد نُعي إليَّ، اجلِسْ فكُل، قال الرجل: ما سبقني إليك أحدٌ!! فقال: قال الله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر]».

٥٣٣ حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري: حدثنا الغلَّابي: حدثنا ابنُ عائشة قال:

كتب بعض الحكماء إلى أخٍ له يُعزِّيهِ عن ابنٍ له ـ يقال له: محمد ـ:

---

(١) يُضرم: تَشتعل من حوله نارُ العداوات. يُصرم: يُقطع ويُهجَر.

اصبِرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجلَّدِ واعلم بأنَّ المرءَ غيرُ مُخلَّدِ
وإذا ذكرتَ محمدًا ومُصابَهُ فاذكر مصابَك بالنبيِّ محمدِ

[٥٣٤] وانشَدَني محمدُ بن إسحاق الواسطي:

يُعَزِّي المعزِّي ثم يمضي لشأنِهِ ويبقى المعزَّى في أحرِّ من الجمرِ
ويُرمَى المعزَّى بعد ذاك بسَلْوةٍ ويَثْوِي المعزِّي عنه في وحشةِ القبرِ

[٥٣٥] وانشَدَني المنتصر بن بلال:

مَن يَسبِقِ السَّلوةَ بالصبر فاز بفضلِ الحمدِ والأجرِ
يا عَجبي من هَلِعٍ جازعٍ يُصبِحُ بين الذمِّ والوِزرِ
مصيبةُ الإنسانِ في دينِهِ أعظمُ من جائحةِ الدهرِ

[٥٣٦] وانشَدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

تَجري المقاديرُ إن عُسرًا وإنْ يسرًا حاذرتَ واقعَها أو لم تكن حَذِرَا
والعسرُ عن قدَرٍ يَجري إلى يُسْرٍ والصبرُ أفضلُ شيءٍ وافَقَ الظفَرَا

[٥٣٧] سمعتُ إسحاقَ بنَ احمد القطَّان البغدادي بـ«تُستَر» يقول:

«كان لنا جارٌ ببغداد ـ كنا نسميَّه «طبيبَ القرَّاء» ـ، وكان يتفقَّدُ الصالحين ويتعاهدُهم، فقال لي: دخلتُ يومًا على أحمدَ بن حنبل، فإذا هو مغمومٌ مكروب، فقلت: ما لك ـ يا أبا عبد الله ـ؟ قال: خيرٌ، قلتُ: وما الخير؟ قال: امتُحنتُ بتلك المحنة، حتى ضُربتُ، ثم عالجوني وبَرَأْتُ، إلَّا أنه بَقِيَ في صُلبي موضعٌ يُوجِعُني، هو أشدُّ عليَّ من ذلك الضرب، قال: قلت: اكشِف لي عن صُلْبك، قال: فكَشف لي، فلم أرَ فيه إلا أثرَ الضرب فقط، فقلت: ليس لي بذي معرفةٌ، ولكنْ سأستخبرُ عن هذا.

قال: فخرجتُ من عنده، حتى أتيتُ صاحبَ الحَبْس ـ وكان بيني وبينه فضلُ معرفة ـ، فقلت له: أدخُلُ الحبسَ في حاجةٍ؟ قال: ادخلْ.

فدخلتُ، وجمعتُ فتيانهم، وكان معي دُريهماتٌ فرقتُها عليهم، وجعلتُ أُحدِّثُهم حتى أنِسوا بي، ثم قلت: مَن منكم ضُرب أكثر؟ قال: فأخذوا يتفاخرون، حتى اتَّفقوا على واحدٍ منهم أنه أكثرُهم ضربًا، وأشدُّهم صبرًا، قال: فقلتُ له: أسألُك عن شيءٍ؟ فقال: هاتِ، فقلت: شيخٌ ضعيفٌ، ليس صناعتُه كصناعتكم، ضُرب على الجوع للقتل سياطًا يسيرة، إلَّا أنه لم يمُت، وعالجوه وبَرَأ، إلَّا أنَّ موضعًا في صُلبه يُوجِعُه وجعًا ليس له عليه صبرٌ. قال: فضحك، فقلت: ما لك؟ قال: الذي عالجه كان حائكًا، قلت: أيشٌ الخبر؟ قال: تَرك في صلبه قِطعةَ لحم مَيْتةً لم يَقْلَعها، قلت: فما الحيلة؟ قال: يُبَطُّ صُلبُه[١]، وتُؤخذ تلك القطعة، ويُرمى بها، وإن تُرِكَتْ بلغت إلى فؤاده فقتلته.

قال: فخرجتُ من الحبس، فدخلت على أحمد بنِ حنبل، فوجدته على حالته، فقصصتُ عليه القصة، قال: ومَن يَبُطُّه لي؟ قلت: أنا، قال: أوَ تفعل؟ قلت: نعم، قال: فقام، فدخل البيت، ثم خرج وبيده مخدَّتان، وعلى كتفه فُوطة[٢]، فوضع إحداهما لي، والأخرى له، ثم قعد عليها، وقال: استَخِرِ اللهَ، فكشفت الفوطةَ عن صلبه، وقلتُ: أين موضعَ الوجع، فقال: ضَعْ إصبَعك عليه، فإني أُخبِرُك به، فوضعت إصبعي، وقلت: هاهنا موضعُ الوجع؟ قال: هاهنا ـ أحمدُ اللهَ على العافية ـ، فقلت: هاهنا؟ قال: هاهنا ـ أحمدُ اللهَ على العافية ـ، فقلت: هاهنا؟ قال: هاهنا ـ أسألُ اللهَ العافية ـ، قال: فعلِمتُ أنه موضعُ الوجع، قال: فوضعتُ المِبْضَعَ[٣] عليه، فلما أحس بحرارةِ المبضع وضع يدَه على رأسه، وجعل يقول: اللَّهُمَّ اغفِرْ للمعتصم، حتى بَطَطْتُه،

(١) يُبَط: تُشقُّ قَرحتُه.
(٢) الفوطة: ثيابٌ غليظة خشِنةٌ تُجلب من السِّند.
(٣) المِبضَع: القاطع ـ كالمِشرط ـ.

فأخذتُ القطعةَ الميتة ورميتُ بها، وشَددتُ العصابةَ عليه[١]، وهو لا يزيدُ على قوله: «اللَّهُمَّ اغفِرْ للمعتصم»، قال: ثم هدأ وسكن، ثم قال: كأني كنتُ معلَّقًا فأُصْدِرْت[٢]، قلت: يا أبا عبد الله، إن الناس إذا امتُحنوا محنةً دعوا على من ظلمهم، ورأيتُك تدعو للمعتصم؟ قال: إني فكرتُ فيما تقول، وهو ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ، فكرهتُ أن آتيَ يومَ القيامة وبيني وبين أحدٍ من قرابته خصومة. هو مِنِّي في حِلٌّ».

❊ ❊ ❊

(١) أي: ربطتُ جُرحَه.

(٢) أي: كأني كنتُ مقيدًا فأُطلقت؛ أي: بسبب زوال الوجع.



٢٩

ذِكرُ الحثِّ على العفو عن الجاني

٥٣٨ حدثنا الفضل بن الحُباب الجُمحي بـ«البصرة»: حدثنا القَعْنبي: حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن العلاء بن عبد الرَّحمٰن، عن أبيه:

عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: أتى رجلٌ، فقال: يا رسول الله، إن لي قَرابةً، أَصِلُهم ويقطعوني، ويُسيئون إليَّ، وأُحسِنُ إليهم، ويَجهَلون عليَّ، وأحلُمُ عنهم. فقال رسول الله ﷺ: **«لَئِنْ كان كما تقول: فكأنما تُسِفُّهُمُ المَلَّ**(١)**، ولا يزالُ من اللهِ معك ظهيرٌ ما زِلتَ على ذلك»**(٢).

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل توطينُ النفس على لزوم العفو عن الناس كافةً، وتركُ الخروج بمجازاة الإساءة؛ إذ لا سببَ لتسكين الإساءة أحسنُ من الإحسان، ولا سببَ لنماء الإساءة وتَهييجها أشدُّ من الاستعمال بمثلها.

٥٣٩ ولقد أنشَدَني منصور بن محمد الكريزي:

سألزمُ نفسي الصَّفحَ عن كل مذنبٍ ... وإن كثُرت منه إليَّ الجرائمُ

فما الناسُ إلا واحدٌ من ثلاثةٍ: ... شريفٌ ومشروفٌ ومِثْلٌ مُقاوِمُ

فأما الذي فوقي: فأعرفُ فَضْلَه ... وأتبَعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازمُ

وأما الذي دُوني: فإن قال صُنتُ عن ... إجابته عِرضي وإن لام لائمُ

---

(١) **المَل**: الرماد الحار.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٠٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٢)، ومسلم (٢٥٥٨)، وابن حِبَّان (٤٥٠).

وأما الذي مِثلي: فإن زلَّ أو هفا تفضَّلتُ إن الحِلمَ للفضل حاكمُ

[٥٤٠] أنبأنا محمد بن عثمان العقبي: حدثنا محمد بن عامر الأنطاكي: حدثنا أبو توبة: حدثنا محمد بن مهاجر:

عن يونُسَ بنِ ميسرةَ بنِ حَلْبس قال: «ثلاثةٌ يُحبُّهم اللهُ: مَن كَرِه سوءَ يأتيه إلى أخيه وصاحبه، فذلك قَمِنٌ[1] أن يستحي من الله[2]، ومَن كان ذا رفعةٍ من الناس، فتواضع للهِ، فذلك الذي عَرَف عظمةَ الله، فيخافُ مَقْتَه، ومَن كان عفوُهُ قريبًا من إساءته، فذلك الذي تقوم به الدنيا».

قال أبو حاتم ﷺ: مَن أراد الثواب الجزيل، واسْتِرهانَ الوُدِّ الأصيل، وتوقُّعَ الذِّكر الجميل؛ فلْيتحمَّل من ورود ثُقْلِ الرَّدى، ويتجرَّعْ مرارةَ مخالفةِ الهوى، باستعمال السُّنة التي ذكرناها في الصِّلة عند القطع، والإعطاءِ عند المنع، والحِلمِ عند الجهل، والعفوِ عند الظلم؛ لأنه من أفضل أخلاقِ أهل الدين والدنيا.

[٥٤١] ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر: حدثنا ابنُ أبي شيبة: حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون، عن داود بن الزِّبْرِقان، قال:

قال أيوب: «لا يَنْبُلُ الرجلُ حتى يكون فيه خَصلتان: العفَّةُ عما في أيدي الناس، والتجاوزُ عنهم».

[٥٤٢] وأنشدَني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي:

وإذا مذنبٌ أتاه به الحقُّ فغطَّاهُ عَفْوُهُ في سُتورِهْ
راجيًا للثواب في كل رُزْءٍ من خَفِيِّ الأمورِ أو مشهورِهْ
فهو في عاجلِ الحياة كريمٌ ومن الفائزين يومَ نشورِهْ
خَصْلَةٌ جَزْلةٌ بها خَصَّهُ اللَّهُ لزينِ الدنيا ويومِ كُرورِهْ

---

(١) قَمِنٌ: جدير وحَرِيٌّ.

(٢) لعل الأصح: أن يستحي منه الله.

[٥٤٣] أنبانا محمد بن إسحاق بن خزيمة: حدثنا عمرُ بن حفص الشيباني: حدثنا سفيانُ، عن رجلٍ، قال:

سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: «أحبُّ الأمورِ إلى الله ثلاثة: العفو في القُدرة، والقصدُ في الجِدَةِ[1]، والرِّفقُ في العبادة، وما رَفَق أحدٌ بأحدٍ في الدنيا، إلا رَفَق اللهُ به يوم القيامة».

[٥٤٤] أنبانا عمرو بن محمد الأنصاري: حدثنا الغلابي: حدثنا ابن عائشة، قال:

كتب الحَجَّاجُ إلى عبد الملك: «إنك أعزُّ ما تكون أحوجُ ما تكون إلى الله، فإذا تعزَّزتَ بالله فاعفُ؛ فإنك به تَعِزُّ، وإليه تَرجع».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجب على العاقل لزومُ الصفح عند ورود الإساءة عليه من العالَم بأسرهم، رجاءَ عفوِ الله جلَّ وعلا عن جناياته التي ارتكبها في سالف أيامه؛ لأن صاحبَ الصَّفْحِ إنما يتكلفُ الصفحَ بإيثاره الجزاء، وصاحبُ العقاب ـ وإن انتقم ـ إلى الندم أقرب، فأمَّا مَن له أخٌ يَوَدُّه، فإنه يحتملُ عنه الدهرَ كلَّه زلَّاتِه.

[٥٤٥] ولقد أخبرني محمد بن المنذر: حدثنا أحمد بن داود التمار، قال: سمعت مردويه الصائغ يقول:

سمعت الفضيل بن عياض يقول: «اغفِرْ لأخيك إلى سبعين زَلَّة، قيل له: وكيف ذلك ـ يا أبا عليٍّ ـ؟ قال: لأن الأخ الذي آخيتَه في اللهِ ليس يَزِلُّ سبعين زلةً».

[٥٤٦] وأنشدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

إذا لم تُجاوزْ عن أخٍ لكَ عَثْرةً ... فلستَ غدًا عن عثرتي متجاوزًا
وكيف يُرجِّيك البعيدُ لنفعِهِ ... إذا كان عن مولاك بِرُّك عاجزًا

---

(١) الجِدَة: الغِنى.

﴿٥٤٧﴾ أنبأنا محمد بن صالح الطبري: حدثنا الرُّمادي: حدثنا الجُعْفي - يحيى بن سليمان -:

حدثنا ابن أبجر: حدثني أبي قال: «أقبل الشعبيُّ يومًا، فإذا هو برجلين من قومه مِن وراءِ جِدارٍ قصير، قال: فاستمع عليهما، فإذا هما يَقعانِ فيه ويشتُمانه، ويَستَنْقِصانه حتى أكثرا، فلما أطالا أشرف عليهما الشعبي، فقال:

هنيئًا مريئًا غيرَ داءٍ مخامرٍ لِعَزَّةَ من أعراضنا ما استحلَّتِ

فقالا: واللهِ يا أبا عمرو، لا نَقَعُ فيك بعد اليوم».

﴿٥٤٨﴾ وأنشدَني بعضُ أهل العلم:

ولربَّما ابتسم الوقورُ من الأذى وضميرُه من حَرِّه يتأوَّهُ
ولربَّما خزَن الحليمُ لسانَه حَذَرَ الجوابِ وإنه لمُفَوَّهُ

﴿٥٤٩﴾ وأنبأنا أبو عوانة - يعقوب بن إبراهيم -: أنبأنا عبد الله بن الحسين المِصِّيصي: أنبأنا يعقوب بن أبي عباد، قال:

قال الفضيل بن عياض: «مَنْ طلب أخًا بلا عيب، بَقِيَ بلا أخ».

قال أبو حاتم ﷺ: أغنى الناسِ عن الحقد: مَنْ عَظُم عن المجازاة، وأجلُّ الناس مرتبةً مَن صَدَّ الجهلَ بالحلم، وما الفضلُ إلا لمن يُحسِنُ إلى مَن أساء إليه، فأما مجازاةُ الإحسان إحسانًا، فهو المساواة في الأخلاق، فلربَّما استعملها البهائمُ في الأوقات، ولو لم يكن في الصَّفْح وتركِ الإساءة خصلةٌ تُحمد إلا راحةُ النفس ووداع القلب، لكان الواجبُ على العاقل ألَّا يكدِّر وقتَه بالدخول في أخلاق البهائم بالمجازاة على الإساءة إساءةً، ومَن جازى بالإساءة إساءةً فهو المُسيء - وإن لم يكن بادئًا -.

﴿٥٥٠﴾ كما أنشدَني الكريزي:

أساتُ وأنكرتُ أني أساتُ فأفضِلْ ولا تكُ عينَ المُسِي

لك الفضلُ بالعفو عما عفوتَ وإلا فأنت القرينُ السَّوِي
وعفوُك مُقتدِرًا نعمةٌ وعفو المندَّدِ غيرُ الْهَنِي[1]

٥٥١ سمعت محمد بن عثمان العقبي، قال:

سمعت هلالَ بن العلاء الباهلي يقول: جعلتُ على نفسي - منذ أكثر من عشرين سنةً - ألَّا أكافئ أحدًا بسوء، وذهبتُ إلى هذه الأبيات:

لمَّا عفوتُ ولم أحقِدْ على أحدٍ أرحتُ قلبي من غَمِّ العداواتِ
إني أحيِّي عدوِّي عند رؤيته لأدفعَ الشرَّ عني بالتحيَّاتِ
وأظهِرُ البِشْرَ للإنسان أبغِضُهُ كأنما قد حَشَا قلبي محبَّاتِ

٥٥٢ أنبأنا ابن قتيبة: حدثنا ابنُ أبي السري، قال: سمعت أبا عمر الصنعاني يقول: حدثنا زيد بن أسلم، قال:

قال لقمان لابنه: «كَذَب مَن قال: إن الشر يُطفئُ الشر، فإن كان صادقًا فلْيُوقِدْ نارًا إلى جنب نار، فلْينظر هل تُطفئُ إحداهما الأخرى؟ وإلا؛ فإن الخيرَ يُطفئُ الشر، كما يطفئ الماءُ النارَ».

٥٥٣ حدثني محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا محمد بن خلف البسَّامي: حدثنا محمد بن عبيد الداري: حدثنا محمد بن عمران الضبِّي، قال:

قال ابنُ السماك: «لِنْ لمن يجفو، فَقَلَّ من يصفو».

٥٥٤ وأنشَدَني الأبرش:

توخَّ من السُّبل أوساطَها وعَدِّ عن الجائرِ المُشتبِهْ
وسَمْعَك صُنْ عن سماعِ القبيحِ كصونِ اللسان عن النُّطْقِ بهْ
فإنك عند استماعِ القبيح شريكٌ لقائِلِهِ فانتبهْ
فكم أزعج الحرصُ مِن طالبٍ فوافى المَنيَّةَ في مَطْلَبهْ

(١) المندَّد: المشهر بالعيوب.

[٥٥٥] أنبأنا عمر بن حفص البزاز بـ«جنديسابور»: حدثنا جعفر بن محمد بن حبيب الذارع: حدثنا عبد الله بن رشيد: حدثنا مُجَّاعة بن الزبير، قال:

قال لقمانُ الحكيم لابنه: «أي بني، أيُّ شيءٍ أقل؟ وأيُّ شيءٍ أكثر؟ وأيُّ شيءٍ أحلى؟ وأيُّ شيءٍ أبرد؟ وأيُّ شيءٍ آنس؟ وأيُّ شيءٍ أوحش؟ وأيُّ شيءٍ أقرب؟ وأيُّ شيءٍ أبعد؟ قال: أمَّا أقلُّ شيءٍ فاليقين، وأما أيُّ شيءٍ أكثر، فالشك، وأما أيُّ شيءٍ أحلى، فرَوحُ اللهِ[1] بين العباد يتحابُّون بها، وأما أيُّ شيءٍ أبرد، فعفوُ الله عن عباده، وعفوُ الناس بعضِهم عن بعض، وأيُّ شيءٍ آنس: حبيبُك إذا أُغلق عليك وعليه بابٌ واحد، وأيُّ شيءٍ أوحش: جسدٌ إذا مات، فليس شيءٌ أوحشَ منه، وأي شيءٍ أقرب: فالآخرة من الدنيا، وأيُّ شيءٍ أبعد: فالدنيا من الآخرة».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقلُ يُحسِنُ عند الجفوة، ويُغضي عن المجازاة عليها بمثلها.

[٥٥٦] وقد قيل:

«إنَّ مَن لم يغضبْ من الجفوة، لم يشكرِ النعمة».

وهو عندي ـ واللهُ أعلم ـ غضبٌ لا يُخرِجُهُ إلى المعاصي، ولا إلى الانتقام من الجاني، كأنه في نفسِه يعلمُ محِلَّ الجفوة منه، كما يَعقِلُ ورودَ النِّعمة عليه، وما أقبحَ قُدرةُ اللئيم إذا قَدَر، ومَن أساء سمعًا أساء إجابةً، ومَن أتى المكروه إلى أحد فبنفسه بدأ؛ لأن الشرور تبدو صغارًا، ثم تعود كبارًا.

[٥٥٧] ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القزَّاز: حدثنا محمد بن إدريس الرازي: حدثنا عبدُ الرَّحمٰن بن يحيى بن إسماعيل بن عبيد الله المخزومي، حدثنا عبد الأعلى بنُ مُسهِر، عن سعيد بن عبد العزيز، قال:

---

(١) أي: رحمته.

سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول لبنيه: «يا بَنيَّ، أكرِموا مَن أكرمكم ـ وإن كان عبدًا حبشيًّا ـ، وأهِينوا من أهانكم ـ وإن كان رجلًا قرشيًّا ـ».

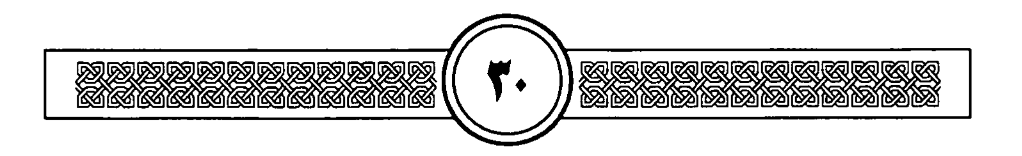
قال أبو حاتم ﷺ: هذا الذي قال إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المُهاجر، إن استعمله العاقلُ في الأحوال كلها مع الجاهل، فلا ضير، فأما من ارتفع عن حدِّ الجهَّال، واتضع عن حد العقلاء، فالإغضاء عن مثلِه في الأوقات أحمد، مخافةَ الازدياد منه، ولَأن يصبرَ المرءُ على حرارة الجفاء ومرارتها أولى من الانتقام مما يَستجلبُ عليه بما هو أحرُّ وأمرُّ ـ أيضًا ـ مما مضى؛ لأن مِن الكلام ما هو أشد من الحجر، وأنفذُ من الإبر، وأمرُّ من الصبر.

[٥٥٨] ولقد أحسن الذي يقول:

لقد أسمَعُ القولَ الذي كاد كلَّما ... تُذكِّرُنيهِ النفسُ قلبي يُصْدَعُ
فأُبدي لمن أبداه مني بشاشةً ... كأني مسرورٌ بما منه أسمعُ
وما ذاك عن عجزٍ به غير أنني ... أرى أنَّ تَرْكَ الشرِّ للشرِّ أقطعُ

[٥٥٩] أنبانا محمد بن صالح الطبري بـ«الصَّيمرة»: حدثنا أحْمدُ بن مقدام العِجْلي: حدثنا محمد بن عبد الرَّحمٰن الطُّفاوي، عن هشام بن عروة، عن أبيه:

عن أبي عمر في هذه الآية: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، قال: «أمر النبيُّ ﷺ بالعفو عن أخلاق الناس».



ذِكرُ صِفةِ الكريمِ واللئيم

٥٦٠ أنبأنا محمد بن الحسن بن الخليل بـ«نَسَا»: حدثنا أبو كُريب: حدثنا عَبْدةُ بن سليمان، عن عُبيد الله بن عمر، عن سعيد المقبُري:

عن أبي هريرة [ﷺ] قال: قيل: يا رسول الله، أيُّ الناس أكرم؟ قال: «**أكرمُهم عند اللهِ أتقاهم**»، قالوا: ليس عن هذا نسألُك. قال: «**فعن معادنِ العرب تسألونني؟**» قالوا: نعم، قال: «**خيارُكم في الجاهلية خيارُكم في الإسلام ـ إذا فقهوا ـ**»[1].

قال أبو حاتم ﷺ: أكرمُ الناس من اتَّقى اللهَ، والكريمُ التقي.

و«التقوى»: هي العزمُ على إتيان المأمورات، والانزجارُ عن جميع المزجورات، فمن صحَّ عزمُه على هاتين الخصلتين، فهو التقيُّ الذي يستحقُّ اسمَ «الكَرَم»، ومَن تعرَّى عن استعمالهما، أو أحدهما، أو شعبةٍ من شعبهما، فقد نقص مِن كرمِه مِثلُه.

٥٦١ ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر: حدثنا عيسى بن محمد بن سهل الأزدي، عن أبيه، عن المدائني، قال:

قال زيدُ بن ثابت: «ثلاثُ خصالٍ لا تجتمع إلا في كريم: حُسنُ المحضر، واحتمالُ الزلَّة، وقلَّةُ المُلالة».

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/٢٥٧)، والبخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٧٨)، والدارمي (٦٥٦٢)، وابن حبان (٦٣٦)، والحديث مروي من عدة طرق.

[٥٦٢] وأنشَدَني ابنُ زنجي البغدادي:

رأيتُ الحقَّ يعرفُه الكريمُ ... لصاحبه وينكرُهُ اللئيمُ
إذا كان الفتى حسنًا كريمًا ... فكلُّ فِعاله حسنٌ كريمُ
وإن ألفيتَه سَمِجًا لئيمًا ... فكل فِعالِهِ سمِجٌ لئيمُ

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الكريمُ لا يكون حقودًا ولا حسودًا، ولا شامتًا، ولا باغيًا، ولا ساهيًا، ولا لاهيًا، ولا فاجرًا، ولا فخورًا، ولا كاذبًا، ولا ملولًا، ولا يقطعُ إِلْفَه، ولا يؤذي إخوانه، ولا يُضيِّعُ الحِفاظ[1]، ولا يجفو في الوداد، يُعطي مَن لا يرجو، ويؤمِّنُ من لا يخاف، ويعفو عن قُدرة، ويصلُ عن قطيعة.

[٥٦٣] أخبرني محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا محمد بن الحسن الذهْلي، عن عليِّ بن محمد المدائني، عن محمد بن إبراهيم العباسي، عن عبد الله بن الحجاج ـ مولى المهدي ـ:

عن إبراهيم بن شِكْلةَ، قال: «إن لكل شيءٍ حياةً وموتًا، وإن مما يُحيي الكرمَ مواصلةَ الكرماء، ومما يُحيي اللؤم معاشرةُ اللِّئام».

[٥٦٤] وأنشَدَني الكُريزي:

وما بالُ قوم لئام ليس عندهُمُ ... عهدٌ وليس لهم دينٌ إذا ائتُمِنوا
إن يَسمَعوا رِيبةً طاروا بها فرحًا ... منِّي وما سمِعوا من صالحٍ دَفَنوا
صُمٌّ إذا سمِعوا خيرًا ذُكرتُ به ... وإن ذُكرتُ بسوءٍ عندهم أَذِنوا

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الكريمُ يَلِينُ إذا استُعْطِف، واللئيم يقسُو إذا أُلطِف، والكريمُ يُجِلُّ الكرام، ولا يُهين اللئام، ولا يُؤذي العاقل، ولا يمازح الأحمق، ولا يُعاشِرُ الفاجر، مؤثرًا إخوانَه على نفسه، باذلًا لهم ما مَلَك، إذا اطَّلَع على رغبةٍ من أخ لم يدَع مكافأتَها، وإذا عرف منه المودَّة، لم ينظر في مَلَقِ العداوة، وإذا أعطاه من نفسِه الإخاءَ، لم يقطعه بشيءٍ من الأشياء.

---

(١) **الحفاظ**: الأمانة.

[٥٦٥] كما أنشدني الخلادي، قال: أنشدنا أحمد بن أبي عليٍّ القاضي، قال:

أنشَدَنا محمد بن مِقْيس الأزدي:

فإنَّ الذي بيني وبين عشيرتي ... وبين بني عمِّي لَمختلفٌ جدًّا
إذا قدَحوا لي نارَ حرب بِزَنْدهمُ ... قدحتُ لهم في كلِّ مكْرُمةٍ زَندَا
وإن أكلوا لحمي وفَرْتُ لحومَهمْ ... وإن هدموا مَجْدي بنيتُ لهم مجدَا
ولا أحملُ الحِقدَ القديمَ عليهمُ ... وليس رئيسُ القَومِ مَن يحملُ الحقدَا
وأُعطيهم مالي إذا كنتُ ذا غِنى ... وإن قلَّ مالي لم أُكلِّفْهُم رِفدَا[١]

[٥٦٦] أنبأنا ابن جَوْصا: حدثنا أبو عمير بن النَّحاس: حدثنا ضمرة:

عن إبراهيم بن أبي عَبلة، قال: «رأيتُ سالمَ بنَ عبد الله ومحمد بن عبد العزيز يتسايران بأرض الروم، فأبال أحدُهما دابَّته[٢]، فأمسك عليه الآخر حتى لحقه».

[٥٦٧] أنبأنا محمد بن المهاجر: حدثنا أحمدُ بن بكر بن خالد اليزيدي، عن قُطبة بن العلاء بن المنهال، قال: سمعت المبارك بن سعيد يقول: سمعت الأعمش يقول:

قال الشعبي: «إن كِرامَ الناس أسرعُهم مودةً، وأبطؤهم عداوةً، مثلُ الكوب مِن الفضة، يُبطِئُ الانكسار، ويُسرِعُ الانجبار[٣]. وإن لئامَ الناس أبطؤهم مودةً، وأسرعُهم عداوةً، مِثل الكوب من الفخَّار: يُسرع الانكسار، ويُبطئ الانجبار».

قال أبو حاتم ﷺ: الكريمُ مَنْ أعطاه شكَره، ومَن منعه عَذَره، ومن قطعه وصله، ومَن وصله فَضَّله، ومن سأله أعطاه، ومَن لم يسأله ابتداه، وإذا استَضعَفَ أحدًا رحمه، وإذا استَضعفه أحدٌ، رأى الموتَ أكرمَ له منه، واللئيمُ بضدِّ ما وصفنا من الخصال كلِّها.

---

(١) **الرِّفد**: العطاء.

(٢) أي: أوقفها لتبول.

(٣) **الانجبار**: الإصلاح.

[٥٦٨] ولقد أنبأنا أحمدُ بن قريش بن عبد العزيز: حدثنا إبراهيمُ بن محمد الذُّهْلي: حدثنا أحمد بن الخليل: حدثنا يحيى بن أيوب:

عن أبي عيسى قال: «كان إبراهيمُ بنُ أدهم كريمَ النفس، يُخالِطُ الناسَ بأخلاقهم، ويأكلُ معهم، قال: فربَّما اتَّخذ لهم الشِّواء، والجُوذبات والخبيص[1]، وربَّما خلا هو وأصحابَه الذين يأنس بهم، فيتصارعون، قال: وكان يعملُ عمل رجُلَين، وكان إذا صار إلى نفسه أكل عجينًا».

قال أبو حاتم ﷺ: أجْمَعَ أهلُ التجارب للدهر، وأهلُ الفضل في الدِّين، والراغبون في الجميل: على أن أفضلَ ما اقتَنى الرجلُ لنفسه في الدنيا، وأجلَّ ما يَدَّخرُ لها في العُقبى هو لزوم الكرم، ومعاشرةُ الكرام؛ لأن الكرم يُحسِنُ الذِّكرَ، ويُشرِّفُ القَدْر، وهو طِباعٌ ركَّبها اللهُ في بني آدم، فمِن الناس مَن يكون أكرمَ من أبيه، وربَّما كان الأبُ أكرمَ من ابنه، وربَّما كان المملوكُ أكرمَ من مولاه، وربَّما كان مولًى أكرمَ من مملوكه.

[٥٦٩] ولقد أحسن الذي يقول:

رُبَّ مَمْلوكٍ إذا كشفتَه ... كان من مولاهُ أولى بالكرَمْ
فهو مَمْدوحٌ على أحواله ... وترى مولاه يُهْجَى ويُذَمْ
وتراه كيف يعلو دائبًا ... وترى مولاه مِن تَحتِ القَدَمْ
وفتًى تلقى أباه دونَه ... وأبًا تلقاه أعلى وأتمْ
مِن بَنيه ثم لا يعتلُّ إن ... طُلب المعروفُ منه بالصَّمَمْ
وكذاك الناس ـ فاعلمْ ـ ربُّنا ... قدَّر الأخلاقَ فيهم وقَسَمْ

[٥٧٠] وأنشَدَني الأبرش:

رأيتُ اللَّيْنَ لا يَرضى بضيمٍ ... لأن الضيمَ يَسخَطُهُ الكريمُ

---

(١) من أنواع الطعام والحلوى الفارهة.

وإن الـلِّـيـنَ أكـرمُ كـلِّ شـيءٍ ... فـلـيـس يُـحـبُّـه خُـلُـقٌ لـئـيـمُ
فـإن نَـزَلَ الأذى والـلِّـيـنُ قـلـبًـا ... فـإن الـلِّـيـنَ يـرحـلُ لا يُـقـيـمُ
ويبقى للأذى في القلب صحبٌ ... مِن البغضاء يلبثُ لا يَرِيمُ(١)

٥٧١ حدثنا القطان بـ«الرقَّة»: حدثنا أحمد بن أبي الحَوَاري، قال:

سمعت أبي يقول: «ما من أحدٍ إلا وله توبة، إلا سيِّئُ الخُلق؛ فإنه لا يتوبُ من ذنبٍ، إلَّا دخل في شرٍّ منه».

قال أبو حاتم ﷺ: الكريمُ محمودُ الأثر في الدنيا، مرضيُّ العمل في العُقبى، يحبُّه القريبُ والقاصي، ويألفُه المتسخِّطُ والراضي، يُفارقُه الأعداءُ واللئام، ويَصحَبُه العقلاء والكرام.

وما رأيتُ شيئًا أكثرَ عملًا في نقص كرمِ الكريم من الفقر، سواءٌ كان ذلك بالقلب أو بالموجود.

٥٧٢ ولقد أنشَدَني المنتصر بن بلال الأنصاري:

لَعَمْرُكَ إن المالَ قد يَجعلُ الفتى ... نسيبًا وإن الفقرَ بالمرءِ قد يُزرِي
ولا رَفَعَ النفسَ الدنِيَّةَ كالغِنى ... ولا وضعَ النفسَ الكريمةَ كالفقرِ

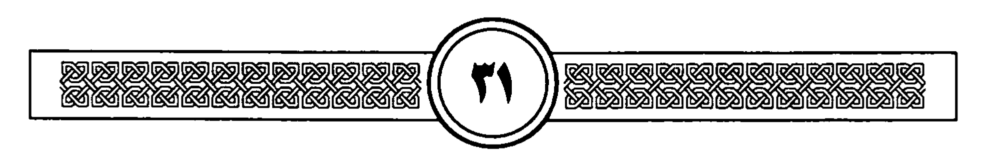
٥٧٣ حدثنا الحسن بن سفيان: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا حُميد بن عبد الرَّحمٰن، عن زكريا بن أبي زائدة، عن عليِّ بن الأقمر:

عن أبي جُحيفة قال: «جالِسوا الكبراء، وخالِطوا الحكماء، وسائِلوا العلماء».

---

(١) يَريم: يرحل.





ذِكرُ الزَّجْرِ عن قَبولِ قول الوُشاة

٥٧٤ أنبأنا أبو يعلى: حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء: حدثنا مهدي بن ميمون: حدثنا واصل الأحدب، عن أبي وائل:

عن حذيفةَ [رضي الله عنه] أنه بلغه أن رجلًا يَنِمُّ الحديثَ، فقال حذيفة: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«لا يَدخلُ الجنةَ نمَّام»**(١).

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على الناس كافةً: مجانبةُ الإفكار في السبب الذي يؤدِّي إلى البغضاء والمشاحنةِ بين الناس، والسعيِ فيما يفرق جَمْعَهم ويُشتِّتُ شمْلهم، والعاقلُ لا يخوضُ في الإفكار فيما ذكرنا، ولا يقبلُ سِعايةَ الواشي بحيلةٍ من الحيل، لعلِمه بما يرتكب الواشي من الإثم في العُقبى بفعله ذلك.

٥٧٥ ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القزاز: حدثنا عباس بن الوليد بن مَزْيَد، عن أبيه، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، قال:

قال سليمانُ بنُ داود لابنه: «يا بُنيَّ، إياك والنميمةَ، فإنها أحدُّ من السيف».

٥٧٦ وأنشَدَني الكريزي:

من نَمَّ في الناس لم تُؤمَنْ عقاربُهُ ... على الصديقِ ولم تُؤمَنْ أفاعيهِ

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٩١)، والبخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (١٠٥)، وأبو داود (٤٨٧١)، والترمذي (٢٠٢٦)، وابن حِبَّان (٥٧٦٥)، وبعض هؤلاء رواه بلفظ: **«قتَّات»** بدل **«نمَّام»**، والمعنى متقارب.

كالسَّيل بالليل لا يَدري به أحدٌ   من أين جاء ولا من أين يأتيهِ؟
فالويلُ للعهد منه كيف ينقُضُهُ؟   والويلُ للوُدِّ منه كيف يُفنيهِ؟

[٥٧٧] أخبرنا أحمدُ بن إسحاق الناقد بـ«واسط»: حدثنا أحمدُ بن عبد الجبار: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق:

عن عمرو بن ميمون قال: «لمَّا تعجل موسى بنُ عمرانَ إلى ربه، رأى رجلًا تحت العرش، فغَبَطه[1] بمكانه، فسأل ربَّه أن يُخبرَه باسمه، قال: [لا أُخبِرُك باسمه، و]لكنني أُخبِرُك من عمله بثلاثِ خصال: كان لا يحسُدُ الناسَ على ما آتاهم اللهُ مِن فضله، ولا يَعُقُّ والديه، ولا يمشي بالنميمة».

[٥٧٨] أنبانا محمد بن المهاجر: حدثنا محمد بن يعقوب الرَّبْعي: حدثنا محمد بن إدريس المعدِّل، عن العتبي، قال:

سمعت أعرابيةً توصي ابنًا لها: فقالت: «عليك بحفظ السرِّ، وإياك والنميمةَ؛ فإنها لا تتركُ مودةً إلا أفسدتها، ولا جَماعةً إلا بددتْها، ولا ضغينةً إلا أوقدتها».

[قال أبو حاتم ﷺ:] ثم لا بد لمن عُرف بها ونُسب إلى مقارفتها مِن أن يُحترسَ من مجالسته، وألَّا يُوثَقَ بمودَّته، وأن يُزهدَ في مواصلته ومعاشرته.

[٥٧٩] ولذلك يقول أخو ربيعة:

تَمشَّيتَ فينا بالنَّميم وإنما   تُفرِّقُ بين الأصفياءِ النمائمُ
وما زلتَ منسوبًا إلى كلِّ آفةٍ   وما زال منسوبًا إليك الملائمُ
لأنك لم تندَمْ لشرٍّ فعلتَهُ   وما تأتِ من خيرٍ فإنك نادمُ

[٥٨٠] أنبانا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا عبيد الله بن محمد العيشي:

حدّثنا عليُّ بنُ محمد المدائني قال: «وشى واشٍ بعبد الله بن همامٍ

---

(١) غَبَطه: تمنَّى مثل منزلته.

السَّلولي إلى زياد، قال: فبعث زيادٌ إلى ابن همامٍ، فجاء فأدخل الرجلَ بيتًا، فقال له زياد: يا ابنَ همام. بلغني أنك هجوتَني، فقال له: كلا - أصلحك الله -! ما فعلتُ، وما أنتَ لذلك أهلٌ، قال: فإن هذا أخبرني - وأخرج الرجل -، فأطرق ابن همامٍ هُنَيْهَةً، ثم أقبل على الرجل، فقال:

وأنت امرؤٌ: إما ائتمنتُك خاليًا فخُنتَ وإمَّا قلتَ قولًا بلا علمِ
فأنت مِن الأمر الذي كان بيننا بمنزلةٍ بين الخيانةِ والإثمِ

قال: فأُعجب زيادٌ بجوابه، وأدناه، وأقصى الساعي، ولم يَقبل منه».

[٥٨١] وأنشَدَني ابن زنجي البغدادي:

يمشُون في الناس يبغُون العيوبَ لمن لا عيبَ فيه لكي يُستشرفَ العَطبُ
إن يعلَموا الخيرَ يُخفوه وإن علِموا شرًّا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبُوا

[٥٨٢] أخبرني محمد بن أبي عليٍّ: حدثنا ابنُ أبي شيبة - أبو جعفر -: حدثنا الحسن بن صالح، قال:

سمعت حُجَين بن المُثنَّى يقول: «سعى رجلٌ بالليث بن سعدٍ إلى والي مصر، فبَعث إليه فدعاه، فلما دخل عليه قال له: يا أبا الحارث، إن هذا أبلغني عنك كذا وكذا، فقال له الليثُ: سَلْهُ - أصلح اللهُ الأمير - عمَّا أبلغك: أهو شيءٌ ائتمناه عليه، فخاننا فيه؟ فما ينبغي لك أن تَقبل من خائن، أو شيءٌ كَذَب علينا فيه، فما ينبغي لك أن تقبلَ مِن كاذب؟ فقال الوالي: صدقت - يا أبا الحارث -».

[٥٨٣] أخبرنا ابنُ جوصا: حدثنا عبد الله بن هانئ بن عبد الرَّحمٰن بن أبي عبلة، عن أبيه:

عن عمِّه إبراهيم بن أبي عَبْلَة قال: «كنتُ جالسًا مع أم الدرداء، فأتاها آتٍ، فقال: يا أمَّ الدرداء، إن رجلًا نال منكِ عند عبد الملك بن

مروان فقالت: إن نُؤْبَنْ[١] بما ليس فينا، فطالَمَا زُكِّينا بما ليس فينا».

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل: لزومُ الإغضاء عما ينقُلُ الوُشاة، وصرفُ جميعها إلى الإحسان، وتركُ الخروج إلى ما لا يليقُ بأهل العقل، مع ترك الإفكار فيما يُزري بالعقل؛ لأنَّ مَن وشَى بالشيء إلى إنسانٍ بعينه، يكون قصدُه إلى المخبَر أكثرَ من قصدِه إلى المخبَر به، لمشافهته إياه بالشيء الذي يَشُقُّ عليه عِلمُه وسماعه.

[٥٨٤] ولقد أحسنَ الذي يقول:

من يُخبِرك بشتم عن أخٍ ... فهو الشاتمُ لا مَن شَتَمكْ

ذاك شيءٌ لم يواجِهْك بهِ ... إنما اللومُ على مَن أعلَمَكْ

كيف لم ينصرْك إن كان أخًا ... ذا وفاءٍ عند مَن قد ظلمَكْ

إنما رام بإبلاغِ الذي ... نمَّ فيه فاعلَمَنْ أن يُرْغِمَكْ

فأهِنْهُ إنه مِن لؤمه ... إن تُهِنْه بهوانٍ أكرمَكْ

لكنِ الحُرُّ إذا أجللتَه ... لم يُصغِّرك ولكن فَخَّمَكْ

[٥٨٥] أنبانا محمد بن المهاجر: حدثنا محمد بن عبد الله السويدي، قال:

سمعت العباسَ بنَ ميمون يقول: شيَّع المأمونُ الحسنَ بن سهل ـ ذا الوزارتين ـ، فلما بلغا غايةَ التشييع، قال له المأمون: يا حسنُ، ألك حاجةٌ؟ قال: نعم ـ يا أمير المؤمنين ـ، تحفظ عليَّ من قِبَلك ما لا أستطيعُ إدراكه إلا بك، ويكون بيني وبينك قول كُثَيِّر عزَّة:

وكوني على الواشين لَدَّاءَ شَغْبَةً ... كما أنا للواشي ألدُّ شَغُوبُ[٢]

[٥٨٦] أخبرنا محمد بن سعيد القزَّاز: حدثنا محمد بن خُزيمة البصري: حدثنا أبو حنيفة: حدثنا عكرمة بن عمَّار:

---

(١) نُؤبن: نُعاب ونُتَّهم.

(٢) لدَّاء: مخاصِمة. شغبة: معترضة مستنكرة.

عن يحيى بن أبي كثير، قال: «الذي يعملُه النمامُ في ساعةٍ، لا يعملُه الساحرُ في شهر».

۞[٥٨٧] أخبرنا محمد بن عثمان العَقَبي: حدثنا محمد بن الحسن الهلالي أبو عوانة البصري: حدثنا داود بن شبيب:

حدثنا حمادُ بن سلمة قال: «باع رجلٌ من رجلٍ غلامًا له، وقال: أبرأُ إليك من النميمة، فاشتراه على ذلك، فجاء إلى مولاته، فقال: إن زوجَكِ ليس يُحبُّكِ، وهو يتسَرَّى عليكِ ويتزوج، أفتُريدين أن يعطفَ عليكِ؟ قالت: نعم، قال: خُذي مُوسى فاحلِقي به شعَيراتٍ من باطنِ لحيته، وبخِّريهِ بها، وجاء إلى الرجل، فقال: إن امرأتَك تبغي[(١)] وتُصادِقُ، وهي قاتلتُك، أفتريد أن يَبِينَ لك ذلك؟ قال: نعم، قال: تناوَمْ لها، قال: فتناوَمَ لها، فجاءت بموسى تحلقُ الشعر، فأخذها فقتلها، فأخذه أولياؤها فقتلوه».

قال أبو حاتم ﷺ: هذا وأمثالُه من ثمرة النميمة؛ لأنها تَهتكُ الأستار، وتُفشي الأسرار، وتورِّثُ الضغائن، وترفعُ المودة، وتُجدِّدُ العداوة، وتُبدِّدُ[(٢)] الجماعة، وتُهيِّجُ الحقد، وتَزيدُ الصَّد، فمَن وُشي إليه عن أخ، كان الواجب عليه معاتبتُه على الهفوة ـ إن كانت ـ، وقبولُ العذرِ إذا اعتذر، وتَرْكُ الإكثار من العتب، مع توطين النفس على الشكرِ عند الحِفاظ[(٣)]، وعلى الصبر عند الضياع، وعلى المعاتبة عند الإساءة.

۞[٥٨٨] وأنشدَني منصور بن محمد الكريزي:

كافِ الخليلَ على المودَّةِ مثلَها ... وإذا أساء فكافِهِ بعتابِهِ
وإذا عتبتَ على امرئٍ آخيتَه ... فتوقَّ ظاهرَ عيبِهِ وسِبابِهِ

---

(١) تبغي: تزني.
(٢) تُبدِّد: تفرق.
(٣) الحِفاظ: حفظ الود.

وألِنْ جناحَك ما استلان لوُدِّه وأجبْ أخاك إذا دعا بجوابِهِ

[٥٨٩] وأنشَدَني عليُّ بن محمد البسامي:

أعاتبُ إخواني وأُبقي عليهمُ ولستُ لهم بعدَ العتاب بقاطعِ
وأغفرُ ذنبَ المرء إن زَلَّ زلَّةً إذا ما أتاها كارهًا غيرَ طائعِ
وأجزعُ مِن لوم الحكيم وعَذْلِهِ وما أنا من جهلِ الجهولِ بجازعِ

[٥٩٠] اخبرني محمد بن ابي عليٍّ الخلادي: أخبرني محمد بن يزيد النحوي، عن العتبي، عن أبيه، قال:

عَتَب ابنُ الزبير على معاويةَ في شيءٍ، فدخل عليه، فقال: «يا أميرَ المؤمنين: اسمع أبياتًا أعتبك فيها، قال: هاتِ، فأنشده:

لَعمرُكَ ما أدري وإني لأَوْجَلُ على أيِّنا تعْدو المنيَّةُ أولُ[١]
وإني على أشياءَ منك تُريبُني كثيرًا لذو صفحٍ على ذاك مُجملُ
إذا أنت لم تُنصِفْ أخاك وجدته على طَرَفِ الهجْران لو كان يَعقِلُ

فقال له معاوية: لقد شَعِرتَ[٢] بعدي - يا أبا بكر -! فدخل عليه مَعْنُ بن أوسٍ المُزَني بعد ذلك، فقال له معاوية: هل أحدثتَ بعدنا شيئًا؟ قال: نعم، ثم أنشده:

لعمرُكَ ما أدري وإني لأوجَلُ ....

فقال: عليَّ بابن الزبير، فقال: أليس هذا لك فيما زعمت؟ قال: أنا ألَّفتُ المعنى، وهو ألَّف القوافي، وهو بعدُ ظِئْري، ومهما قال من شيءٍ فأنا قلتُه، فضحك معاوية، وكان مَعْنُ بن أوس مُسْتَرْضِعًا في مُزَينة».

[٥٩١] سمعتُ الحسين بن إسحاق الأصفهاني يقول:

كتبَ عليُّ بن حُجر السَّعدي إلى بعض إخوانه:

---

(١) أوجل: أشدُّ خوفًا.
(٢) أي: صرتَ شاعرًا.

أحِنُّ إلى عتابك غيرَ أني أُجِلُّك عن عتابٍ في كتابِ
ونحنُ إذا التقينا قبلَ موتٍ شَفيتُ غليلَ صدري مِن عتابي
وإن سبقتْ بنا أيدي المنايا فكم من عاتبٍ تَحت الترابِ

[٥٩٢] وأنشَدَني عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

صحائفُ عندي للعتاب طويتُها ستُنشَرُ يومًا والعتابُ يطولُ
كتابٌ لَعمري لا بَنَانٌ يَخُطُّهُ وسوف يؤدِّيه إليك رسولُ
سأكتبُ إن لم يَجمع اللَّهُ بيننا وإن نجتمعْ يومًا فسوف أقولُ

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل: ألَّا يُقصِّرَ عن معاتبة أخيه على زلَّته؛ لأنَّ مَن لم يُعاتِبْ على الزلة، لم يكن بحافظٍ لخُلَّة[١]، ومَن أعتب، لم يُذنب، كما أن مَن اغتَفر[٢] لم يُعاقب، وظاهرُ العتابِ خيرٌ من مكتوم الحقد، ورُبَّ عَتْبٍ أنفعُ من صَفح.

[٥٩٣] ولذلك أنشَدَني محمد بن إسحاق الواسطي:

إذا ما امرؤٌ ساءتك منه خليقةٌ فكاتمتَهُ فالوهْنَ في ذاك تَركبُ
لعلَّك لو عاتبتَهُ ثم لُمتَهُ لَسرَّك حتى لم تكن تتعتَّبُ

[٥٩٤] وأنشَدَني الكريزي:

فإن تكنِ العُتبى فأهلًا ومرحبًا وحُقَّ لها العُتبى لدينا وقَلَّتِ
وإن تكنِ الأخرى فإنَّ وراءنا مفاوزَ لو سارت بها العِيسُ كَلَّتِ

قال أبو حاتم ﷺ: لا يجبُ على العاقل أن يناقِشَ على تصحيح الإعتاب بالإكثار[٣]، مخافةَ أن يعودَ المعاتَبَ إلى ما عُوتب عليه؛ لأنه من عاتَب على كل ذنبِ أخاه، فحقيقٌ أن يَمَلَّه ويقلاه[٤]، وإن من سوءِ الأدب كثرةَ العتاب، كما أن من أعظم الجفاء تركَ العتاب.

---

(١) **الخُلَّة**: الصداقة. (٢) **اغتفر**: عفا وسامح.
(٣) أي: لا ينبغي أن يُكثِرَ من العتاب والملام.
(٤) **يقلاه**: يكرهه.

والإكثارُ في المعاتبة، يقطعُ الوُد، ويُورِّثُ الصد.

٥٩٥ ولقد أنشَدَني عبد الله بن أحمد النقيب البغدادي:

لابن المعتز:

معاتبةُ الإلفَينِ تَحسُنُ مرَّةً ... فإن أكثروا إدْمانها أفسدَ الحبَّا

إذا شئتَ أن تُقْلَى فزُرْ مُتتابعًا ... وإن شئتَ أن تزداد حُبًّا فزُرْ غِبًّا[1]

٥٩٦ وأنشَدَني محمد بن أبي عليٍّ الصيداوي:

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ معاتبًا ... خليلك لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ

فعِشْ واحدًا أو صِلْ أخاك فإنهُ ... مقارفُ ذنبٍ مرةً ومجانِبُهْ

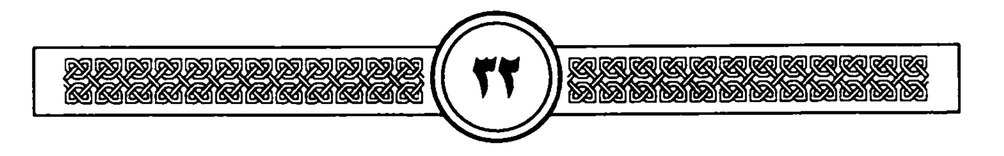
إذا أنت لم تشربْ مِرارًا على القَذَى ... ظَمِئتَ وأيُّ الناس تصفو مشاربُهْ؟

٥٩٧ أخبرنا محمد بن المهاجر: حدثنا محمد بن الحسن الذُّهْلي، عن أبي السائب، قال:

قال عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ: «لا تُكثِرِ العتاب؛ فإن العتاب يُورِّثُ الضغينةَ والبِغْضَة، وكثرتُه من سوء الأدب».

قال أبو حاتم ﷺ: قد ذكرتُ ما يُشاكِلُ هذه الحكاياتِ في كتاب «مراعاة الإخوان»، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب.

(١) تُقلى: تُكره. غِبًّا: يومًا ويومًا.



ذِكرُ استحبابِ قبولِ الاعتذار من المُعتذِر

598 أنبأنا عليُّ بن الحسين بن عبد الجبار بـ«نَصِيبِين»: حدثنا عليُّ بن حربٍ الطائي: حدثنا وكيع، عن الثوري، عن ابن جريج، عن العباس بن عبد الرَّحمٰن بن مينا:

عن جُودان قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن اعتذَر إلى أخيه، فلم يَقبل، كان عليه مِثلُ خطيئةِ صاحبِ مَكْسٍ[1]»[2].**

قال أبو حاتم ﵁: أنا خائفٌ أن يكون ابنُ جريج ـ رحمةُ الله ورضوانُه عليه ـ دلَّس هذا الخبر، فإن كان سَمِعه من العباس بن عبد الرَّحمٰن، فهو حديثٌ حسن غريب.

فالواجبُ على العاقل ـ إذا اعتذر إليه أخوه لجُرْمٍ مضى، أو لتقصيرٍ سبق ـ أن يَقبَل عُذرَه، ويجعلَه كمن لم يُذنب؛ لأن من تُنُصِّل إليه فلم يُقبل، أخافُ ألَّا يَردَ الحوض على المصطفى ﷺ[3]، ومن فَرَط منه تقصيرٌ

(١) المَكْس: الأموال التي تُؤخذ عَنوةً من الناس ـ كالضرائب المحرمة ـ.

(٢) ضعيف: رواه ابن ماجه (٣٧١٨)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٢٧٥)، والبيهقي في «الشعب» (٦٣٢١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٧٠٩)، وضعفه الإمام البوصيري، والعلَّامة الألباني في «الضعيفة» (١٧٠٩)، والعلَّامة شعيب الأرنؤوط.

(٣) في هذا الكلام نظر؛ فليس عدمُ قبول العذر من الكبائر كي ينالَ صاحبه هذا الجزاءَ الأليم، والظاهرُ أن الإمام ابن حِبَّان ﵀ بنى كلامه هنا على الحديث الوارد عن النبي ﷺ: **«عِفُّوا تَعِفَّ نساؤكم، وبِرُّوا آباءكم تَبرَّكم أبناؤكم، ومَن اعتذر إلى أخيه المسلم من شيءٍ بلغه عنه، فلم يَقبلْ عُذْرَه، لم يَرِدْ عليَّ الحوض»**، ولكنه حديثٌ موضوع، رواه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٢٤١)، وحكم عليه بالوضع العلَّامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٧١٤).

في سببٍ من الأسباب، يجبُ عليه الاعتذارُ في تقصيره إلى أخيه.

[٥٩٩] ولقد أنشَدَني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي:

إذا اعتَذَر الصديقُ إليك يومًا ... من التقصيرِ عُذْرَ أخٍ مُقِرْ
فصُنْه عن جفائِك واعْفُ عنهُ ... فإنَّ الصَّفْحَ شِيمَةُ كلِّ حُرْ

[٦٠٠] وأنشَدَني محمد بن إسحاق الواسطي:

شفيعُ مَن أسلَمَه جُرمُهُ ... إقرارُه بالجُرم والذنبِ
وتوبةُ المذنبِ من ذنبه ... إعتابُ مَن أصبح ذا عتبِ

[٦٠١] أنبانا عمرُو بن محمد: حدثنا الغلَّابي:

حدثنا ابنُ عائشة، قال: «غضب سليمانُ بن عبد الملك على خالد بن عبد الله، فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين، القُدرةُ تُذهب الحفيظة، وأنت تُجَلُّ عن العقوبة، فإن تَعْفُ فأهلُ ذاك أنت، وإن تُعاقِب فأهل ذاك أنا، قال: فَعفَا عنه».

قال أبو حاتم ﷺ: لا يجبُ للمرء أن يعتذر بحيلةٍ إلى مَن لا يُحِبُّ أن يجد له عذرًا، ولا يجبُ أن يُكثِرَ من الاعتذار إلى أخيه؛ فإن الإكثارَ من الاعتذار هو السببُ المؤدِّي إلى التهمة، وإني لأستحبُّ الإقلالَ من الاعتذار على الأحوال كلِّها؛ لعلمي أن المعاذيرَ يعتريها الكذب، وقلَّما رأيتُ أحدًا اعتذر إلا شابَ اعتذاره بالكذِب، ومَن اعتَرف بالزلة استحقَّ الصفحَ عنها؛ لأن ذُلَّ الاعتذار عن الزلة يُوجِبُ تسكين الغضب عنها، والمعتذِرُ إذا كان محِقًّا خضع في قوله، وذَلَّ في فعله.

[٦٠٢] كما أنشَدَني المنتصر بن بلال:

أيا ربِّ قد أحسنتَ عَوْدًا وبداْةً ... إليَّ فلم يَنهضْ بإحسانِك الشكرُ
فمَن كان ذا عذرٍ إليك وحُجَّةٍ ... فعذريَ إقراري بأن ليس لي عُذرُ

٦٠٣ وأنشَدَني الكريزي:

وإني وإن أظهرتَ لي منك جفوةً والزمتني ذنبًا وإنْ كنتُ مجرمًا
لراضٍ لنفسي ما رضيتَ لها به أراكَ بها منِّي أبرَّ وأرحما

٦٠٤ أنبأنا محمد بن عثمان العقبي: حدثنا الفيضُ بن الخضر التميمي:

حدثنا عبد الله بن خُبيق قال: «كان يقال: احتمِلْ مَن دَلَّ عليك، واقبَلْ ممن اعتذر إليك».

٦٠٥ أنبأنا بكر بن محمد بن عبد الوهَّاب القزَّاز بـ«البصرة»: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم - أبو بشر -، قال: سمعت أبي قال: حدثنا مبارك بن فَضالة، عن حُميدٍ الطويل:

عن أبي قِلابةَ قال: «إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهه، فالتمِسْ له عذرًا، فإن لم تجد له عذرًا، فقل: لعلَّ له عذرًا لا أعلمُه».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: لا يجبُ للمرء أن يُعلِنَ عقوبةَ مَن لم يُعلِنْ ذنبَه، ولا يخلو المعتذِرُ في اعتذاره من إحدى حالتين: إما أن يكون صادقًا في اعتذاره، أو كاذبًا.

- فإن كان صادقًا، فقد استحق العفوَ؛ لأن شرَّ الناس مَن لم يُقِلِ[1] العثرات، ولا يَستُرُ الزلات.

- وإن كان كاذبًا، فالواجب على المرء - إذا عَلِم من المعتذِرِ إثمَ الكذب ورِيبتَه وخضوعَ الاعتذار وذِلَّته -: ألَّا يُعاقبَه على الذنب السالف، بل يشكرُ له الإحسانَ المحدَثَ الذي جاء به في اعتذاره.

وليس يَعيبُ المعتذِرَ أنْ ذَلَّ وخضع في اعتذاره إلى أخيه.

٦٠٦ وأنشَدَني الأبرش:

هَبْني أساتُ كما زعمـ ـتَ فأين عاطفةُ الأُخوَّةْ؟
أو إنْ أساتُ كما أسا تَ فأين فضلُكَ والمُروَّةْ؟

---

(١) يُقِل: يرفع. والمقصود: يسامح ويعفو.

[٦٠٧] وأَنْشَدَني محمَّدُ بنُ بكرٍ الصَّيرفي:

وكُنتَ إذا ما جِئتُ أَدْنَيْتَ مَجلِسي ... ووَجهُكَ مِن ماءِ البشاشةِ يَقْطُرُ
فمَن لي بالعَيْنِ التي كُنتَ مَرَّةً ... إليَّ بِهَا ـ نفسي فِداؤُكَ ـ تَنْظُرُ[١]

[٦٠٨] وانشدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

فهَبْني مسيئًا كالذي قلتَ ظالمًا ... فعفوٌ جميلٌ كي يكونَ لكَ الفضلُ
فإن لم أكنْ للعفو منك لسوءِ ما ... ما أتيتُ به أهلًا فأنت له أهلُ

[٦٠٩] وانشدَني ابنُ زنجي البغدادي:

هبني أساتُ وكان جُرمي ... مثلَ جُرمِ أبي لهبْ
فأنا أتوبُ كما أسأ ... تُ وكم أسأتَ فلم تتُبْ؟

[٦١٠] وانشدَني محمد بن أبي عليٍّ: أنشدنا الربعي:

عن الأصمعي:

أتيتُك تائبًا من كلِّ ذنبٍ ... وخيرُ الناسِ مَن أخطَا فتابَا
أليس اللَّهُ يُستغْفَى فيَعفو ... وقد مَلَكَ العقوبةَ والثوابَا؟

[٦١١] وانشدَني محمد بن إسحاق الواسطي:

عصيتُ وتُبتُ كما قد عصى ... وتابَ إلى ربِّهِ آدمُ
فقُلْ قولَ يوسفَ: لا تَثْرِبًا ... لكُمْ يغفرُ الغافرُ الراحمُ

[٦١٢] انبانا محمد بن المهاجر المعدَّل: حدثنا محمد بن عبد الله الجزري:

عن حُميد بنِ سِنان الخالدي ـ وكان نديمًا لأبي دُلَف ـ، قال: دخلتُ على أبي دُلف يومًا ـ وبين يديه كتابٌ وهو يضحك ـ، فقال لي: هذا كتابُ عبدِ الله بن طاهر، وفيه أبياتٌ أُحبُّ أن أُنشِدَك إياها، وذلك أني كنت اسْتبطأته في بعض المؤامرات[٢]، فكتبتُ إليه:

---

(١) هذا الأثر مستفادٌ من نسخة الشيخ عبد العليم درويش، وقد ذكر ـ جزاهُ اللهُ خيرًا ـ أنه ساقطٌ من المطبوع، ثابتٌ في المخطوط.

(٢) أي: الأمور التي طلبت مشورته فيها.

أرى وُدَّكم كالوَردِ ليس بدائم ... ولا خيرَ فيمن لا يدومُ له عهدُ
ووُدِّي بكم كالآس حُسنًا وبَهْجَةً ... له نَضْرةٌ تبقى إذا فَنِيَ الوردُ[1]

فكتب إليَّ بهذه الأبيات:

شَبَّهتَ وُدِّي الوردَ فهو مُشاكِلي ... وهل زَهَرٌ إلا وسيدُها الوردُ!
وشَبَّهْتَ منك الوُدَّ بالآس في البَقا ... ولم تُخلِفِ التَّشبيهَ فيك ولم تَعْدُ
فودُّك كالآس المريرِ مَذاقُهُ ... وليس له في الرِّيح قبلٌ ولا بَعدُ

٦١٣ اخبرنا عبدُ الكبير بن عمر الخطابي بـ«البصرة»: حدثنا أبو حاتم السِّجستاني، عن الأصمعي، قال:

حدثنا عيسى بنُ عمر قال: كان لأبي الأسود الدُّؤلي صديق، فرأى منه بعضَ ما يكره، فقال أبو الأسود:

رأيتُ امْرَءً كنتُ لم أبْلُهُ ... أتاني فقال: اتخِذْني خليلَا
فخالَلْتُهُ ثم صافيتُهُ ... فلم يَنقُصِ الوُدُّ منه فتيلَا
فراجعتُهُ ثم عاتبتُهُ ... عتابًا رفيقًا وقولًا جميلَا
فألفيتُهُ غيرَ مُستَعْتِبٍ ... ولا ذاكرَ اللَّهِ إلا قليلَا
ألستُ حقيقًا بتوديعه ... وأُتْبِعُ ذلك هجرًا طويلَا؟

قال أبو حاتم ﷺ: الاعتذارُ يُذهب الهموم، ويُجلي الأحزان، ويَدفعُ الحقد، ويُذهبُ الصد، والإقلالُ منه تُستغرَقُ فيه الجناياتُ العظيمة والذنوبُ الكثيرة، والإكثارُ منه يؤدِّي إلى الاتهام وسوءِ الرأي، فلو لم يكن في اعتذارِ المرء إلى أخيه خَصْلةٌ تُحمد إلا نَفيُ العُجب عن النفس في الحال، لكان الواجبُ على العاقل ألَّا يُفارقَه الاعتذارُ عند كل زَلَّة.

٦١٤ ولقد أنشَدَني الكريزي:

فانظر إليَّ بطرفٍ غيرِ ذي مرضٍ ... فطالَمَا صحَّ لي من طرْفِك النظرُ

---

(١) الآس: نوع من الأزهار النادرة.

أدرِكْ بفضلك عَظْمًا كنتَ تَجْبُرهُ ... واجمع برِفقِك ما قد كاد يَنتشرُ

[٦١٥] أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري: حدثنا الغلّابي: حدثنا مهديُّ بن سابق:

حدّثنا عطاءُ بن مصعب قال: قَدِم عبدُ الرَّحمٰن بنُ عَنْبَسةَ بنِ سعيدٍ على مَعْنِ بن زائدة باليمن ـ وكانت بينهما عداوة ـ، فلما رآه قال له: يا عبد الرَّحمٰن، بأي وجهٍ أتيتَني؟ ولأيِّ خير أمَّلتَني؟ قال: أصلح اللهُ الأمير! اسمَعْ مني حتى أُنشِدَك بيتين قالهما نُصَيبٌ في عبد العزيز بن مروان، قال: وما هما؟ فأنشده:

ولو كان فوق الأرض حيٌّ فعالُه ... كفعلِك أو للفعل منك مُقارِبُ

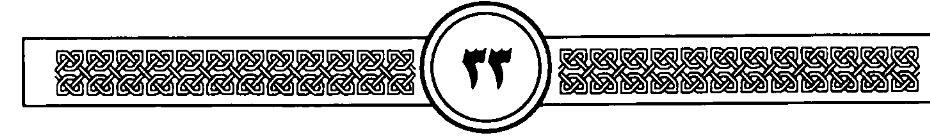
لقلتُ له هذا ولكن تَعذَّرَتْ ... سواك على المستعتبينَ المذاهبُ

فقال: أقِمْ، فإني لا أُواخذُك فيما مضى، ولا أُعَنِّفُك فيما بقي».

[٦١٦] أنبأنا الخلادي: حدثنا محمد بن موسى السَّمُري، عن حماد بن إسحاق:

قال ابن السماك لمحمد بن سليمان ـ أو حمادُ بن موسى لكاتبه ـ، ورآه كالمُعرِضِ عنه: «ما لي أراك كالمُعرِض عني؟! قال: بلغني عنك شيءٌ كرهتُه؟ قال: إذًا لا أُبالي، قال: ولِمَ؟ قال: لأنه إن كان ذنبًا غفرتَه، وإن كان باطلًا لم تقبَلْه، قال: فعاد إلى المؤانسة».

قال أبو حاتم ﷺ: قد ذكرتُ ما يُشاكِلُ هذه الحكايات في كتاب «مراعاة العشرة»، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب.



ذِكرُ الحثِّ على لزوم كتمان السِّر

[٦١٧] أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس الدلال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد العبدي: حدثنا الهيثم بن أيوب العطار السُّلمي: حدثنا سهل بن عبد الرَّحمٰن، عن محمد بن مطرِّف - أبي غسان -، عن محمد بن المنكدر، عن عروة:

عن أبي هريرة [ﷺ] قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«استعِينوا على الحوائج بالكتمان؛ فإن لكل نعمةٍ حاسدًا»**[(١)].

قال أبو حاتم ﷺ: هذا إسنادٌ حسن، وطريقٌ غريب - إن كان عروةُ هذا هو ابن الزبير بن العوام -، وسعيدُ بن سلام ما أرى حفظ حديثه؛ فلذلك تنكَّبتُ عن ذكره.

---

(١) **فيه كلام**: رواه السهمي في «تاريخ جرجان» (ص٢٢٣)، وله شواهد من أحاديث عدة من الصحابة الكرام، وقد رأينا تَحسين الإمام ابن حِبَّان لسنده هنا، وقد ورد عن معاذ عند الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٩٤)، و«الأوسط» (٢٤٥٥)، و«الصغير» (١١٨٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٧٧)، وأبي نعيم في «الحلية» (٥/ ٢١٥) و(٦/ ٩٦)، وضعفه الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٩٥)، وحكم عليه الأئمة: ابن الجوزي، والصغاني والشوكاني بالوضع - كما في «الموضوعات» (٢/ ١٦٥)، و«الفوائد المجموعة» (١٥٠) -، ورواه الخطيب في «التاريخ» (٨/ ٥٩٨)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (١/ ٣٨٤) من حديث ابن عباس، ورواه أيضًا الخرائطي في «اعتلال القلوب» عن عمر بن الخطَّاب ﷺ - كما في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ٨٢) -، وقال العلامة المحقق بشَّار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد» - عن جميع الطرق -: **«لا يصح منها شيء»**، وعلى خلاف كل هذا صححه العلَّامة الألباني في «صحيح الجامع» (٩٤٣)، و«السلسلة الصحيحة» (١٤٥٣)، وانظر - أيضًا - كلًّا من: «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (٢/ ٧٧٠)، و«الضعفاء» للعُقيلي (٢/ ١٠٩).

فالواجبُ على من سلك سبيل ذَوِي الحِجَى: لُزومُ ما انطوى عليه الضمير بتركه إبداءَ المكنون فيه ـ لا إلى ثقةٍ ولا إلى غيره ـ؛ فإن الدهر لا بد من أن يَضرب ضرباتِه، فيوقعَ ضدَّ الوصل بينهما ـ بحالةٍ من الأحوال ـ فيُخرجه وجودُ ضدِّ ما انطوى عليه قديمًا ـ من وفائه ـ إلى صحة الخروج بالكلية إلى جفائه، بإبداء مكنوناته، والكشف عن مُخبَّآته.

[٦١٨] ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبي: حدثني محمد بن عبد الكريم العبدي: حدثنا بكر بن يونس بن بُكير: حدثني موسى بن عليٍّ، عن أبيه:

عن عمرو بن العاص أنه قال: «عجبتُ من الرجل يفرُّ من القدَر، وهو مُواقِعُه، ومن الرجل يرى القذَاةَ في عين أخيه، ويدعُ الجِذْعَ في عينه[1]، ومن الرجل يُخرج الضِّغنَ من موضع، ويدعُ الضِّغْنَ في نفسه، وما ندمتُ على أمرٍ قط فلُمْتُ نفسي على تندُّمي عليه، وما وضعت سرِّي عند أحد فلُمتُه على أن يُفشيَه، كيف ألومُه وقد ضِقتُ به؟!».

[٦١٩] وأنشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

تُبيح بِسرِّك ضِيْقًا به ... وتبغي لسرك مَنْ يكتمُ
وكتمانك السرَّ ممن تَخاف ... ومن لا تَخافَنَّهُ أَحْزَمُ
إذا ذاع سرُّك مِن مُخبَرٍ ... فأنت ـ وإن لُمتَهُ ـ ألْوَمُ

[٦٢٠] وأنشَدَني عبد العزيز بن سليمان:

إذا ضاق صدرُ المرء عن بعض سرِّه ... فألقاه في صدري فصدري أضيقُ

---

(١) **الجذع**: جذع النخلة. والأثر صورةٌ تشبيهيةٌ لحال من يستخرج العيوب الصغيرة التي في إخوانه، ويَنسى المنكراتِ المستطيرة التي امتلأ بها قلبه، وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: «**يُبصِرُ أحدُكم القذاةَ في عين أخيه، ويَنسى الجِذْعَ في عينه**»، رواه ابنُ حِبَّان في «صحيحه» (٥٧٦١)، وصححه العلَّامة الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٨٥٩)، وحسَّنه العلَّامة شعيب الأرنؤوط عند ابن حبان (١٣/ ٧٤)، لكنه مال إلى وقفِه ـ كما سبقه جمعٌ من الحُفاظ ـ.

وإن لامني في أن أُضيِّعَ سرَّه ... وضيَّعه قبلي فذو السرِّ أخرقُ

[٦٢١] أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل: حدثنا أحمد بن محمد الصيداوي: حدثنا حمادُ بن إسحاق:

عن المدائني قال: «كان يقال: أصبرُ الناس الذي لا يُفشي سرَّه إلى صديقه، مخافةَ أن يقع بينهما شيءٌ فيُفشيَه».

[٦٢٢] وأنشَدَني البغدادي:

صُنِ السرَّ بالكتمان يُرضيك غِبُّه ... فقد يُظهِرُ المرءُ المُضيعُ فتندمُ

ولا تُلجِئَنَّ سرًّا إلى غير حِرْزِهِ ... فيُظهِرُ حِرزُ السوءِ ما كنتَ تكتُمُ

[٦٢٣] وأنشَدَني محمدُ بن إسحاق الواسطي:

إذا المرءُ لم يَحفظ سريرةَ نفسِهِ ... وكان لسرِّ الأخِ غيرَ كتومِ

فَبُعدًا له من ذي أخٍ ومودةٍ ... وليس على وُدٍّ له بمقيمِ

قال أبو حاتم رضي الله عنه: من حَصَّنَ بالكتمان سِرَّه، تَمَّ له تدبيرُه، وكان له الظفَرُ بما يريد، والسلامةُ من العيب والضر - وإن أخطأه التمكُّنُ والظفر -، فالحازمُ يجعل سرَّه في وِعَاء، ويكتمُه عن كل مستودَع، فإن اضطره الأمرُ وغلبه أوْدَعه العاقلَ الناصحَ له؛ لأن السرَّ أمانة، وإفشاؤه خيانة، والقلبُ له وِعَاؤه، فمن الأوعية ما يَضيق بما يودَع، ومنها ما يتَّسِعُ لِمَا استُودع.

[٦٢٤] وأنشَدَني الكريزي:

اجعل لسرِّك من فؤادك منزلًا ... لا يستطيعُ له اللسانُ دخولَا

إن اللسانَ إذا استطاع إلى الذي ... كتَم الفؤادُ من الشؤون وصولَا

ألفيتَ سِرَّك في الصديق وغيره ... مِن ذي العداوةِ فاشيًا مبذولَا

[٦٢٥] وأنشَدَني المنتصر بن بلال الأنصاري:

سأكتمُهُ سرِّي وأكتمُ سرَّه ... ولا غروَ بي أني عليه كريمُ

حليمٌ فيُفشِي أو جهولٌ يُذيعُهُ ... وما الناسُ إلا جاهلٌ وحليمُ

[٦٢٦] أخبرني محمد بن سعيد القزاز: حدثنا إبراهيم بن الجنيد: حدثني عليُّ بن عيسى،

عن محمد بن زياد بن الأعرابي قال: «كان يقال: العاقل مَنْ حَذِرَ صديقه».

[٦٢٧] وأنشَدَني بعض إخواننا:

لَعَمْرُكَ كتمانُ الفتى سِرَّ ما نوى ... أعفُّ وأدنى للرشادِ وأكرمُ
وأجملُ من بثِّ الحديث مقالةً ... وأحسنُ في الأخلاق دومًا وأحزمُ

[٦٢٨] وأنشَدَني الكُريزي:

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرَّها ... فأنت إذا حمَّلتَه الناسَ أضيعُ
ويضحكُ في وجهي إذا ما لقيتُه ... وينهشُني بالغيب سرًّا ويلسعُ

قال أبو حاتم ﷺ: الإفراطُ في الاسترسال بالأسرار عجزٌ، وما كتمه المرءُ من عدوِّه، فلا يجبُ أن يَظهر لصديقه، وكفى لذوي الألباب عِبرًا ما جرَّبوا، ومن استُودع حديثًا فلْيستُرْ، ولا يكن مِهْتَاكًا ولا مِشْياعًا[1]؛ لأن السرَّ إنما سُمِّي «سرًّا»؛ لأنه لا يُفشَى.

فيجبُ على العاقل أن يكون صدرُه أوسعَ لسرِّه من صدر غيره، بألَّا يُفشِيَه.

[٦٢٩] ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل: حدثنا محمد بن إسماعيل بن يعقوب الأعلم، قال:

أنشَدَني محمد بن سلَّام الجُمَحي لرجل من عبد شمس:

إذا ما ضاق صدرُك عن حديثٍ ... فأفشاه الرجالُ فمن تلومُ؟
إذا عاتبتُ من أفشى حديثي ... وسرِّي عنده فأنا الظلُّومُ
وإني يومَ أسأمُ حملَ سرِّي ... وقد ضَمَّنته صدري سؤومُ

(١) المِهتاك والمِشياع: كاشف الأسرار ومذيعها.

فلست مُحدِّثًا سرِّي خليلي ... ولا نفسي إذا حضرتْ همومُ
وأطوي السرَّ دون الناسِ إني ... لِمَا استُودِعْتُ من سرٍّ كَتُومُ

[٦٣٠] وأنشَدَني عليُّ بن حَيْدة الكاتب، قال:

أنشَدَنا عبدُ الرَّحمٰن بن بُندار لشيطان الطاق:

أمتِ السرَّ بكتمانٍ ولا ... يُسمَعنَّ منك إذا استُودعتَ سرْ
فإذا ضِقتَ به ذَرْعًا فلا ... تَضَعَنَّ سرَّك إلا عند حُرْ

[٦٣١] أنبأنا محمد بن سعيد القزاز: حدثنا الرَّمادي: حدثنا مسدَّد قال: سمعت ابن داود يقول:

سمعت الأعمش يقول: «يَضيق صدرُ أحدِهم بسِرِّه، حتى يُحدِّثَ به، ثم يقول: اكتُمْهُ عليَّ!».

[٦٣٢] وأنشَدَني إبراهيم بن عليٍّ الظفري:

أنشَدَني الحسين بن عبيد الله:

لا يكتمُ السرَّ إلا من له شرفٌ ... والسرُّ عند كرام الناس مكتومُ
السرُّ عندي في بيتٍ له غَلَقٌ ... ضلَّت مفاتِحُه والبابُ مختومُ

[٦٣٣] أنبأنا الخلادي: حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع البياني، قال:

أنشَدَنا عبد الله بن محمد:

إني لأنسى السرَّ كيما أصُونُهُ ... فيا مَنْ رأى شيئًا يُصَان بأن ينسى
مَخافةَ أن يَجري ببالي ذِكرُهُ ... فيَخْلِسَه قلبي إلى مَنطقي خَلْسَا

قال أبو حاتم ﷺ: الظفَرُ بالحزم، والحزمُ بإجالةِ الرأي، والرأيُ بتحصين الأسرار، ومَن كتم سرَّه، كان الخِيَرة في يده، ومَن أنبأ الناس بأسراره، هان عليهم وأذاعوها، ومَن لم يكتم السرَّ استحق الندم، ومَن استحق الندمَ صار ناقصَ العقل، ومن دام على هذا رجع إلى الجهل.

فتحصينُ السر للعاقل أولى به من التلهُّف بالندم بعد خروجه منه.

٦٣٤ ولقد أحسن الذي يقول:

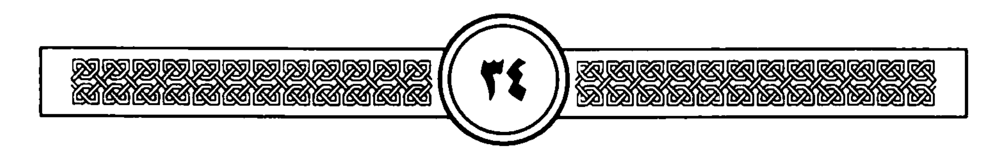
خشيتُ لساني أن يكون خؤونَا فأودعتُه قلبي فكان أمينَا
فقلتُ ليَخْفَىٰ دون شخصي وناظري أيا حَرَكَاتي كنَّ فيَّ سكونَا
فما أبصرتْ عيني لعيني عبرةً ولا سمعتْ أذناي فيَّ أنينَا
لقد أحسنتْ أحشاي تربيةُ الحجا فها هو ذا كهلًا وكان جنينَا

٦٣٥ وأنشَدَني عبد الله بن أحمد البغدادي لعبد الله بن المعتز:

عليَّ للسر حقٌّ لا أضيِّعُه أسيرُ صدري وإن أفشاه مُودِعُهُ
خَلَّى له مَخدَعًا قلبي فغيَّبه حتى نسيتُ بأن القلبَ مَخدعُهُ
بل أقذفُ السرَّ في جوفِ الضمير فما تدري خواطرُ فكري أين موضعُهُ

٦٣٦ أخبرني عمرو بن محمد: ثنا الغلَّابي، عن ابن عائشة، قال:

سمعت أبي يحدث قال: «قيل للأحنف بن قيس: ما أحلمَك! قال: ما فعلتُه إلَّا تعلُّمًا من عمومتي، ولقد قلت ذاتَ يوم لأحدهم: أي عم، ماذا لقيتَ من ضرسٍ البارحة؟ فقال: إيهًا، الآن قد ذهبت عينُ عمِّك منذ سنة، ما شعُر بها أحد».



ذِكرُ المشورة في أوقاتِ الضرورة

[٦٣٧] أخبرنا الحسنُ بن سفيان: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا الأسودُ بن عامر: ثنا شَريك، عن الأعمش، عن أبي عمرو الشيباني:

عن أبي مسعودٍ [ﷺ] قال: قال النبي ﷺ: «المُستشارُ مؤتَمَن»[1].

قال أبو حاتم ﷺ: لا بد لصاحب السرِّ الكاتم له ـ على ما وصفنا ـ أن يَضِيقَ صدرُه، فيَشتهي إذاعةَ ما به، فإذا كان كذلك، اختار إفشاءَه بالاستشارة مع الدَّيِّنِ العاقل الودود.

ولا يستشيرُ إلَّا مَن وجد فيه الخصالَ الثلاث التي ذكرنا:

١ ـ فإنه إن لم يكن ديِّنًا، خانه.

٢ ـ وإن لم يكن عاقلًا، أخطأ موضعَ الإصابة.

٣ ـ وإن لم يكن وادًّا، ربما لم يَنصحْه.

[٦٣٨] ولقد أنشَدَني ابنُ زنجي:

سائِلْ ذَوِي العلم عما أنت جاهِلُهُ ... إن السؤالَ شفاءُ العِيِّ والْهَذَرِ
لا تستشيرنَّ مَن تَخشى غوائلَهُ ... والأحْمقَ الرأي الغابي عن الخبرِ[2]

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٧٤)، وابن ماجه (٣٧٤٦)، والدارمي (٢٤٤٩)، ورواه أبو داود (٥١٢٨)، والترمذي (٢٨٢٢)، وابن ماجه (٣٧٤٥) من حديث أبي هريرة، ورواه الترمذي (٢٨٢٣) عن أم سلمة. والحديث قال عنه الإمام الترمذي: «**حسن صحيح غريب**»، وصححه العلَّامة شعيب الأرنؤوط، والعلَّامة الألباني.

(٢) **الغوائل**: الشرور. **والغابي**: السفيه قليل الدراية.

واعلمْ بأنك إن شاورتَ بعضَهمُ ... شاورتَه مُشرفًا منه على خطرِ
إذا أشرتَ بأمرٍ أو هَمَمْتَ بهِ ... فالرأيُ: طولُ اتهام الناسِ والحذَرِ
انظرْ بعينك فيما أنت شاهدُهُ ... واجعلْ فؤادَك فيما غاب للنظرِ

[٦٣٩] أخبرنا عبد الله بن قَحطَبة: ثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي: ثنا الهيثم بن عُبيد الصيد: حدثني أبي:

عن الحسن قال: «الناسُ ثلاثة: رجلٌ تامٌّ، ورجلٌ نصفُ رجل، ورجلٌ لا شيء؛ فأما التام فله تجربة، ولا يدعُ المشاورةَ في الأمر، وأما النصف فرجلٌ ليس له رأي، ولا يَقطعُ أمرًا حتى يشاور، وأما الذي ليس هو[1] بشيءٍ، فرجلٌ ليس له رأي، ولا يشاورُ أحدًا».

[٦٤٠] وانشَدَني الأبرش:

إذا الأمرُ أشكلَ إقبالُهُ ... ولم تَرَ فيه سبيلًا فسيحَا
فشاوِرْ بأمرك في شدَّةٍ ... أخاك الشفيقَ ألَا النصيحَا
ولا تُفْشِ سرَّكَ إلا إليه ... فإنَّ لكل نصيحٍ نصيحَا

[٦٤١] أنبأنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي: حدثنا محمد بن سليمان المِصِّيصي: حدثنا ابن عيينة، عن ابن شُبْرُمَة:

عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، قال: «ما كان يحتاجُ إليهم [ﷺ]، ولكنْ أحبَّ أن يَسْتنَّ به مَن بعده».

قال أبو حاتم ﷺ: المستشارُ مؤتَمَن ـ وليس بضامن ـ، والمستشير متحصِّنٌ من السَّقط، متخيِّرٌ للرأي[2].

والواجبُ على العاقل السالكِ سبيلَ ذوي الحِجى: أن يعلمَ أن المشاورة تُفشي الأسرار، فلا يستشيرُ إلا اللبيبَ الناصحَ الودودَ الفاضلَ في دينه،

---

(١) في المطبوع: «له»، ولعل الأصح ما أثبتُّه.

(٢) أي: أن المستشير في حصنٍ وحمايةٍ من الخطأ، ويمكنه أن يتخيَّر أحسن الآراء.

وإرشادُ المُشيرِ المستشيرَ قضاءُ حقِّ النعمة في الرأي[١]، والمشورةُ لا تخلو من البركة ـ إذا كانت مع مثل من وصفنا نَعْتَه ـ.

[٦٤٢] ولقد أنبأنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا ابن عائشة، قال:

قال الحسن: «ما حَزَب[٢] قومًا قطُّ أمرٌ، فاجتمعوا، فتشاوروا فيه، إلا أرشدهم اللهُ لأصوبه».

[٦٤٣] وأنشَدَني الكريزي:

دَبِّـرْ إذا مـا رُمـتَ أمـرًا بـفـكـرةٍ ... لـتـعـلـمَ مـا تـأتـي ومـا تـتـجـنـبُ
وشـاوِرْ نقيَّ الـرأيِ عـنـد الـتـبـاسِـهِ ... لكي يَصِحَّ الأمرُ الذي هو أصوبُ

[٦٤٤] وأنشَدَني المنتصر بن بلال:

لا تَـسـبِـقـنَّ الـنـاسَ بـالـرأي واتَّـئِـدْ ... فإنك إن تعجَلْ إلى القول تَزْلَلِ
ولكنْ تصفَّحْ رأيَ مَن كان حاضرًا ... وقل بعدَهم رِسْلًا وبالحق فاعمَلِ[٣]

[٦٤٥] أنبأنا محمد بن عثمان العقبي: حدثني يحيى بن يزيد بن محمد الأُبُلِّي: حدثني إسماعيل بن حبيب ـ أبو حُميد ـ الأُبُلِّي، عن عبد الله بن الديلمي:

عن وهب بن منبِّهٍ أنه قال: «في التوراة أربعةُ أحرُفٍ[٤] مكتوبة: «مَن لم يُشاوِرْ يَندمْ، ومَن استغنى استأثر، والفقرُ الموتُ الأحمر، وكما تدين تُدان».

قال أبو حاتم ﷺ: لا أُنْسَ آنَسُ مِن استشارة عاقلٍ ودود، ولا وحشةَ أوحشُ من مخالفته؛ لأن المشاورة والمناظرة بابَا بركةٍ، ومفتاحَا رحمةٍ.

ومَن استُشير، فلْيُشِرْ بالنصيحة، ولْيجتهدْ بالرأي، ولْيلزَمِ الحق وقَصْدَ

(١) أي: إشارة المشير على أخيه توجب عليه انتقاء أحسن الآراء له، والله أعلم.
(٢) حَزَب: أفزع وأقلق.
(٣) تصفَّح: تأمل. الرِّسل ـ بكسر الراء ـ: التمهُّل والتأني.
(٤) الأحرف: الجُمل.

السبيل، ولْيجعلِ المستشيرَ كنفسه بترك الخيانة، وبذلِ النصيحة، وليكن:

[٦٤٦] كما أنشدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

ومن الرجال إذا زَكَتْ أحلامُهُمْ ... مَن يُستشارُ إذا استُشير فيُطرِقُ
حتى يَجولَ بكلِ وادٍ قلبُه ... فيَرى ويعرفُ ما يقولُ ويَنطِقُ
إنَّ الحليمَ إذا تفكَّر لم يَكَدْ ... يَخفى عليه من الأمور الأوفقُ

[٦٤٧] أنبأنا أبو يعلى: حدثنا غسان بن الربيع: حدثنا ثابت بن يزيد، عن إياس بن دغفل:

عن الحسن: أن رسول الله ﷺ قال: **«ما شاور قومٌ قطُّ، إلا هُدُوا إلى رُشدِهم»**(١).

[٦٤٨] أخبرني محمد بن المنذر: حدثنا أحمد بن خالد السيرافي: حدثنا شيبان: حدثنا أبو الأشهب، قال:

قال الحسن: «لا يَندمُ مَن شاوَرَ مرشدًا».

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل - إذا استُشير قومٌ هو فيهم - أن يكونَ آخِرَ مَن يُشير؛ لأنه أمكنُ من الفكر، وأبعدُ من الزلل، وأقربُ من الحزم، وأسلمُ من السَّقْط.

ومَن استشار، فلْيُنفِذِ الحزمَ بألَّا يَستشيرَ عاجزًا، كما أن الحازمَ لا يستعين كَسِلًا.

وفي الاستشارة عينُ الهداية، ومَن استشار لم يَعدَم رَشدًا، ومَن ترك المشاورة لم يعدم غَيًّا، ولا يندمُ مَن شاور مرشدًا.

[٦٤٩] ولقد أنشدَني الواسطي:

الْهَمُّ ما لم تُمضِهِ لسبيلِهِ ... سَقَمُ القلوبِ وآفةُ الأبدانِ

---

(١) ضعيف: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/٢٩٨)، وهو ضعيف لإرساله، والله تعالى أعلم.

ومُعَوَّلُ الرجلِ الموفَّقِ رأيُهُ — عند اعتراض طوارقِ الأحزانِ
وإذا الحوادثُ سَدَّدت أسبابَه — كان التبصُّرُ أنجدَ الأعوانِ
وإذا أضلَّ سبيلَهُ تدبيرُه — طلب الهدى بتشاوُرِ الإخوانِ

[٦٥٠] أنبانا محمد بن عثمان العقبي: حدثنا مطروح بن شاكر: حدثنا أصبغُ، عن ابن وهب، عن إبراهيم بن نشيط:

عن ابن أبي حسين قال: «كان يقال: ما هلك امرؤٌ عن مشورة، ولا سَعِدَ بتوحُّدٍ[1]».

قال أبو حاتم ﷺ: إن مِن شِيَمِ العاقل ـ عند النائبة تَنُوبُه ـ: أن يُشاوِرَ عاقلًا ناصحًا ذا رأيٍ ثم يُطيعُه.

ولْيعترفْ للحق عند المشورة، ولا يتمادى في الباطل، بل يقبلُ الحق ممن جاء به، ولا يَحقِرُ الرأيَ الجليل إذا أتاه به الرجلُ الحقير؛ لأن اللؤلوةَ الخطيرةَ[2] لا يَشِينُها قلَّةُ خَطَرِ غائِصها الذي استخرجها، ثم لْيَستخِرِ اللهَ، ولْيَمضِ فيما أشار عليه.

[٦٥١] وقد أنشَدَني البغدادي:

أطعِ الحليمَ إذا الحليمُ عصاكَا — إن الحليمَ إذا عصاك هداكَا[3]
وإذا استشارك مَن تَوَدُّ فقل له: — أطِعِ الحليمَ إذا الحليمُ نهاكَا
ولَئِنْ أبيتَ لتَلْقَيَنَّ خلافَه — أربًا يحوطُك أو يكونُ هلاكَا[4]
واعلمْ بأنك لن تسودَ ولن تَرى — سُبُلَ الرشاد إذا أطعتَ هواكَا

[٦٥٢] أنبانا أبو محمد ـ عبد الرَّحمٰن بن عبد المؤمن ـ بـ«جُرجان»: حدثنا محمد بن حُميد الرازي: حدثنا جريرٌ، عن ابن المقفَّع:

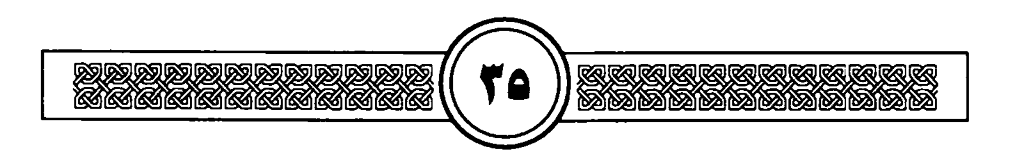
عن وزير كسرى قال: «ثلاثةٌ ليس لهم رأيٌ، فلا تستشيروهم:

(١) **التوحُّد**: الانفراد بالرأي.
(٢) **الخطيرة**: ذات القيمة الكبيرة.
(٣) **عصاك**: خالفك في رأيك الخاطئ.
(٤) **الأرب**: الرأي المحكم السديد.

صاحبُ الخُفِّ الضيِّق، وحاقنُ البول، وصاحب المرأةِ السُّوءِ السَّليطة[١]».

وباللهِ التوفيق.

(١) السَّليطة: قليلة الأدب سيئة العشرة.



ذِكرُ الحثِّ على لزوم النصيحةِ للمسلمين كافةً

[٦٥٣] أنبأنا الحسين بن محمد بن أبي مِعشر بـ«حرَّان»: حدثنا عبد الرَّحمٰن بن عمر البَجَلي: حدثنا زُهير بن معاوية، عن سُهيل بن أبي صالح، عن عطاء بن يزيد الليثي:

عن تميم الداري [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدِّينُ النصيحة»**. قيل: لِمَن يا رسول الله؟ قال: **«للهِ، ولرسولِه، ولأئمَّةِ المسلمين، وعامَّتِهم»**[1].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل لزومُ النصيحة للمسلمين كافةً، وتركُ الخيانة لهم بالإضمار[2] والقول والفعل معًا؛ إذ المصطفى ﷺ كان يَشترط على مَن بايعه من أصحابه **«النُّصحَ لكل مسلم»**[3] ـ مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ـ.

[٦٥٤] وأخبرني محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا محمد بن الحسن الذُّهْلي، عن أبي السائب، قال:

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا تعمل بالخديعة، فإنها خُلُق

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٠٢)، ومسلم (٥٥)، وأبو داود (٤٩٤٤)، والنسائي (٤١٩٧)، وابن حِبَّان (٤٥٧٤).
(٢) **الإضمار**: السر ـ وهو القلب ـ.
(٣) كما ورد هذا في حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، الذي رواه أحمد (٤/ ٣٦٠)، والبخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦)، والترمذي (١٩٢٥)، والنسائي (٤١٥٦)، وابن حِبَّان (٤٥٤٥).

اللئام، وامْحَضْ[١] أخاك النصيحة ـ حسنةً كانت أو قبيحة ـ، وزُلْ معه حيث زال».

[٦٥٥] وأنشَدَني الكريزي:

قلْ للنصيح الذي أهدى نصيحتَه ... سِرًّا إلينا وسامَتْهُ التكاليفُ[٢]
النصحُ ليس له حدٌّ فتعرفَهُ ... والنصحُ مستوحَشٌ منه ومألوفُ
حتى إذا صَرَّحَتْ عَنَّا عواقبه ... كانت لنا عِظَةٌ منه وتعنيفُ
لو كان للنصح حدٌّ يُستبانُ به ... ما نالنا حَسْرَةٌ منه وتلهيفُ[٣]
لكن له سُبلٌ شَتَّى مخالِفةٌ ... بعْضٌ لبعضٍ فمجهولٌ ومعروفُ
والناس غاوٍ وذو رُشدٍ ومُختلطٌ ... والنصحُ مُمضًى ومردودٌ وموقوفُ

قال أبو حاتم ﷺ: خيرُ الإخوان أشدُّهم مبالغةً في النصيحة، كما أن خيرَ الأعمال أحمدُها عاقبةً، وأحسنُها إخلاصًا، وضربُ الناصح خيرٌ من تحية الشانئ[٤].

ويجبُ أن يكون للعاقل نصيحةٌ مبذولةٌ للعامة، مكتومًا من العام والخاص ـ ما قَدِر عليه[٥] ـ، وليس الناصحُ بأولى بالنصيحة من المنصوح له.

[٦٥٦] وأنبأنا عمرُو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا محمد بن عبد الرَّحمٰن بن القاسم التيمي:

حدثني أبي قال: «لمَّا قدم عليٌّ الكوفة، لَقِيَه المغيرةُ بن شُعبة،

---

(١) **امْحَضْ**: أخلِصْ.

(٢) **سامَتْه**: أرسلته. وهو محتملٌ لمعانٍ أخرى، لعلَّ أقربها ما ذكرته، والمقصود: أيها الناصحُ الذي أرسلته إلينا رغبتُه في النصيحة، وبلغ المشقَّة والكدَّ في إبلاغنا إياها. واللهُ أعلم.

(٣) **التلهيف**: الرغبة الجامحة.

(٤) أي: ضربُ الناصح لك ـ ليُصلِحَ أحوالك ـ، خيرٌ لك من أن يُسلِّمَ عليك الكارهُ بلسانه، وقلبه يضمرُ لك العداوة.

(٥) أي: ليبذلْ نصيحته لكل أحد، ولتكن سرًّا قدْرَ المستطاع.

فقال له: إني أُشيرُ عليك برأيٍ فاقبلْه، قال: هاتِ، قال: أقْرِرْ معاوية على الشام، يُسْمِحْ[١] لك طاعتَه، فإن أهل الشام قد ذاقوه فاستعذبوه[٢]، ووَلِيَهم عشرينَ سنةً لم يَعيبوا عليه، ولم يُعتِبوه[٣] في عِرضٍ ولا مال. فقال: واللهِ لو سألني قريةً ما ولَّيتُه إياها. قال: فقال المغيرة: أراه سيلي أرَضِينَ وقَرْيات».

[٦٥٧] أنبانا محمد بن المهاجر: حدثنا ابن أبي شيبة: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم: حدثنا ابن المبارك، عن مَعْمَر، عن يحيى بن المختار:

عن الحسن قال: «إن المؤمنَ شُعبةٌ من المؤمن، وهو مِرآةُ أخيه، إنْ رأى منه ما لا يُعجبه، سدَّده وقوَّمه، ونصحه في السرِّ والعلانية».

[٦٥٨] وأنشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

أمِنْتُ على السر امرءً غيرَ حازمٍ ... ولكنه في النُّصح غيرُ مريبِ
فذاع به في الناس حتى كأنما ... بعلياءَ نارٌ أُوقدت بثَقُوبِ[٤]
فما كلُّ ذي لُبٍّ بمؤتيك نُصحَهُ ... وما كلُّ مُؤتٍ نصحَه بلبيبِ
ولكن إذا ما استجمعا عند واحدٍ ... فحُقَّ له من طاعةٍ بنصيبِ

[٦٥٩] سمعتُ محمد بن نصر بن نَوفل المروزي يقول: سمعت أبا داود السِّنجي يقول: سمعت ابنَ الأعرابيَّ يقول:

قال بعضُ الحكماء: «اثنان ظالمان: رجلٌ أُهديت له النصيحة، فاتخذها ذنبًا، ورجلٌ وُسِّع له في مكانٍ ضيقٍ، فجلس متربِّعًا».

قال أبو حاتم ﷺ: النصيحةُ محاطةٌ بالتهمة، وليست إلا لمن قَبِلها، كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها، ولا الآخرةُ إلا لمن طلبها، وليس على

(١) أي: يُقِرُّ لك بها سَمْحًا مطيعًا.
(٢) أي: أحبوه كالماء العذب.
(٣) يُعتبوه: يلوموه.
(٤) الثَّقوب: ما يشعل به النار.

كل ذي نصحٍ إلا الجَهد، ولو لم يَقبل[١] من نصحائه ما يثقُلُ عليه، لم يَحمَدْ غِبَّ رأيه.

ومشاورةُ الأصمّ[٢] أحمدُ من الناصح المُعرِضِ عنه، ومَن بذل نصيحةً لمن لا يشكر، كان كالباذر في السِّباخ[٣].

وأكثرُ ما يوجد ترك قبول النصيحة من المعجَب برأيه.

٦٦٠ وأنشَدَني الأبرش:

إذا نصحتَ لذي عُجْبٍ لتُرشدَهُ — فلم يُطِعْكَ فلا تنصحْ له أبدًا

فإن ذا العُجبِ لا يُعطيكَ طاعته — ولا يُجيبُ إلى إرشادِهِ أحدًا[٤]

وما عليك وإن غاوٍ غَوَى حِقَبًا[٥] — إن لم يكن لك قُرْبى أو يكنْ ولدًا

قال أبو حاتم ﷺ: النصيحةُ تجب على الناس كافةً ـ على ما ذكرنا قبلُ ـ، ولكنْ إبداؤها لا يجبُ أن يكون إلا سرًّا؛ لأن مَن وَعظ أخاه علانيةً فقد شانه، ومَن وعظه سرًّا فقد زانه، فإبلاغُ المجهود للمسلم فيما يَزِينُ أخاه، أحرى من القصد فيما يَشينه.

٦٦١ ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبي: حدثنا **الرَّمادي**: حدثنا **عليُّ بن المديني**:

حدثنا سفيان قال: «قلت لِمِسعَر: تُحِبُّ أن يخبرك رجلٌ بعيوبك؟ قال: أمَّا أن يجيءَ إنسانٌ فيوبِّخني بها، فلا، وأما أن يجيءَ ناصحٌ، فنعم».

٦٦٢ أخبرنا محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا محمد بن المغيرة النَّوفلي: حدثنا محمد بن عليٍّ **الشقيقي**: حدثنا أبي:

---

(١) أي: المنصوح.

(٢) **الأصم**: الذي لا يسمع.

(٣) **السِّباخ**: الأرض المالحة التي لا تكاد تُنبت.

(٤) **ذا العُجب**: صاحب العُجب.

(٥) **الحِقَب** ـ بكسر الحاء وفتح القاف ـ: السنوات الطويلة.

عن ابن المبارك قال: «كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يَكره، أمره في سِتر، ونهاه في سِتر، فيُؤجرُ في ستره، ويؤجرُ في نَهيه، فأما اليوم، فإذا رأى أحدٌ من أحد ما يكره، استَغضب أخاه، وهتك سِترَه».

[٦٦٣] أخبرنا محمد بن سعيد القزاز: حدثنا أحمد بن منصور: حدثني عليُّ بن المديني:

عن سفيان قال: «جاء طلحةُ إلى عبد الجبَّار بن وائل ـ وعنده قوم ـ، فسارَّه بشيءٍ، ثم انصرف، فقال: أتدرون ما قال لي؟ قال: رأيتُك التفتَّ أمسِ وأنت تُصلِّي».

قال أبو حاتم ﷺ: النصيحةُ إذا كانت على نعتِ ما وصفنا، تُقيمُ الألفة، وتؤدِّي حقَّ الأخوة».

وعلامةُ الناصحِ ـ إذا أراد زَينَ المنصوح له ـ أن ينصحَه سرًّا، وعلامةُ مَن أراد شينه، وأن ينصحه علانيةً.

ولْيحذرِ العاقلُ نصيحةَ[1] الأعداءِ في السر والعلانية.

[٦٦٤] ولقد أنشَدَني ابن زنجي البغدادي:

فكم من عدوٍّ مُعْلنٍ لك نُصحَهُ … علانيةً والغِشُّ تحت الأضالعِ
وكم من صديقٍ مرشدٍ قد عصيتَه … فكنتَ له في الرُّشدِ غيرَ مطاوعِ!
وما الأمرُ إلا بالعواقب إنها … سيبدو عليها كلُّ سرٍّ وذائعِ

[٦٦٥] وأنشَدَني منصور بن محمد الكريزي:

وصاحبٍ غيرِ مأمونٍ غوائلُهُ … يُبدي ليَ النُّصحَ منه وهو مشتملُ[2]
على خلافِ الذي يُبْدِي ويُظهِرُهُ … وقد أحطتُ بعلمي أنه دَغِلُ[3]
عفوتُ عنه انتظارًا أن يثوبَ له … عقلٌ إليه من الزلَّات ينتقلُ

---

(١) في المطبوعات: «فليحذر العاقل نصحه...»، ولعل الأصح ما أثبته.
(٢) أي: وقلبُه منطوٍ.
(٣) دَغِل: شديد الإفساد والإضرار.

دهرًا فلما بدا لي أنَّ شيمتَه غِشٌّ وليس له عن ذاك مُنْتَقَلُ
تركتُه تَرْكَ قالٍ لا رجوعَ له إلى مودَّته ما حَنَّتِ الإبلُ[١]

٦٦٦ أخبرنا عبد الله بن محمد القيراطي: حدثنا محمد بن يزيد ـ الملقب «مَحْمِش» ـ: حدثنا يعلى بنُ عبيد: حدثنا أبو حيان، عن أبيه قال:

كتب الرَّبيعُ بن خُثيم[٢] وصيةً: «بسم الله الرَّحمٰن الرحيم، هذا ما أوصَى به الربيعُ بن خُثيم، وأَشهَدَ عليه ـ وكفى بالله شهيدًا، وجازيًا لعباده الصالحين مثيبًا ـ، إني رضيت باللهِ ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا، وأن نَعبُدَ اللهَ ـ ومن أطاعني ـ في العابدين، ونحمَدَه في الحامدين، وننصحَ لجماعةِ المسلمين».

واللهُ المستعان، وعليه التُّكلان.

* * *

وصيةُ الخطَّابِ بنِ المُعلَّى المَخْزُوميِّ ابنَه

٦٦٧ أخبرني محمد بن المنذر بن سعيد: حدثنا أبو حاتم ـ محمد بن إدريس الحنظلي ـ: حدثني عبد الرَّحمٰن بن أبي عطية الحِمصي:

عن الخطَّاب بن المُعلَّى المخزومي القرشي: أنه وعظ ابنه، فقال: «يا بُنيَّ، عليك بتقوى الله وطاعته، وتجنُّبِ محارِمِهِ باتباع سُنَّتهِ ومعالمه[٣]، حتى تصحَّ عيوبُك[٤]، وتقرَّ عينُك، فإنها لا تَخفَى على الله خافية.

وإني قد وَسَمْتُ لك وسْمًا[٥]، ووضعتُ لك رسْمًا[٦]، إن أنت

---

(١) قالٍ: كاره.
(٢) في المطبوع ـ وفي كثير من الكتب ـ: «خيثم»، وهو تحريف.
(٣) المعالِم: الإرشادات.
(٤) أي: حتى تصلح عيوبُك.
(٥) أي: وضعتُ لك علاماتٍ في حياتك تسيرُ عليها.
(٦) الرسم: المنهج.

حفِظتَه ووعيتَه وعملت به ملأت أعيُنَ الملوك، وانقاد لك به الصُّعلوك، ولم تَزَلْ مرتجًى مشرَّفًا يُحتاج إليك، ويُرغب إلى ما في يديك، فأطِعْ أباك، واقتصِرْ على وصيةِ أبيك، وفرِّغ لذلك ذِهنَك، واشغَلْ به قلبَك ولُبَّك.

وإياك وهَذَرَ الكلام[١]، وكثرةَ الضحكِ والمزاح، ومُهازَلةَ الإخوان، فإنَّ ذلك يُذهِبُ البهاء، ويُوقِعُ الشحناء، وعليك بالرزانة والتوقُّر، من غير كِبْرٍ يُوصَفُ منك، ولا خُيلاءَ تُحكى عنك.

والقَ صديقَك وعدوَّك بوجهِ الرِّضى، وكفَّ الأذى، من غير ذِلَّةٍ لهم، ولا هيبةٍ منهم، وكن في جميع أمورك في أوسطها؛ فإن خيرَ الأمور أوساطُها.

وقلِّلِ الكلام، وأفشِ السلام، وامشِ متمكِّنًا قَصْدًا، ولا تَخُطَّ برجلك، ولا تسحَبْ ذَيلَك، ولا تَلْوِ عُنقَك ولا رداءَك، ولا تنظرْ في عِطْفِك[٢]، ولا تُكثِرْ الالتفات، ولا تقفْ على الجماعات[٣].

ولا تتخذِ السوقَ مجلسًا، ولا الحوانيت[٤] متحدَّثًا، ولا تُكثِرِ المراء، ولا تُنازِعِ السفهاء، فإن تكلَّمْتَ فاختصِرْ، وإن مَزَحتَ فاقتصِرْ[٥].

وإذا جلست فتربَّع، وتحفَّظْ من تشبيك أصابعِك وتفقيعها، والعَبَثِ بلحيتك وخاتمك، وذؤابةِ سيفك، وتخليل أسنانك، وإدخالِ يديك في أنفك، وكثرةِ طَرْدِ الذباب عن وجهِك، وكثرةِ التثاؤب والتمطِّي، وأشباهِ ذلك مما يستخفُّه الناسُ منك، ويغتمزون به فيك.

---

(١) **الهذر**: الكلام الذي لا فائدة ولا نفع فيه.
(٢) **العِطف**: الجانب، وهي نظرةُ المتكبرين إلى أنفسهم.
(٣) أي: لا تقِفْ بين أُناسٍ يتحدَّثون في أمورٍ تخصُّهم، فتكونَ متطفِّلًا عليهم.
(٤) **الحوانيت**: الدكاكين.
(٥) أي: اقتصر على القليل من المزاح.

ولْيكنْ مجلسُكَ هاديًا[١]، وحديثُك مقسومًا[٢]، وأصْغِ إلى الكلام الحسن ممن حدَّثك، بغير إظهارِ عَجَبٍ منك، ولا مسألةِ إعادة[٣]، وغُضَّ من الفكاهات من المضاحِك والحكايات، ولا تُحدِّثْ عن إعجابك بولدك، ولا جاريتك، ولا عن فرسِك، ولا عن سَيفك.

وإياك وأحاديثَ الرؤيا، فإنك إن أظهرت عَجَبًا بشيءٍ منها، طَمِع فيها السفهاء، فولَّدوا لك الأحلام، واغتمزوا في عقلك[٤].

ولا تصَنَّعْ تصَنُّعَ المرأة، ولا تَبذَّلْ تبذُّلَ العبد[٥]، ولا تَهلُبْ لحيتَك[٦]، ولا تُبَطِّنْها[٧]، وتوَقَّ كثرةَ الحفِّ[٨]، ونَتْفَ الشيب، وكثرة الكحل، والإسراف في الدهن، ولْيَكُنْ كُحْلُك غِبًّا[٩].

ولا تُلحَّ في الحاجات، ولا تخشعْ[١٠] في الطَّلْبات، ولا تُعلِمْ

---

(١) أي: اجعلْه مجلسَ نفعٍ وهدًى لمن جلس معك.

(٢) أي: إذا جلس معك جماعةٌ، فلا تخصَّ بعضَهم بكلامك دون البعض، بل قُسِّم كلامك معهم جميعًا.

(٣) أي: لا تطالِبْه بإعادة كلامه.
قلت: وهذا الكلامُ فيه تفصيل، فإن كان كلامُ المتكلم مفهومًا جليًّا فاستعادتُه منه قباحةٌ وسخافة، وإن كان غيرَ مفهوم وبحاجةٍ إلى الإيضاح، فلا بأس بذلك، وهي عادةُ الحبيب ﷺ.

(٤) أي: اخترعوا لك أحلامًا من عندهم ليسخروا من تفسيرك لها، وحينَها يتغامزون عليك في غَيبتك. واللهُ أعلم.

(٥) أي: لا تجعلْ إكرامَك للناس شبيهًا بحال الخادم الذي يتنزَّلُ تنزلًا شديدًا.

(٦) **الهَلْب**: النتف.

(٧) **تبطين اللحية**: ألَّا يؤخذَ مما تحت الذقن والحنَك. كذا في طبعة «العصرية»، ولم أفهم وجهها! ولعل المقصود ألَّا يعبثَ بلحيته كليةً.

(٨) إن كان المقصود: كثرةُ حفِّ الشارب، فالسُّنةُ أن يُحَفَّ كلما طال، وإن كان المقصود «شدَّةُ» الحف بحيث يكون شبيهًا بالحلق، فقد كَرِهَ ذلك جماعةٌ من أهل العلم، والصوابُ أنه غير مكروه. واللهُ أعلم.

(٩) **غِبًّا**: يومًا ويومًا.

(١٠) أي: لا تذِلَّ.

أهلك وولدك ـ فضلًا عن غيرهم ـ عدَدَ مالك، فإنهم إن رأوه قليلًا هُنتَ عليهم، وإن كان كثيرًا لم تبلُغْ به رضاهم، وأخِفْهُم في غير عُنف، ولِنْ لهم في غير ضَعف.

ولا تهازِلْ أمَتَك وعبدك، وإذا خاصمتَ فتوقَّرْ وتحفَّظْ من جهلك[١]، وتجنَّبْ عَجَلتَك[٢]، وتفكَّرْ في حُجَّتك، وأرِ الحاكمَ شيئًا من حِلمك.

ولا تُكثِرِ الإشارةَ بيدك، ولا تَحَفَّز على رُكبتيك[٣]، وتَوَقَّ حُمْرةَ الوجه[٤] وعَرَقَ الجبين، وإن سُفِهَ عليك فاحلُمْ، وإذا هو أغضبَك فتحلَّمْ، وأكرِمْ عِرضَك، وألْقِ الفضولَ عنك.

وإن قرَّبك سلطانٌ، فكن منه على حدِّ السِّنان[٥]، وإن استرسل إليك، فلا تأمنْ من انقلابِه عليك، وارفُقْ به رِفقَكَ بالصبي، وكلِّمْه بما يشتهي، ولا يحملنَّك ما ترى من إلطافِه إياك، وخاصَّتِه بك: أن تَدخل بينه وبين أحدٍ من ولدِه وأهلِه وحشَمه ـ وإن كان لذلك منك مستمعًا، وللقول منك مطيعًا ـ، فإن سَقْطَةَ الداخل بين المَلِكِ وأهله صَرْعَةٌ لا تُنهَض، وزلَّةٌ لا تُقال.

وإذا وعدتَ فحقِّقْ[٦]، وإذا حدَّثتَ فاصدُقْ، ولا تَجهَرْ بمنطقك كمُنازعِ الأصم[٧]، ولا تُخافِتْ به كتخافُتِ الأخرس.

(١) أي: لا تجعل غضبَك يُخرجُك إلى حد ضياعِ الوقار والكلام البذيء.
(٢) في المطبوع: «عن عجلتك»، ولعل حذف «عن» أصح.
(٣) أي: ولا تجلسْ جلوس المتحفِّز الذي يريدُ النهوض سريعًا.
(٤) أي: عند الغضب.
(٥) أي: لا تتكلم معه إلا بقدْرِ الحاجة فقط. واللهُ أعلم.
(٦) أي: وفِّ بوعدك.
(٧) أي: لا ترفعْ صوتك كحال مَن يصرخُ في أُذن ضعيف السمع.

وتخيَّرْ محاسنَ القول بالحديث المقبول، وإذا حُدِّثْتَ بسماع، فانسِبْه إلى أهله(١)، وإياكَ والأحاديثَ العابرةَ المشنَّعةَ التي تُنكِرُها القلوب(٢)، وتَقِفُ(٣) لها الجلود.

وإياك ومضعَّفَ الكلام مثل: «نعم نعم، ولا لا، وعجِّلْ وعجِّل..» وما أشبه ذلك.

وإذا توضأت من الطعام، فأجِدْ(٤) عَرْكَ كفَّيك(٥)، ولْيكنْ وضعُك الحُرُضَ من الأُشنان(٦) في فيك كفِعلك بالسواك، ولا تنخَّع في الطَّسْت(٧)، ولْيكنْ طرحُك الماءَ من فيك مترسِّلًا(٨)، ولا تَمُجَّ(٩) فتَنْضَحَ على أقرب جلسائك.

ولا تَعَضَّ نصفَ اللقمة، ثم تعيدَ ما بقي منها منصبغًا(١٠)، فإن ذلك مكروه، ولا تكثر الاستسقاءَ(١١) على مائدةِ المَلِك، ولا تعبث بالمُشاش(١٢)، ولا تَعِبْ شيئًا مما يُقرَّبُ إليك على مائدةٍ: بقِلَّةِ خَلٍّ أو تابلٍ(١٣) أو عسل، فإن السحابةَ قد صيَّرت لنفسها مهابة.

---

(١) أي: إذا أخبرتَ عن أحدٍ خبرًا، فاذكر قائله.

(٢) لعله يقصد بذلك الإشاعات، أو زلَّاتِ أهل الفضل والمروءات.

(٣) تَقِفُ: تقشعر.

(٤) أجِدْ: أحسِنْ. من «الجودة».

(٥) العرْك: الدَّلْك.

(٦) الحُرُض ـ بضم الحاء والراء ـ، الأُشنان ـ بضم الهمزة ـ، كل منهما مادةٌ منظفة كالصابون. «الصحاح» (حرض).

(٧) تنخَّع: تستنثر، وهو إخراجُ الماء من الأنف.

(٨) مترسلًا: متمهلًا.

(٩) المجُّ: طردُ الماء من الفم.

(١٠) منصبغًا: متلوِّنًا بلون الطعام الذي في فمك، مما يثير تقزُّزَ من يراك. وقد ورد في بعض المطبوعات: «في متصبَّغ».

(١١) الاستسقاء: طلب الماء.

(١٢) المُشاش: فراش المائدة.

(١٣) التابل: مواد تطييب الطعام ـ كالفلفل ونحوه ـ. والله أعلم.

ولا تُمسِكْ إمساكَ المثبور[١]، ولا تُبذِّرْ تبذيرَ السَّفيهِ المغرور، واعرِفْ في مالِك واجبَ الحقوق، وحُرمةَ الصديق، واستَغْنَ عن الناس يحتاجوا إليك.

واعلم أن الجشَعَ يدعو إلى الطمع[٢]، والرغبةُ ـ كما قيل ـ تدُقُّ الرقبة، وربَّ أكلةٍ تمنعُ أكْلات[٣].

والتعفُّفُ مالٌ جسيم، وخُلُقٌ كريم، ومعرفةُ الرجلِ قَدْرَه تزيد عِزَّه[٤]، ومن تعدَّى القَدْر هَوى في بعيدِ القعر[٥].

والصِّدقُ زَين، والكِذبُ شَين[٦]، ولَصِدقٌ يُسرِع عطبَ صاحبه، أحسنُ عاقبةً من كِذبٍ يَسلَمُ عليه قائلُه.

ومعاداةُ الحليم خيرٌ من مصادقة الأحمق، ولزومُ الكريم ـ على الهوان[٧] ـ خيرٌ من صُحبة اللئيم على الإحسان، ولَقُربُ مَلِكٍ جَوَاد خيرٌ من مجاورة بحرٍ طرَّاد[٨].

وزوجةُ السوء الداء العُضال، ونكاحُ العجوز يَذهبُ بماء الوجه، وطاعةُ النساء تُزري بالعقلاء[٩].

---

(١) **المثبور**: الهالك.

(٢) في المطبوع: «الطبع» وقد فسَّرها محققًا طبعة «العصرية» بالعَيب. ولعل الأصح ما أثبته.

(٣) وهي الأكلةُ الحرام التي تمنع أكلات النعيم في جنة الرَّحمٰن الرحيم.

(٤) أي: مَن عَرَف قدْرَ نفسِه أعزَّه الناس. وقد ورد في بعض المطبوعات: «تشرف ذكره» بدل «تزيد عزه».

(٥) أي: في بئرٍ بعيدِ القعر.

(٦) **شين**: عيب.

(٧) أي: مصاحبة الكريم ـ وإن كان فقيرًا ـ.

(٨) **الطرَّاد**: كثير القذف بالخيرات.

(٩) ليس هذا الكلامُ على إطلاقه، وإنما المرادُ منه طاعةُ النساء التي تجلبُ عار الدنيا والآخرة، أما طاعةُ الصالحات الوفيَّات العاقلات ـ من أمٍّ وزوجةٍ وغيرهما ـ، فيما يُشِرْنَ به من الخيرات، فمِن أعظم صفاتِ الرجال العقلاء.

تشبَّهْ بأهل العقل تكنْ منهم، وتصنَّعْ للشرف تُدرِكْه[١].

واعلمْ أن كل امرئٍ حيث وَضَع نفسه، وإنما يُنسبُ الصانعُ إلى صناعته، والمرءُ يُعرَفُ بقرينِه.

وإياك وإخوانَ السوء، فإنهم يخونُون من رافقهم، ويُحزِنون مَن صادقهم، وقُربُهم أعدى من الجَرَب، ورفضُهم من استكمال الأدب.

واستخفارُ المستجير[٢] لؤم، والعَجَلةُ شؤم، وسوءُ التدبير وهْن.

والإخوان اثنان: فمحافظٌ عليك عند البلاء، وصديقٌ لك في الرخاء، فاحفظْ صديقَ البلاء، وتجنَّبْ صديقَ العافية، فإنهم أعدى الأعداء.

ومن اتَّبع الهوى مال به إلى الردى، ولا يُعجِبْك الجَهِمُ[٣] من الرجال، ولا تَحقِرْ ضئيلًا كالخِلال، فإنما المرء بأصغَريهِ ـ بقلبه ولسانه ـ، ولا يُنتفَعُ به بأكثرَ من أصغريه.

وتوقَّ الفساد، وإن كنت في بلادِ الأعادي، ولا تَفرِشْ عرضَك لمن دُونَك، ولا تجعل مالَك أكرمَ عليك من عِرضك، ولا تُكثِر الكلام، فتثقُلَ على الأقوام، وامنح البِشرَ جليسَك، والقبولَ ممن لاقاك.

وإياك وكثرةَ التبريق والتزليق[٤]، فإن ظاهرَ ذلك يُنسَبُ إلى التأنيث.

وإياك والتصنُّعَ لمغازلة النساء، وكن متقرِّبًا متعزِّزًا[٥]، منتهزًا في فرصتك، رفيقًا في حاجتك، متثبِّتًا في حَمْلتِك[٦]، والْبَسْ لكل دهرٍ ثيابَه، ومع كل قومٍ شَكْلَهم.

---

(١) أي: حاول أن تفعلَ كفعل أهل الشرف ـ وإن لم يكن من طبيعتك ـ، تصير شريفًا مع مرور الأيام.

(٢) أي: عدمُ الوقوف بجانب اللائذِ بك.

(٣) **الجهم**: العبوس.

(٤) **التبريق**: التزيين. **والتزليق**: كثرةُ دُهنِ الجسم حتى يصيرَ زلِقًا لامعًا.

(٥) أي: اقترب من الناس، لكن حافظْ على عزك وكرامتك.

(٦) أي: إذا أردتَ أن تحملَ على أحدٍ ـ بعَتْبٍ أو غيره ـ، فتثبَّتْ قبل الإقدام.

واحذَرْ ما يُلزِمُك اللائمةَ في آخِرتك[1]، ولا تَعْجَلْ في أمرٍ حتى تنظر في عاقبته، ولا تَرِدْ حتى ترى وجهَ المصدر[2].

وعليك بالنُّورة[3] في كل شهرٍ مرَّةً، وإياك وحِلاقَ الإبط بالنُّورة[4]، ولْيكنِ السِّواكُ من طبيعتك، وإذا استَكْتَ فعَرضًا.

وعليك بالعمارة[5]، فإنها أنفعُ التجارة، وعلاجُ الزرع خيرٌ من اقتناء الضَّرْع، ومنازعتُك اللئيمَ تُطْمِعُه فيك، ومَن أكرم عِرضَه أكرمه الناس، وذمُّ الجاهل إياك أفضلُ من ثنائه عليك.

ومعرفةُ الحق من أخلاق الصدق، والرفيقُ الصالح ابنُ عم، ومَن أيْسَرَ أُكْبِر[6]، ومن افتُقر احتُقِر.

قصِّر في المقالة، مخافة السآمة[7]، والساعي إليك غالبٌ عليك، وطولُ السفر مُلالة، وكثرةُ المُنى ضلالة[8]، وليس للغائبِ صديق[9]، ولا على الميت شفيق.

وأدبُ الشيخ عناء[10]، وتأديبُ الغلام شقاء، والفاحشُ أمير، والوَقَّاحُ وزير[11]، والحليمُ مطيةُ الأحمق[12]، والحمقُ داءٌ لا شفاء له،

---

(١) أي: احذرْ ما يوجب عليك عقاب الله في الآخرة.
(٢) أي: لا تُقدِمْ على شيءٍ حتى تعلم إلى أي نتيجةٍ سيؤدي بك.
(٣) النُّورة: حجر يُزال به شعر العانة.
(٤) لأن السُّنَّة النتف باليد. ولكن إذا شق على الإنسان أمكن إزالتُه بأي شيءٍ مباح، إذ المراد إزالةُ الشَّعر.
(٥) العمارة: القبيلة والعشيرة، وعلى هذا المعنى يكون المرادُ عدمَ قطع أرحامه؛ لأنه قد يحتاج إليهم يومًا ما، أو تكون العمارة بناءَ المساكن. والله أعلم.
(٦) أي: مَن اغتنى عظمه الناس.
(٧) في بعض المطبوعات: «الإجابة والسآمة». (٨) المنى: الأماني الباطلة.
(٩) أي: الذي لا يتقرَّبُ من الناس ويغيبُ عن أعينهم لا يصادقونه.
(١٠) أي: محاولةُ تأديب الشيخ الذي شاب على قلَّةِ الأدب عناءٌ وتعب.
(١١) أي: الفاحش والبذيء يحترمه الناس ويخافونه كالأمير والوزير.
(١٢) أي: الحليمُ ـ لحلمه ولينه ـ يترفَّعُ عليه سِفْلةُ الناس.

والحِلمُ خيرُ وزير، والدِّينُ أزينُ الأمور، والسَّماجةُ سفاهة[١]، والسكرانُ شيطان، وكلامُه هَذَيان، والشِّعرُ من السِّحر[٢]، والتهدُّدُ هُجْر[٣]، والشحُّ شقاء، والشجاعة بقاء، والهديَّةُ من الأخلاق السَّريَّة[٤]، وهي تُورِثُ المحبة، ومن ابتدأ المعروف صار دَينًا، ومن المعروف ابتداءٌ من غير مسألة.

وصاحبُ الرياء يرجع إلى السخاء[٥]، ولَرياءٌ بخير خيرٌ من مُعالَنةِ بشر[٦]، والعِرقُ نزَّاع، والعادةُ طبيعةٌ لازمة ـ إن خير فخير، وإن شرٌّ فشر ـ، ومَن حلَّ عَقدًا احتَمل حِقدًا[٧]، ومراجعةُ السلطان خُرْقٌ بالإنسان، والفرارُ عار، والتقدمُ مخاطرة، وأعجلُ منفعةٍ يَسَارٌ في دَعَة[٨]، وكثرةُ العلل من البَخَل[٩]، وشرُّ الرجال الكثيرُ الاعتلال ـ يعني: في القول ـ، وحُسنُ اللقاء يذهبُ بالشحناء، ولِينُ الكلام من أخلاقِ الكرام.

يا بُني، إن زوجةَ الرجل سَكَنُه، ولا عيشَ له مع خلافِها، فإذا هَممتَ بنكاح امرأةٍ، فسلْ عن أهلها، فإن العُروقَ الطيبةَ تُنبِتُ الثمارَ الحُلوة.

واعلم أن النساء أشدُّ اختلافًا من أصابع الكف، فتَوَقَّ منهنَّ كلَّ

---

(١) السماجة: التظرُّف. (٢) في بعض المطبوعات: «السُّخر».
(٣) أي: تهديد المساكين كلامٌ سيئٌ لا ينبغي أن تفعلَه.
(٤) السَّرِية: الشريفة.
(٥) أي: مَن أراد أن يرائي، فإنه يظهر السخاء والكرم.
(٦) أي: مَن رائى الناس بماله، خيرٌ من أن يرائيَهم بفُحشه وبذائته. ولتعلم ـ أخي الحبيب ـ أن هذا الكلام ليس معناه إباحةَ المراءاة بالخيرات؛ فقد عُلم في الشرع المعظَّم أنه شركٌ أصغر، ولكن عند المقارنة بين العَمَلين، ومقدارِ أثرهما على الناس نجدُ أن الأول أفضل وأيسر. والله أعلم.
(٧) أي: إذا حلَّ إنسانٌ مشكلةً معقَّدة، تكالب عليه الحقَدةُ والحسدة.
(٨) أي: خيرٌ يأتي للإنسان بلا تعبٍ ولا عناء. والله أعلم.
(٩) أي: كثرةُ اعتلال الإنسانِ بضِيق المال وكثرة الحاجات بُخلٌ مقدَّم.

ذاتِ بَذا[1] مجبولةً على الأذى:

فمنهن: المُعجَبةُ بنفسها، المزرِيةُ ببَعلها، إن أكرمَها رأته لفضلها عليه، لا تشكرُ على جميل، ولا ترضى منه بقليل، لسانها عليه سيفٌ صَقيل، قد كَشفت القُحَّةُ[2] سِترَ الحياء عن وجهها، فلا تستحي من إعوازها[3]، ولا تستحي من جارها، كَلْبةٌ هرَّارة[4]، مُهارِشةٌ عَقَّارة[5]، فوجهُ زوجِها مكلوم[6]، وعِرضُه مشتوم، ولا ترعى عليه لدينٍ ولا لدنيا[7]، ولا تحفظه لصُحبةٍ ولا لكثرةِ بنين، حِجابه مهتوك، وسِترُه منشور[8]، وخيرُه مدفون، يُصبح كئيبًا، ويُمسي عاتبًا[9]، شرابُه مر، وطعامُه غَيظ[10]، وولده ضَياع، وبيتُه مستهلَك[11]، وثوبُهُ وَسِخ، ورأسُه شَعِث، إن ضحك فواهِن[12]، وإن تكلم فمُتكارِه[13]، نهارُه ليل، وليلُه ويل، تلدغُه مثلَ الحيةِ العقَّارة[14]، وتلْسَعُه مثلَ العقرب الجرارة[15].

ومنهن: شَفْشَلِيقٌ شَعشعٌ سَلْفع[16]، ذات سُمٍّ مُنقَع[17]، وإبراقٍ[18] واختلاق، تَهُبُّ مع الرياح، وتطيرُ مع كل ذي جَناح[19]، إن قال: «لا»،

---

(١) **البذا**: البذاء وقلَّة الأدب. (٢) **القُحَّة**: الوقاحة.
(٣) **إعوازها**: فقرها من الأدب. (٤) **هرَّارة**: كثيرة الزمجرة والغضب.
(٥) **مهارشة**: كثيرة المشاكل. **عقَّارة**: كثيرة الإيذاء.
(٦) **مكلوم**: مجروح.
(٧) أي: لا تعمل حسابًا لدينه ـ إن كان ديِّنًا ـ ولا لدنياه ـ إن كان ذا غنًى ـ.
(٨) **منشور**: ظاهر للناس كالكتاب المفتوح. (٩) **عاتبًا**: معاتبًا لها من كثرة ظلمها له.
(١٠) أي: يأكل طعامَه على غيظٍ، بلا سعادةٍ ولا انشراحِ صدر.
(١١) أي: مفتوح لكل أحدٍ ـ دون رضاه ـ. (١٢) **واهن**: ضعيف حزين.
(١٣) **متكاره**: يتحدثُ بكراهةٍ ومقت. (١٤) **العقَّارة**: القاتلة.
(١٥) **الجرَّارة**: نوعٌ من العقارب ترفعُ ذيلها، وهي من أشدِّ العقارب سُمِّيَّةً.
(١٦) **شفشليق**: العجوز اللئيمة. **شعشع**: تمزج الخبث باللطف. **سلفع**: جريئة.
(١٧) **المنقَع**: الكثير الغزير. (١٨) **الإبراق**: الصراخ والتهديد.
(١٩) أي: تميلُ مع التيار حيث مال، لا مبدأ عندها، ولا قيمةَ نظيفة.

قالت: «نعم»، وإن قال: «نعم»، قالت: «لا»! مولِّدةٌ لمخازيه[١]، محتقرةٌ لِمَا في يديه، تضربُ له الأمثال[٢]، وتُقصِّرُ به دونَ الرجال، وتنقُلُه من حالٍ إلى حال، حتى قَلَى بيتَه[٣]، ومَلَّ ولده، وغثَّ عيشه[٤]، وهانت عليه نفسُه[٥]، حتى أنكره إخوانُه، ورحمه جيرانُه.

ومنهن: الوَرْهاء[٦] الحمقاء: ذاتُ الدَّل في غير موضعها[٧]، الماضغةُ للسانها[٨]، الآخِذةُ في غير شأنها، قد قَنِعت بحبه، ورَضِيت بكسبه، تأكلُ كالحِمار الراتع[٩]، تنتشرُ الشمس ولمَّا يُسمعْ لها صوت، ولم يُكنس لها بيت، طعامُها بائت، وإناؤها وضِرٌ[١٠]، وعجينُها حامض، وماؤها فاتر[١١]، ومتاعُها مزروع، وماعونها ممنوع[١٢]، وخادمُها مضروب، وجارُها محروب[١٣].

ومنهن: العطوفُ الودود، المبارَكةُ الولود، المأمونة على غَيبها[١٤]، المحبوبة في جيرانها، المحمودةُ في سرِّها وإعلانها، الكريمةُ التبعُّل[١٥]، الكثيرة التفضُّل، الخافضةُ صوتًا، النظيفةُ بيتًا، خادمُها مُسمَّن[١٦]، وابنُها مزيَّن، وخيرُها دائم، وزوجُها ناعم[١٧]، مرموقةٌ مألوفة[١٨]، وبالعفاف والخيرات موصوفة.

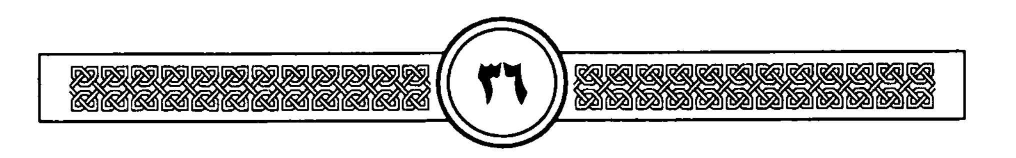
---

(١) أي: تزيد في عيوبِ زَوجها فوق الحقيقة لتلوِّث صورتَه أمام الناس.
(٢) أي: بغيره من الرجال ممن هم أكثرُ منه مالًا وأرغدُ عَيشًا، حتى تلزمَه إحضارَ ما قد يعجز عنه.
(٣) أي: كره بيته.
(٤) أي: رآه قبيحًا لا نفع فيه.
(٥) أي: صار ذليلًا.
(٦) **الورهاء**: السَّفيهة الغبيَّة.
(٧) أي: تتدلَّل في غير وقت الدلال.
(٨) أي: كثيرة الكلام والهذر.
(٩) **الراتع**: الآكل.
(١٠) **الوضِر**: المتَّسخ.
(١١) **الفاتر**: لا ساخن ولا بارد.
(١٢) **الماعون**: الخير.
(١٣) **محروب**: محارَب.
(١٤) أي: الحافظة لدينها ونفسها وبيتها وكرامةِ زوجها.
(١٥) **التبعُّل**: التزيُّن والتجمُّل.
(١٦) أي: غير معذَّب بمنع الطعام والشراب.
(١٧) **ناعم**: متنعِّمٌ سعيد.
(١٨) **مومومقة**: محبوبة من الناس. **مألوفة**: سريعة الألفة والتودُّد.

جعلك اللهُ - يا بني - ممن يَقتدي بالهدى، ويأتمُّ بالتُّقى، ويجتنبُ السُّخط، ويُحبُّ الرِّضى.

واللهُ خليفتي عليك، والمتولِّي لأمرك، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيم، وصلَّى اللهُ على محمد نبي الهدى، وعلى آلهِ، وسلِّمْ تَسليمًا كثيرًا»[١].

(١) قلت: هذه - والله - وصيةٌ غايةٌ في النفاسة والحكمة، تستحق أن تُستذكر، وفي الخطب والمواعظ تُدرَّسُ وتُذكَر.



ذِكرُ الزَّجرِ عن تهاجُرِ المسلمين كافةً

[٦٦٨] حدثنا أبو يعلى الموصلي: حدثنا وهبُ بن بقية الواسطي: حدثنا خالد بن عبد الله، عن عبد الرَّحمٰن بن إسحاق، عن الزهري:

عن أنسٍ [ﷺ] قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا تباغَضوا، ولا تنافَسوا، ولا تَحاسَدوا، ولا تَدابروا، وكونوا ـ عبادَ الله ـ إخوانًا، ولا يَحِلُّ لمسلمٍ أن يَهجُرَ أخاه فوق ثلاثٍ»**[١].

قال أبو حاتم ﷺ: لا يَحِلُّ التباغضُ، ولا التنافسُ، ولا التحاسد، ولا التدابرُ بين المسلمين، والواجبُ عليهم أن يكونوا إخوانًا ـ كما أمرهم اللهُ ورسوله ـ، فإذا تألَّم واحدٌ منهم تألَّم الآخرُ بألمه، وإذا فَرِح فرح الآخر بفرحه، و[يجبُ] نَفيُ الغشِّ والدَّغل، مع استسلامِ الأنفُس للهِ ﷻ، مع الرضا بما يوجبُ القضاء في الأحكام كلها.

ولا يجبُ الهجران بين المسلمَيْنِ عند وجود زلَّةٍ من أحدهما، بل يجبُ عليهما صرفُها إلى الإحسان، والعطف عليه بالإشفاقِ وتركِ الهجران.

[٦٦٩] ولقد حدثني محمد بن المهاجر: حدثني موسى بن محمد الأخباري، عن النُّميري: حدثني محمد بن يحيى الكناني قال: أنشدني أبو غزية:

لمعاوية بن عبد الله بن جعفر:

---

(١) صحيح: رواه مالك (١٦١٥)، وأحمد (٣/ ١١٠)، والبخاري (٦٠٧٦)، ومسلم (٢٥٥٩)، وأبو داود (٤٩١٠)، والترمذي (١٩٣٥)، وابن حِبَّان (٥٦٦٠)، وتقدم برقم (٣٧٨) ـ بنحوه ـ من حديث أبي هريرة.

لا يُــزْهِــدَنَّــك فــي أخٍ ... لـــك أن تـــراهُ زلَّ زلَّـــةْ
والــمــرءُ يــطــرحُــه الــذيـ ... ـن يــلــونَــه فــي شــر ألَّــة[1]
ويَــخــونُــه مِــن مــأمــنٍ ... أهــلُ الــبــطــانــة والــدِّخِــلَّــةْ[2]
والــمــوتُ أعــظــمُ حــادثٍ ... مــمــا يــمــرُّ عــلــى الــجِــبِــلَّــةْ

٦٧٠ انشَدَني محمد بن الحسن بن قتيبة، قال:

أنشَدَني حُميد بن عياش:

ولا تكُ في حُبِّ الأخلَّاءِ مُفرِطًا ... فإن أنتَ أبغضتَ البغيضَ فأجمِلِ
فإنك لا تدري متى أنت مُبغِضٌ ... حبيبَك أو تهوى البغيضَ فاعْقِلِ

٦٧١ وانشَدَني عمرو بن محمد بن عبد الله النسوي لثعلب:

إني لأصْبَرُ من عَوْدٍ به جُلَبٌ ... عند الملمَّاتِ إلا عندَ هجرانِ[3]
وما صدودُ ذواتِ الدَّلِّ يُرْمِضُني ... لكنما الموتُ عندي صدُّ إخواني[4]
إذا رأيتُ ازورارًا من أخي ثقةٍ ... ضاقت عليَّ برُحْبِ الأرض أوطاني[5]

٦٧٢ وانشَدَني الأبرش:

أبْلُ الرجالَ إذا أردتَ إخاءهم ... وتوسَّمَنَّ أمورَهم وتفقَّدِ
فإذا ظفِرتَ بذي اللُّبابةِ والتقى ... فبه اليدينِ قريرَ عينٍ فاشدُدِ
فمتى يزَلُّ ـ ولا محالةَ ـ زلةً ... فعلى أخيك بفضل رأيك فاردُدِ
وإذا الخَنَى نَقَض الحُبَى في مجلسٍ ... ورأيتَ أهلَ الطَّيشِ قاموا فاقعُدِ

قال أبو حاتم ﵀: لا يجبُ للمرء أن يَدخل في جُملة العوام والهمج، بإحداث الوُدِّ لإخوانه، وتكديرِه لهم بالخروج بالسبب الذي يؤدِّي إلى الهجران

---

(١) الألَّة: الحزن والألم. (٢) الدَّخِلة: الباطن.

(٣) العَوْد: الجَمَل الكبير السن. الجُلَب: القشور التي تغطي الجروح، فإذا سار الجمل الكبير التهبت فآلَمَتْه.

(٤) الدل: الدلال. يُرمضُني: يُحرق قلبي. (٥) الازوِرار: الميل والابتعاد.

الذي نهى المصطفى ﷺ عنه بينهم، بل يَقصِدُ قصدَ الإغضاءِ عند[1] ورود الزَّلَّات، ويتحرَّى تركَ المناقشةِ على الهفوات، ولا سيَّما إذا قيل في أحدهم الشيءُ الذي يَحتمل أن يكون حقًّا وباطلًا معًا، فإن الناس ليس يخلو وصلُهم من رَشْقِ أسهُم العُذَّال فيه.

۞ [٦٧٣] ولقد سمعت محمد بن عثمان العقبي يقول: سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول:

قال محمد بن حُميد:

ومَن ذا مِن عيوبِ الناس ناجٍ	بحقٍّ قيل فيه أو قِرافِ[2]!
قبيحٌ بي إذا خاللتُ خِلًّا	ولازَم خُلَّتي ألَّا أُكافي
وكلُّ مودةٍ لا خيرَ فيها	إذا لم تَحتملْ حقَّ المُصافي
فأمَّا في الكلام فكم وفيٍّ	ولكنْ في الشدائدِ لا يوافي
إذا أحببتُ لم أنقُضْ إخائي	ولم أبْنِ الإخاء على اعتسافِ[3]
ولكن أمنحُ الكرماءَ وُدًّا	ولا أدعو اللئامَ إلى العِطافِ[4]
متى تَقطعْ صديقَك بعد وصلٍ	ولا تَثْبُتْ فعهدُكَ غيرُ وافِ
إذا ما المرءُ أدبَرَ لم تُطِقْهُ	وصار المستقيمُ إلى خلافِ

۞ [٦٧٤] سمعت محمد بن المنذِر يقول: سمعت محمد بن عبد الرَّحمٰن يقول:

سمعت أبا عمَّار ـ الحسينَ بنَ حُريث ـ يقول: «قيل لرجل: ألك عيوبٌ؟ قال: لا، قيل له: فلك مَنْ يلتمسُها؟ قال: نعم، قال: فما أكثرَ عيوبَك!».

قال أبو حاتم ﷺ: السببُ المؤدِّي إلى الهجران بين المسلمين ثلاثة أشياء:

---

(١) في المطبوع: «عن»، ولعل الأصح ما أثبته.
(٢) القِراف ـ بكسر القاف ـ: الافتراء والاتهام.
(٣) الاعتساف: المجازفة الغير محسوبة.
(٤) العطاف: العطف.

١ ـ إما وجود الزلَّة من أخيه ـ ولا محالةَ يزل ـ، فلا يُغضي عنها، ولا يطلب لها ضدَّها[1].

٢ ـ وإبلاغ واشٍ يقدحُ فيه، ومشيُ عاذلٍ بثَلْبٍ[2] له، فيقلبه، ولا يطلب لتكذيبه سببًا، ولا لأخيه عذرًا.

٣ ـ وورود مَللٍ به يَدخلُ على أحدهما، فإن المُلالة تُورِّثُ القطع، ولا يكون لملولٍ صديق.

[٦٧٥] ولقد أخبرني محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا محمد بن إبراهيم اليعمُري: حدثني عبدُ الرَّحمٰن بن إبراهيم الأصبهاني، قال:

أنشدَني بعضُ أهل الأدب:

إنَّ المَملولةَ وُدُّهُ ... مثلُ السرابِ يُذَمُّ وِرْدُهُ[3]
أو كالسحابِ الزائد الـ ... ـبرَّاقِ لم يصدُقْكَ وَعدُهُ
أو كالحُسام هزَزْتَه ... عند الضِّرابِ فكَلَّ حَدُّهُ
لا تَقبَلنَّ إخاءَهُ ... فوعيدُه كَذِبٌ ووعْدُهُ
بينا يَوَدُّك رأيَ عيـ ... ـنِك إذا بدا لك منه صدُّهُ
وتغيَّرت أخلاقهُ ... وازْوَرَّ حتى مال خَدُّهُ[4]

[٦٧٦] أنبانا محمد بن يعقوب الخطيب بـ«الأهواز»: حدثنا مَعْمَرُ بن سهل: حدثنا إبراهيم بن بشَّار:

عن سفيان قال: كان لابن شُبْرُمَةَ أخٌ فجفاه، فكتب إليه:

كلانا غنيٌّ عن أخيهِ حياتَهُ ... ونحن إذا مِتنا أشدُّ تغانيَا

قال أبو حاتم ﷺ: لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجرَ أخاه المسلم فوقَ ثلاثة أيام[5]: فمَن فعل ذلك، كان مرتكبًا لنهي النبيِّ ﷺ، وخيرُهما الذي يبدأ

---

(١) أي: ولا يحاول إصلاحها فيه.
(٢) الثَّلْب: القدح والعيب.
(٣) الملولة: كثير الملل، والهاء للمبالغة.
(٤) ازورَّ: مال وابتعد.
(٥) وهذا ثابت عن نبيِّنا ﷺ، وهو زيادة في بعض الروايات للحديث المتقدم برقم (٦٧٧).

بالسلام[١]، والسَّابقُ بالسَّلام يكون السابقَ إلى الجنة[٢]، ومَنْ هجر أخاه سنةً، كان كسَفْكِ دمه[٣]، ومن مات وهو مهاجرٌ أخاه دخل النار[٤] - إن لم يتفضَّلِ اللهُ عليه بعفوٍ عنه ورحمة -، وغايةُ ما أبيح من الهجران بين المسلمين ثلاثة أيام.

[٦٧٧] ولقد انشَدَني عبيد الله بن محمد الأنماطي، قال:

أنشَدَني محمدُ بن الحسن - لصديقٍ له -:

يا سيدي عندك لي مَظلَمَة ... فاستفتِ فيها ابنَ أبي خَيثمةْ

فإنه يَرويه عن شيخه ... قال: رَوى الضحَّاكُ عن عكرمةْ

عن ابن عباسٍ عن المصطفى ... نبيِّنا المبعوثِ بالمرحمةْ

إنَّ صدودَ الخِلِّ عن خِلِّهِ ... فوقَ ثلاثٍ رَبُّنا حرَّمَهْ

[٦٧٨] وانشَدَني محمد بن شاه الأبيوردي بـ«الموصل» رَحِمَهُ اللهُ:

ما ودَّني أحدٌ إلا بذلتُ له ... صَفْوَ المَوَدَّةِ مني آخرَ الأبدِ

ولا جفاني وإن كنتُ المحبَّ له ... إلا دعوتُ له الرَّحمٰنَ بالرَّشَدِ

ولا ائتُمنتُ على سرٍّ فبُحتُ بهِ ... ولا مددتُ إلى غيرِ الجميل يَدِي

ولا أخونُ خليلي في حليلتِهِ ... حتى أُغيَّبَ في الأكفانِ واللَّحدِ

---

(١) وهذا ثابت في بعض روايات حديث أنس رضي الله عنه أيضًا المتقدم برقم (٦٦٩)، وثابت كذلك عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، رواه مالك (١٦١٤)، وأحمد (٥/٤١٦)، والبخاري (٦٢٧٣)، ومسلم (١٥٦٠)، وأبو داود (٤٩١١)، والترمذي (١٩٣٢).

(٢) وهذا أيضًا ثابتٌ في بعض روايات حديث أنس رضي الله عنه المتقدم برقم (٦٧٧)، رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٨٧٤)، وصححه العلَّامة الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٥٥).

(٣) وهذا ثابت من حديث أبي خراش - ويقال «خداش»، وهو خطأ - السلمي رضي الله عنه: رواه أحمد (٤/ ٢٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٠٤)، وأبو داود (٤٩١٥)، والحاكم (٤/١٦٣)، وصححه الأئمة: الحاكم والذهبي والألباني وشعيب الأرناؤوط.

(٤) وهذا ثابت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه أحمد (٢/ ٣٩٢)، وأبو داود (٤٩١٤)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٦١)، وصححه العلَّامة الألباني، والعلَّامة شعيب الأرنؤوط.

[٦٧٩] أنبأنا محمد بن المهاجر: حدثنا أحمدُ بن عبد الله بن شجاع:

حدَّثنا محمدُ بن سَمَاعة، قال: جئتُ يومًا إلى أبي عليٍّ المِصريِّ أُسلِّمُ عليه، قال: فبشَّ بي، واحتَمَلني في حِجْرِه، ثم قال:

حسبي بوَصلِك في حياتي لذَّةً | ورَضيتُ ذلك في المعادِ ثوابًا
لو كنتَ رِزقي ما أردتُ زيادةً | ولقلتُ: أحسنَ خالقي وأطابَا

٣٧

ذِكرُ الحثِّ على لزومِ الحِلمِ عندَ الأذى

[٦٨٠] أنبأنا محمدُ بن الحسنِ بنِ قُتيبة: حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملِي: حدثنا ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن درَّاج، عن أبي الهيثم:

عن أبي سعيدٍ [ﷺ] قال: قال النبيُّ ﷺ: **«لا حليمَ إلا ذو عَثْرة، ولا حكيمَ إلا ذو تَجرِبة»**[١].

قال أبو حاتم ﷺ: هذا الخبرُ في الضرب الذي ذَكرتُ في كتاب «فصول السنن» بأن العربَ تُضيف الاسمَ إلى الشيء للقُرب من التمام، وتَنفي الاسمَ عن الشيء للنقص من الكمال، فلما كان الغالبُ على المرء ألَّا يكون حليمًا حتى يكون ذا عَثْرة، نفى النبيُّ ﷺ اسمَ «الحليم» عمن لم يكن بذِي عثرة، لنقصه عن الكمال.

فالحليمُ عظيمُ الشأن، رفيعُ المكان، محمودُ الأمر، مرضيُّ الفعل.

والحلمُ: اسمٌ يقع على زَمِّ[٢] النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحبُّ إلى ما نُهي عنه[٣].

---

(١) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/ ٨)، والترمذي (٢٠٣٣)، وابن حِبَّان (١٩٣)، والحاكم (٤/ ٢٩٣)، وقال الترمذي: **«حسن غريب»، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، بينما ضعَّفه** العلَّامة شعيب الأرنؤوط، والعلَّامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٢٨٣). وانظر: «تحقيق المسند» (١/ ١١٠)، وقد أورده الإمام البخاري في «صحيحه» ـ معلقًا ـ عن معاوية ﷺ ـ كتاب «الأدب» ـ باب: «لا يُلدغ مؤمن من جُحرٍ مرَّتين».

(٢) زَم: رَبْط.

(٣) أي: مَنعُها عن الاندفاع فيما نَهى الشرع عنه عند وقع الشدائد بها.

فالحلمُ يشتمل على المعرفةِ والصبرِ والأناة والتثبُّت، ولم يُقرنْ شيءٌ إلى شيءٍ أحسنُ من عفوٍ إلى مقدرة.

والحِلمُ أجملُ ما يكونُ من المقتدر على الانتقام.

٦٨١ ولقد حدثنا أحمدُ بنُ الحسن بن عبد الجبَّار الصُّوفي بـ«بغداد»: حدَّثنا يحيى بنُ معين قال: حدثنا الحسنُ بن واقع:

عن ضَمرةَ قال: «الحِلمُ أرفعُ من العقل؛ لأن اللهَ تبارك وتعالى تسمَّى به».

٦٨٢ وأنشَدَني محمدُ بنُ عبد الله بن زنجي البغدادي:

ألم تَرَ أنَّ الحِلمَ زَينٌ مُسَوِّدٌ ... لصاحبه والجهلَ للمرءِ شائنُ

فكنْ دافنًا للشر بالخير تَسترحْ ... من الهمِّ إن الخير للشرِّ دافنُ

٦٨٣ وأنشَدَني محمدُ بنُ إسحاق بن حبيبٍ الواسطي:

إذا شئتَ يومًا أن تسودَ عشيرةً ... فبالحِلْم سُدْ لا بالتسرُّعِ والشتمِ

ولَلْحِلمُ خيرٌ فاعْلَمَنَّ مَغَبَّةً ... منَ الجهلِ إلَّا أنْ تَشَمَّسَنَّ من الظُّلْمِ

٦٨٤ وأنشَدَني عليُّ بن محمد البسامي:

فارْضَ بما حُمَّ من قضاءٍ ... يُصِبْكَ مِن ذلك الخيارُ[1]

وعِشْ حميدًا رَخِيَّ بالٍ ... ما زَانَكَ الحِلمُ والوقَار

قال أبو حاتم رضي الله عنه: إن من نفاسةِ اسم «الحِلم» وارتفاعِ قَدْره، أن اللهَ جلَّ وعلا تسمَّى به، ثم لم يُسَمِّ بالحِلم في كتابه أحدًا إلا إبراهيمَ خليلَه وإسحاقَ ذبيحَه[2]، حيث قال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ١١٤]، وقال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ١٠١﴾ [الصافات].

---

(١) حُمَّ: وقع ونزل.

(٢) الصحيح ـ الذي لا صحيحَ غيرُه ـ أن الذبيحَ هو إسماعيل ـ لا إسحاق ـ عليه السلام، وقد ذهب إلى أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام ـ غيرُ الإمام ابن حبان ـ طائفةٌ من علمائنا =

ولو لم يكن في الحِلم خصلةٌ تُحمدُ إلا تركَ اكتساب المعاصي، والدخولَ في المواضع الدَّنِسة، لكان الواجبُ على العاقل ألَّا يفارقَ الحِلم ـ ما وجد إلى استعماله سبيلًا ـ.

والحِلم: سَجِيَّة، أو تجربة، أو هما.

[٦٨٥] حدثنا أبو حمزة ـ محمَّد بن عمر بن يوسف ـ: حدَّثنا عبد الله بن سعيد الكِنديُّ: حدثنا أبو أسامةَ، عن هشامِ بن عروة، عن أبيه، قال:

سمعت معاويةَ بنَ أبي سفيان يقول: «لا حلمَ إلا بالتجربة».

[٦٨٦] وأنشَدَني المنتصر بن بلال الأنصاري:

صافِ الصديقَ بوُدِّهِ ... وإذا دنا شِبرًا فزِدْهُ
واحلُمْ إذا نَطق السفيـ ... ـهُ فمَن يُرِدْ جهلًا يَجِدْهُ

[٦٨٧] أنبأنا محمدُ بنُ عليٍّ الصَّيرفي بـ«البصرة»: حدثَنا ابنُ أبي الشوارب: حدثنا أبو عوانة، عن عبدِ الملك بن عُمير، عن رجاءَ بنِ حَيْوة:

عن أبي الدرداء قال: «إنما العلمُ بالتعلُّم، وإنما الحلمُ بالتحلُّم، ومن يتوخَّ الخيرَ يُعْطَه، ومَن يَتوقَّ الشر يُوْقَه»[1].

[٦٨٨] وأنشَدَني الكُريزي:

إذا أنا كافيتُ الجهولَ بفِعلِهِ ... فهل أنا إلا مثلُهُ إذ أحاوِرُهْ؟
ولكنْ إذا ما طاش بالجهل طائشٌ ... عليَّ فإني بالتحلُّم قاهرُهْ

= الأفاضل، وقد بيَّن الإمامُ ابن تيمية ـ وأقرَّه تلميذُه ابن القيم ـ إلى أن القول بأن الذبيحَ هو إسحاق ﷺ قولٌ متلقًّى من أهل الكتاب. وانظر في هذا: التفاسير عند الآية (١٠٧) من سورة «الصافات»، ولزامًا: «زاد المعاد» للعلَّامة ابن القيِّم (١/ ٧١ ـ ط: ١٤٢٨هـ).

(١) وقد ورد هذا الكلام مرفوعًا للحبيب ﷺ، وهو حديث حسن: رواه ابن أبي عاصم والطبراني ـ كما في «الفتح» (١/ ٢١٤) ـ؛ وحسَّنه الحافظ ابن حجر، وهو عند الطبراني في «مسند الشاميين» (٧٥٨)، وابن عساكر في «التاريخ» (١/ ٢٦٦)، والخطيب في «مهذب الفقيه والمتفقه» (٧ ـ تهذيبي).

[٦٨٩] أنبانا أحمدُ بن الحسن بن عبد الجبار: حدثنا يحيى بن معين: حدثنا عثمان بن صالح: حدثنا ابن وهب:

عن عمرٍو بن الحارث، أن رجلًا كتب إلى أخٍ له: «اعلم أن الحِلم لباسُ العلم، فلا تَغْرَيَنَّ منه».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقلُ يَلزمُ الحلمَ عن الناس كافةً، فإن صَعُب ذلك عليه فلْيتحالَمْ[١]؛ لأنه يرتقي به إلى درجةِ الحلم.

وأولُ الحلم: المعرفة، ثم التثبُّت، ثم العزم، ثم التصبُّر، ثم الصبر، ثم الرِّضا، ثم الصمتُ والإغضاء، وما الفضلُ إلا للمحسن إلى المسيء، فأما مَن أحسن إلى المحسِن، وحَلُم عمَّن لم يؤذِه؛ فليس ذلك بحلمٍ ولا إحسان.

[٦٩٠] ولقد أنبانا محمدُ بنُ عثمان العقبي: حدثنا إسحاقُ بن زكريا: حدثنا عبد الصمد بن حسَّان: حدثنا أبو عمر المازني:

عن وهبِ بن منبِّهٍ [أن لقمان][٢] قال لابنه: «يا بُني، لا تُجادِلَنَّ العلماءَ فتهونَ عليهم فيرفضوك، ولا تمارِيَنَّ السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك، فإنه يلحقُ بالعلماء مَن صبر ورأى رأيهم، وينجُو من السفهاء من صَمت وسكت عنهم، ولا تَحسَبنَّ أنك إذا ماريتَ الفقيه [أجَلَّك، بل لا تُماريهِ] إلا زِدتَه غيظًا دائبًا عليك، ولا تحمَيَنَّ[٣] من قليلٍ تسمعُه فيوقعَك في كثيرٍ تكرهه، ولا تفضحْ نفسك لتَشفيَ غيظَك، فإنْ جَهِل عليك جاهلٌ، فليَنفعنَّ إياك حلمُك، وإنك إذا لم تُحسِنْ حتى يُحسَنَ إليك فما أجرُك؟ وما فضلُك على غيرك؟ فإذا أردتَ الأجر والفضيلة،

---

(١) يَتحالم: يُجاهدُ نفسه على التخلُّق بالحلم.

(٢) في المطبوع: «عن وهب بن منبه أنه قال لابنه»! والأشبه أن هذا من كلام لقمان رضي الله عنه. والله أعلم.

(٣) تَحمَين: تَغلِيَنَّ غيظًا.

فأحسِنْ إلى من أساء إليك، واعفُ عمَّن ظلمك، وانفعْ مَن لم ينفعك، وانتظرْ ثواب ذلك من قِبَلِ الله، فإن الحسنةَ الكاملة [هي] التي لا يريدُ صاحبُها عليها ثوابًا في الدنيا».

[٦٩١] وانشَدَني محمدُ بن حبيبٍ الواسطي:

إذا المرءُ لم يَصرِفْ عذارًا من الأذى ... حياءً، ولم يَغفِرْ لأخرَقَ مذنبِ
فلن يَصطنع إلَّا قليلًا صديقه ... ومَن يَدْفعِ العوراءَ بالحِلم يَغلبِ

[٦٩٢] وانشَدَني عبدُ العزيز بن سليمان الأبرش:

احفَظْ لسانَك إن لَقِيتَ مُشاتِمًا ... لا تَجريَنَّ مع اللئيم إذا جرَى
مَن يشتري عِرْض اللئيم بعِرضِهِ ... يَحوي الندامةَ حين يَقبِضُ ما اشتَرى

[٦٩٣] أنبانا إبراهيمُ بنُ نصرٍ العَنبريُّ: حدثنا عليُّ بنُ الأزهر الرازي: حدثنا إبراهيمُ بنُ رستم، قال:

سمعتُ ابنَ المبارك يقول: «دعانا عبدُ الله بنُ عَوْنٍ إلى طعامه، فكنَّا نأكل، فجاءت الخادمُ ومعها صحفةٌ، فعَثَرت[١] في ثوبها، فسقطت الصحْفةُ من يدها، فقال لها ابنُ عون: مترَس آزادي[٢]».

[٦٩٤] حدثنا عمرُو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا ابن عائشة، قال:

قال محمدُ بنُ السَّعدي لابنه عروة ـ لَمَّا وَلِيَ اليمن ـ: «إذا غضبتَ فانظر إلى السماءِ فوقك، وإلى الأرضِ تحتك، ثم عظِّم خالقَهما».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل ـ إذا غضب واحتدَّ ـ أن يذكر كثرةَ حِلمِ اللهِ عنه، مع تواتر انتهاكِه محارمَه وتعدِّيه حُرماته، ثم يحلُم، ولا يُخرجُه غيظُه إلى الدخول في أسباب المعاصي.

---

(١) عثَرت: تخبطت.
(٢) كلمةٌ أعجميةٌ لم أفهمها، والظاهرُ أنها عتابٌ رقيق. والعلم عند الله.

* والناسُ على ضروبٍ ثلاثة:

١ ـ رجل أعزُّ منك.

٢ ـ ورجل أنت أعزُّ منه.

٣ ـ ورجل ساواك في العز.

فالتجاهلُ على مَن أنت أعزُّ منه لؤمٌ.

وعلى مَن هو أعزُّ منك جَنَفٌ[١].

وعلى من هو مثلُك هِراشٌ كهِراش الكَلْبَين[٢]، ونِقارٌ كنِقار الدِّيكَين، ولا يفترقانِ إلا عن الخَدْش والعَقْر[٣] والهُجْر. ولا يكاد يوجدُ التجاهلُ وتركُ التحالُم إلا من سفيهين.

٦٩٥ ولقد أحسنَ الذي يقول:

ما تـمَّ حـلـمٌ ولا عـلـمٌ بـلا أدبٍ ... ولا تـجـاهـلَ فـي قـومٍ حـلـيـمـانِ
وما التجاهلُ إلا ثوبُ ذي دنَسٍ ... ولـيـس يـلْـبَـسُـهُ إلا سـفـيـهـانِ

٦٩٦ وأنشَدَني ابن زنجي البغدادي:

ومـا شـيءٌ أسـرُّ إلـى الـلـئـيـم ... إذا شَـتـم الـكـرامَ مـنَ الـجـوابِ
مُـتـارَكَـةُ الـلـئـيـمِ بـلا جـوابٍ ... أشـدُّ عـلـيـهِ مِـن مُـرِّ الـعـذابِ

٦٩٧ وأنشَدَني الكُريزي:

تَحرَّزْ ما استطعتَ من السفيهِ ... بـحُـسـنِ الـحـلـمِ إن الـعـزَّ فـيـهِ
فـقـد يـعـصـي الـسـفـيـهُ مؤدِّبـيـهِ ... ويُـبْـرِمُ بـالـلَّـجـاجـةِ مُـنـصِـفِـيـهِ
تَـلـيـنُ لـه فـيَـغـلُـظُ جـانـبـاهُ ... كـعِـيـرِ الـسُّـوءِ يَـرمَـحُ عـالِـفِـيـهِ[٤]

---

(١) الجَنَف: الميل عن الحق.
(٢) الهِراش: العِراك والشِّجار.
(٣) العَقْر: العض والجَرح.
(٤) يَرمَح: يرفس.

[٦٩٨] أنبانا محمدُ بنُ سعيدٍ القزَّاز: حدثنا الحسنُ بن محمدٍ الأزديُّ الكوفي:

حدثنا عمرُ بنُ حفصِ بنِ غِياثٍ، عن أبيه قال: «كنتُ جالسًا عند جعفرِ بنِ محمد ـ ورجلٌ يشكو رجلًا عنده؛ يقول: قال لي كذا، وفعل لي كذا ـ، فقال له جعفر: مَن أكرمَك فأكرِمْه، ومن استخفَّ بك فأكرِمْ نفسَك عنه».

قال أبو حاتم ﷺ: ما ضُمَّ شيءٌ إلى شيءٍ هو أحسنُ مِن حِلمٍ إلى علم، وما عُدم شيءٌ في شيءٍ هو أقبحُ من عدمِ الحلم في العالِم، ولو كان للحلم أبوانِ، لكان أحدُهما العقل، والآخرُ الصبر، وربَّما يُدفع العاقلُ في الوقت بعد الوقت إلى مَنْ لا يُرضيه عنه الحِلم، ولا يُقنِعُه عنه الصَّفح[1]؛ فحينئذٍ يَحتاجُ إلى سفيهٍ ينتصر له؛ لأن ترك الحلمِ في بعض الأوقات من الحلم.

[٦٩٩] ولقد حدثني محمدُ بن المنذر: حدثنا يزيدُ بنُ عبد الصمد: حدثنا عبد الرَّحمٰن بن إبراهيم: حدثنا الوليد:

عن سعيد بن عبد العزيز: «أن رجلًا استطال[2] على سليمانَ بنِ موسى، فسكت له سليمان، وانتصر له أخوه، قال: فقال مكحول: ذَلَّ مَنْ لا سفيه له».

[٧٠٠] حدثنا عمرُو بن محمدٍ الأنصاري: حدثنا الغلَّابي:

حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الرَّحمٰن بن القاسم، عن أبيه قال: «قال أبو حنيفة لشيطانِ الطاق[3]: ما تقول في «المتعة»[4]؟ قال: حلال، قال:

---

(١) أي: ربَّما يتعرَّضُ العاقلُ إلى أُناسٍ لا ينفعُ معهم حِلمٌ ولا صَفْح.
(٢) **استطال**: تعدَّى.
(٣) **شيطان الطاق**: هو محمد بن عليِّ بن النعمان؛ الرافضيُّ الخبيث.
(٤) أي: زواج المتعة، وهو أن يتزوج الرجلُ المرأةَ باشتراطِ مدةٍ محدَّدة، ثم يفارقها بعد ذلك.

فيَسُرُّك أن أمَّك تزوَّجت متعةً؟ فسكتَ عنه ساعةً، ثم قال: يا أبا حنيفة: ما تقول في النَّبيذ؟ قال: حلال، قال: وشُربُه وبيعُه وشراؤه؟ قال: نعم، قال: فيسرُّك أن أمَّك نبَّاذة؟ قال: فسكت عنه أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ».

[٧٠١] وانشَدَني عليُّ بنُ محمدٍ البسَّامي:

إذا كنتَ بين الحِلم والجهلِ قاعدًا ... وخُيِّرت أنَّى شئتَ فالحلمُ أفضلُ
ولكن إذا أنصفتَ مَن ليس منصفًا ... ولم يَرْضَ منكَ الحلمَ فالجهلُ أفضلُ

[٧٠٢] وانشَدَني محمدُ بن حبيب الواسطي:

إذا أمِنَ الجُهَّالُ جَهْلَك مرَّةً ... فعِرضُك للجهَّالِ غُنْمٌ من الغُنم
فعَمِّ عليه الجهلَ والحِلمَ والْقَهُ ... بمرتبةٍ بين العداوةِ والسِّلمِ[١]
فيرجوك تاراتٍ ويَخشاك تارةً ... وتأخذُ فيما بين ذلك بالحزمِ

[٧٠٣] حدثنا محمدُ بن عثمان العقبي: حدثنا إسحاق بن زكريا حدثنا يزيدُ بنُ عبد الصمد الدمشقي: حدثنا أبو مُسهِر: حدثنا سعيدُ بن عبد العزيز:

عن مكحولٍ قال: «لا حِلمَ لمن لا جاهل له»[٢].

[٧٠٤] وحدثنا عمرُو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا مهديُّ بن سابق، قال:

قال المأمون: «يَحسُنُ بالملوك الحِلمُ عن كلِّ أحد، إلا عن ثلاثةٍ: قادحٌ في مَلِك، أو مُذيعٌ لسرٍّ، أو متعرِّضٌ لحُرمة».

قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الحلمُ على ضربين:

أحدهما: ما يَرِدُ على النفس من قضاءِ الله من المصائب التي امتَحن اللهُ بها عبادَه، فيصبرُ العاقلُ تحت وُرودها، ويحلُمُ عن الخروج إلى ما لا يليق بأهل العقل.

---

(١) عَمِّ: أخفِ.
(٢) أي: لا بدَّ للحليم أن يكون لديه جاهلٌ يدفعُ عنه سَفَه السفهاء.

والآخر: ما يَرِدُ على النفس بضدِّ ما تشتهيهِ من المخلوقين، فمَن تعوَّد الحِلمَ فليس بمحتاجٍ إلى التصبُّر، لاستواءِ العدم والوجود عنده.

٧٠٥ كما حدثنا أبو حمزة - محمد بن عمر بن يوسف - بـ«نَسَا»: حدثنا يعقوبُ بن إبراهيم الدَّورقي: حدثنا عبدُ الله بن صالح العجلي، قال:

سمعت ابنَ أبي عُتبة يقول: «قيل للأحنف بن قيس التميمي: ممن تعلَّمت الحِلم؟ قال: مِن قيسِ بن عاصم التَّميمي[1]، أتاهُ آتٍ وهو مُحتَبٍ[2]، فقال: ابنُ أخيك قتلَ ابنك! قال: عصى ربَّه، وفَتَّ عَضُده[3]، وقطع رحِمَه، جهِّزوه - وما حَلَّ حُبْوته -، فمنه تعلَّمتُ الحلم».

٧٠٦ حدثنا محمدُ بن شادل الهاشمي: حدثنا أحمد بن الخليل البغدادي: حدثنا عليُّ بن الحسين بن شقيق: أخبرنا عبد الله:

عن جعفرِ بن سليمان، قال: «كانت امرأةٌ بالبصرة متعبِّدةٌ تصيبها المصائب، فيُذكرُ مِن صبرها، حتى أصابتها مصيبةٌ مُوجِعة، فصبرت، فذكرتُ ذلك لها، فقالت: ما من مصيبةٍ تُصيبُني فأذكرَ معها النار، إلا صارت في عينيَّ مثلَ التراب»[4].

٧٠٧ حدثنا بكرُ بن أحمد بن سعيدٍ الطاحي بـ«البصرة»: حدثنا عمرو بن إسحاق بن خلَّاد الجهضمي: حدثنا خالدُ بن خِداش: حدثنا ابنُ وهب:

عن بكرِ بنِ مُضَر قال: «كان أبو الهيثم مات ولدُه، وبقي له بُنَيٌّ صغير، فمات، فأتاه إخوانُه يعزُّونه وهو في ناحيةِ المسجد، فقال لهم:

---

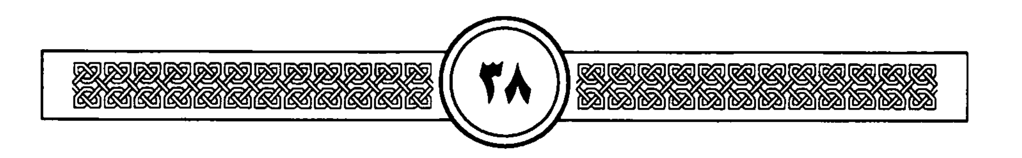
(١) يقصد والدَه.
(٢) الاحتباء: ضمُّ الرُّكبتين إلى الصدر.
(٣) أي: أضعَفَ قوَّته بقتلِ ذِي رحِمِه؛ لأن أهلَ المقتول سيُقاطعونه، ولربَّما احتاج إليهم يومًا ما، فيأبون مساعدته.
(٤) نعم وربِّي، وللهِ درُّ من قال: «ما سَمِع الخلائقُ بمصيبةٍ مثلِ مصيبةِ مَن دخل النار».

تركني حُزنُ يومِ القيامة لا آسَى[١] على شيءٍ فاتني، ولا أفرح بما أتاني».

[٧٠٨] حدثنا محمدُ بن إسحاق الثقَفي: حدثنا القاسمُ بن الحسن الزُّبَيدي:

حدثنا إسحاقُ بن إبراهيم، قال: «مات ابنٌ لشُريح، فلم يَصيحوا عليه، ولم يَشعُر به أحدٌ، فقيل له: يا أبا آمِنة، كيف هو؟ قال: قد سكن عَلَزُه[٢]، ورجاه أهله[٣]، ولم يكنْ منذ اشتكى أسكنَ منه الليلة».

(١) آسَى: أحزن.
(٢) العَلَز: القلق والهلع.
(٣) أي: احتسبوا ثوابه عند اللهِ تعالى.



ذِكرُ الحثِّ على لزوم الرِّفق في الأمور وكراهية العَجَلة فيها

[٧٠٩] حدثنا محمد بن صالح الطبري بـ«الصَّيمرة»: حدثنا عبد الجبار بن العلاء العطار: حدثنا سفيانُ، عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، عن أم الدرداء:

عن أبي الدرداء [ﷺ] قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَن أُعطي حظَّه من الرفق، فقد أُعطيَ حظَّهُ من الخير، ومن مُنِع حظَّه من الرفق، فقد مُنع حظَّه من الخير»**(١).

قال أبو حاتم ﷺ: الواجب على العاقل لزومُ الرفق في الأمور كلِّها، وتركُ العجلة والخِفَّة فيها؛ إذ اللهُ تعالى يحبُّ الرفقَ في الأمور كلها، ومن مُنِع الرفقَ مُنع الخير، كما أن مَن أُعطي الرفق أُعطي الخير، ولا يكادُ المرءُ يتمكَّنُ من بُغيته ـ في سلوك قصدِه في شيءٍ من الأشياء ـ على حسب الذي يُحبُّ، إلا بمقارنة الرفق، ومفارقة العجلة.

[٧١٠] وأنشدَني المنتصرُ بن بلال الأنصاري:

الرفق ممن سيَلقَى اليُمْنَ صاحبُهُ ... والخُرْقُ منه يكون العُنْفُ والزللُ(٢)

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٠١٣)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٠٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٩٣)، وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، وصحَّحه العلَّامة الألباني، والعلَّامة شعيب الأرنؤوط.

(٢) **الخُرق**: السَّفه.

والحزمُ أن يتأنَّى المرءُ فرصتَه ... والكفُّ عنها إذا ما أَمْكَنَتْ فَشَلُ
والبِرُّ للَّهِ خيرُ الأمرِ عاقبةً ... واللَّهُ للبَرِّ عونٌ ما له مَثَلُ
خيرُ البريةِ قولًا خيرُهم عملًا ... لا يصلحُ القولُ حتى يصلحَ العملُ

[٧١١] وأنشَدَني منصور بن محمد الكريزي:

الرفقُ أيمنُ شيءٍ أنت تتبعُهُ ... والخرقُ أشأمُ شيءٍ يُقْدِمُ الرَّجُلَا
وذو التثبُّتِ مِن حَمْدٍ إلى ظَفَرٍ ... مَن يركبِ الرِّفقَ لا يستحقِبُ الزَّلَلا[١]

[٧١٢] حدثنا محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا محمد بن خلف البسَّامي:

عن أحمد بن موسى الأزرق أن ابنَه أنشده:

وزنِ الكلام إذا نطقت فإنما ... يبدي العقولَ أو العيوبَ المنطقُ
لا أُلفيَنَّك ثاويًا في غُربةٍ ... إن الغريبَ بكل سَهْمٍ يُرشَقُ
لو سار ألفُ مُدَجَّجٍ في حاجةٍ ... لم يَقضِها إلَّا الذي يترفقُ

قال أبو حاتم ﷺ: العاقلُ يلزمُ الرفقَ في الأوقات، والاعتدالَ في الحالات؛ لأن الزيادةَ على المقدار في المبتغَى عيبٌ، كما أن النقصانَ فيما يجبُ من المطلوب عجزٌ، وما لم يُصلِحْه الرفق لم يُصلِحْه العنف، ولا دليلَ أمهرُ من رفق، كما لا ظهيرَ[٢] أوثقُ من العقل، ومِن الرفق يكون الاحتراز، وفي الاحتراز تُرجى السلامة، وفي ترك الرفق يكونُ الخُرق، وفي لزوم الخُرْق تُخافُ الهلكة.

[٧١٣] ولقد أَنشَدَني الابرش:

عليك بوجهِ القصْد فاسلكْ سبيلَهُ ... ففي الجور إهلاكٌ وفي القصدِ مَسلكُ
إذا أنت لم تعرفْ لنفسِك قَدْرَها ... تُحَمِّلها ما لا تُطيقُ فتَهلِكُ

قال أبو حاتم ﷺ: الرافقُ لا يكادُ يُسبق، كما أن العَجِل لا يكاد يَلْحق، وكما أن مَن سكت لا يكادُ يندم، كذلك مَن نطق لا يكاد يَسلم،

---

(١) **يستحقب**: يدَّخِر ويحوي.

(٢) **الظَّهير**: المُعين.

والعَجِل يقولُ قبل أن يَعلَم، ويُجيبُ قبل أن يَفهم، ويَحمدُ قبل أن يُجرِّب، ويذمُّ بعدما يَحمد، ويَعزمُ قبل أن يفكِّر، ويمضي قبل أن يَعزِم، والعَجِلُ تصحبه الندامة، وتعتزلُه السلامة، وكانت العرب تكنِّي العَجلة: «أم الندامات»!.

[٧١٤] ولقد أنشَدَني بعض أهل العلم:

العجز ضُرٌّ وما بالحزم من ضررٍ ... وأحزمُ الحزم سوءُ الظنِّ بالناسِ[١]
لا تتركِ الحزمَ في أمرٍ تُحاذرُهُ ... فإن أمِنتَ فما بالحزم من باسِ

[٧١٥] أخبرنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب، قال:

كان يقال: لا يُوجد العَجولُ محمودًا، ولا الغضوبُ مسرورًا، ولا الحُرُّ حريصًا، ولا الكريمُ حسودًا، ولا الشَّرِهُ غنيًّا، ولا المَلولُ ذا إخوان».

[٧١٦] وأنشَدَني محمدُ بن عبد الله البغدادي:

إذا ما أتيتَ الأمرَ من غير بابِهِ ... تَصَعَّبَ حتى لا تَرى فيه مُرْتَقى
وإن الذي يصطاده الفَخُّ إن عتا ... على الفخ كان الفخُّ أعتى وأضيقَا

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العجَلةُ تكون من الحِدَّة، وصاحبُ العجلة إن أصاب فرصتَه لم يكن محمودًا، وإن أخطأها كان مذمومًا.

والعَجِلُ لا يسير إلا مناكبًا للقصد[٢]، منحرفًا عن الجادَّة، يلتمسُ ما هو أنكدُ وأوعَرُ وأخفى مَسَارًا، يَحكُمُ حُكْمَ الوَرْهاء[٣]، ويُناسِبُ أخلاقَ النساء.

[٧١٧] ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري: حدثنا الغلَّابي: حدثنا مَهديُّ بن سابق، قال:

قال خالدُ بن بَرْمك: «مَن استطاع أن يمنعَ نفسه من أربعةِ أشياء،

---

(١) يقصد: الاحتراس منهم.
(٢) المُناكِب: الحائد المنحرف.
(٣) الورهاء: الحمقاء.

فهو خليقٌ ألَّا ينزلَ به كبيرُ مكروه: العجَلة، واللَّجاجة[1]، والعُجب، والتواني، فثمرةُ العجلة الندامة، وثمرةُ اللَّجاجة الحَيرة، وثمرةُ العُجب البِغضة، وثمرةُ التواني الذل».

قال أبو حاتم ﷺ: العجَلةُ موكَّلٌ بها الندم، وما عَجِل أحدٌ إلا اكتسب ندامةً، واستفاد مذِمَّةً؛ لأن الزللَ مع العجل، والإقدامُ على العمل بعد التأني فيه: أحزمُ من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه.

ولا يكونُ العجولُ محمودًا أبدًا، والعاقلُ يعلمُ أن العجز في الأمور يقومُ في النقصِ مقامَ الإفراط في السعي، فيتجنَّبهُما معًا، ويجعلُ لنفسه مَسلكًا بينهما.

[٧١٨] ولقد حدثَنا الحسنُ بن سفيان: حدثنا أبو الدرداء ـ عبد العزيز بن مُنيب ـ: حدثني إبراهيمُ بن عاصم، قال: سمعت صَدقةَ يقول:

سمعت الشَّمَرْدَل يقول: «نَكَح العجزُ التواني، فولَّد الندامة».

قال أبو حاتم ﷺ: سببُ النجاح تركُ التواني، ودواعي الحرمان الكسل؛ لأن الكسل عدوُّ المروءة، وعذابٌ على الفتوَّة، ومِن التواني والعجز أُنتجت الهلكة، وكما أن الأناةَ بعد الفرصةِ أعظمُ الخطأ، كذلك العجلةُ قبل الإمكان نفس الخطأ[2]، والرشيدُ من رَشَد عن العجَلة، والخائبُ مَن خاب عن الأناة، والعجِل مخطئٌ أبدًا، كما أن المتثبِّتَ مصيبٌ أبدًا.

[٧١٩] حدثني محمد بن عثمان العَقَبي: حدثنا محمد بنُ الحسن المصري: حدثني نُعيم بن حمَّاد: حدثنا ابن المبارك:

حدّثنا مَعْمَر قال: «كتب عمرٌو إلى معاوية ـ يعاتبُه في التأني ـ: أما

(١) اللَّجاجة: المجادلة والغضب.

(٢) أي: كما أن الإنسان إذا واتته فُرصُ الخير، فتأنَّى فيها ولم يغتنِمْها، فهو منتهى الخطإ ـ إذ إنه تضييعٌ للخيرات ـ، كذلك مَن لم تتضح أمامه الأمور، فتعجَّل ولم يتثبَّت، فهو خطأٌ مماثل.

بعد، فإن التفهُّمَ في الخير زيادةٌ ورُشد، وإنه مَن لا ينفعُه الرفقُ يضرُّهُ الخُرْق، ومَن لا تنفعه التجاربُ لا يُدرِكُ المعاني - أو قال: المعالي -، ولا يبلغُ الرجلُ مبلغَ الرأي حتى يغلب حِلمُه جَهلَه، وصبرُه شهوتَه، ولا يُدرِكُ ذلك إلا بقوةِ الحِلم».

٧٢٠ وانشَدَني محمد بن حبيب الواسطي:

بُنيَّ إذا ما ساقَك الضرُّ فاتئِدْ ... فلَلرِّفقُ أولى بالأريبِ وأحرَزُ[١]
فلا تَحمَينَّ عند الأمور تعزُّزًا ... فقد يُورِثُ الذلَّ الطويلَ التعززُ[٢]

٧٢١ اخبرني محمد بن المنذر: حدثنا إسماعيلُ بنُ إسحاق: حدثنا سليمانُ بنُ حرب: حدثنا حماد، عن أيوب، قال:

قال أكثمُ بن صَيفي: «ما يسرُّني أني نزلتُ بدارِ مَعجزةٍ فأسمنتُ وألبنت[٣]، قيل له: لِمَ؟ قال: لأني أخافُ أن أتخذ العَجْزَ عادةً».

٧٢٢ وانشَدَني المنتصر بن بلال الأنصاريُّ:

وعليك في بعض الأمورِ صعوبةٌ ... والرفقُ للمستصعَباتِ مُدانُ[٤]
وبحُسنِ عقلِ المرء يثبُتُ حالُه ... وعلى المَغَارسِ تُثمِرُ العِيدانُ[٥]

٧٢٣ حدثنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا مهدي بن سابق:

عن عبد الله بن عيَّاش، عن أبيه قال: «شَهِد أعرابيٌّ عند معاوية بشهادة، فقال معاويةُ: كذبتَ، فقال الأعرابي: إن الكاذب لَلمُتزمِّل في ثيابك[٦]، فقال معاوية: هذا جزاءُ مَن يَعْجَل».

(١) الأريب: العاقل الفطن. أحرز: أحصنُ وآمَن.
(٢) تحميَّن: تغضبن. التعزُّز: الترفع.
(٣) أي: سمِنت دوابي وكثُر لبنها.
(٤) مُدان: مقرب منها وميسرها.
(٥) المغارس: الأرض الصالحة للغَرْس.
(٦) يقصد معاوية رضي الله عنه.

٣٩

ذِكرُ الحثِّ على تعلُّم الأدب ولزومِ الفصاحة

٧٢٤ حدثنا الحُسين بن إدريس الأنصاري: أنبأنا أحمد بن أبي بكر، عن مالك، عن زيد بن أسلم:

عن ابن عمرَ [رضي الله عنهما] قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن من البيان لَسِحرًا»**[1].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: قد شبَّه النبيُّ ﷺ - في هذا الخبر - البيانَ بالسحر؛ إذ الساحرُ يستميلُ قلبَ الناظر إليه بسِحره وشعوذته، والفصيحُ الذَّرِبُ اللسان[2] يستميلُ قلوبَ الناس إليه بحُسن فصاحته ونَظْمِ كلامه، فالأنفُسُ تكون إليه تائقة[3]، والأعينُ إليه رامقة[4].

٧٢٥ ولقد حدثَنا أبو خليفة: حدثنا أبو محمد التَّوَّزي النحوي: حدثنا عبد الله بن صالح: حدثنا حبَّان بن عليٍّ، قال:

سمعت ابنَ شُبرمة يقول: «ما رأيتُ لباسًا على رجلٍ أحسنَ من فصاحة، ولا على امرأةٍ [أحسنَ] من شحم، وإن الرجلَ ليتكلمُ فيُعرب، فكأنَّ عليه الخزَّ الأدكن[5]، وإن الرجل ليتكلمُ فيَلحن فكأنَّ عليه

---

(١) **صحيح**: رواه مالك (١٧٨٣)، والبخاري (٥٧٦٨)، وأبو داود (٥٠٠٧)، وابن حِبَّان (٥٧٩٥).

(٢) **الذرِب**: الطليق البليغ.

(٣) **تائقة**: محبة.

(٤) **رامقة**: ناظرة.

(٥) **الخز الأدكن**: الحرير الغليظ - وهو أنفس الحرير -.

أسمالًا[١]، وإن أحببت أن يصغرَ في عينك الكبير، ويكبُرَ في عينك الصغير؛ فتعلَّمِ النحو»[٢].

٧٢٦ وأنشَدَني الكُريزي:

أكرِمْ بذي أدبٍ أكرِمْ بذي حسبٍ فإنما العزُّ في الأحسابِ والأدبِ
والناسُ صِنفان: ذو عقلٍ وذو أدبٍ كمَعدِنِ الفضة البيضاءِ والذهبِ
وسائرُ الناس من بينِ الورى هَمَج كانوا مواليَ أو كانوا من العَرَبِ

٧٢٧ وأنشَدَني البسَّامي:

ليس المُسَوَّدُ مَنْ بالمال سؤدُدُهُ بل المسوَّدُ مَن قد ساد بالأدبِ
لأنَّ مَن ساد بالأموال سؤدُدُهُ ما دام في جمع ذا الأموالِ والنَّشَبِ[٣]
إن قلَّ يومًا له مال يصيرُ إلى هُونٍ من الأمر في ذُلٍّ وفي تعبِ[٤]

قال أبو حاتم ﷺ: الفصاحة أحسنُ لباسٍ يلبسُه الرجل، وأحسن إزارٍ يتَّزرُ به العاقل، والأدبُ صاحبٌ في الغربة، ومؤنسٌ في القِلَّة[٥]، ورفعةٌ في المجالس، وزَينٌ في المحافل، وزيادةٌ في العقل، ودليلٌ على المروءة، ومَن استفاد الأدبَ في حداثته، انتفع به في كِبَرِهِ؛ لأن من غَرَس فَسيلًا[٦]، يوشكُ أن يأكل رُطَبَها، وما يستوي عند أُولي النُّهى، ولا يكون سيَّانِ عند ذوي الحِجى رجلين: أحدُهما يلحن، والآخرُ لا يلحن.

٧٢٨ ولقد حدثنا الحسينُ بن محمد بن مُصعب السنجي: حدثنا أبو داود: حدثنا عبد الله بن بكر بن حبيب: حدثنا أبي:

عن سَلْم بن قُتيبة قال: «كنتُ عند ابن هُبيرة، فجرى الحديث،

---

(١) **الأسمال**: الثياب البالية القديمة.
(٢) راجع ـ متفضلًا ـ كتابي: «منزلة اللسان العربي، ودوره الهام في سيادة الأمة».
(٣) **النَّشَب**: العقار.
(٤) **الْهُون** ـ بضم الهاء ـ: الهوان والذل.
(٥) **القِلَّة**: قلة الأصدقاء.
(٦) **الفَسيل**: الشجر الصغير.

حتى ذكروا العربية، فقال: واللهِ ـ يا أمير المؤمنين ـ ما استوى رجلانِ حسَبُهما واحد، ومروءتُهما واحدة، أحدُهما يلحن، والآخرُ لا يلحن، إلَّا كان أفضلُهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن.

قال: فقلتُ: أصلح اللهُ الأمير، هذا أفضلُ في الدنيا لفضل فصاحته وعربيَّته، أرأيت الآخرة، ما بالُه فُضِّل فيها؟ قال: إنه يقرأُ كتابَ اللهِ على ما أنزل اللهُ جلَّ وعلا، والذي يلحنُ يحملُه لحنُه على أن يُدخِلَ في كتاب اللهِ جلَّ وعلا ما ليس فيه، ويُخرِجَ منه ما هو فيه، قال: قلت: صدق الأميرُ وبَرَّ».

[٧٢٩] وأنشَدَني محمد بن عبد الله البغدادي:

أيها الطالبُ فخرًا بالنَّسبْ ... إنما الناسُ لأمٍّ ولأبْ
هَلْ تراهم خُلقوا من فضةٍ ... أو حديدٍ أو نُحاسٍ أو ذهبْ؟
أو تَرى فَضْلَهم في خلْقهم ... هل سوى لحمٍ وعظمٍ وعَصَبْ؟
إنما الفضلُ بحِلمٍ راجحٍ ... وبأخلاقٍ كِرامٍ وأدبْ
ذاك مَن فاخَر في النَّاس بهِ ... فاق مَن فاخَر منهم وغلبْ

[٧٣٠] وأنشَدَني محمد بن نصر بن نَوفل، قال:

أنشَدَني عبد العزيز بن أحمد بن بكَّار ـ إمامُ مسجدِ مكة ـ:

ما حُلَّةٌ نُسجت بالدُّرِّ والذهبِ ... إلا وأحسنُ منها المرءُ بالأدبِ

[٧٣١] حدثَنا محمدُ بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا أحمد بن محمد المسروقي: حدثنا محمد بن الحسين البُرجُلاني: حدثنا أبو عمر العمري:

حدَّثني عبد الله بنُ سلمةَ بنِ مِرداس، عن أبيه قال: «قال لي رجلٌ من حكماء الفُرس: أقربُ القرابة المودَّةُ الدائمة، وأفضلُ ما ورَّث الآباءُ الأبناءَ حُسنُ الأدب».

قال أبو حاتم ﵁: أفضلُ ما ورَّث أبٌ ابنًا: ثناءٌ حسن، وأدبٌ نافع.

والخَرَسُ عندي خيرٌ من البيان بالكذب، كما أن الحصورَ[1] خيرٌ من العاهر.

فيجبُ على العاقل أن يُذْكِيَ[2] قلبه بالأدب، كما يُذكِيَ النارَ بالحطب؛ لأن مَن لم يُذْكِ قلبَه رانَ حتى يَسْوَدَّ.

ومَن تعلم الأدب فلا يتخذْه للمماراة عُدَّةً، ولا للمباراة ملجأً، ولكن يقصدُ قصدَ الانتفاع بنفسه، وليستعينَ به على ما يقرِّبُه إلى بارئه.

[٧٣٢] ولقد أَنشَدَني عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

أدبُ المرء كلحم ودم ... ما حواه رجلٌ إلَّا صَلَخْ
لو وَزنتم رجلًا ذاً أدبٍ ... بألوفٍ من ذوي الجهلِ رَجَحْ

[٧٣٣] أنبأنا أحمد بن بشر الكرْجي: حدثنا محمود بن الخطاب: حدثنا رُستَه - عبد الرَّحمٰن بن عمر - قال:

سمعت عبد الرَّحمٰن بنَ مهديٍّ يقول: «ما ندمتُ على شيءٍ كندامتي أني لم أنظرْ في العربية».

[٧٣٤] سمعتُ إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضي يقول:

سمعت ابنَ أخي الأصمعي يقول: سمعت عمِّي يقول: «تعلَّموا النحو، فإن بني إسرائيل كفَروا بكلمةٍ واحدة، كانت مشدَّدةً فخفَّفوها، قال اللهُ: «يا عيسى، إني ولَّدْتُك»، فقرؤوا: «يا عيسى، إني ولَدْتُك» - مخفَّف - فكفروا».

[٧٣٥] حدثنا الحسينُ بن إسحاق الأصبهاني: حدثنا أبو أمية: حدثنا عبد الله بن صالح:

حدَّثنا أبو زيدٍ النحْوي قال: «جاء رجلٌ إلى الحسن، فقال: ما

---

(١) **الحصور** - هنا -: العاجز عن إتيان النساء، وتأتي بمعنى: الممتنع عن إتيان النساء - وإن كان قادرًا على إتيانهنَّ -.

(٢) **يُذكي**: يُوقد ويشعل.

تقول في رجلٍ ترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن: ترك أباهُ وأخاه، قال الرجل: فما لأباهُ ولأخاه؟ فقال الحسن: فما لأبيه ولأخيه؟ فقال الرجل: كلَّما تابعتُك خالفتَ!».

قال أبو حاتم ﷺ: لا زِينةَ أحسنُ من زينةِ الحسب، كما أنَّ مِن أجمل الجمالِ استعمالَ الأدب، ولا حُسنَ لمن لا أدبَ له، ومَن كان مِن أهل الأدب ـ ممن لا حسَبَ له ـ يبلغُ به أدبُه مراتبَ أهل الأحساب؛ لأن حُسنَ الأدب خَلَفٌ من الحسب.

وليست الفصاحةُ إلا إصابةَ المعنى والقصْدِ، ولا البلاغةُ إلا تصحيحُ الأقسام، واختيارَ الكلام.

ومِن أحمدِ الفصاحة: الاقتدارُ عند البداهة، والغَزَارة عند الإطالة[1]، وأحسنُ البلاغة وضوحُ الدلالة، وحُسنُ الإشارة.

[٧٣٦] ولقد سمعتُ محمدَ بن نصر بن نوفل المروزي يقول: سمعت أبا داود السنجي يقول:

سمعت الأصمعي يقول: «ليست البلاغةُ بخفَّةِ اللسان، ولا كثرةِ الهذيان، ولكن بإصابةِ المعنى والقصْدِ إلى الحاجة، وإنَّ أبلغَ الكلام ما لم يكن بالقرويِّ المجدَّع، ولا البدوي المعرَّب[2]».

[٧٣٧] وانشَدَني الكُريزي:

ولم أرَ فضلًا تَمَّ إلَّا بشيمةٍ ... ولم أرَ عقلًا صحَّ إلا على أدبِ
ولم أرَ في الأعداء حين اختبرتُهم ... عدوًّا لعقلِ المرء أعدى من الغضبِ

[٧٣٨] حدثنا عمرُو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا عبيد الله بن محمد بن حفص العائشي، قال:

---

(١) أي: القُدرة على الكلام فجأةً دون تفكير، والإكثارُ منه عند الاحتياج.
(٢) المُجدَّع: المقطَّع. المُعرَّب: الحوشي الغريب. واللهُ أعلم.

قال المدائني: «ذُكر عند عليِّ بن عبد الله بن عباس بلاغةُ رجلٍ من أهلِه، فقال: إني لأكره أن يكونَ مِقدارُ لسانه فاضلًا على مِقدار علمه، كما أكره أن يكون مقدارُ علمه فاضلًا على مقدارِ عقله».

قال أبو حاتم ﷺ: الكلامُ مثلُ اللؤلؤ الأزهر[١]، والزبرجدِ الأخضر والياقوتِ الأحمر، إلَّا أن بعضَه أفضلُ من بعض، ومنه ما يكونُ مثلَ الخزف والحجَر والتراب والمَدَر.

وأحوجُ الناسِ إلى لزوم الأدب وتعلُّم الفصاحة: أهلُ العلم؛ لكثرة قراءتهم الأحاديث، وخوضِهم في أنواع العلوم.

[٧٣٩] ولقد سمعت محمدَ بن نصر بن نوفل يقول: سمعت أبا داود السنجي، يقول: حدثني سهل بن هانئ، قال:

سمعتُ الأصمعي يقول: «إن أخوفَ ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرفِ النحو أن يدخل فيما قال النبيُّ ﷺ: **«مَنْ كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مَقعدَه من النار»**[٢]؛ لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكن لحَّانًا، ولم يلحنْ في حديثه، فمهما رويتَ عنه ولحنتَ فيه، كذبتَ عليه».

[٧٤٠] وأنشدَني ابن زنجي البغدادي:

ليس الفتى كلُّ الفتى ... إلا الفتى في أدبهْ
وبعضُ أخلاقِ الفتى ... أولى به مِن نسبهْ
حَتفُ امرئٍ لسانُهُ ... في جِدِّه أو لَعِبهْ
بين اللُّهَى مقتلُه ... رُكِّبَ في مركَبهْ[٣]

---

(١) **الأزهر**: المضيء المتلألئ.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٧٨)، والبخاري (١٠٧)، ومسلم (١٠٢)، وأبو داود (٣٦٥١)، والترمذي (٢٦٥٩)، وابن ماجه (٣٠)، عن عدة من الصحابة الكرام ﷺ.

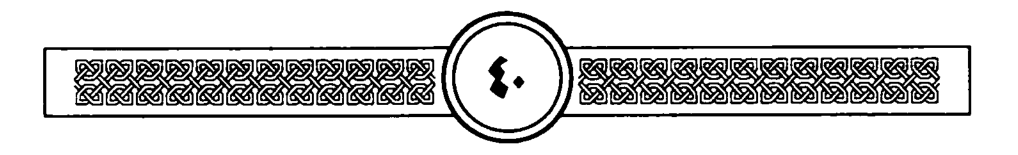
(٣) **اللُّهى**: قطعة من اللحم التي تكون في أعلى الفم.

[٧٤١] سمعت أحمد بن الخطَّاب بن مهران بـ«تُسْتَر» يقول: سمعت عثمانَ بنَ خُرْزَاذَ يقول: سمعت عليَّ بن الجعْد يقول:

سمعتُ شعبةُ يقول: «مَثَلُ الذي يطلبُ الحديث ولا يعرفُ النحو: مَثَلُ الدابَّة عليها المِخلاة[1]، ليس فيها شيءٌ!».

---

(١) **المِخلاة**: شِوال الأمتعة.



ذِكرُ إباحةِ جَمْعِ المالِ للقائم بحُقوقه

[٧٤٢] حدثنا أحمدُ بنُ محمد بنِ الحسين ـ ابن بنت الحسن بن عيسى بن ماسَرْجِس ـ حدثنا جدي: حدثنا ابن المبارك: أنبأنا موسى بن عليٍّ بن رباح، عن أبيه، عن أبي قيس ـ مولى عمرو بن العاص ـ:

عن عمرو بن العاص [ﷺ]: أن رسولَ الله ﷺ قال: **«يا عمرُو، نِعِمَّا المالُ الصالحُ للرجلِ الصالحِ»**[1].

قال أبو حاتم ﷺ: هذا الخبرُ يصرِّحُ عن النبي ﷺ بإباحة جمع المال من حيث يجبُ ويحلُّ للقائم فيه بحقوقه؛ لأن في تقرينِه الصلاح بالمال والرجلِ معًا[2] بيانًا واضحًا بأنه إنما أباح في جمع المال الذي لا يكونُ بمحرَّمٍ على جامعه، ثم يكون الجامعُ له قائمًا بحقوق الله فيه، ولقد ذكرتُ هذه المسألةَ بتمامها ـ بالعلل والحكايات ـ في كتاب «الفضل بين الغنى والفقر»، بما أرجو الغُنيةَ فيها لمن أراد الوقوفَ على معرفتِها، فأغنى ذلك عن تكرارِها في هذا الكتاب.

[٧٤٣] وأنشَدَني منصورُ بن محمدٍ الكُريزي:

إذا كان ما جمَّعتَ ليس بنافعٍ فأنتَ وأقصى الناسِ فيه سواءُ
على أن هذا خارجٌ من آثامِهِ وأنت الذي تُجزى به وتُساءُ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٠٢)، ورواه في «فضائل الصحابة» (١٧٤٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٧)، وأبو يعلى (٧٣٣٦)، وابن حبان (٣٢١١)، **وصحَّحه العلَّامة شعيب الأرنؤوط على شرط مسلم.**

(٢) يقصد: وصف المال والرجل بالصلاح.

٧٤٤ أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس: حدثنا الحسنُ بن محمد بن الصبَّاح: حدثنا أبو عبَّاد: حدثنا شعبةُ، عن قتادةَ قال: سمعت مُطَرِّفَ بن عبد الله بن الشِّخِّير يحدِّث:

عن حكيمِ بن قيسِ بن عاصمٍ، عن أبيه: «أنه أوصى بَنيهِ عند موتِه، فقال: عليكم بالمال واصطناعِه؛ فإنه مَنبَهةٌ للكريم، ويَستغني به عن اللئيم، وإياكم ومسألةَ الناس؛ فإنها آخِرُ كسبِ الرجل».

قال أبو حاتم ﷺ: إنَّ مِن أحسن ما يَنتفعُ المرء به في عمره وبعد الممات: تقوى الله، والعملُ الصالح.

فالواجبُ على العاقل: أن يعملَ في شبابه فيما يُقيم به أَوَدَهُ[1]، كالشيءِ الذي لا يفارقُه أبدًا، وفيما يَصلُحُ به دينُه كالشيءِ الذي لا يجدُه غدًا، وليكنْ تعاهدُهُ لماله ما يُصلحُ به معاشَه، ويصونُ به نفسَه، وفي دينِه ما يقدِّمُ به لآخرته، ويُرضي به خالقَه.

والفاقةُ خيرٌ من الغِنى بالحرام، والغنيُّ الذي لا مروءة له أهونُ من الكلب، وإن هو طُوِّقَ وخُلْخِل.

٧٤٥ حدثني محمد بن عثمان العقبي: حدثنا عمرانُ بن موسى بن أيوب: حدثني أبي: حدثنا عيسى بن يونس، عن محمد بن سُوقة:

عن محمد بن المنكدِر قال: «نِعمَ العونُ على تقوى الله: الغِنى».

٧٤٦ وأنشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

أرى كلَّ ذي مالٍ يسودُ بمالِهِ	وإن كان لا أصلٌ هناك ولا فصلُ
وآخرُ منسوبًا إلى الرأي خاملًا	وأنْوَكَ مجهولًا لهُ الجاه والنُّبْلُ
فلا ذا بفضلِ الرأي أدرك بُلغةً	ولم أرَ هذا ضَرَّه النَّوْكُ والجهلُ[2]

٧٤٧ وأنشَدَني منصور بن محمد الكُريزي ليحيى بن أكثم:

إذا قَلَّ مالُ المرءِ قَلَّ بهاؤُهُ	وضاقت عليه أرضُهُ وسماؤُهُ

---

(١) الأَوَد: القوة.

(٢) النَّوْك: الحُمق.

وأصبح لا يدري ـ وإن كان حازمًا ـ أَقُـدَّامُـه خـيـرٌ لـه أم وراؤه!!
ولم يَمضِ في وجهٍ من الأرض واسع من الناس إلا ضاق عنه فضاؤُهُ
وأصبـح مـردودًا عـلـيـه مـقـالُـهُ وكـان بـه قـد يَـقـتـدي خـطـباؤُهُ
وإن يَـبـقَ لـم يـضْـرُرْ عـدوًّا بـقـاؤُهُ وإن يَـفْـنَ لـم يُـفـقـدْ لـخـيرٍ فَـنـاؤُهُ

[٧٤٨] حدثني محمد بن المهاجر: حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري، عن سليمان بن أبي شيخ:

حدّثني الزُّبيريُّ قال: مرَّ عمرُ بن الخطاب بمحمدِ بن مَسلَمةَ وهو يغرس وَدِيًّا(١). فقال: ما تصنعُ ـ يا ابن مَسلمة ـ؟ قال: ما ترى، أستغني عن الناس، كما قال صاحبكم أُحيحةُ بن الجُلاح:

استَغْنَ أو مُت فلا يَغْرُرْكَ ذو نَشَبٍ مِن ابن عمٍّ ولا عمٍّ ولا خالِ(٢)
إني أظَلُّ على الزَّوراءِ أَعْمُرُها إن الحبيبَ إلى الإخوانِ ذو المالِ

[٧٤٩] أنبأنا محمد بن المنذر: حدثنا عليُّ بن عبد الرَّحمٰن:

عن عَبْدانَ قال: «دخلت على عبد الله المبارك ـ وهو يبكي ـ، فقلت له: ما لك ـ يا أبا عبد الرَّحمٰن ـ؟ قال: بضاعةٌ لي ذهبتْ، قال: قلتُ: أو تبكي على المال؟ قال: إنما هو قِوامُ ديني».

قال أبو حاتم ﷺ: إن مِن أسعدِ الناس: مَن كان في غناه عفيفًا، وفي مسكنتِه قنِعًا؛ لأن مَن نزل به الفقرُ لم يجد بُدًّا مِن ترك الحياء، والفقرُ يَسلُب العقل والمروءة، ويُذهب العلم والأدب، وكاد الفقرُ أن يكون كفرًا، ومَن عُرف بالفقر صار مَعْدِنًا للتهمة، ومَجْمعًا للبلايا، اللهم إلا أن يُرزق المرءُ قلبًا نقيًّا قنِعًا، يرى الثوابَ المدَّخر من الضجَر الشديد(٣)، فحينئذٍ لا يُبالي بالعالَم

---

(١) **الوديُّ**: النخل الصغير. (٢) **النَّشب**: الثروة.

(٣) المراد ـ والله أعلم ـ أن العاقلَ ينظر إلى العاقبةِ المدخرة من الغِنى ـ وهي ما يتبعُه ذلك من حقوقٍ لا بد أن يؤديها للناس، وكثرةِ حاجةِ الخلق إليه ـ يرى أن كل هذا يؤدِّي به إلى الضجر وشَغل البال، فحينها لا يعبأُ بالفقر، ولا يلتفتُ إلى انتقاص =

بأسرهم والدنيا وما فيها؛ والفقر داعيةٌ إلى المهانة، كما أن الغنى داعيةٌ إلى المهابة.

[٧٥٠] ولقد أحسن الذي يقول:

يغطِّي عيوبَ المرءِ كثرةُ مالِهِ ... وصُدِّقَ فيما قال وهو كذوبُ
ويُزْري بعقل المرء قِلَّةُ مالِهِ ... يُحَمِّقهُ الأقوامُ وهو لبيبُ[1]

[٧٥١] أنبأنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي: حدثنا النمِرُ بن قادم: حدثنا حمادُ بن زيد:

عن أيوبَ قال: «قال لي أبو قِلابة: يا أيوب، الزَمْ سُوقَك؛ فإنك لا تزالُ كريمًا على إخوانك ما لم تحتجْ إليهم».

[٧٥٢] وأنشدَني العَقبي: أَنشَدَني محمد بن خلف التيمي بالكوفة:

كأنَّ مُقِلًّا حين يغدو لحاجةٍ ... إلى كلِّ مَن يلقى مِن الناس مذنبُ
وكان بنو عمي يقولون: مرحبًا ... فلما رأوني مُعْدِمًا مات مرحبُ!

[٧٥٣] وأنشدَني الكُريزي:

لَعمرُك إن المالَ قد يجعل الفتى ... نسيبًا وإن الفقر بالمرءِ قد يُزري
ولا رفَعَ النفسَ الدنيئةَ كالغنى ... ولا وضع النفسَ الكريمةَ كالفقرِ

[٧٥٤] حدثنا محمد بن يحيى العمِّي بـ«بغداد»: حدثنا الصَّلتُ بن مسعود: حدثنا حمادُ بن زيد:

حدّثنا أيوبُ قال: «قال لي أبو قِلابة: الزَمِ السوق؛ فإن الغِنى من العافية».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: ليس خَلَّةٌ هي للغنيِّ مدحٌ إلا وهي للفقير عيبٌ؛ فإن

= الخلق له بسبب فقره. هذا ما تبدَّى لي في معنى هذه الجملة، وإن كنتُ غيرَ مقتنعٍ بها تمامًا. واللهُ أعلم.

(١) **يُحمِّقُه**: يتهمونه بالحمق.

كان الفقير حليمًا قيل: «بليد»، وإن كان عاقلًا قيل: «مكّار»، وإن كان بليغًا قيل: «مِهذار»[1]، وإن كان ذكيًّا قيل: «حديد»[2]، وإن كان صموتًا قيل: «عَيِيٌّ»[3]، وإن كان متأنيًا قيل: «جبان»، وإن كان عارمًا[4] قيل: «جريء»، وإن كان جوادًا قيل: «مسرف»، وإن كان مقَدِّرًا[5] قيل: «مُمْسِك».

وشرُّ المال ما اكتُسب من حيث لا يَحِلُّ، وأُنفق فيما لا يَجْمُل، ووجودُه وعدمُه ليسا بتجلُّدٍ ولا بكثرةِ حِيلة، ولكنه أقسامٌ ومواهبُ من الخلَّاق العليم.

[٧٥٥] ولقد أَنشَدَني الأبرش:

يشقى رجالٌ ويشقى آخرون بهم ... ويُسعِدُ اللَّهُ أقوامًا بأقوامِ
وليس رِزقُ الفتى من حُسن حيلتِهِ ... لكن جُدودٌ بأرزاقٍ وأقسامِ[6]
كالصيد يُحْرَمُهُ الرامي المُجيدُ وقد ... يَرمي فيُرزَقُهُ مَن ليس بالرامي

[٧٥٦] حدثني محمد بن سعيد القزَّاز: حدثنا أحمدُ بن داود بن موسى العطَّار: حدثنا أحمد بن نصرٍ العدَني: حدثنا المندني، قال:

قال أبو قيس بن معدِيكرب ـ وكان له أحدَ عشرَ ذَكرًا ـ: «يا بَنِيَّ، اطلبوا هذا المال أجملَ الطلب، واصرِفوه في أحسن مذهب، صِلُوا به الأرحام، واصطنِعوا به الأقوام[7]، واجعلوه جُنَّةً[8] لأعراضكم، تحسُنُ في الناس قالَتُكم[9]، فإنَّ جَمْعَه كمالُ الأدب، وبذلَه كمالُ المروءة، حتى إنه ليُسوِّدُ غيرَ السيد، ويقوِّي غير الأيِّد[10]، وحتى إنه ليكونُ في أنفُس الناس نبيهًا، وفي أعينهم مَهيبًا.

---

(١) المهذار: كثير الكلام الفارغ.
(٢) حديد: شديد غليظ.
(٣) العيِيُّ: البليد.
(٤) العارم: القوي الحازم. وفي بعض المطبوعات: «حازمًا».
(٥) المقدِّر: المضيِّق.
(٦) الجدود: الحظوظ.
(٧) أي: اجعلوا لكم به فضلًا عن الناس.
(٨) الجُنة: الستر والوقاية.
(٩) القالة: السيرة.
(١٠) الأيِّد: القوي.

ومَن جَمَع مالًا فلم يَصُن عِرضًا، ولم يُعطِ سائلًا، بحث الناسُ عن أصله؛ فإن كان مدخولًا هتكوه، وإن كان صحيحًا نسبوه، إما إلى عِرْضٍ دنيَّة، وإما إلى لَوْصِ لئيم حتى يُهَجِّنوه»[١].

[٧٥٧] حدثني مطهَّرُ بن يحيى بن ثابت بـ«واسط»: حدثنا أحمد بن سِنان القطَّان: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم:

عن علقمةَ قال: «سمع رجلٌ صوتًا في غمام: اذهَبي إلى أرضِ فلانٍ فاسقيه، قال: فقال الرجل: لآتيَنَّ فلانًا هذا، فلأنظرن ما يعملُ في أرضه! فأتاه ـ وقد مُطِر فيها وهو قائمٌ يفتحُ الأواعي[٢] ـ، فسلَّم عليه، وقال: يا عبد الله، أخبرني ما تعملُ في أرضكِ هذه؟ قال: أنظرُ إلى ما أخرج اللهُ منها، فأردُّ فيها ثُلُثَه، وأتصدَّقُ بثُلُثِه، وآكلُ أنا وعيالي ثلثَه.

قال عَلقمة: فكان ابنُ مسعود يبعثُني إلى أرضٍ له بـ«زاذان»[٣] أفعلُ فيها مثل ذلك»[٤].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: إن شرَّ المال ما لا يُخرَجُ منه حقوقُه، وإن شرًّا منه ما أُخذ مِن غير حِلِّه، ومُنع منه حقَّه، وأُنفق في غير حلِّه، واستثمارُ المال قِوامُ المعاش.

ولا بد للمرء من إصلاح ماله، وما ارتفع أحدٌ قط عن إصلاح ماله صالحًا كان أو طالحًا.

---

(١) **اللَّوْص**: الاستدارةُ حول الشيء لمعرفة من أين يُقلع ويُستأصل، فالمقصود: أن هذا الإنسان يبحثُ لك من كل جانبٍ عن شيءٍ منكرٍ ليُلصِقَه بك. **والتهجين**: العيب.

(٢) **الأواعي**: جمع «وِعاء».

(٣) **زاذان**: موضع قرب الرقَّة من ديار مُضر. قاله الحموي في «معجم البلدان»، وقد ورد في المطبوعات التي عندي «زازان» ـ بزايَينِ ـ، والظاهرُ أنه خطأ، وقد جوَّدها ياقوت كما أثبتُّها هنا. واللهُ أعلم.

(٤) ثبت نحو هذا الكلام في حديث مرفوع للنبي ﷺ، فانظره في: «مسند الإمام أحمد» (٢/ ٢٩٦)، و«صحيح مسلم» (٢٩٨٤)، و«صحيح ابن حِبَّان» (٣٣٥٥).

ولا يجبُ للعاقل أن يعتمدَ على مجاورةِ نِعم الله عنده، فلا يقضي منها حقوقَها؛ لأن من أساءَ مجاورة نِعَم الله أساءت مجاورته، وتحوَّلت عنه إلى غيره.

[٧٥٨] ولقد أَنشَدَني ابن زنجي البغدادي:

فإن كنتَ في خيرٍ فلا تَغْتَرِرْ بهِ ... ولكنْ قل: اللهمَّ سَلِّم وتمِّم
فمن لم يَصُنْ عِرْضًا إذا ما استفاده ... ويشكرْ لأهل الخير يُسْلَبْ ويُذْمَمِ[١]

[٧٥٩] حدثنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي:

أنشَدَنا مهديُّ بن سابق:

ورُبَّ مُمَلَّكٍ مالًا كثيرًا ... ولكنْ حَظُّهُ منه قليلُ
يعيشُ بفضلِهِ هذا وهذا ... وقد سالت به فيه سُيولُ
له منه الذي يحيا عليه ... بعيشتِهِ وسائرُه فضولُ

[٧٦٠] حدثنا أحمد بن الحسين الحرازي بـ«الموصل»: حدثنا أحمد بن سِنان القطَّان: حدثنا كثيرُ بن هشام، عن عيسى بن إبراهيم، عن معاوية بن عبد الله:

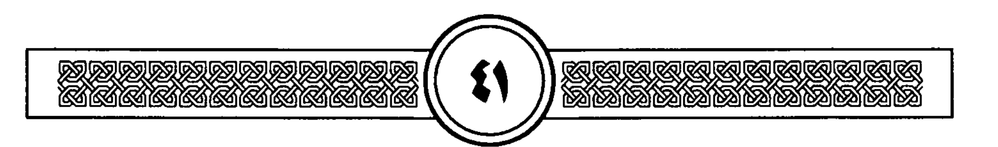
عن كعبٍ قال: «أولُ مَن ضرب الدينارَ والدرهمَ آدمُ ﷺ، وقال: لا تَصلُحُ المعيشةُ إلا بهما»[٢].

قال أبو حاتم ﵁: قد ذكرتُ ما شاكل هذه الحكاياتِ في كتاب «السخاء والبذل»، فأغنى ذلك عن تكرارِها في هذا الكتاب.

---

(١) يُسلب: يُمنع عنه المال. يذمَم: يُسبُّ ويعاب.
(٢) إسرائيليات، اللهُ أعلم بصحَّتها.





ذِكرُ الحثِّ على إقامةِ المروءات

[٧٦١] حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضي، وعبد الله بن محمود بن سليمان السَّعدي، قالا: حدثنا عبد الوارث بن عُبيد الله العتكي: حدثنا مسلمُ بن خالد الزنجي، عن العلاء بن عبد الرَّحمٰن، عن أبيه:

عن أبي هريرة [ﷺ] قال: قال النبي ﷺ: **«كرمُ الرجل دينُه، ومروءتُهُ عقلُه، وحَسَبُه خُلُقُه»**(١).

قال أبو حاتم ﷺ: صرَّح النبيُّ ﷺ في هذا الخبر بأن المروءةَ هي العقل، و«العقلُ» اسمٌ يقعُ على العلم بسلوك الصوابِ واجتناب الخطأ(٢).

فالواجب على العاقل: أن يلزم إقامةَ المروءة بما قَدِر عليه من الخصال المحمودة، وتركِ الخلال المذمومة.

وقد نبغتْ نابغةٌ اتَّكلوا على آبائهم، واتَّكلوا على أجدادهم في الذِّكر والمروءات، وتعرَّوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم.

---

(١) **ضعيف:** رواه أحمد (٢/ ٣٦٥)، وابن حِبَّان (٤٨٣)، والحاكم (١/ ١٢٣)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ١٣٦)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (١)، **وصحَّحه الحاكم، وتعقبه الذهبي، وضعفه العلَّامة شعيب الأرنؤوط، والعلَّامة الألباني.** انظر: «الضعيفة» (٢٣٦٩)، وقد ورد نحوه عن عمران بن حصين ﷺ ـ موقوفًا عليه ـ **بسندٍ حسن عند الدارقطني (٣/ ٣٠٣).**

(٢) انظر ما قاله الإمام أبو حامد الغزَّالي ﷺ في «الإحياء» (١/ ٣٧٨ ـ بعنايتي)، تحت عنوان: «حقيقة العقل وأقسامه».

[٧٦٢] ولقد أَنشَدَني منصورُ بن محمد ـ في ذَمِّ مَنْ هذا نعتُه ـ:

إن المروءةَ ليس يدركُها امرؤٌ ... وَرِثَ المروءةَ عن أبٍ فأضاعها
أَمرتْه نفسٌ بالدناءة والخَنا ... ونَهَتْه عن طلب العُلى فأطاعها[١]
فإذا أصاب من الأمورِ عظيمةً ... يَبني الكريمُ بها المروءةَ باعها

[٧٦٣] وانشَدَني محمد بن إسحاق:

خساسةُ أخلاقِ الرجالِ تَشينُهم ... وقلَّ غَناءً عنهم النسَبُ المحْضُ
يصولون بالآباء في كل مشهدٍ ... وقد غَيَّبَت آباءَهم عنهمُ الأرضُ
طويلٌ تَبدِّيهم بمجدِ أبيهمُ[٢] ... وما لهم في المجدِ طُولٌ ولا عَرضُ

[٧٦٤] وانشَدَني الحسين بن أحمد البغدادي:

ليس الكريمُ بمن يُدَنِّس عِرضَهُ ... ويرى مروءتَه تكونُ ممن مضى
حتى يَشيدَ بناءه ببنَانه ... ويزينَ صالحَ ما أتوه بما أتى

قال أبو حاتم ﷺ: ما رأيتُ أحدًا أخسرَ صفقةً، ولا أظهرَ حسرةً، ولا أخيبَ قصدًا، ولا أقلَّ رُشدًا، ولا أحمقَ شعارًا[٣]، ولا أدنسَ دِثارًا[٤]، من المفتخِر بالآباء الكرام، وأخلاقهم الجِسام، مع تَعَرِّيه عن سلوك أمثالهم، وقَصْدِ أشباههم، متوهِّمًا أنهم ارتفعوا بمن قبلهم، وسادُوا بمن تقدَّمهم، وهيهات! أنَّى يسودُ المرءُ على الحقيقة إلا بنفسه؟! وأنَّى يَنْبُل في الدارين إلا بكَدِّه؟!.

[٧٦٥] ولقد أَنشَدَني البسَّامي:

وكم قائل: إني ابنُ بيتٍ، هو ابنُه ... وقد هَدَم البيتَ الذي مات عامرُهْ
فأودى عَمُودَاه، ورثَّت حِبالُه ... وأصلحَ أولادهُ، وأفسد آخرُهْ[٥]

---

(١) الخنا: الفحش.
(٢) تبدِّيهم: افتخارهم.
(٣) الشِّعار: الثوب الذي يلي الجسد.
(٤) الدِّثار: الثوب فوق الشِّعار.
(٥) أودى: هلك وضاع. عموداه: أنسابه. رثَّت: ذابت وفسدت.

[٧٦٦] وأنشَدَني الأبرش:

فإن قلتَ: لي آباءُ صدقٍ ومنصبٌ ... كريمٌ وإخوانٌ مضتْ وجدودُ
صدقتَ ولكن أنت هدَّمتَ ما بَنَوْا ... بكفِّك عمدًا والبناءُ جديدُ

[٧٦٧] وأنشَدَني محمد بن عبد الله البغدادي:

إن لم تكن بفِعَال نفسك ساميًا ... لم يُغْنِ عنك سُمُوُّ مَن تسمو بهِ
ليس القديمُ على الحديثِ براجع ... إن لم تَجِدْهُ آخذًا بنصِيبهِ
ولربَّما اقترب البعيدُ بوُدِّه ... وغدَا القريبُ مباعِدًا لقريبهِ

[٧٦٨] أنبأنا الحسين بن محمد بنِ مُصعب السنجي: حدثنا أبو داود السنجي: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر:

عن الحسن قال: «لا دينَ إلا بمروءة».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: اختلف الناسُ في كيفية المروءة:

[٧٦٩] فمِن قائلٍ قال: «المروءة ثلاثة: إكرامُ الرجل إخوانَ أبيه، وإصلاحُه مالَه، وقعودُه على باب داره».

[٧٧٠] ومن قائلٍ قال: «المروءة: إتيانُ الحق، وتعاهُدُ الضيف».

[٧٧١] ومن قائل قال: «المروءةُ: تقوى الله، وإصلاحُ الضَّيعة[١]، والغَداءُ والعشاء في الأفنية[٢]».

[٧٧٢] ومن قائلٍ قال: «المروءة: إنصافُ الرجل مَنْ هو دونه، والسموُّ إلى مَن هو فوقه، والجزاء بما أُتيَ إليه[٣]».

[٧٧٣] ومن قائلٍ قال: «مروءةُ الرجل: صدق لسانه، واحتماله عَثَرات جيرانه، وبذله المعروفَ لأهل زمانه، وكَفُّه الأذى عن أباعده وجيرانه».

[٧٧٤] ومن قائلٍ قال: «إن المروءة: التباعدُ من الخلُق الدَّنِيِّ فقط».

[٧٧٥] ومن قائلٍ قال: «المروءة: أن يعتزلَ الرجلُ الرِّيبة؛ فإنه إذا كان

---

(١) **الضيعة**: الأرض.
(٢) **الأفنية**: ساحات البيوت. والمقصود: لكي يراه الناس فيُطعمهم.
(٣) أي: ردُّ الجميل لمن أسداه له.

مريبًا كان ذليلًا، وأن يُصلِحَ مالَه؛ فإن مَن أفسد مالَه لم يكن له مروءة، والإبقاءُ على نفسه في مَطعمه ومشربه[١]».

[٧٧٦] ومن قائلٍ قال: «المروءة: حُسن العشرة، وحفظُ الفرج واللسان، وترك المرء ما يُعاب منه».

[٧٧٧] ومن قائلٍ قال: «المروءة: سَخَاوة النفس، وحُسن الخلق».

[٧٧٨] ومن قائلٍ قال: «المروءة: العِفَّة والحرْفة[٢]؛ أي: يَعِفُّ عما حرم الله، ويحترفُ فيما أحل الله».

[٧٧٩] ومن قائلٍ قال: «المروءة: كثرةُ المال والولد».

[٧٨٠] ومن قائلٍ قال: «المروءة: إذا أُعطيتَ شكرتَ، وإذا ابتُلِيت صبرتَ، وإذا قدَرْت غفرت، وإذا وعدتَ أنجزت».

[٧٨١] ومن قائلٍ قال: «المروءة: حُسنُ الحيلة في المطالبة، ورقَّةُ الظُّرف في المكاتبة».

[٧٨٢] ومن قائلٍ قال: «المروءة: اللطافة في الأمور، وجَودةُ الفِطنة».

[٧٨٣] ومن قائلٍ قال: «المروءة: مجانبةُ الرِّيبة[٣]؛ فإنه لا ينبُل مريبٌ. وإصلاح المال؛ فإنه لا ينبُل فقير. وقيامُه بحوائج أهل بيته؛ فإنه لا ينبُل مَن احتاج أهلُ بيته إلى غيره».

[٧٨٤] ومن قائلٍ قال: «المروءة: النظافة، وطِيبُ الرائحة».

[٧٨٥] ومن قائلٍ قال: «المروءةُ: الفصاحة والسماحة».

[٧٨٦] ومن قائلٍ قال: «المروءة: طلبُ السلامة، واستعطافُ الناس».

[٧٨٧] ومن قائلٍ قال: «المروءة: مراعاةُ العهود، والوفاء بالعقود».

[٧٨٨] ومن قائلٍ قال: «المروءة: التذلُّلُ للأحباب بالتملُّق[٤]، ومداراةُ الأعداء بالرِّفق».

---

(١) أي: الاقتصاد في الطعام والشراب، وعدم الشَّرَه.

(٢) الحرفة: العمل في أعمال الدنيا. (٣) الرِّيبة: أسباب التهمة وسوء الظن.

(٤) التملق: التودُّد والتحبب.

[٧٨٩] ومن قائلٍ قال: «المروءة: مَلاحةُ الحركة، ورقَّةُ الطبع».

[٧٩٠] ومن قائلٍ قال: «المروءةُ: هي المفاكَهة، والمباسمة».

[٧٩١] حدثنا الحسن بن سفيان: حدثنا سُويد بن سعيد: حدثنا مسلمُ بن عُبيد الله - أبو فِراس -، قال:

قال ربيعة: «المروءةُ مروءتان: فللسفر مروءةٌ، وللحضَر مروءةٌ: فأما مروءة السفر، فبذلُ الزاد، وقلَّةُ الخلاف على الأصحاب، وكثرةُ المزاح في غير مَساخط الله.

وأما مروءة الحضَر: فالإدْمَان إلى المساجد، وكثرةُ الإخوان في الله، وقراءة القرآن».

قال أبو حاتم ﷺ: اختلفت ألفاظُهم في كيفيةِ المروءة، ومعاني ما قالوا قريبةٌ بعضُها من بعض.

والمروءةُ عندي خَصلتان: اجتنابُ ما يكره اللهُ والمسلمون من الفعال، واستعمالُ ما يُحبُّ اللهُ ورسولُه من الخصال.

وهاتانِ الخصلتان يأتيانِ على ما ذكرنا قبلُ من اختلافهم، واستعمالهما هو العقلُ نفسه، كما قال المصطفى ﷺ: «**إن مروءةَ المرءِ عقلُه**»(١).

ومِن أحسن ما يَستعين به المرء على إقامة مروءته: المالُ الصالح.

[٧٩٢] ولقد أنشَدَني منصور بن محمد الكُريزي:

احتَلْ لنفسك - أيها المحتالُ - فمن المروءة أن يُرَى لك مالُ
كم ناطقٍ وسَط الرجالِ وإنما عنهم هناك تَكلَّمُ الأموالُ

قال أبو حاتم ﷺ: الواجب على العاقل: أن يقيمَ مروءته بما قدَر عليه، ولا سبيل إلى إقامةِ مروءته إلا باليسار من المال، فمَن رُزق ذلك وضَنَّ بإنفاقِه في إقامة مروءته، فهو الذي خَسِر الدنيا والآخرة، ولا آمَنُ أن تفجأه

(١) **لا أصل له**: وقد سبق بيان أنه لم يصحَّ في فضل العقل حديث.

المنيَّةُ فتسلبَه عما مَلَك كريهًا، وتُودِعَه قبرًا وحيدًا، ثم يرثُ المالَ بعدَهُ مَن يأكلُه ولا يحمدُه، وينفقُه ولا يشكره، فأيُّ ندامةٍ تشبه هذه؟ وأيُّ حسرةٍ تزيد عليها؟.

٧٩٣ ولقد أَنشَدَني محمد بن عبد الله البغدادي:

يا جامعَ المال في الدنيا لوارِثِهِ ... هل أنت بالمال قبل الموت منتفعُ؟
قدِّمْ لنفسك قبل الموت في مَهَلٍ ... فإنَّ حظَّك بعدَ الموت منقطعُ

٧٩٤ أنبانا المفضَّلُ بن محمد الجنَدي بـ«مكة»: حدثنا إسحاقُ بن إبراهيم الطبري: حدثنا أزهر، عن ابن عون:

عن ابن سيرين قال: «ثلاثةٌ ليست من المروءة: الأكلُ في الأسواق، والادِّهانُ عند العطَّار، والنظرُ في مِرآة الحجَّام».

٧٩٥ حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي: حدثنا سعيدُ بن يعقوب الطالْقاني: حدثنا هُشَيْمٌ، عن المُغيرة:

عن الشعبي قال: «ليس من المروءة النظرُ في مرآة الحجَّام».

٧٩٦ حدثنا محمد بن يحيى بن الحسن العمِّي بـ«بغداد»: حدثنا الصَّلتُ بن مسعود: حدثنا حمادُ بن زيد: حدثنا أيوب، قال:

سمعت أبا قِلابة يقول: «ليس من المروءة أن يربحَ الرجلُ على صديقه».

٧٩٧ وأنشَدَني البسَّامي:

اعلمْ بأنك ـ لا أبا لك ـ في الذي ... أصبحت تَجمعُهُ لغيرك خازنُ
إن المنيةَ لا تؤامِرُ مَنْ أتت ... في نفسه يومًا ولا تستأذنُ

٧٩٨ أنبانا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي:

حدَّثنا ابنُ عائشة، عن أبيه قال: «كان يقال: مجالسةُ أهل الديانة تجلو عن القلب صَدَأ الذنوب، ومجالسةُ ذوي المروءاتِ تدُلُّ على مكارم

الأخلاق، ومجالسةُ العلماء تُذكي القلوب[١]».

[٧٩٩] حدثني محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري، عن سليمان بن أبي شيخ: حدثنا محمد بن الحكم، عن أبي عوانة، قال:

قال معاوية بن أبي سفيان: «آفة المروءة إخوانُ السوء».

قال أبو حاتم ﷺ: والواجبُ على العاقل تفقُّدُ الأسباب المستحقَرة عند العوام مِن نفسه، حتى لا يَثلِمَ مروءته[٢]؛ فإن المحقَّراتِ من ضد المروءات تُؤذي الكاملَ في الحال بالرجوع في القَهْقَرَى إلى مراتب العوام وأوباش الناس.

[٨٠٠] ولقد حدثنا جعفر بن محمد الهمداني بـ«صور»، قال: سمعت طلحةَ بن إسحاق بن يعقوب، قال: سمعت موسى بن إسحاق الأنصاري يقول: سمعت عليَّ بن حكيم الأوْدي يقول:

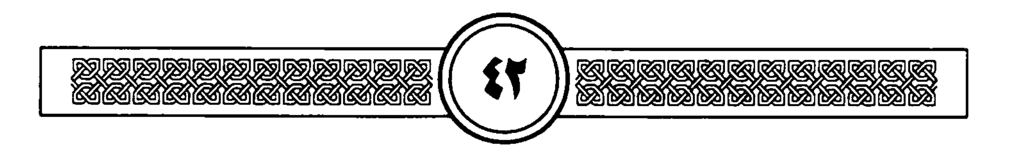
سمعت شَريكًا يقول: «ذلُّ الدنيا خَمسةٌ: دخول الحَمَّام سَحَرًا بلا كرنيب[٣]، وعبورُ المَعْبَر بلا قطعة[٤]، وحضورُ مجلس العلم بلا نسخة، وحاجةُ الشريف إلى الدنيِّ، وحاجةُ الرجل إلى امرأته».

[٨٠١] حدثنا أبو سعيد ـ الحسن بن أحمد الإصطخري ـ: حدثنا عبدُ الرَّحمٰن بن محمد بن منصور: حدثنا محمد بن عبد العزيز الرمْلي: حدثنا رِشدينُ بن سعد: حدثنا طلحةُ بن زيد، عن عكرمة:

عن ابن عباس [رضي الله عنهما] قال: «من قِلَّة مروءة الرجل: نظرُه في بيت الحائك، وحملُه الفَلُوسَ في كمِّه».

* * *

(١) تُذكي: تشعل جمرة الخير، ويصح «تُزكِّي» ـ بالزاي ـ.
(٢) يثلم: يُشوِّه.
(٣) كرنيب: الظاهر أنها نوعٌ من الثياب، وهي لفظة أعجميَّة، ولم أقف عليها.
(٤) لم أتبيَّنْها. ولعلها «قَطْعِهِ»، فيكون المراد: القفزُ من مَعبر النهر مرةً واحدةً دون عبوره متمهلًا! وحينها قد يَسقطُ في الماء فيَهلِك. والعلمُ عند الله تعالى.



ذِكرُ الحثِّ على لزوم السَّخاء ومجانبةِ البخل

[٨٠٢] أنبانا أحمدُ بن يحيى بن زهير بـ«تُسْتَرَ»: حدثنا الحسن بن عرفة بن يزيدَ العبدي: حدثنا سعيدُ بن محمد الورَّاق: حدثنا يحيى بن سعيدٍ الأنصاري، عن الأعرج:

عن أبي هريرةَ [ﷺ] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «السَّخيُّ قريبٌ من الله، قريبٌ من الناس، والبخيلُ بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الناس، ولَسَخيٌّ جاهلٌ، أحبُّ إلى الله من بخيل عابد»(١).

قال أبو حاتم ﷺ: إن كان حَفِظَ «سعيدُ بن محمدٍ» إسنادَ هذا الخبر، فهو غريبٌ غريب.

فالواجب على العاقل: إذا أمكنه اللهُ تعالى من حُطام هذه الدنيا الفانية، وعَلِم زوالَها عنه، وانقلابَها إلى غيره، وأنه لا ينفعُه في الآخرة إلا ما قدَّم من الأعمال الصالحة: أن يبلغ مجهودَه في أداء الحقوق في مالِه، والقيامِ بالواجب في أسبابه: مبتغيًا بذلك الثوابَ في العُقبى، والذِّكرَ الجميلَ في الدنيا؛ إذ السخاءُ مَحبَّةٌ ومحمدة، كما أن البُخل مَذِمَّةٌ ومَبغضة، ولا خيرَ في المال إلا مع الجود، كما لا خيرَ في المنطق إلا مع المَخبَر(٢).

---

(١) ضعيف جدًا: رواه الترمذي (١٩٦١)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٢٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٤٢٩)، وضعفه الإمام الترمذي، والحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/ ٤١٧)، وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٨٠)، والسيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (٣/ ٩١)، وضعفه ابن الجوزي والعُقيلي، وغيرهم كثير، وضعفه جدًّا العلَّامة الألباني. انظر: «الضعيفة» (١٥٤)، وضعَّفه العلَّامة شعيب الأرنؤوط، ومحقق «شعب الإيمان»، للبيهقي (١٣/ ٢٩٤).

(٢) أي: كما لا خيرَ في كلام عبدٍ إلا لو كانت سيرتُه حَميدةً.

[٨٠٣] ولقد أنشَدَني المنتصر بن بلال الأنصاري:

الجودُ مكرُمةٌ والبخلُ منقصةٌ ... لا يستوي البُخل عند اللّهِ والجودُ
والفقرُ فيه شخوصٌ والغِنى دَعَةٌ ... والناسُ في المال مرزوقٌ ومحدودُ(١)

[٨٠٤] حدثني محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا محمد بن الحسن الذُّهْلي: حدثنا محمد بن يوسف السَّدوسي: حدثنا أحمد بن خالد القُثَمي:

حدَّثنا سليمانُ ـ مولى عبد الصمد بن عليٍّ ـ: «أن المنصورَ ـ أمير المؤمنين ـ قال لابنه المَهديِّ: اعلم أن رضاءَ الناس غايةٌ لا تُدرك، فتحبَّبْ إليهم بالإحسان ـ جُهدَك ـ، وتودَّد إليهم بالإفضال، واقصِدْ بإفضالك موضعَ الحاجة منهم».

[٨٠٥] وأنشَدَني محمد بن إسحاق الواسطي:

أعاذلتيَّ اليومَ وَيَحْكُما مَهْلَا ... وكُفَّا الأذى عنِّي ولا تُكثِرَا العذلا
دعاني تَجُد كَفِّي بما ملكتْ يدي ... سأصبح يومًا أتركُ الجودَ والبُخلَا
إذا وضعوا فَوق الضريح جنادلًا ... عليَّ وخلَّفتُ المطيَّةَ والرحلَا(٢)
فلا أنا مُجتازٌ إذا ما نزلتُهُ ... ولا أنا لاقٍ ما ثويتُ به أهلَا

[٨٠٦] أنبأنا إبراهيمُ بن إسحاق الأنماطي: حدثنا لُوَين: حدثنا ابن أبي الزِّناد:

عن هشامِ بن عُروة قال: «كان أبي يقول: [ما نَقَص] مالُ قومٍ قطُّ أقاموا على ماء عذب».

[٨٠٧] حدثنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا بكر بن عامر الغرِّيُّ: حدثنا هشامُ بن محمد، عن أبيه:

عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «مَن آتاه اللهُ منكم مالًا، فلْيَصِلْ

---

(١) **الشُّخوص**: التطلُّع إلى ما عند الخلق. **والدَّعة**: الراحة.
(٢) **الجنادل**: الأحجار.

به القرابة، وليُحْسِنْ فيه الضِّيافة، وليَفُكَّ فيه العانيَ، والأسيرَ، وابنَ السبيل، والمساكينَ، والفقراءَ، والمجاهدين، وليَصبِرْ فيه على النائبة؛ فإن بهذه الخصال يَنالُ كرمَ الدنيا وشرفَ الآخرة».

قال أبو حاتم ﵁: أجودُ الجود مَن جاد بماله، وصان نفسَه عن مال غيره، ومَن جاد ساد، كما أن مَن بَخِل ذَل.

والجودُ حارسُ الأعراض، كما أن العفوَ زكاةُ العقل، ومِن أتمِّ الجود أن يتعرَّى عن المنَّة[١]؛ لأن مَن لم يمتنَّ بمعروفه فقد وفَّره[٢]، والامتنانُ يهدم الصنائع.

وإذا تعرَّت الصنيعةُ عن إزارٍ له طرفان ـ أحدهما: الامتنان، والآخر: طلب الجزاء ـ: كان من أعظم الجود ـ وهو الجودُ على الحقيقة ـ.

[٨٠٨] ولقد أَنشَدَني ابن زنجي:

يا رُبَّ عاذلةٍ في الجود قلتُ لها: أَقِلِّي؛ على اللَّهِ فيما أنفقُ الخُلْفَا

هَلْ من بخيل رأيتِ البُخلَ أخلدَه؟ أم هل رأيتِ جوادًا ميِّتًا عَجِفًا؟[٣]

لـمَّا رأتـني أُوتـي المال طالبَهُ ولا أُبالي تلادًا كان أم طِرْفَا[٤]

عدَّت سماحي تبذيرًا ولستُ أرى ما يُكسِبُ الحمدَ تبذيرًا ولا سَرَفَا

[٨٠٩] أنبأنا الحسنُ بنُ سفيان: حدثنا حِبَّانُ بن موسى، قال:

قسَّم ابن المبارك يومًا ـ بين إخوانه وأصحابِ الحديث ـ ألفَ درهم، ثم أنشأ يقول:

لا خيرَ في المال لكَنَّازِهِ إلَّا جوادِ الكفِ وهَّابِهِ

يفعلُ أحيانًا بزوَّارِهِ ما تفعلُ الخمرُ بشُرابِهِ

---

(١) أي: لا يذكرُ فضلَه على من تفضَّل عليه.

(٢) أي: حافظ على ثوابه عند ربِّه ﷻ.

(٣) **العجِف**: الضعيف الهزيل.

(٤) **التلاد**: القديم. **الطرف**: الجديد.

٨١٠ حدثنا محمد بن عثمان العقبي: حدثنا الحسين بن محمد:

عن ابن السَّمَّاك، قال: «يا عجبي لمن يَشتري المماليك بالثمن، ولا يشتري الأحرارَ بالمعروف!».

قال أبو حاتم ﷺ: إنَّ مِن أحسن خصالِ المرء: الجودَ من غير امتنانٍ، ولا طلبِ ثواب، والحلمَ من غير ضعفٍ ولا مهانة.

وأصلُ الجود: ترك الضَّنِّ بالحقوق عن أهلها، كما أن أصلَ تربية الجسد: ألَّا يُحمَلَ عليه في الأكل والشرب والباه[1]، فكما لا تنفعُ المروءةُ بغير تواضع، ولا الحفظُ بغير كفاية، كذلك لا ينفعُ العيشُ بغير مال، ولا المالُ بغير جُود، وكما أن القرابةَ تبعٌ للمودَّة، كذلك المَحمدةُ تبعٌ للإنفاق.

٨١١ أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار: حدثنا يحيى بن معين:

حدثنا المباركُ بنُ سعيدٍ الثوري، قال: «كان يقال: ثلاثٌ هن أحسنُ شيءٍ فيمن وُجِدَتْ فيه: تؤدةٌ في غير ذُل، وجُودٌ لغير ثواب، ونَصَبٌ لغير الدنيا».

٨١٢ حدثنا أبو يعلى بـ«الموصل»: حدثنا محمدُ بن الصبَّاح الدُّولابي: حدثنا إسماعيل بن زكريا:

عن عاصم الأحول قال: «قلتُ للحسن: ما معنى قوله ﷺ: **«اليدُ العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى»**[2]؟ قال: يدُ المعطي خيرٌ من يد المانع»[3].

---

(١) الباه: الجِماع.

(٢) **صحيح**: رواه مالك (١٨١٣)، وأحمد (٢/ ٤ ـ ٩٨)، والبخاري (١٤٢٩)، ومسلم (١٠٣٤)، وأبو داود (١٦٤٨)، والترمذي (٢٣٤٣)، والنسائي (٢٥٣٣)، عن عدَّةٍ من الصحابة الكرام ﷺ.

(٣) وهذا التفسير ورد مرفوعًا في بعض رواياتِ الحديث المذكور، وهي رواية ابن عمر ﷺ عند أحمد (٢/ ٦٧ ـ ٩٨)، والبخاري (١٣٦٢)، ومسلم (١٠٣٣). . . وغيرهم.

٨١٣ حدثنا أبو خليفة: حدثنا ابن كثير: أنبأنا سفيان، عن الأعمش، عن ذَكْوان وعبد الله بن ضمرة:

عن كعبٍ قال: «مَن أحبَّ للهِ، وأبغض للهِ، وأعطى للهِ، ومنع للهِ: فقد استكمل الإيمان»(١).

٨١٤ وأنشدَني الكُريزي ليحيى بن أكثم:

ويُظهرُ عيبَ المرءِ في الناس بُخلُهُ ... ويسترُهُ عنهم جميعًا سخاؤُهُ
تَغَطَّ بأثوابِ السخاء فإنني ... أرى كلَّ عيبٍ والسخاءُ غِطاؤُهُ

٨١٥ أخبرنا عمرُ بن محمد الهمداني: ثنا زيد بن أخزم: ثنا سَلْم بن قتيبة:

ثنا مُباركُ بن فَضَالة: «أن الحسن قَلَع ضِرسَه الحجَّامُ، فأعطاه درهَمًا، فقيل: إنه يرضى بنِصف درهم! فقال: أعطوه درهَمًا؛ فإن المسلمُ لا يُقاسِمَ المسلمَ درهَمًا».

٨١٦ وأنشدَني أحمد بن محمد بن عبد الله اليماني ـ لبعض القرشيين ـ:

سأبذلُ مالي كلَّما جاء طالبٌ ... وأجعلُهُ وَقفًا على القَرْضِ والفَرضِ
فإما كريمًا صُنتُ بالجود عِرْضَهُ ... وإما لئيمًا صُنتُ عن لؤمِهِ عِرضي

٨١٧ وأنشدَني كامل بن مكرَّم ـ أبو العلاء ـ:

أنشدَني هلالُ بنُ العلاء بن عمر الباهلي:

ملأتُ يدي من الدنيا مرارًا ... فما طَمِع العواذلُ في اقتصادي
وما وجبتْ عليَّ زكاةُ مالٍ ... وهل تَجبُ الزكاةُ على الجوادِ؟

قال أبو حاتم ﷺ: البخلُ شجرةٌ في النار أغصانُها في الدنيا، مَنْ تعلَّق بغصنٍ من أغصانها جرَّه إلى النار، كما أن الجودَ شجرةٌ في الجنة أغصانُها في

---

(١) ورد هذا الكلام في حديث صحيح مرفوع للنبي ﷺ، رواه أحمد (٣/٤٣٨)، وأبو داود (٤٦٨١)، والترمذي (٢٥٢١)؛ عن عدة من الصحابة الكرام ﷺ، وحسنه الإمام الترمذي والعلَّامة الألباني، وصحَّحه العلَّامة شعيب الأرنؤوط.

الدنيا، فمن تعلَّق بغصنٍ من أغصانها جرَّه إلى الجنة، والجنةُ دار الأسخياء.

والبخيلُ يقال له ـ في أول درجته ـ: «البخيل»، فإذا عتا وطغى في الإمساك يقال له: «الشحيح»، فإذا ذمَّ الجودَ والأسخياء يقال له: «اللئيم»، فإذا صار يحتجُّ للبخلاء ويعذِرُهم في فِعالهم يقال له: «الملائم».

وما اتَّزر رجلٌ بإزارٍ أهتكَ لعِرضِه، ولا أثلمَ لدينه من البُخل:

[٨١٨] ولقد أَنشَدَني محمد بنُ إسحاق الواسطي:

لكلِّ همٍّ منَ الهموم سَعَةْ ... والبخلُ واللؤمُ لا فلاحَ مَعَهْ
قد يَجمعُ المالَ غيرُ آكلِهِ ... ويأكلُ المالَ غيرُ مَن جَمَعَهْ
اقْبَلْ من الدهرِ ما أتاك بهِ ... مَن قَرَّ عينًا بعيشِهِ نَفَعَهْ

[٨١٩] سمعت الخطابي بـ«البصرة» يقول:

سمعت أبا حاتم السِّجستاني يقول: «سأل كسرى: أيُّ شيءٍ أضرُّ على ابن آدم؟ قالوا: الفقر. قال: الشحُّ أضرُّ منه؛ إن الفقير إذا وجد اتَّسع[1]، وإن الشحيحَ لا يتَّسِعُ إذا وَجد».

[٨٢٠] أنبأنا إبراهيمُ بن محمد بن يعقوب: حدثنا ابن أبي القَعْقاع، قال:

قال أبو الهُذيل: «كنتُ عند يحيى بن خالد البَرْمَكي، فدخل عليه رجلٌ هندي، ومعه مترجمٌ له، فقال المترجِم: إن هذا رجلٌ شاعر، قد حاول مِدحَتك، فقال يحيى: لِينشدْ. فقال الهندي:

أرَهِ أصَرَهِ كَكَرا كي كَرِهِ مَنْدَرِهِ

فقال يحيى للمترجم: ما يقول؟ قال: يقول:

إذا المكارمُ في آفاقِنا ذُكِرَتْ ... فإنما بك يُضرَبُ المثلُ

قال: فأمر له بألفِ دينار».

(١) اتسع: تصدق.

٨٢١ وانشَدَني عبد الرَّحمٰن بن محمد المقاتِلي:

إذا المرءُ لم يُدنَّسْ من اللؤم عِرضُهُ فكلُّ رِداءٍ يرتديهِ جميلُ
إذا قلتَ «لا» في كل شيءٍ سُئلتَه فليس إلى حُسن الثناءِ سبيلُ

٨٢٢ وانشَدَني عمرو بن محمد الأنصاري: أَنشَدَني الغلّابي:

أنشَدَني مهديُّ بن سابق:

يا مانعَ المالِ كم تَضِنُّ بهِ تطمع باللّهِ في الخلودِ مَعَهْ؟
هل حَمَل المالَ ميتٌ معه؟ أم تراه لغيره جَمَعَهْ؟

٨٢٣ انبانا عِمرانُ بن موسى السَّختياني: حدثنا سليمانُ بن مَعبد المروزي: حدثنا عثمانُ بن صالح: حدثنا ابن وهب: أخبرني يحيى بنُ أيوب، عن أبي عليٍّ الغافقي: سمع عامرَ بنَ عبد الله اليَحصُبي، قال:

كان ابنُ منبِّهٍ يقول: «أجودُ الناس في الدنيا مَن جاد بحقوق الله[1]، وإنْ رآه الناس بخيلًا بما سوى ذلك، وإن أبخلَ الناس في الدنيا مَن بخل بحقوق الله، وإن رآه الناس كريمًا جوادًا بما سوى ذلك».

٨٢٤ وانشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

رُبَّ مالٍ سيَنعَمُ الناسُ فيهِ وهو عن ربِّه قليلُ الغَناءِ[2]
كان يَشقى به ويَنصَبُ فيهِ ثم أضحى لمعشرٍ غرباءِ
ما له عندهم جزاءٌ إذا ما نُعِّموا فيه غيرُ سُوءِ الثناءِ
رُبَّ مالٍ يكون ذمًّا وغَمًّا وغنيٍّ يُعدُّ في الفقراءِ

٨٢٥ حدثنا احمدُ بن الحسن بن أبي الصغير المدائني: حدثنا الربيع بن سليمان، قال:

سمعت الشافعيَّ ﷺ يقول: «كان أبو حاتمٍ ـ يعني: الطائيَّ ـ

(١) أي: أنفق أعمارَه في إقامةِ حقوق الله تعالى.
(٢) ربُّه: صاحبه.

سخيًا، وكان يضعُ الأشياء مواضعها، وكان حاتمٌ مبذِّرًا، فاجتمع يومًا عند أبيه أصحابُه، فشكا إليهم حاتمًا، قال: واللهِ ما أدري ما أصنع؟ لا يأخذُ شيئًا إلا بَذَّره، فاجتمع رأيُهم على ألَّا يُعطيَه شيئًا سنةً، قال: فأقام أبوه، ولم يُمكِّنْه من شيءٍ سنةً ـ مع ما هو فيه من الضُّر ـ، فلما مضت السَّنةُ، أمر له بمئة ناقةٍ حمراء، قال: فلما وَقَفَتْ عليه قال حاتم: مَن أحب شيئًا فهو له، حتى أخذوها كلَّها، فدعاه أبوه، فقال له: أيْ بُني، ماذا تصنع؟ قال: واللهِ يا أبي لقد بلغ الجوعُ مني شيئًا، لا يسألُني أحدٌ شيئًا إلا أعطيتُه إياه».

[٨٢٦] وانشَدَني عبد العزيز بن سليمان:

تَجودُ بالمال على وارثٍ ... ولا ترى أهلًا له نفسَكا!
قدَّمَ حُسنَ الظنِّ باللَّهِ مَنْ ... جادَ، وسوءَ الظنِّ مَن أمسَكا

[٨٢٧] انبانا عمرو بن محمد: حدثنا الغلابي: حدَّثنا ابن عائشة قال:

كان عمرُ بن عبد العزيز كثيرًا ما يتمثلُ بهذا الشِّعر ويُعجِبُه:

وما تزوَّدَ مما كان يَجمعُهُ ... إلا حَنوطًا غَداةَ البين معْ خِرَقِ[1]
وغيرَ نَفْحةِ أعوادٍ تُشدُّ لهُ ... وقَلَّ ذلك مِن زادٍ لمنطلِقِ

[٨٢٨] انبانا أبو يعلى: حدثنا يحيى بن أيوب المقابري: حدثنا حماد بن زيد: حدثنا أيوب:

عن نافعٍ قال: «مَرِض ابنُ عمر بالمدينة، فاشتهى عِنبًا بغير زمانِه، قال: فطلبوه، فلم يجدوه إلَّا عند رجل، فاشترى منه سَبْع حبَّاتٍ بدرهم، فجاءهم سائلٌ، فأمر له به، ولم يذُقْه».

قال أبو حاتم رحمه الله: ما رأيتُ أحدًا مِن الشرق إلى الغرب ارتدى برداءِ الجود، واتَّزرَ بإزارِ تركِ الأذى، إلا رَأس أشكالَه وأضدادَه، وخَضع له

---

(١) **الحَنوط**: العِطرُ يُوضع في كفن الميت. **غَداة البين**: صبيحة الرحيل.

الخاصُّ والعام، فمن أراد الرفعةَ العالية في العُقبى، والمرتبةَ الجليلةَ في الدنيا، فلْيلزمِ الجودَ بما مَلَك، وتَرْكَ الأذى إلى الخاص والعام، ومَن أراد أن يُهتك عِرضُه، ويُثلَمَ دينه، ويَمَلَّه إخوانُه، ويستثقلَه جيرانُه: فليلزم البخل.

ولقد ذمَّ البخلَ أهلُ العقل في الجاهلية والإسلام إلى يومنا هذا.

[٨٢٩] فمنه ما أنشَدَني محمد بن عبد الله البغدادي:

كأنما نُقِرَتْ كَفَّاه مِن حَجَرِ فليس بين يديه والنَّدَى عملُ
يرى التيمُّمَ في بحرٍ وفي بلدٍ مخافةَ أن يُرى في كَفِّه بلَلُ!

[٨٣٠] وأنشَدَني عمرو بن محمد: أَنشَدَني الغلَّابي:

أنشَدَنا مَهديُّ بن سابق:

لو أنَّ دارك أنبتت لكَ واحْتَشَتْ إبَرًا يَضيقُ بها فِناءُ المنزلِ
وأتاك يوسفُ يستعيرُك إبرةً ليَخِيطَ قَدَّ قميصِه لم تَفعلِ[١]!

[٨٣١] وأنشَدَني أحمد بن محمد بن أيوب:

وكَفَّاك لم يُخلقا للنَّدَى ولم يكُ بُخْلُهُما بِدْعَةْ
فكفٌّ عن الخيرِ مقبوضةٌ كما حُطَّ مِن مئةٍ سبعةْ
وأخرى ثلاثةُ آلافها وتسعُ مِئيها لها شِرْعةْ

[٨٣٢] سمعت محمدَ بن نصر بن نوفل المروزي يقول:

سمعت محمدَ بن صالح الوَرْكاني يقول: قيل للنَّضر بن شُميل: أيُّ بيتٍ قالتْه العربُ أسخى؟ قال: الذي يقول:

فلو لم تكن في كفِّه غيرُ رُوحِهِ لجادَ بها؛ فليتَّقِ اللَّهَ سائلُهْ

قال: وأيُّ بيت قالته العرب أبخلُ؟ فقال:

لو جُعِلَ الخردلُ في كفِّه ما سَقَطَتْ من كفِّه خردَلَةْ

---

(١) القَدُّ: القطع.

قال: وأيُّ بيت قالته العرب أهجى؟ فقال:

العَجْرَفيُّون لا يُوفُون ما وعدوا والعجرفيَّاتُ يُنجِزْنَ المواعيدَا

قال أبو حاتم رحمه الله: **الواجبُ على العاقل:** إذا لم يُعرف بالسماحة، ألَّا يُعرف بالبخل، كما لا يجب - إذا لم يُعرف بالشجاعة - أن يُعرف بالجُبن، ولا إذا لم يُعرف بالشهامة أن يُعرفَ بالمهانة، ولا إذا لم يُعرف بالأمانة أن يعرفَ بالخيانة، إذِ البُخلُ بِئسَ الشِّعارُ في الدنيا والآخرة، وشرُّ ما يُدَّخرُ من العمال في العُقبى.

[٨٣٣] حدثنا أحمد بن عمرو بن جابر بـ«الرَّمْلة»: حدثنا أبو عُتبة الحمصي - أحمد بنُ الفرج -: حدثنا ضَمرة: حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة، قال:

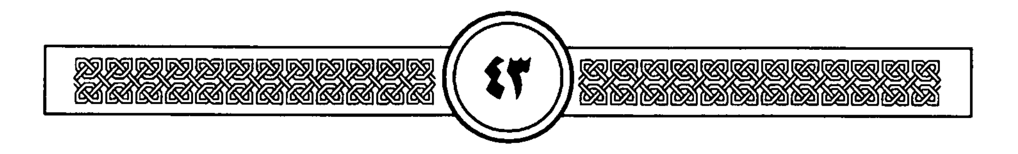
سمعت أمَّ البنين - أختَ عمرَ بن عبد العزيز - تقول: «أفٍّ للبخل، واللهِ لو كان طريقًا ما سلكتُه، ولو كان ثوبًا ما لَبِستُه».

[٨٣٤] حدثنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا العباس بن بكَّار عن الهذلي، قال:

قال الحسن: «مَن أيقن بالخُلْفِ[١] جاد بالعطيَّة».

---

(١) **الخُلف:** إخلاف اللهِ تعالى عليه.



ذِكرُ الزَّجرِ عن تركِ قَبول الهدايا منَ الإخوان

٨٣٥ حدثنا محمد بن صالح الطبري: حدثنا عبد الله بن عمران الأصبهاني بـ«الرَّي»: حدثنا يحيى بن ضُرَيس: حدثنا مسلم بن إبراهيم: حدثنا سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي وائل:

عن عبد الله [بن مسعودٍ ﷺ] قال: قال رسول الله ﷺ: **«أجِيبوا الداعي، ولا تردُّوا الهديَّة، ولا تضربوا المسلمين»**[1].

قال أبو حاتم ﷺ: زَجَر النبيُّ ﷺ في هذا الخبر عن ترك قبول الهدايا بين المسلمين؛ فالواجب على المرء ـ إذا أُهديت إليه هدية ـ أن يقبلَها ولا يردَّها، ثم يُثيبَ عليها إذا قَدِر، ويشكرَ عليها، وإني لأستحبُّ للناس استعمالَ بعثِ الهدايا إلى الإخوان بينهم؛ إذ الهديةُ تورِّثُ المحبة، وتُذهب الضغينة.

٨٣٦ ولقد حدثنا محمد بن المهاجر: حدثنا الدارمي: حدثنا عبد الله بن صالح: أنبأنا الليث، وقال:

سمعت عبدَ الملِك بنَ رفاعة الفهمي، يقول: «الهداية هي السِّحر الظاهر».

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٤٠٤)، وابن حِبَّان (٥٦٠٣)، وأبو يعلى (٥٤١٢)، والبزار (١٦٩٧)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٤٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٢٨)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٨٠): «رواه أحمد والطبراني في «الكبير»، ورجال أحمد رجال الصحيح»، وصحَّحه العلَّامة شعيب الأرنؤوط، والعلَّامة الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٨).

٨٣٧ حدثني إبراهيم بن أبي أميَّة بـ«طَرَسوس»: حدثنا حامد بن يحيى البَلْخي:

حدّثنا سفيانُ قال: «لمَّا قعد أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ قال للناس مُسَاورٌ الورَّاق:

كنَّا مِن الدِّين قبلَ اليوم في سَعةٍ ... حتى بُلينا بأصحابِ المقاييسِ
قومٌ إذا اجتمعوا صاحوا كأنهم ... ثعالبُ ضَبَحتْ بين النواويسِ[(١)]

قال: فبلغ ذلك أبا حنيفة، فبعث إليه بمالٍ، فقال مساورٌ حين قَبَض المال:

إذا ما الناسُ يومًا قايسُونا ... بآبدةٍ من الفتيا طريفةْ[(٢)]
أتيناهم بمقياسٍ صحيحٍ ... مصيبٍ من طرازِ أبي حنيفةْ[(٣)]
إذا سمِع الفقيهُ بها وعاها ... وأثبتها بحِبرٍ في صحيفةْ

٨٣٨ وأنشَدَني الكريزي:

إن الهديةَ حُلوةٌ ... كالسِّحرِ تَختلِبُ القلوبَا
تُدني البعيدَ عنِ الهوى ... حتى تُصيِّرَه قريبَا
وتُعيدَ مُضْطَغِنَ العَدا ... وةِ بعد بِغضتِهِ حبيبَا[(٤)]
تَنفي السَّخيمةَ عن ذَوِي الشَّـ ... ـحنا وتَمتحقُ الذنوبَا[(٥)]

٨٣٩ أنبانا الحسين بن إسحاق الأصبهاني بـ«الكرج»، وإبراهيمُ بن محمد الدستوائي بـ«تُستَر» قالا: حدثنا محمد بن عُبيدِ بن عُتبةَ الكِندي: حدثنا بكار بن أسود العيذي:

حدّثنا إسماعيلُ بن أبانَ قال: «بلغ الحسنَ بنَ عمارة أن الأعمشَ يقعُ فيه، فبعث إليه بكِسوةٍ، فلما كان بعدَ ذلك مدحه الأعمش، فقيل له:

---

(١) **الضُّباح**: صوت الثعالب. **النواويس**: قبور النصارى.
(٢) **الآبدة**: الداهية. والمقصود: المسألة المعضلة الشديدة.
(٣) **الطِّراز**: النوع.
(٤) **المضطغِن**: صاحب الحقد الدفين.
(٥) **السَّخيمة**: الحقد والغِل. **تَمتحق**: تسحق.

كيف تذمُّه ثم تمدحُه؟ قال: إنَّ خيثمةَ حدثني عن عبد الله قال: إن القلوب جُبلت على حبِّ مَن أحسن إليها، وبُغضِ مَن أساء إليها».

قال أبو حاتم ﷺ: قال لنا هذان الشيخانِ عن النبي ﷺ، وأنا أهابُه[١].

قال: والبَشر مجبولون على محبةِ الإحسان، وكراهيةِ الأذى، واتخاذ المحسنِ إليهم حبيبًا، واتخاذِ المُسيء إليهم عدوًّا.

فالعاقلُ يستعمل مع أهل زمانه لزومَ بعث الهدايا بما قدِر عليه، لاستجلاب محبَّتهم إياه، ويفارقُه تركُه[٢] مخافةَ بغضهم.

٨٤٠ ولقد أنشَدَني الأبرش:

هدايا الناسِ بعضِهمُ لبعضٍ ... تُولِّدُ في قلوبِهمُ الوِصالَا
وتزرعُ في الضمير هَوًى ووُدًّا ... وتكسوكَ المهابةَ والجلالَا
مصايدُ للقلوب بغير لَغْبٍ ... وتَمنحُك المحبةَ والجمالَا[٣]

٨٤١ حدثني محمد بن سعيدٍ القزَّاز: حدثنا عبد الله بن لقمان البهراني النجراني: حدثنا موسى بن أيوب: حدثنا خِداش بن المهاجر، عن الحسن بن دينار:

عن ابن سيرين قال: «كانوا يتهادَون الدراهم في الجُوالقات[٤] والأطباق».

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل: أن يستعملَ الأشياء على ما يوجبُ الوقت[٥]، ويَرضى بنفاذ القضاء، ولا يتمنَّى ضد ما رُزق، وإن كان عنده

(١) يقصد الإمام أن هذا الحديث ورد مرفوعًا، وهو كذلك؛ لكنه موضوع: فقد رواه الخطيب البغدادي في «التاريخ» (٨/ ٣٢٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٢١)، والقضاعي (١/ ٣٥٠)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٦١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٨٩٨٤)، وحكم عليه بالوضع العلامة بشار عواد في تحقيق «تاريخ بغداد».

(٢) المعنى: أنه لا ينبغي أن يترك الهدايا لهم.

(٣) اللغَب: التعب والمشقَّة.

(٤) الجوالقات: الأوعية.

(٥) أي: يعمل في كل وقتٍ بما يناسبه.

الشيءُ التافهُ يجب ألَّا يَمتنعَ من بذله لاستحقاره واستقلاله؛ لأنَّ أهونَ ما فيه لزومُ البُخل والمنْع[1]، ومَن حَقَّر شيئًا مَنَعه، بل يكون عند الكثرةُ والقلَّةُ في الحالة سيَّانِ؛ لأن ما يورِّثُ الكثيرَ من الخصال أورث الصغيرَ بقدره من الفعال.

[٨٤٢] حدثنا عمرو بن محمد الانصاري: حدثنا الغلَّابي: حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب:

عن الأصمعي قال: «دخلنا على كَهْمَس العابد، فجاء بخمسةٍ وعشرين بُسرةٍ حمراء[2]، فقال: هذا الجَهدُ من أخيكم، واللهُ المستعان».

[٨٤٣] وأنشَدَني ابن زنجي:

إن المُنى عجبٌ للَّهِ صاحبُها ... لعلَّ حَتْفَ امرئٍ فيما تَمنَّاهُ
فإنْ ترى عبرًا فيهنَّ معتبَرٌ ... يَجري بها قدَرٌ فاللَّهُ أجراهُ
لا تحقِرنَّ مِن الإحسان مَحقرةً ... أحسِنْ فعاقبةُ الإحسان حُسناهُ[3]

[٨٤٤] حدثنا محمد بن أيوب بن مِشكان بـ«طبَرية قصبة الأُردن»: حدثنا أبو عتبة: حدثنا سلمة بن عبد الملك العَوْصي: حدثنا المعافَى بن عمران، قال:

سمعت ميمونَ يقول: «من رَضِيَ مِن خُلَّةِ الإخوان بلا شيءٍ، فليواخِ أهل القبور».

[٨٤٥] حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي: حدثنا محمد بن الوليد بن أبان العُقيلي: حدثنا نُعيم بن حماد، قال:

أنشَدَني ابن المبارك:

ما ذاق طَعْمَ الغِنى مَن لا قُنوعَ لهُ ... ولن ترى قانعًا ما عاش مفتقِرَا
والعُرفُ مَن يأته يَحمَدْ عواقبَه ... ما ضاع عُرْفٌ ولو أوليته حَجَرَا[4]

---

(١) أي: سيوصف بالبُخل.
(٢) البُسْر: البلحُ في أول مراحل نمُوِّه.
(٣) حُسناه: جنَّته، والضمير عائد على الله ﷻ.
(٤) العُرف: المعروف.

[٨٤٦] سمعت يوسف بن يونس الفَرْغَاني يقول:

بعث أبو السنوَّر ـ الشاعرُ ـ إلى الأمير أبي الأشعث بطبقِ وردٍ يوم النيروز هديةً[(١)]، وبعث إليه بهذه الأبيات:

بعثنا ببِرٍّ تافهٍ دون قَدرِكُمْ ... وما تبعثُ الألطاف للقُلِّ والكُثْرِ
ولكنَّ ظرفًا أن تزيدَ مودةً ... فهل تُكرِمُنا بالقبولِ وبالعُذْرِ؟
لو كان بِرِّي حَسْبَ ما أنت أهلُهُ ... أتاك إذًا رُوحي على طبقِ البُرِّ

[٨٤٧] سمعت عمرَ بن محمد الهمداني يقول:

سمعت وُرَيْزَة بنِ محمد الغسَّاني يقول: «قدم بعضُ الكتَّابِ العسكر، فأهدى إليه إخوانُه ـ وكان فيهم مَنْ قعدت به الحال ـ، فوجَّه إليه بدُقَّةٍ وأُشنان[(٢)]، وكتب إليه: لو تمَّت الإرادة ـ جُعلتُ فداءك ـ ببلوغ النيَّة فيه، وملَّكَتْني الجِدَةُ بَسْطَ القُدْرَة[(٣)]، لأتعبتُ السابقين إلى بِرِّك، ولبرَزتُ أمامَ المجتهدين في فضلك، ولكنَّ البضاعةَ قعدت بالهمة،

---

(١) لا يحلُّ للمسلمين الاحتفالُ بأعياد أهل الكفر المجرمين، ويومُ النيروز يوم من أيام الفُرس كانوا يُقيمون فيه احتفالاتهم الشركيةَ الكافرة، ولقد أغرقت هذه الأعيادُ المنكرةُ أرجاءَ الأرض، ولم يَسلم مِن خُبثها وشرِّها إلا أهل الإخلاص، ولقد امتدَّ أثرها ـ مع بالغ الأسى ـ إلى قلوب وعقولِ بعض «المتدينين»، فتراهم يذهبون إلى الشواطئ والمتنزَّهات ـ فرحين مبتهجين ـ في ما يسمى «شم النسيم» ـ وأمثاله ـ، ونسأله تعالى الوقايةَ من الفتن. وقد سئل الحسن البصري كَلَلله عن يوم النيروز، فقال: «ما لكم والنيروز! لا تلتفِتوا إليه، إنما هو للعجَم». وكتب عمر بن عبد العزيز كَلَلله لعبد الحميد بن عبد الرَّحمٰن: «وآمرُك ألَّا تأخذَ هديةَ النيروز والمهرجان». «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٤٣ ـ ٦/ ٤٣٦)، وقال زيادُ بن السكن: كان زُبيدٌ اليامي ـ وعدَّ جماعةً ـ إذا كان يومُ النيروز ويومُ المهرجان، اعتكفوا في مساجدهم، ثم قالوا: [ربَّنا]، إن هؤلاء قد اعتكفوا على كُفرهم، واعتكفنا على إيماننا؛ فاغفرْ لنا». «شعب الإيمان» (٣/ ٤٢٥).

(٢) **الدُّقَّة**: التراب اللَّينُ الذي نعَّمته الريح. **الأُشنان**: نوعٌ من المنظِّفات.

(٣) أي: لو كان لي غنًى أستطيعُ به الإنفاقَ كيف أشاء.

وقصُرت عن مُساماة أهلِ النعمة، وكرهتُ أن تُطوى صحيفةُ البِر، وليس [لي] فيها ذِكرٌ، فوجَّهتُ إليك بالمبتدإ به[١] ليُمنِهِ وبركته، وبالمختتم به[٢] لطِيبه ونفعه، مقتصرًا عن اسم التقصير فيه، فأما ما سوى ذلك فالمعبِّرُ عنِّي في قول الله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: ٩١]، والسلام».

٨٤٨ حدثنا محمد بن يوسف الأرمَني: حدثنا إبراهيمُ بن عبد العزيز الموصلي: حدثنا محمد بن عليِّ بن الفضل المديني: حدثنا عبد الله بن شُعيب الزبيري: حدثنا محمد بن إسحاق المسيَّبي، عن القاسم بن المعتمر:

عن حُميد بن معيوف، عن أبيه قال: كنتُ ممن شهِد الحَكَمَ بنَ حَنطب بـ«مَنْبِج»، وهو يريدُ أن يموت، وقد كان لقي منَ الموت شدة، فقلتُ ـ أو قال رجل ـ: اللهم هَوِّنْ عليه الموت، فلقد كان، ولقد كان ـ فأثنى عليه ـ، فأفاق من غَشيته، قال: مَن المتكلِّم؟ قال المتكلم: أنا. قال: إنَّ مَلَكَ الموت يقول: إني بكل رجلٍ سخيٍّ رفيقٌ، قال: ثم كأنَّ فتيلةً أُطفئت، فمات.

فبلغ ابنَ هَرْمَة ـ الشاعر ـ موتُه، فأنشأ يقول:

سألَوا عن المجدِ والمعروف أين هما؟ ... فقلت: إنهما ماتا مع الحكَمِ
ماتا مع الرجل الموفِّي بذمَّتِهِ ... يومَ الحِفاظِ إذا لم يُوْفَ بالذِّمَمِ[٣]
ماذا بمَنبجَ لو تُنبشُ مقابرُها ... من التهدُّم بالمعروفِ والكرمِ

٨٤٩ حدثنا محمد بن المهاجر: حدثنا محمد بن موسى السَّمَري:

عن حَمَّاد بن إسحاقَ بن إبراهيم، عن أبيه قال: «قيل للمغيرة بن

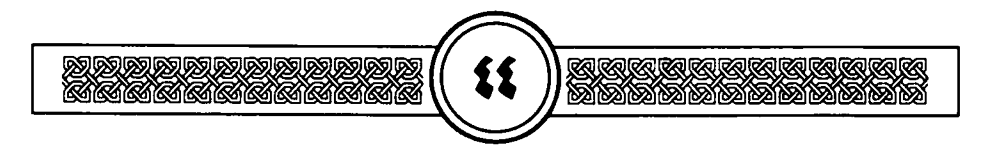
(١) يقصد التراب. (٢) يقصد الأشنان.
(٣) الذِّمم: العهود.

شعبة: ما بَقي من لذَّتك؟ قال: الإفضالُ على الإخوان. قيل: فمن أحسنُ الناس عَيشًا؟ قال: مَن عاش بعَيشهِ غيرُه[1]، قيل: فمن أسوأُ الناس عيشًا؟ قال: مَن لا يعيشُ بعَيشه أحدٌ[2]».

---

(١) أي: تصدق بماله، فانتفع الناس به.

(٢) يعني: البخيل.



ذِكرُ استحبابِ التفريج عن الناس بقضاءِ الحوائج

[٨٥٠] حدثنا أبو عمرو محمد بن محمود النسائي: حدثنا حُميد بن زنجويه: حدثنا محاضر بن المورِّع، عن الأعمش، عن أبي صالح:

عن أبي هريرةَ [رضي الله عنه] قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَن نَفَّس عن أخيه كُرْبَةً من كُرَبِ الدنيا، نَفَّس اللهُ عنه بها كربةً من كُرب يوم القيامة، ومَن يَسَّر على مُعسِرٍ، يَسَّر اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر على مسلم، سَتر اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، واللهُ في عون العبدِ ما كان العبدُ في عَون أخيه»**[١].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على المسلمين كافةً نصيحةُ المسلمين، والقيامُ بالكشف عن هُمومهم وكُرَبهم؛ لأنَّ من نَفَّس كربةً من كُرب الدنيا عن مسلم، نفَّس اللهُ عنه كُربةً من كُرب يوم القيامة، ومَن تَحرَّى قضاءَ حاجته ولم يُقْضَ قضاؤها على يديه، فكأنه لم يُقصِّرْ في قضائها[٢].

وأيسرُ ما يكون في قضاء الحوائج: استحقاقُ الثناء.

والإخوانُ يُعرفون عند الحوائج، كما أن الأهلَ[٣] تُختبرُ عند الفقر؛ لأنَّ كلَّ الناس في الرخاء أصدقاء. وشرُّ الإخوان الخاذلُ لإخوانه عند الشدَّة

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٥٢)، ومسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (٤٩٤٦)، والترمذي (١٤٢٥)، وابن ماجه (٢٢٥)، وابن حِبَّان (٥٣٤).

(٢) أي: من حاول قضاء حاجات إخوانه، ولم تُقْضَ على يديه، فإنه لم يقصِّر.

(٣) يقصد الزوجة.

والحاجة، كما أن شرَّ البلاد بلدةٌ ليس فيها خَصْبٌ ولا أمنٌ.

٨٥١ وأنشَدَني الكُريزي:

خيرُ أيامِ الفتى يومُ نَفَعْ ... واصطناعُ العُرفِ أبقى مُصطَنَعْ
ما يُنالُ الخيرُ بالشر ولا ... يَحصِدُ الزارعُ إلا ما زَرَعْ
ليس كلُّ الدهرِ يومًا واحدًا ... ربما انحط الفتى ثم ارتَفَعْ

٨٥٢ حدثنا محمدُ بن سليمان بن فارس: حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي: حدثنا بشر بن عمر: حدثنا الربيع، قال:

كان الحسنُ [البصريُّ] يقول: «قضاءُ حاجةِ أخٍ مسلم أحبُّ إليَّ من اعتكافِ شهرين»[١].

٨٥٣ وأنشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

سابِقْ إلى الخيرِ وبادرْ بهِ ... فإنَّ مِن خَلفِكَ ما تعلمُ
وقدِّمِ الخيرَ فكلُّ امرئٍ ... على الذي قدَّمه يَقْدَمُ

٨٥٤ حدثنا أحمد بنُ محمد بن سعيدٍ القَيسي: حدثنا محمد بنُ موسى البصري: حدثنا الأصمعي:

حدَّثنا أبو مَعْمَر ـ شَبيبُ بن شيبة ـ الخطيب قال: «لمَّا حضرَتِ ابنَ سعيدِ بنِ العاص الوفاةُ، قال لبنيه: يا بَنيَّ، أيُّكم يَقبل وصيتي؟ فقال ابنُه الأكبر: أنا. قال: إن فيها قضاءَ ديني، قال: وما دَينُك يا أبتِ؟ قال: ثمانون ألف دينار، قال: يا أبتِ، فيمَ أخذتَها؟ قال: يا بُني، في كريمٍ سددتُ به خَلَّتَه، ورجلٍ جاءني في حاجةٍ ـ وقد رأيتُ السوءَ في وجهه من الحياء ـ، فبدأتُ بحاجته قبل أن يَسألَها».

قال أبو حاتم ﷺ: حقيقٌ[٢] على مَن عَلِم الثوابَ[٣] ألَّا يَمنعَ ما مَلَكَ

(١) لأن الطاعةَ المتعدِّية للغير أحبُّ إلى اللهِ تعالى من الطاعة القاصرة على فاعلها.
(٢) **حقيق**: جدير.
(٣) أي: من اللهِ تعالى.

من جاهٍ أو مال ـ إن وجد السبيل إليه ـ قبل حُلول المنيَّة، فيبقى عن الخيراتِ كلِّها، ويتأسَّفُ على ما فاته من المعروف.

والعاقلُ يعلمُ أنَّ مَن صحِب النعمةَ في دار الزوال، لم يَخْلُ من فقدها[1]، وأن مِن تمام الصنائع وأهناها: إذا كان ابتداءً من غير سؤال.

[٨٥٥] حدثنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي:

حدثنا محمد بن عبد الرَّحمٰن المهلَّبي قال: دخل أبو العتاهية على الرَّشيد، فقال: سلْ ـ يا أبا العتاهية ـ، فقال:

إذا كان المَنالُ ببذلِ وجهٍ فلا قُرِّبْتُ مِن ذاك المنالِ

[٨٥٦] وانشَدَني عبد العزيز بن سليمان:

يَبقى الثناءُ وتَنفَدُ الأموالُ ولكلِّ دهرٍ دولةٌ ورجالُ
ما نالَ مَحمَدةَ الرجالِ وشُكرَهُم إلَّا الصبورُ عليهمُ المِفضالُ

[٨٥٧] حدثني محمد بن عَبدل بن المهديِّ الشَّعراني: حدثنا محمد بن يزيد الطرَسوسي:

حدثنا ابنُ عائشة، قال: قال أبي: «جاء رجلٌ إلى يحيى بن طلْحةَ بنِ عُبيد الله، فقال له: هَبْ لي شيئًا، قال: يا غلام، أعطِهِ ما معك، فأعطاه عشرينَ ألفًا، فأخذها ليحملَها، فثقُلت عليه، فقعد يبكي، فقال: ما يُبكيك؟ لعلَّك استقللتَها! فأزيدُك؟ قال: لا؛ واللهِ ما استقللتُها، ولكن بكيتُ على ما تأكل الأرضُ من كرمك، فقال له يحيى: هذا الذي قلتَ لنا أكثرُ مما أعطيناك».

قال أبو حاتم ﷺ: لا يجبُ الإلحاف[2] عند السؤال في الحوائج؛ لأن شدةَ الاجتهاد ربَّما كانت سببًا للحرمان والمنع، والطالبُ للفلاح كالضَّرَّاب

---

(١) يقصد أن نعيم الدنيا مصيرُه إلى زوال.
(٢) **الإلحاف**: الإلحاح الشديد.

بالقِداح ـ سهمٌ له، وسهم عليه ـ، فإن أُعطي وجب عليه الحمد، وإن مُنع لزمه الرضاءُ بالقضاء، ولا يجبُ أن يكون السؤالُ إلا في ديارِ القوم ومنازِلهم، لا في المحافلِ والمساجد والملأ.

٨٥٨ لأن محمدَ بنَ محمودٍ النَّسائي حدثنا، قال: حدثنا عليُّ بن خَشْرم: حدثنا جريرُ بن عبد الحميد الضبيُّ، عن حنيفٍ المؤذن، قال:

قال عمرُ بن الخطاب ﷺ: «لا تسألوا الناس في مجالسهم ومساجدهم فتُفحِشوهم[1]، ولكن سلُوهم في منازلهم؛ فمن أعطى أعطى، ومَن مَنع منع».

قال أبو حاتم ﷺ: الذي قاله عمرُ بن الخطاب ـ رحمةُ اللهِ عليه ورضوانه ـ إذا كان المسؤولُ كريمًا، فإنه إن سُئل الحاجةَ في نادي قومه ـ ولم يكن عنده قضاؤها ـ، تشوَّر وخَجِل. وأما إذا كان المسؤولُ لئيمًا، ودُفع المرء إلى مسألته في الحاجة تقعُ له، فإنه إن سأله في مجلسه ومسجده، كان ذلك أقضى لحاجته؛ لأن اللئيمَ لا يقضي الحاجة ديانةً ولا مُروءةً، إنما يقضيها ـ إذا قضاها ـ طلبًا للذِّكر والمَحمدة في الناس.

على أني أستحبُّ للعاقل ـ أنْ لو دَفَعه الوقتُ إلى القِدِّ[2] ومَصِّ الحصى ثم صَبَر عليه ـ لكان أحرى به من أن يَسأل لئيمًا حاجةً؛ لأن إعطاءَ اللئيم شَينٌ، ومَنْعَه حَتْفٌ[3].

٨٥٩ ولقد أَنشَدَني محمدُ بن عبد الله البغدادي:

إذا أعطى القليلَ فتًى شريفٌ ... فإن قليلَ ما يُعطيك زَينُ
وإن تكنِ العطيَّةُ من دنيٍّ ... فإنَّ كثيرَ ما يُعطيك شَينُ

---

(١) تُفحشوهم: تُخجلوهم.
(٢) القِدُّ ـ بكسر القاف ـ: سَيرٌ يُقطع من الجلد غير المدبوغ.
(٣) أي: إذا أخذت من اللئيم صار عارًا عليك، وإذا منعك كان كالموت لك.



۞ ٨٦٠ أنبأنا أحمد بن محمد بن الفضل السِّجستاني بـ«دمشق»: حدثنا عليُّ بنُ خَشرم، قال:

سمعت سعيدَ بنَ سَلْمِ بنِ قتيبةَ بنِ مسلم الباهلي يقول: «خرجت حاجًّا، فمَلِلْتُ المَحمل[1]، فنزلت أُسايرُ القُطُرَات[2]، فإذا أنا بأعرابيٍّ، فقال لي: يا فتى، لمن الجِمال بما عليها؟ قلت: لرجلٍ من باهِلَة، قال: يا الله، أن يُعطي اللهُ باهليًا كلَّ مَا أرى[3]! قال: فأعجبني ازدراؤه بهم، ومعي صُرَّةٌ فيها مِئةُ دينار، فرميتُ بها إليه، فقال: جزاك اللهُ خيرًا! وافقَتْ منِّي حاجة، فقلتُ: يا أعرابي، أيسُرُّك أن تكونَ الجِمالُ بما عليها لك وأنت من باهلة؟ قال: لا. قلت: أفيسُرُّك أن تكون من أهل الجنة وأنت باهلي؟ قال: بشرطِ ألَّا يعلمَ أهلُ الجنة أني من باهلة، فقلت: يا أعرابيُّ، الجِمال بما عليها لي ـ وأنا من باهلة ـ، قال: فرمى بالصُّرة إليَّ، فقلت: سبحان الله! ذكرتَ أنها وافقت منك حاجة! قال: ما يسُرُّني أن ألقى اللهَ ولباهليٍّ عندي يدٌ.

فحدثت بها المأمون، فجعل يتعجبُ ويقول: ويحك يا سعيد! ما كان أصبَرَك عليه!!».

۞ ٨٦١ حدثنا محمد بن الرقَّام بـ«تُستَرَ»: حدثنا أبو حاتم السِّجستاني: حدثنا الأصمعي:

حدثنا هاشمُ بن القاسم، قال: سألتُ سَلْمَ بنَ قتيبةَ حاجةً، فقضاها، ثم سألتُه أخرى، فانتهرني، وقال: حاجتينِ في حاجة! ـ أو قال: على الرِّيق! ـ، ثم دعا بالطعام، فلما تغدَّى قال: هاتِ حاجتَك، أما سمعتَ قول الصبيان:

---

(١) أي: مللتُ من الركوب. واللهُ أعلم. (٢) القُطُرات: قطار الإبل.

(٣) لا يجوزُ مِثلُ هذا الكلام، ففيه هجاءٌ لمجرد الانتساب للقبيلة، وهو مِن أمر الجاهلية، وفيه أيضًا نوعُ تعدٍّ على قِسمة الله ﷻ لعباده. واللهُ أعلم.

إذا تغدَّيتُ وطابتْ نفسي فليس في الحق غلامٌ مِثلي
إلا غلامٌ قد تغدَّى قبلي

[٨٦٢] أنبانا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا مَهديُّ بن سابق، عن عطاء بن مصعب، قال:

قال أبو عمرو المنذري: «أتيت سَلْمَ بنَ قتيبةَ في حاجةٍ - وكان له صديقٌ من أهل الشام -، فكلَّمتُه أن يكلِّمَه في حاجتي، فجعل يقول: اليوم.. غدًا.. فطال عليَّ، فتراءيتُ له - وقد كان يعرفني -، فدعاني، فقال: أبا عمرو، إنك لَهاهنا؟ قلت: نعم، أُطالبك بحاجةٍ منذ كذا وكذا؛ وسيلتي فيها فلان! فضحك، وقال: قد كنتُ أراك قد أحكمتَ الآداب، لا تستعنْ إلى مَن تطلب إليه حاجةً بمن له عنده طُعْمةٌ[1]، فإنه لا يؤثِرُك على طُعمته، ولا تستعِنْ بكذَّاب، فإنه يُقرِّبُ لك البعيد، ويُبعِدُ لك القريب، ولا تستعِنْ بأحمق، فإن الأحمق يُجهِدُ لك نفسه، ولا يكون عنده شيءٌ، ولا يبلغُ لك ما تُريد.

فانصرفت، فقلتُ: يكفيني هذا، قال: لا. ولكن تُقضى لك حاجتك. فقضاها».

قال أبو حاتم ﷺ: لا يجب للعاقل أن يتوسَّلَ[2] في قضاء حاجته بالعدو، ولا بالأحمق، ولا بالفاسق، ولا بالكذَّاب، ولا بمَن له عند المسؤول طُعمة، ولا يجبُ أن يَجعل حاجتينِ في حاجة، ولا أن يجمعَ بين سؤالٍ وتقاضٍ، ولا يُظهِرُ شَرَهَ الحرصِ في اقتضاء حاجته؛ فإن الكريم يكفيه العلمُ بالحاجة، دون المطالبة والاقتضاء.

[٨٦٣] ولقد أنشَدَني منصور بن محمد الكريزي:

وإذا طلبتَ إلى كريمٍ حاجةً فاصبرْ ولا تكُ لِلْمِطالِ مَلُولَا[3]

(١) لعل المراد: الجائع، أو الحاجة بوجهٍ عام.
(٢) **يتوسل**: يتشفَّع أو يتوصل. (٣) **المِطال**: طول المدة.

لا تُظْهِرَنْ شَرَهَ الحريصِ ولا تكنْ عند السؤالِ إذا نَهضتَ ثقيلَا

[٨٦٤] وانشَدَني محمد بن إسحاق الواسطي العَرْزمي:

وإذا طلبتَ إلى كريم حاجةً فحضورُهُ يكفيك والتسليمُ
فإذا رآك مسلِّمًا عرفَ الذي حُمِّلته فكأنه ملزومُ

قال أبو حاتم رحمه الله: العاقل لا يتسخَّطُ ما أُعطي ـ وإن كان تافهًا ـ؛ لأن مَن لم يكن له شيءٌ، فكلُّ شيءٍ يستفيدُه ربحٌ. ولا يجبُ أن يسألَ الحاجةَ كلَّ إنسان؛ فرُبَّ مهروبٍ منه أنفعَ من مستغاثٍ إليه، ولا يجبُ أن يكون السائلُ متشفِّعًا لآخر؛ لأنَّ مَن لم يَقدِرْ على أن يَسْبَح، فلا يجبُ أن يَحمل على عُنقه آخر، ومَن سُئل فليبذُل؛ لأن مالَ المرء نصفان: له ما قدَّم، ولوارثِه ما خلَّف، وأقربُ الأشياء في الدنيا زوالًا: المالُ والولاية، والتعاهدُ للصنيعة ـ بالتحفظ عليها ـ أحسنُ من ابتدائها، ومَنْ غرس غِراسًا، فلا يَضْنُنْ بالنفقة على تربيته، فتذهب النفقةُ الأولى ضياعًا.

[٨٦٥] حدثني محمدُ بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثني محمد بن أبي يعقوب الربعي: حدثنا عبدُ الكريم بن محمد الموصلي: حدثنا أبي، قال:

سمعت أبا حاتم ـ حبيبَ بنَ أوسٍ ـ الطائيَّ يقول: «وقفت على بابِ مالكِ بن طَوْق الرَّحْبي أشهُرًا، فلم أَصِلْ إليه، ولم يَعلم بمكاني، فلما أردتُ الانصراف قلتُ للحاجب: أتأذنُ لي إليه أم أنصرف؟ قال: أما الآن، فلا سبيل إليه، قلتُ: فإيصالُ رُقعة؟ قال: لا، ولا يمكنُ هذا، ولكن هو خارجٌ اليومَ إلى بستانٍ له، فاكتب الرقعة، وارْمِ بها في موضعٍ ـ أرانيه الحاجب ـ، فكتبت:

لعمري لئن حَجَبَتْني العَبيـ ـدُ عنك فلم تُحْجَبِ القافيةْ
سأرمي بها مِن وراء الجدا ر شنعاءَ تأتيكَ بالداهيةْ
تُصِمُّ السميعَ وتُعمي البصيرَ ومِن بعدها تَسألُ العافيةْ

فكتبتُ بها، ورميت بها من المكان الذي أرانيه الحاجب، فوقعت

بين يديه، فأخرجها فنظر فيها، فقال: عليَّ بصاحب الرُّقعة، فخرج الخادم، فقال: مَن صاحب الرقعة؟ قلت: أنا، فأُدخلت عليه، فقال لي: أنت صاحب الرقعة؟ قلت: نعم، فاستَنشَدَني، فأنشدته، فلما بلغتُ ـ «ومن بعدها تسأل العافية» ـ قال: لا؛ بل نسأل العافيةَ مِن قَبْلها. ثم قال: حاجتك! فأنشأت أقول:

ماذا أقول إذا انصرفت وقيل لي: ماذا أصبتَ من الجواد المفضَّلِ؟
وإن قلتُ: أغناني كذبتُ وإن أقُلْ: ضنَّ الجواد بمالِهِ، لم يجمُلِ
فاختَرْ لنفسك ما أقولُ فإنني لا بد أُخبِرُهم وإن لم أُسألِ

فقال: إذًا ـ واللهِ لا أختارُ إلَّا أحسنها، كم أقمتَ ببابي؟ قلت: أربعةَ أشهر، قال: يُعطى بعدد أيامه ألوفًا، فقبضت مِئةً وعشرين ألفَ درهمٍ».

٨٦٦ سمعت محمد بن نصر بن نوفل بـ«قوقل» يقول:

سمعت أبا داود السنجي يقول: «كان ببغداد رجل يقال له: «ابن الهفت»، فمرَّ يومًا على سائلٍ واقفٍ على الجسر، وهو يقول: اللَّهُمَّ ارزُقِ المسلمين حتى يعطوني، فقال له: تسأل ربَّك الحَوَالة؟!».

٤٥

ذِكرُ الحثِّ على إعطاءِ السؤال وطلبِ المعالي

[٨٦٧] حدثنا محمد بن صالح الطبري بـ«الصَّيْمرة»: حدثنا أبو كريب - محمد بن العلاء - الهمداني: حدثنا مصعبُ بنُ المِقدام: حدثنا سفيان، عن محمد بن المنكدِر:

عن جابرٍ [ﷺ] قال: «ما سُئل النبيُّ ﷺ شيئًا قط فقال: «لا»، ولا ضَرب بيده شيئًا قط»[١].

قال أبو حاتم ﷺ: إني لأستحبُّ للمرْء طَلَبَ المعالي من الأخلاق، مع تركِ ردِّ السؤال؛ لأن عدمَ المال خيرٌ من عدم محاسن الأخلاق.

والندامةُ موكَّلةٌ بترك معالجةِ الفرصة[٢]، وإن الحُر - حقَّ الحُر - مَن أعتقته الأخلاقُ الجميلة، كما أن أسوأَ العبيد مَن استعبدته الأخلاقُ الدنيَّة، ومِن أفضل الزاد في المعاد: اعتقادُ المحامد الباقية، ومَن لزم معالي الأخلاق؛ أنتج له سلوكُها فِراخًا تطيرُ بالسرور.

[٨٦٨] ولقد حدثني محمد بن سعيدٍ القزَّاز: حدثنا هارون بن صَدَقة القاضي: حدثنا المسيَّب بن واضح، قال:

سمعت يوسفَ بنَ أسباط يقول: «ما كان المال مُذْ كانت الدنيا أنفعَ منه في هذا الزمان».

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٣٠٧)، والبخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١)، وابن حِبَّان (٦٣٧٧).

(٢) أي: بترك اغتنام فرص الخير.

[٨٦٩] وأنشَدَني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي:

بادِرْ هواك إذا هَمَمْتَ بصالحٍ خوفَ العوائقِ أن تَجيءَ فتُغلَبُ[١]
وإذا هممتَ بسيِّئٍ فتعدَّهُ وتجنَّبِ الأمر الذي يُتجنَّبُ

قال أبو حاتم ﷺ: ما ضاع مالٌ ورَّث صاحبَه مجدًا، ولولا المتفضِّلون مات المتجمِّلون[٢]، وليس يستحقُّ المرءُ اسمَ «الكرم» بالكف عن الأذى، إلا أن يَقرِنَه بالإحسان إليهم، فمن كثُر في الخير رغبتُه، وكان اصطناع المعروف هِمَّته، قصده الراجون، وتأمَّله المتأملون[٣]، ومَن كان عيشُه وحده - ولم يَعِش بعَيشِه غيرُه -، فهو - وإن طال عمره - قليلُ العمر، والبائسُ مَن طال عمره في غير الخير، ومَن لم يتأسَّ بغيره في الخير كان عاجزًا، كما أن مَن استحسن مِن نفسه ما يستقبحه من غيره كان كالغاشِّ لمن تجبُ عليه نصيحته، ومَن لم يكن له هِمَّةٌ إلَّا بطنُه وفرجه عُدَّ من البهائم، والهمة تُبلِّغ الرتبة العالية؛ لأن الناس بِهممهم.

[٨٧٠] ولقد حدثنا عمرُو بن محمد الأنصاري: حدثنا الغلَّابي: حدثنا ابن عائشة، قال:

قال عُبيد الله بن زياد بن ظَبيان: «كان لي خالٌ من «كلْب»[٤]، فكان يقول لي: يا عُبيد الله، هِمَّ[٥]؛ فإن الهمة نصفُ المروءة».

[٨٧١] وأنشَدَني محمد بن إسحاق الواسطي:

قد بلَوْنا الناسَ في أخلاقهم فرأيناهم لذي المالِ تَبَعْ[٦]
وحبيبُ الناس مَن أطمعهم إنما الناسُ جميعًا بالطمَعْ

---

(١) بادر هواك: اغلِبْه بالمسارعة في الخيرات.
(٢) أي: لولا أهلُ الفضل الذين يبدؤون بالإحسان قبل السؤال، لمات المتعفِّفون الذين يتجمَّلون بعدم إظهار الفاقة. واللهُ أعلم.
(٣) المتأمِّلون: الذين يأملون فيه الخير.
(٤) اسم قبيلة.
(٥) هِمَّ - بكسر الهاء، وتشديد الميم المفتوحة -: انْوِ الخير.
(٦) بلونا: اختبرنا. ذي المال: صاحب المال.

[٨٧٢] حدثنا عمر بن حفص البزاز بـ«جُنْدِيسابور»: حدثنا إسحاق بن الضيف: حدثنا الحسن بن واقع الرمْليُّ: حدثنا ضمرةُ بن ربيعة، قال:

سمعت كُديرًا ـ أبا سليمان ـ الضبِّي يقول: «كان لقصر إبراهيم الخليل ﷺ ثمانيةُ أبواب، من حيث جاء السائل أُعطي».

[٨٧٣] حدثنا محمد بن أحمد الرقَّام بـ«تُستَر»: حدثنا إسحاق بن الضيف: حدثنا أبو مُسهِر:

حدّثنا سعيدُ بن عبد العزيز: «أن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهما: سمع رجلًا إلى جنبه يسألُ اللهَ أن يرزقه عشرة آلاف درهم، فانصرف فبعث بها إليه».

[٨٧٤] وأنشَدَني الكُريزي:

لا تَحقِرنَّ صنيعَ الخيرِ تفعلُهُ ... ولا صغيرَ فِعالِ الشَّرِّ مِن صِغَرِهْ
فلو رأيتَ الذي استصغرتَ من حَسَنٍ ... عند الثوابِ أطَلْتَ العُجْبَ مِن كِبَرِهْ!

[٨٧٥] سمعتُ أحمد بن محمد بن عبد الله اليماني يقول: سمعت صالح بن آدم يقول:

أنشَدَ إنسانٌ عند عبد الله بن جعفر هذين البيتين:

إن الصنيعةَ لا تكونُ صنيعةً ... حتى يُصابَ بها طريقُ المصنعِ
فإذا صنعتَ صنيعةً فاعمَدْ بها ... للَّهِ أو لذوي القرابةِ أوْ دَعِ

فقال عبد الله بن جعفر: «إن هذين البيتين يُبخِّلانِ الناس؛ ينبغي لمن عمِل بهذا أن يدعوَ لمن طلب حاجةً بالبيِّنة! بل تُبَثُّ الصنائع ويُرمَى بها مواضعَ القَطْر حيث حَلَّت».

[٨٧٦] وفي مثله يقول العتَّابي:

له في ذَوي المعروف نُعمَى كأنه ... مواقعُ ماءِ القَطْرِ في البلدِ القَفْرِ
إذا ما أتاه السائلون لحاجةٍ ... علَتْه مصابيحُ الطلاقةِ والبِشْرِ

٨٧٧ حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي: حدثنا احمد بن مسروق:

حدّثني ابن أبي سعيدٍ، عن شيخ له قال: «رأيت ابن المبارك يَعَضُّ يد خادم له، فقلت له: تَعَضُّ يدَ خادمِك؟! قال: كم آمرُهُ ألّا يعُدَّ الدراهمَ على السُّؤَّال، أقول له: أُحْثُ لهم حَثْوًا[١]».

٨٧٨ حدثنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا محمد بن عبد الرَّحمٰن بن القاسم، عن أبيه، قال:

قال إبراهيم بن أبي البلَّاد: حدثني أخي، قال: «رأيت الحجَّاج بمِنًى - في عمله على العراق -، وقام إليه رجالٌ من أهل الحجاز يسألونه، فقال: توهَّمتم بنا أنَّا بغير بلادنا، وما لكم منزل[٢]، مَن هاهنا مِن أهل العراق؟ فقام إليه تجارُ أهل العراق، فقال: هل من سَلَف؟ فقالوا: نعم، فحمَلوا إليه ألفَ ألفِ درهم، فقسَّمها، فلما قدم العراق ردَّها، و[٣]أكثرُ ظني أنها ومثلُها معها».

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل: أن يبدأ بالصنائع والإحسان الأفْرضَ فالأفْرضَ، يبدأُ بأهلِ بيته، ثم بإخوانِه وجيرانه، ثم الأقربِ فالأقرب، ويتحرَّى المعروف والإحسان في أهلِ الدين والعلمِ منهم، ويجتنبُ ضدَّ ما قلنا؛ لأن مَثَلَ مَن لم يفعل ما أوْمَأْنا إليه:

٨٧٩ كما أَنشَدَني الحسين بن أحمد البغدادي:

تَصُول على الأدنى وتَجتنبُ العِدَا ... وما هكذا تُبنَى المكارمُ يا يحيى
فكنتَ كفَحلِ السوء ينزُو بأمِّهِ ... ويتركُ باقي الخيلِ سائمةً ترعى[٤]

---

(١) أي: أعطِهم بلا عد ولا حساب.
(٢) في بعض المطبوعات: «مترك».
(٣) في المطبوع هنا: «ما»، ولعل حذفها أصح.
(٤) ينزو: يَثِبُ. سائمةً: متروكة.

٨٨٠ وأنشَدَني البسَّامي:

وكنتَ كمهريقِ الذي في سِقائهِ ... لِرَقْراقِ ماءٍ فوق رابيةٍ صَلْدِ[١]
كمُرضِعةٍ أولادَ أخرى وضَيَّعتْ ... بني بطنِها! هذا الضلالُ مِن القصدِ

قال أبو حاتم ﷺ: العاقلُ يبتدئُ بالصنائع قبل أن يُسأل؛ لأن الابتداءَ بالصنيعة أحسنُ من المكافأة عليها، والإمساكُ عن التعرض خيرٌ من البذل، والصنائعُ إنما تحسُنُ بإتمامها، والتحافظِ عليها بعدَها[٢]؛ لأن بصلاح الخواتم تزكو الأوائل.

والعطيَّةُ بعد المنع أجملُ من المنع بعد العطية.

والناسُ في الصنائع على ضربين: شاكر، وكافر.

٨٨١ ولقد أَنشَدَني بعض إخواننا:

وما الناسُ في حُسن الصَّنيعةِ عندهم ... وفي كفرِهم إلا كبعضِ المَزارعِ
فمزرعةٌ طابت وأَضعَفَ رَيْعُها ... ومزرعةٌ أَكْدَتْ على كلِّ زارعِ[٣]

٨٨٢ وأنشَدَني محمد بن عبد الله البغدادي:

ومَن يَضَعِ المعروفَ في غير أهلِهِ ... يكن ضائعًا في غير حَمْدٍ ولا أجرِ
وحسبُ امرئٍ مِن كُفْرِ نُعْمَى جُحودُها ... إذا وقعت عند امرئٍ غيرِ ذي شكرِ

٨٨٣ وأنشَدَني محمد بن إسحاق الواسطي:

لَعَمْرُكَ ما المعروفُ في غير أهلِهِ ... وفي أهلِه إلا كبعضِ الودائعِ
فمستودَعٌ ضاع الذي كان عنده ... ومستودَعٌ ما عنده غيرُ ضائعِ

قال أبو حاتم ﷺ: الهمَجُ من الناس إذا أُحسن إليه، يرى ذلك استحقاقًا منه له! ثم يرى الفضلَ لنفسه على المحسِن إليه! فلا يَحمد عند

---

(١) مُهريق: مُسيل. الرابية: المرتفع. الصلد: الصلب.
(٢) أي: حفظها بعدم الامتنان ونحو ذلك.
(٣) أضعف: زاد. ريعها: نماؤها. أَكْدَت: أعطت القليل.

الخير، ولا يشكرُ عند البِر، ويتعجَّبُ ممن يَشكر، ويَذِمُّ مَن يَحمَد.

وإذا امتُحن العاقل بمثل مَنْ هذا نعته، استعمل معه:

[٨٨٤] ما أنشَدَني الكريزي:

إن ذا اللؤمِ إذا أكرمتَهُ حَسِبَ الإكرامَ حقًّا لَزِمَكْ
فأهِنْه بهوانٍ إنهُ إن تُهِنْهُ بِهَوانٍ أكرمَكْ

[٨٨٥] وأنشَدَني الأبرش:

إذا أَوْلَيْتَ معروفًا لئيمًا يَعُدُّك قد قتلتَ له قتيلَا
فكنْ مِن ذاك معتذرًا إليهِ وقلْ: إني أتيتُك مستقيلَا[١]
فإن تغفِرْ فمُجتَرَمي عظيمٌ وإن عاقَبْتَ لم تَظلمْ فتيلَا[٢]
ولستُ بعائدٍ أبدًا لهذا وقد حَمَّلتني حِملًا ثقيلَا

قال أبو حاتم رضي الله عنه: أهنأُ الصنائع، وأحسنُها في الحقائق، وأوقعُها بالقلوب، وأكثرُها استدامةً للنِّعم، واستدفاعًا للنقم: ما كانت خاليةً عن المِنن في البداءة والنهاية، فإذا كانت البداية خاليةً عن السؤال، والنهايةُ متعريةً عن الامتنان، فهو الغايةُ في الصنيعة، والنهاية في الإحسان.

[٨٨٦] ولقد أنشَدَني محمد بن عبد الله البغدادي:

أحسنُ من كلِّ حَسَنْ في كلِ وقتٍ وزمنْ
صنيعةٌ مربوبةٌ خاليةٌ مِنَ المِنَنْ

[٨٨٧] حدثنا محمد بن عذار بن محمد الحارثي بـ«البصرة»: حدثنا سهل بن زادويه: حدثنا محمد بن أبي الدواهي، عن أبيه، قال:

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

ما أحسنَ الدنيا وإقبالَها إذا أطاعَ اللَّهَ من نالَها

---

(١) مستقيلًا: طالبًا العذر.

(٢) مُجترمي: إجرامي. فتيلًا: فتيلة المصباح.

مَن لم يُوَاسِ الناسَ مِن فضلها عــرَّض لــلإدبــارِ إقــبــالَــهــا
فاحذر زوالَ الفضل يا حائرًا وأعطِ من الدنيا لمن سالَها
فإن ذا العرشِ سريعُ الجَزا يُخلِفُ بالحبة أمثالَها

[٨٨٨] حدثنا محمد بن المهاجر: حدثنا محمد بن أحمد بن النضر المعني:

حدّثني سعيدٌ: حدثني أبوك ـ يعني: أباه أحْمدَ بن النضر ـ قال: «كان بالكوفة قومٌ من العرب، فأصابت رجلًا منهم حاجةٌ، فكان عيالُه يغزِلون ويبيعون، وكان يَشْرَكُهم[١]، فقالوا: لا تعودُ علينا بشيءٍ[٢]، وما نكسب تشركنا فيه! فأنِفَ من قولهم، فخرج يَؤُمُّ بغداد، ولم يدخل بغدادَ قبل ذلك، وليس له حَميمٌ ولا قريبٌ بها، فدخلها ومَرَّ على وجهه، فمرَّ على بابِ يعقوبَ بن داود ـ كاتب المهدي ـ، فرأى قومًا جلوسًا عليهم بِزَّةٌ[٣]، فقال: ما أخلق هؤلاء دُعوا إلى وليمة لو دخلتُ معهم لعلِّي أصيبُ شَبْعةً! فاندسَّ معهم، فخرج الآذنُ، فقال: ادخلوا، فدخلوا إلى دارٍ قَوْراءَ[٤] كبيرة، وإذا بَهْوٌ[٥] في صدر الدار، فجلسوا في البهوِ يَمْنَةً ويسْرةً، وأخلَوُا الصدْر، فجاء يعقوب، فسلَّم عليهم وقعد، ثم قال: يا غلام، هاتِ، فجاء بصَوَانٍ[٦] عليها مناديلُ مغطًّى بها، وإذا فيها أكياسٌ، فقال: أعطِهم، فوضَعوا في حِجْر كل رجلٍ منهم كيسًا، ووضعوا في حِجري كيسًا، حتى فَرغ منهم، ثم قال: أعِدْ عليهم، فوضع في حِجر كل رجلٍ منهم كيسًا، فوضعوا في حجري كيسًا؛ حتى والى بين خمسةِ أكياس، ثم قال: قومُوا مباركٌ لكم، وقد تعيَّنه الخدم[٧]، وليس له عندهم اسمٌ ولم يعرفوه: فلما بلغ الدهليزَ ربطوه، فصاح وصاحوا،

---

(١) أي: يشاركهم في أخذِ أموالهم.
(٢) أي: لا تعطينا مالًا.
(٣) البِزَّة: الثياب الفارهة.
(٤) قَوراء: واسعة.
(٥) البهو: الفِناء.
(٦) صَوَانٍ: جَمعُ «صينيَّة».
(٧) أي: عرفوا شخصه.

فسمع يعقوبُ الصوت، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجلٌ دخل مع هؤلاء القوم لا نعرفُه، فقال: عليَّ به، فقال له: يا عبد الله، ما أدخلك هذه الدار؟ فقص عليه القصة والسببَ الذي دخل له، فقال له: مِن أين أنت؟ قال: مِن أهل الكوفة، قال: مَن يعرفك بالكوفة؟ قال: يعرفني فلانٌ وفلان ـ فسمَّى له قومًا يعرفُهم ـ، فقال: خلُّوا عن الرجل، إنا كاتبون إلى هؤلاء القوم، فإن كان الأمرُ على ما ذكرتَ، فتعالَ كلَّ سَنةٍ في هذا الوقت، ولك عندنا مثلُ هذا، وكتب إلى القوم فسألهم، فكتبوا بمعرفته، فكان يجيء أيامَ حياته، فيأخذ خمسةَ آلافٍ وينصرف».

وحسبُنا اللهُ ونِعْم الوكيل.

٤٦

ذِكرُ الحثِّ على الضِّيافةِ وإطعامِ الطعام

٨٨٩ حدثنا حامدُ بنُ محمد بن شعيبٍ البَلخي بـ«بغداد»: حدثنا منصورُ بنُ أبي مزاحم: حدثنا أبو الأحوص، عن أبي حصين، عن أبي صالح:

عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن كان يؤمنُ باللهِ واليوم الآخِرِ ـ فليُكْرِم ضَيفَه، ومَن كان يؤمنُ باللهِ واليوم الآخر ـ فلا يُؤْذِ جارَه**»[1].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: إني لأستحب للعاقل المداومةَ على إطعام الطعام، والمواظبةَ على قِرَى الضيف[2]؛ لأن إطعامَ الطعام من أشرف أركان النَّدى[3]، ومِن أعظم مراتب ذَوي الحِجَى[4]، ومِن أحسن خِصال ذَوِي النُّهَى، ومَن عُرف بإطعام الطعام، شَرُفَ عند الشاهد والغائب، وقَصَده الراضي والعاتب، وقِرَى الضيفِ يرفعُ المرء ـ وإن رَقَّ نسَبُه ـ إلى منتهى بُغيته ونهايةِ محبته، ويُشَرِّفه برفيع الذِّكر وكمالِ الذُّخر.

٨٩٠ حدثنا محمد بن زنجُويه القُشيري: حدثنا أبو مصعب: حدثنا الدراوَرْديُّ، عن يحيى بن سعيد:

أنه سمع سعيدَ بن المسيَّب يقول: «كان إبراهيمُ الخليلُ ﷺ أولَ مَن أضاف الضيف».

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٦٧)، والبخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٤٧)، وأبو داود (٥١٥٤)، والترمذي (٢٥٠٠).

(٢) **القِرى**: الضيافة.

(٣) **النَّدى**: المعروف.

(٤) **الحِجى**: العقول.

٨٩١ حدثنا الانصاري: حدثنا الغلَّابي: حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب: حدثنا الأصمعي: أخبرني نافع بن أبي نعيم، قال:

قال رجلٌ ممن أدرك الجاهلية: «قَدِمتُ المدينة، فإذا منادٍ ينادي: مَن أراد الشحم واللحم فليأتِ دار دُليم ـ وهو جدُّ سعدِ بن عبادة بن دُلَيم سيدِ الخزرج ـ. ثم ضَرَب الزمانُ مَن ضَرَبه، فقدمتُ المدينة، فإذا منادٍ ينادي: مَن أراد الشحم واللحم فليأتِ دارَ عبادة. ثم ضرب الزمانُ مَن ضربه، فقدمتها، فإذا منادٍ ينادي: مَن أراد الشحم واللحم فليأتِ دار سعد».

قال أبو حاتم ﷺ: كلُّ مَن ساد في الجاهلية والإسلام حتى عُرف بالسؤدُد، وانقاد له قومُه، ورحل إليه القريبُ والقاصي: لم يكن كمالُ سؤدُدِه إلا بإطعام الطعام، وإكرام الضيف.

والعربُ لم تكن تَعُدُّ الجودَ إلَّا قِرى الضيف، وإطعامَ الطعام، ولا تعدُّ السخيَّ مَن لم يكن فيه ذلك، حتى إن أحدهم ربَّما سار في طلب الضيف الميل والميلين.

٨٩٢ ولقد حدثني محمد بن المنذر: حدثنا عليُّ بن الحسن الفلسطيني: حدثنا أبو بكر السني:

حدثنا محمد بنُ سليمان القُرشي، قال: «بينما أنا أسيرُ في طريقِ اليمن، إذا أنا بغلامٍ واقفٍ على الطريق في أُذنيه قُرطان[1]، وفي كل قُرطةٍ جوهرةٌ يضيءُ وجهُه من ضوء تلك الجوهرة، وهو يمجِّدُ رَبَّه بأبيات من شعر، فسمعته يقول:

مليكٌ في السماءِ به افتخاري ... عزيزُ القَدْرِ ليس بهِ خفاءُ

فدنوتُ إليه، فسلَّمتُ عليه، فقال: ما أنا برادٍّ عليك سلامَك حتى

(١) **القُرْطان**: تثنية «قرط»، وهو الحَلَق.

تؤدِّيَ مِن حقي الذي يجبُ لي عليك[١]، قلت: وما حقُّك؟ قال: أنا غلامٌ على مذهب إبراهيم الخليل ـ صلوات اللهِ عليه[٢] ـ، لا أتغدَّى ولا أتعشَّى كلَّ يومٍ حتى أسيرَ المِيلَ والميلينِ في طلب الضَّيف. فأجبتُه إلى ذلك، قال: فرحَّب بي، وسرتُ معه حتى قرُبنا من خَيمةِ شَعَر، فلما قرُبنا من الخيمة صاح: يا أختاه، فأجابته جاريةٌ من الخيمة: يا لَبَّيْكاه. قال: قومي إلى ضيفِنا هذا، قال: فقالت الجارية: اصبِرْ حتى نبدأ بشكرِ المولَى الذي سبَّب لنا هذا الضيف.

قال: فقامت وصلَّت ركعتين شكرًا للهِ، قال: فأدخلني الخيمة، فأجلسني، فأخذ الغلامُ الشَّفْرة[٣]، وأخذ عَناقًا[٤] له ليذبحَها، فلما جلستُ في الخيمة، نظرت إلى جاريةٍ ـ أحسنِ الناس وجهًا ـ، فكنت أسارقُها النظر، ففطِنَتْ لبعض لحظاتي[٥]، فقالت لي: مَهْ! أمَا علمتَ أنه قد نُقل إلينا عن صاحب يثرب ـ تعني: النبيَّ محمدًا ﷺ[٦] ـ: **«إن زنا العَينينِ النظرُ»**[٧]! أما إني ما أردتُ بهذا أن أوبِّخَك، ولكني أردتُ أن أؤدِّبَك لكيلا تعودَ لمثل هذا.

فلما كان وقتُ النوم، بتُّ أنا والغلامُ خارجَ الخيمة، وباتت الجاريةُ في الخيمة، قال: فكنتُ أسمعُ دَوِيَّ القرآنِ الليلَ كلَّه ـ أحسنَ

---

(١) بل كان «يجب» عليه أولًا رد السلام.

(٢) يقصد: على نَهجه وطريقته وأخلاقه ﷺ.

(٣) **الشفرة**: السكين.

(٤) **العَناق**: أنثى الماعز.

(٥) **اللحَظات**: النظرات.

(٦) تلقيبُ النبي ﷺ بـ«صاحب يثرب» ليس من الأدب معه ﷺ، ولا يُعلم مثلُ هذا الوصف عن الصحابة الكرام ﷺ ـ آدَبِ الناس، وأعظمِهم توقيرًا له ﷺ ـ، وقد كفانا ربُّ العالمين بألقابه الشريفة التي نناديه بها ﷺ، لذا؛ فلا ينبغي للمؤمن الصادق أن يَحيد عنها، أو يستبدلها بسواها.

(٧) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٧٦)، والبخاري (٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧)، وأبو داود (٢١٥٢)، وابن حِبَّان (٤٤٢١).

صوتٍ يكونُ وأرقَّه ـ، فلما أن أصبحتُ، قلت للغلام: صوتُ مَن كان ذلك؟ فقال: تلك أُختي تُحيي الليلَ كلَّه إلى الصباح، قال: فقلتُ: يا غلام، أنت أحقُّ بهذا العمل مِن أُختك، أنت رجلٌ وهي امرأة، قال: فتبسَّم، ثم قال: ويحك يا فتى! أما علمتَ أنه موفَّقٌ ومخذول».

[٨٩٣] وانشَدَني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي:

إذا ما أتاك الضيفُ فابدأ بحقِّهِ قُبيلَ العِيالِ إنَّ ذلك أصوبُ
وعَظِّمْ حقوقَ الضيفِ واعلمْ بأنه عليك بما تُوليه مُثْنٍ وذاهبُ

[٨٩٤] أنبانا أحمد بن قريش بن عبد العزيز: حدثنا إبراهيمُ بن محمد الذُّهْلي:

عن الحسن بن عيسى بن ماسَرْجِس قال: «صحبتُ ابن المبارك من خُراسان إلى بغداد، فما رأيتُه أكَلَ وحده».

[٨٩٥] حدثني محمد بن عثمان العَقَبي: حدثنا أبو أمية: حدثنا عصام بن عمرو ـ أبو حميد ـ الطائي:

حدّثنا عمرُو بن هانئ، قال: «كان رافعُ بن عَميرة بن عمرو السِّنْبسي ـ فخذٌ من طَيْء ـ يُغَدِّي أهلَ ثلاثةِ مساجد ويعشِّيهم، يومًا بثرائد[١]، ويومًا برُطَبة ـ يعني: الحَيس[٢] ـ، وما له قُمُصٌ إلا قميصٌ هو لجمعته، وهو للبيت».

قال أبو حاتم ﷺ: يجبُ على العاقل ابتغاءُ الأضياف[٣]، وبذلُ الكِسَر؛ لأن نِعمةَ اللهِ إذا لم تُصَنْ بالقيام في حقوقها، ترجعُ من حيث بدأت، ثم لا يَنفعُ مَن زالت عنه التلهُّفُ عليها[٤]، ولا الإفكارُ في الظفَر بها، وإذا أدَّى حقَّ اللهِ فيها، استجلب النماءَ والزيادة، واستَذْخر[٥] الأجرَ في القيامة،

(١) الثرائد ـ جمع «ثريد» ـ: نوعٌ من الأطعمة الطيبة.
(٢) الحَيس: تمرٌ يُخلط بسَمنٍ وأقِط. (٣) أي: طلبهم والبحث عنهم.
(٤) أي: مَن أضاعها لا ينفعه الندم على فواتها.
(٥) استذخر: جعله ذخرًا وعُدَّةً له في الآخرة.

واستنقص[١] إطعام الطعام.

وعنصرُ قِرى الضيف هو تركُ استحقارِ القليل[٢]، وتقديمُ ما حَضر للأضياف؛ لأنَّ مَن حَقَّر مَنَع، مع إكرام الضيف بما قَدِر عليه، وتَرك الادخارَ عنه.

[٨٩٦] ولقد حدثني كاملُ بن مكرَّم: حدثنا محمد بن يعقوب الفَرَجي: حدثنا الوليد بن شجاع:

حدَّثنا عقبة بن علقمة ومبشِّرُ بن إسماعيل أنهما سألَا الأوزاعي: «ما إكرامُ الضيف؟ قال: طَلَاقَةُ الوجه، وطِيبُ الكلام».

[٨٩٧] وأنشَدَني الكريزي - في قومٍ لم يكونوا يُضيِّفُون -:

أقاموا الدَّيدَبانَ على يَفَاعٍ وقالوا: لا تَنَم للديدبانِ[٣]
إذا أبصرتَ شخصًا من بعيدٍ فصفِّق بالبَنانِ على البنانِ[٤]
تراهم خَشيةَ الأضيافِ خُرْسًا يُصَلُّون الصلاةَ بلا أذانِ!

قال أبو حاتم رحمه الله: أبخلُ البخلاء مَن بَخِل بإطعام الطعام، كما أن مِن أجود الجود بذلَه، ومَن ضَنَّ بما لا بد للجثَّة منه، ولا تربو النفسُ إلا عليه: كان بغيره أبخل، وعليه أشحَّ.

ومِن إكرام الضيف طِيبُ الكلام، وطلاقةُ الوجه، والخِدمةُ بالنفس، فإنه لا يَذِلُّ مَن خَدَم أضيافه، كما لا يعِزُّ مَن استخدمهم، أو طلب لقِراه أجرًا.

[٨٩٨] وأنشَدَني كاملُ بن مكرَّم: أَنشَدَني محمد بن سهيل:

واني لَطَلْقُ الوجهِ للمبتغي القِرَى وإنَّ فِنائي للقِرى لَرحيبُ

---

(١) استنقص: رآه قليلًا.

(٢) أي: عدم احتقارِ القليل من الطعام أن يقدِّمَه للضيف.

(٣) الديدَبان: طليعةُ القوم ومتقدمهم. اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

(٤) التصفيقُ من شِعار الجاهلية، وهو نوعُ تشبُّهٍ بالنساء أيضًا، فلا ينبغي للمؤمن أن يفعله.

أُضاحِكُ ضيفي عند إنزالِ رَحْلِهِ ... فيُخصِبُ عندي والمَحَلُّ جديبُ
وما الخصبُ للأضياف أن يَكثُرَ القِرَى ... ولكنما وجهُ الكريم خصيبُ

[٨٩٩] وأنشَدَني الأبرش:

لا تبخلنَّ بدنيا وهي مقبلةٌ ... فليس يَنقُصُها التبذيرُ والسَّرفُ
وإن تولَّتْ فأحرى أن تَجودَ بها ... فالحمد منها إذا ما أدبرتْ خَلَفُ

[٩٠٠] أنبأنا عمر بن محمد الهمداني: ثنا زيد بن أخزم: ثنا سليمان بن حرب:

ثنا حَمَّاد بن زيد قال: «كان أيوبُ إذا قَدِم من مكةَ، أَمَر بخُبز فخُبز، وأمَر بلَحم فطُبخ، فكلُّ مَن دَخل وَضَع بين يديه، فدخَلْنا عليه، فقال كلُّ وافدٍ: أكلتُ اليوم كذا وكذا».

[٩٠١] أنبأنا الأنصاري: حدثنا الغلَّابي: حدثنا العُتبي، عن أبي مِخنف ـ لوط بن يحيى ـ:

حدَّثني هشام بن عروة، عن أبيه: «أن قيسَ بنَ سعدِ بنِ عبادة خرج من مصر، فمرَّ بأهلِ بيتٍ من القَيْنِ[1] فنزل بهم، فنَحَر لهم صاحبُ المنزل جَزورًا وأتاهم به، فقال: دونكم[2]، فلما كان من الغد نَحر لهم آخَرَ، ثم حبستهم السماءُ اليوم الثالث[3]، فنحر لهم مِثلَه، فلما أراد قيسٌ أن يرتحل وَضع عشرين ثوبًا من ثياب مصر وأربعةَ آلاف درهم عند امرأةِ الرجل، وخرج قيسٌ، فما سار إلا قليلًا حتى أتاه صاحبُ البيت على فرسٍ كريم ورُمحٍ طويل، وقُدَّامَه الثيابُ والدراهم، فقال: يا هؤلاء، خذوا بضاعتكم عنِّي، قال قيسٌ: انصرِفْ أيها الرجل؛ فإنا لم نكن

---

(١) القَين: اسم موضع. وهذا ما رجَّحتُه ـ كما في «لسان العرب» ـ، وله معانٍ أخرى، كالحدادين، والمغنين... وغير ذلك، فاللهُ أعلم.
(٢) أي: خذوا فكلوا.
(٣) أي: أمطرت السماء، فلم يستطيعوا الرحيل.

لنأخذَها، فقال الرجل: لَتأخُذُنَّها، أو لا ينفُذْ منكم رجل، أو تذهبُ نفسي، فعَجِب قيسٌ منه، وقال: لِمَ ـ للهِ أبوك ـ؟! ألم تُكرِمْنا وتحسنْ إلينا؟ فكافأناك، ما في هذا من بأس! فقال الرجل: إنا لا نأخذ لقِرَى ابن السبيل وقرى الضيف ثمنًا، لا واللهِ لا أفعلُ أبدًا، قال لهم قيسٌ: أما إذ أبى فخُذوها منه، فأخذوها، ثم قال قيسٌ: ما فَضَلني رجلٌ غير هذا».

[٩٠٢] حدثنا أحمد بن عمرو الزئبقي بـ«البصرة»: حدثنا الحسن بن مُدرك السَّدوسي: حدثنا عبدُ العزيز بن عبد الله القرشي: حدثنا سعيدٌ، عن قتادة:

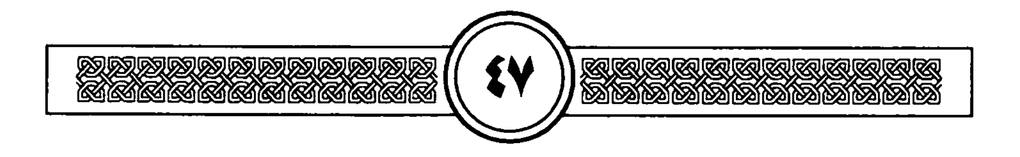
عن سعيد بن المسيب قال: «لَأَنْ أُشبعَ كبدًا جائعةً، أحبُّ إليَّ من حَجَّةٍ بعد حَجَّة!».

[٩٠٣] حدثنا محمدُ بنُ سعيد القزَّاز: حدثنا عيسى بنُ أبي موسى الأنصاري: حدثني أبي: حدثنا أحمد بنُ بَشير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال:

كان من دعاءِ قيسِ بنِ سعدِ بن عبادة: «اللهم ارزُقْني مالًا وفِعالًا[1]؛ فإنه لا تَصلُحُ الفِعال إلا بالمال».

---

(١) **الفِعال**: الأفعال الحسنة الكريمة.



ذِكرُ الحثِّ على المجازاةِ على الصنائع

[٩٠٤] حدثنا الفضلُ بن الحُباب الجُمحي: حدثنا عبدُ الرَّحمٰن بن بكر بن الربيع بن مسلم، قال: سمعت الربيعَ بن مسلم يقول: سمعت محمد بنَ زياد يقول:

سمعتُ أبا هريرة [ﷺ] يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن لا يشكُرِ الناسَ لا يشكر الله**»[1].

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على من أُسْدي إليه معروفٌ: أن يشكره بأفضلَ منه أو مثلِه؛ لأن الإفضالَ على المعروف في الشكر لا يقومُ مقامَ ابتدائه ـ وإن قلَّ[2] ـ، فمَن لم يَجِدْ فَلْيُثْنِ عليه، فإن الثناءَ ـ عند العدم ـ يقومُ مقامَ الشكر للمعروف، وما استغنى أحدٌ عن شُكر أحد.

[٩٠٥] ولقد أَنشَدَني محمد بن زنجي البغدادي:

فلو كان يَستغني عن الشكر ماجدٌ ... لـعِـزَّةِ مُـلْـكٍ أو عـلـوِّ مـكـانِ
لَـمَـا أمـر الـلَّـهُ الـعـبـادَ بـشـكـرِهِ ... فقال: اشكروني أيها الثقلانِ

[٩٠٦] وأنشَدَني الكريزي:

إذا المرءُ لم يشكُرْ قليلًا أصابَهُ ... فليس له عندِ الكثير شُكورُ
ومَن يشكرِ المخلوقَ يشكرْ لربِّهِ ... ومَن يكفرِ المخلوقَ فهو كَفورُ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/٢٥٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٨)، وأبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤)، وابن حِبَّان (٣٤٠٧)، وقال الإمام الترمذي: «حسن صحيح»، وصحَّحه العلَّامة شعيب الأرنؤوط، والعلَّامة الألباني.

(٢) أي: شُكرُ المعروف لا يُساوي قيمةَ المعروف ـ ولو كان المعروف قليلًا ـ.

[٩٠٧] وأنشدَني محمد بن إسحاق الواسطي:

مَنْ ضَيَّع الشكرَ لم يستكملِ النِّعَمَا ... حافِظ على الشكر كَيْ تستجزلَ القِسَما
مَن يلزمِ الشكرَ لم يكسبْ به نَدَمًا ... الشكرُ للَّهِ كنزٌ لا نفادَ لهُ

[٩٠٨] حدثنا عمرُو بن محمد: حدثنا الغلَّابي:

حدَّثنا العقبي قال: «مرَّ سعيدُ بن العاص بدارِ رجلٍ بالمدينة، فاستسقى، فسقَوه، ثم مرَّ بعد ذلك بالدار ومنادٍ يناد عليها فيمن يزيد[١]، فقال لمولاه: سَلْ: لِمَ تُباع هذه؟ فرجع إليه، فقال: على صاحبها دَينٌ. قال: فارجعْ إلى الدار، فرجع، فوجد صاحبها جالسًا وغريمُهُ معه، فقال: لِمَ تبيعُ دارك؟ قال: لهذا عليَّ أربعةُ آلاف دينار.

فنزل وتحدَّث معهما، وبعث غلامَه، فأتاه ببَدْرةٍ[٢]، فدفع إلى الغريم أربعةَ آلاف، ودفع الباقي إلى صاحب الدار، وركب ومضى».

[٩٠٩] وانشدَني المنتصر بن بلال:

شَكورًا يكن معروفُهُ غيرَ ضائعِ ... ومَن يُسدِ معروفًا إليك فكنْ له
تكنْ خيرَ مصنوعٍ إليه وصانعِ ... ولا تَبخَلَنَّ بالشكر والقَرْضَ فاجْزِهِ

[٩١٠] وانشدَني بعض أهل العلم:

وأفْضِلْ عليهم إذ قَدِرتَ وأنعِمْ ... فكنْ شاكرًا للمنعِمِينَ بفضلِهِمْ
وأهلٌ لبذلِ العُرْف مَن كان يُنْعِمْ ... ومَن كان ذا شكرٍ فأهلُ زيادةٍ

[٩١١] وانشدَني الكريزي:

لَمَن سلفت لكم نِعَمٌ عليهِ[٣] ... أحقُّ الناس منك بحُسنِ عونٍ
بحُسن صنيعةٍ منكم إليهِ ... وأشكَرُهُم أحقُّهم جميعًا

---

(١) أي: عُرضت الدار للبيع، والمنادي يُنادي على مَن يَزيد في ثمنها.
(٢) البَدْرة: كيسٌ من النقود يوضع فيه أموال كثيرة.
(٣) سلفت: سبقت.

قال أبو حاتم ﷺ: الحُرُّ لا يكفُر النعمة، ولا يتسخَّطُ المصيبة، بل عند النِّعم يشكر، وعند المصائب يَصبر، ومَن لم يكن لقليل المعروف عنده وقعٌ، أوْشَك ألَّا يشكرَ الكثير منه، والنِّعمُ لا تُستجلبُ زيادتُها، ولا تُدفع الآفاتُ عنها إلا بالشكر للهِ عزَّ وجلَّ وعلا، ولمن أسداها إليه.

[٩١٢] ولقد حدثني أحمد بن محمد القَيسي: حدثني محمد بن المنذر: حدثنا إسحاق بن إبراهيم القرشي، قال:

سمعت أبا عُبيدة ـ مَعْمَر بن المثَنَّى ـ يقول: «ماتت لعبيدِ بن مَعمر بنتٌ، فقعد في المأتم في مسجدِهِ في «سِكَّةِ سبانوش»[١]، فجاء عُبيد الله بن أبي بَكْرة معزِّيًا، وإذا الأشرافُ قد أخذوا مواضعَهم، فنظر إليه رجلٌ قد كان سبق إلى مجلسه مع الأشراف ـ قد عرَفه ـ فقام قائمًا، وجعل يقول له: هاهنا[٢]، حتى أخذ بيده فأقعده في مجلسه، ثم ذهب فقعد في أُخرَياتِ الناس، فأمر عبيدُ الله غلامًا كان معه أن يتعاهدَه إلى قيامه، فلما قام دعا الرجل، فقال: أتعرفُني؟ قال: نعم، قال: مَن أنا؟ قال: أنت عُبيد الله بنُ أبي بكرة ـ صاحبِ رسول الله ﷺ ـ قال: فما حَمَلك على تركك مجلسَك لي؟ قال: إجلالًا لولد أصحاب رسول الله ﷺ، وما أوجب اللهُ على أمثالي ـ خصوصًا ـ من التبجيل لك، فقال له عبيدُ الله: هل لك على أن تصحبَنا إلى ضَيعةٍ[٣] نريدُ أن نصير إليها؟ قال: نعم.

قال: فصَحِبه الرجلُ إلى تلك الضَّيعة في «نهر مكحول»، ضيعةٌ فيها ثلاثُمئةِ جَريب[٤] نخلٍ، وعلى وجه الضَّيعة قصرٌ بُني بآجُرٍّ وجصٍّ وخشبِ ساجٍ[٥]، فلما دخل الضيعةَ أخذ عُبيد الله بيد الرجل، وجعل يدورُ به في تلك النخيل، فقال للرجل: كيف ترى هذه الضيعة؟ قال: تاللهِ ما رأيت

---

(١) اسم موضع.
(٢) أي: اجلس هنا.
(٣) الضَّيعة: الأرض.
(٤) الجريب: مقدار معلوم.
(٥) الآجُر: الحجر. الجَصُّ: من مواد البناء. الساج: شجر يجلب من الهند.

نخيلًا أحسنَ منها، ولا أكثرَ ثمرةً، ولا أسرى[1] ضيعةً منها، قال: فقد جعلناها لك ـ بما فيها من الخدم والآلة ـ، نبعث إليك بصَكِّها[2]، قال: فاستطار الرجلُ فرحًا، وبكى، وقال: أنعشتني وأنعشتَ عيالي. فقال عُبيد الله: وكم لك من العيال؟ قال: ثلاثةَ عشَر نفْسًا، قال: فإني قد جعلتُ اسم عيالِك في اسم عيالي، أُنفِقُ عليهم ما عشتُ.

وقال له عُبيد الله: مَن تكون له مثلُ هذه الضيعة يحتاج أن يكون منزلُه في سُرَّةِ البصرة، إذا صرنا إلى منزلنا فاغْدُ علينا نأمرْ لك بشراء دارٍ تشبهُ هذه الضيعة، ورأسِ مالٍ وخدمٍ تصلح لدارك تعيش بها ـ إن شاء الله ـ.

قال: فغدا الرجل عليه، فأمر له بشراءِ دارٍ بخمسةِ آلاف دينار، وأعطاه عشرةَ آلاف دينار، ودفع إليه صكَّ الضيعة، وأمر له بدابةٍ وبغلٍ وسائسٍ وكِسوةٍ، وصَرَفه».

[٩١٣] وأنشَدَني الأبرش:

الشكرُ يفتحُ أبوابًا مُغلَّقةً ... للَّهِ فيها على مَن رامَهُ نِعَمُ
فبادِرِ الشكرَ واستغلِقْ وثائقَهُ ... واستدفِعِ اللَّهَ ما تجري بهِ النِّقَمُ

[٩١٤] حدثنا أحمد بن الحسن المدائني بـ«مصر»، قال:

سمعت الربيع بن سليمان يقول: «أخذ رجلٌ بركابِ الشافعي، فقال: يا ربيعُ، أعطِهِ أربعةَ دنانير، قال: فأعطيته إياها».

[٩١٥] وأنشَدَني محمد بن إسحاق بن حبيب:

ومَن يشكُرِ العُرْفَ الصغيرَ فإنه ... سيَنمِي ويَجترُّ المزيدَ أصاغِرُهْ
ومَن يشكر المعروفَ يَحمَد إلهَهُ ... ويُضعَفُ أضعافًا على الحمدِ شاكِرُهْ

---

(١) أسرى: أشرف.

(٢) الصَّك: العقد.

٩١٦ وأنشَدَني ابن زنجي البغدادي:

وإذا اصطنعتَ إلى أخيـ ـكَ صنيعةً فانْسَ الصنيعةْ
والشكرُ مِن كرمِ الفتى والكفرُ مِن لؤم الطبيعةْ
والصبرُ أكرمُ صاحبٍ فاصحبْه إن نَزَلَتْ فَجيعةْ

٩١٧ حدثنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز: حدثنا إبراهيم بن محمد الذُّهْلي: حدثنا أحمدُ بن خليل: حدثنا يحيى بن أيوب:

عن أبي عيسى قال: «كان إبراهيمُ بنُ أدهم إذا صَنع إليه أحدٌ معروفًا حَرَص على أن يكافئه، أو يتفضَّلَ عليه.

قال أبو عيسى: فلقيني يومًا وأنا على حمارٍ، وأنا أريدُ بيت المقدس، جائيًا من «الرَّمْلَة»، قال: وقد اشترى بأربعةِ دوانيقَ[1] تُفاحًا وسَفَرْجلًا وخَوْخًا وفاكهةً، فقال: يا أبا عيسى: أُحبُّ أن تحمل هذا، قال: وإذا عجوزٌ يهوديةٌ في كُوخٍ لها، فقال: أُحبُّ أن توصِّلَ هذا إليها، فإنني مررتُ وأنا مُمْسٍ[2]، فبيَّتتني عندها[3]، فأُحبُّ أن أكافئَها على ذلك».

٩١٨ وأنشَدَني الكريزي:

يدُ المعروف غُنْمٌ حيثُ تُسدَى تَحمَّلها شكورٌ أم كفورُ
كفى شكرُ الشكورِ لها جزاءً وعند اللَّهِ ما كَفَر الكفورُ[4]

٩١٩ وأنشَدَني بعض أهل الأدب:

رهنتُ يدِي للعجز عن شُكرِ بِرِّهِ وما فوق شُكري للشكور مزيدُ
ولو كان شيءٌ يُستطاعُ استطعتُهُ ولكنَّ ما لا يُستطاعُ شديدُ

---

(١) دوانيق ـ جمع «دانق» ـ، وهو سُدُس الدرهم.
(٢) مُمس: في المساء. (٣) أي: آوتني وأكرمتني.
(٤) «ما» ـ هنا ـ بمعنى: الذي؛ أي: واللهُ يعلم كفر الكفور.

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على المرء أن يشكر النعمة، ويَحمدَ المعروف ـ على حسب وُسْعِه وطاقته ـ، إن قدِر فبالضِّعف، وإلَّا فبالمِثل، وإلا فبالمعرفة بوقوع النِّعمة عنده، مع بذل الجزاءِ له بالشكر، وقولِه: «جزاكَ اللهُ خيرًا»، فمن قال له ذلك عند العدم، فكأنه أبلغ في الثناء[١].

ومِن الناس مَن يكفُرُ النِّعم، وكفرانُ النِّعم يكونُ من أحد رجلين:

١ ـ إما رجلٌ لا معرفةَ له بأسبابِ النِّعم والمجازاة عليها، لِمَا لم يُركَّبْ فيه من التفقُّد لمراعاة العِشرة[٢].

فإذا كان كذلك، وجب الإغضاء عنه، وتركُ المناقشة على فِعله.

٢ ـ والرجل الآخر: أن يكونَ ذا عقلٍ لم يشكر النعمة، استخفافًا بالمنعِم، واستحقارًا للنعمة، وتهاونًا في نفسه لهما أو لأحدهما.

فإذا كان كذلك، يجب على العاقل تَركُ العَودِ إلى فِعل مِثله، والخروج باللائمة على نفسه ـ إذا كان له خبرةٌ به[٣] ـ.

[٩٢٠] ولقد أَنشَدَني عليُّ بن محمد:

علامةُ شكر المرء إعلانُ حمدِهِ ... فمَن كتَم المعروف منهم فما شكَرْ

إذا ما صديقي نال خيرًا فخانني ... فما الذنبُ عندي للذي خانَ أو فجَرْ

ولكنْ إذا أكرمتُه بعد كُفرِهِ ... فإني مَلومٌ حيث أُكرِمُ مَن كفرْ

[٩٢١] وأنشَدَني محمدُ بنُ إسحاق بن حبيب:

إذا أنا أَعطيتُ القليلَ شكرتمُ ... وإن أنا أعطيتُ الكثيرَ فلا شكرُ!

---

(١) ثبت عن أسامة بن زيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«مَن صُنع إليه معروفٌ، فقال لفاعله: «جزاك اللهُ خيرًا»، فقد أبلغَ في الثناء»**. **صحيح**: رواه الترمذي (٢٠٣٥)، وابن حِبَّان (٣٤١٣)، وقال الإمام الترمذي: **«حسن جيد غريب»، وصحَّحه العلَّامة** شعيب الأرنؤوط، والعلَّامة الألباني.

(٢) أي: ليس عنده وفاءٌ ليراعي العشرة والإحسان.

(٣) أي: إذا وجد العاقلُ مَن هذا حاله، فلا يُحسِنُ إليه ثانيةً.

وما لُمتُ نفسي في قضاءِ حقوقكم وقد كان لي فيما اعتذرتُ به عذرُ

قال أبو حاتم ﷺ: إني لأستحبُّ للمرء أن يَلزم الشكرَ للصنائع، والسعيَ فيها من غير قضائها - إذا كان المنعِمُ من ذَوي القَدْرِ فيه -، والاهتمامَ بالصنائع؛ لأن الاهتمام ربَّما فاق المعروف، وزاد على فعلِ الإحسان؛ إذ المعروف يعملُه المرءُ لنفسه، والإحسانُ يصطنعُه إلى الناس، وهو غيرُ مهتمٍّ به ولا مُشفقٍ عليه، وربَّما فعله الإنسان وهو متكاره.

والاهتمامُ لا يكون إلا من فَرْط عنايةٍ وفضلِ وُدٍّ، فالعاقل يشكر الاهتمام أكثرَ من شُكره للمعروف.

[٩٢٢] أنشَدَني عبدُ العزيز بن سليمان:

لأشكرنَّك معروفًا هممتَ بهِ إنَّ اهتمامَك بالمعروفِ معروفُ
ولا ألومُكَ إن لم يُمضِهِ قدَرٌ فالشيءُ بالقدَرِ المجلوبِ مصروفُ

[٩٢٣] وأنشَدَني ابن زنجي البغدادي:

بَطِرَ النِّعمةَ مَنْ ضَيَّعها ومُضيِّعُ الشكر مُستدعِي الغِيَرْ[١]
فاجعلِ الشكرَ عليها حارسًا ربَّما ابتَزَّ الفتى النُّعمى البطرْ[٢]

[٩٢٤] حدثني عمرو بنُ محمد: حدثنا محمد بن زكريا: حدثنا عبيد الله بن محمد العيشي:

حدّثنا عليُّ بنُ محمد، قال: «مرَّ عمرُ بن هُبيرة - لمّا انصرف في طريقه -، فسمع امرأةً من قيسٍ تقول: لا - والذي [أسألُه أن][٣] ينجِّي عمر بن هُبيرة -، فقال: يا غلام، أعطِها ما معك، وأعلِمْها أني قد نجوت».

وباللهِ التوفيق.

---

(١) بَطِرَ النعمةَ: كفرها. الغِيَر: تقلب الأحوال.
(٢) ابتز: استخرج.
(٣) ما بين الحاصرتين من «أنساب الأشراف».

٤٨

ذِكرُ الحثِّ على سياسةِ الرياسة ورعايةِ الرَّعية

٩٢٥ حدثنا عبد الله بن قَحطبة: حدثنا العباسُ بن عبد العظيم العنبري: حدثنا مؤمَّلُ بنُ إسماعيل: حدثنا سفيانُ: حدثنا عبد الله بن دينار، قال:

سمعت ابنُ عمر [رضي الله عنهما] يقول: قال رسولُ الله ﷺ: **«كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، فالأميرُ راعٍ على رعيَّته، ومسؤولٌ عنهم، والرجلُ راعٍ على أهلِ بيته، وهو مسؤولٌ عنهم، والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ زوجها، وهي مسؤولةٌ عنه، والعبدُ راعٍ على مال سيده، وهو مسؤولٌ عنه»**(١).

قال أبو حاتم رضي الله عنه: صرَّحتِ السُّنةُ عن المصطفى ﷺ بأن كلَّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيته، فالواجبُ على كلِّ من كان راعيًا لزومُ التعاهد لرعيته، فرُعاة الناس العلماء، وراعي الملوكِ العقل، وراعي الصالحين تقواهم، وراعي المتعلِّمِ معلِّمُه، وراعي الولدِ والدُه، كما أن حارس المرأةِ زوجُها، وحارسَ العبد مولاهُ، وكلُّ راعٍ من الناس مسؤولٌ عن رعيته.

وأكثر ما يجبُ تعاهُدُ الرعيةِ للملوك؛ إذ هم رعاةٌ لها، وهم أرفعُ الرعاة - لكثرة نفاذِ أمورهم -، وعقدُ الأشياء وحَلُّها من ناحيتهم، فإذا لم يراعُوا أوقاتَهم، ولم يحتاطوا لرعيتهم، هلكوا وأهلكوا، وربَّما كان هلاكُ عالَمٍ في فسادِ مَلِكٍ واحد.

---

(١) **صحيح**: رواه مالك (٩٩١)، وأحمد (٢/١١١)، والبخاري (٧١٣٨)، وأبو داود (٢٩٢٨)، وابن حِبَّان (٤٤٩١)، ورواه مسلم (١٨٢٩)، والترمذي (١٧٠٥)، من طريق الليث عن نافع عن ابن عمر.

ولا يدومُ مُلْكُ مَلِكٍ إلا بأعوانٍ تُطيعه، ولا يطيعُه الأعوانُ إلا بوزير، ولا يَتِمُّ ذلك إلا أن يكونَ الوزيرُ ودودًا نصوحًا، ولا يوجدُ ذلك من الوزير إلا بالعفاف والرأي.

ولا يتمُّ قِوامُ هؤلاء إلا بالمال، ولا يوجد المالُ إلا بصلاح الرعية، ولا تصلحُ الرعية إلا بإقامة العدل، فكأنَّ ثباتَ المُلكِ لا يكون إلا بلزوم العدل، وزوالُه لا يكون إلا بمفارقته.

فالواجبُ على المَلِك: أن يتفقد أمورَ عُمَّالِه، حتى لا يخفى عليه إحسانُ مُحسِن، ولا إساءةُ مُسيء؛ لأنه إذا خَفِيَ عليه أعمالُ عُمَّاله لم يكن قائمًا بالعدل. وكل رياسة لم تكن مشوبةً بتقوى اللهِ تكون خساسة ـ لا رياسة ـ، والاحتواء على الرياسة من غير تقوى كالقاعد على الكُناسة.

[٩٢٦] كما قال بعضهم:

رياساتُ الرجالِ بغيرِ دينٍ ... ولا تقوى الإلهِ هي الخَساسةْ
وكلُّ رياسةٍ مِن غيرِ تقوَى ... أذلُّ من الجلوسِ على الكُناسةْ
وأشرفُ منزلٍ وأعزُّ عزٍّ ... وخيرُ رياسةٍ تركُ الرياسةْ

[٩٢٧] ولقد أَنشَدَني عليُّ بن محمد البسامي:

إذا سُسْتَ قومًا فاجعلِ العدلَ بينهم ... وبينك تأمنْ كلَّ ما تتخوَّفُ
وإن خِفْتَ من أهواءِ قومٍ تشتُّتًا ... فبالجود فاجمعْ بينهم يتألفُوا

[٩٢٨] حدثنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب القاضي: حدثنا الأصمعي، قال:

قال ملكُ بخارسْتان لنصر بن سَيَّار: «ينبغي للأمير أن يكون له ستةُ أشياء: وزيرٌ يثقُ به، ويُفضي إليه بسِرِّه، وحِصانٌ يلجأُ إليه، فإذا فَزِع أنجاه ـ يعني: فرسًا ـ، وسيفٌ إذا نازل به الأقران لم يَخَفْ أن يخونَه، وذخيرةٌ خفيفةُ المحمل، إذا نابته نائبةٌ أخذها، وامرأةٌ إذا دخل إليها أذهبت همَّه، وطباخٌ إذا لم يَشْتَهِ الطعام صنع له شيئًا يشتهيه».

قال أبو حاتم ﷺ: لا يجبُ للسلطان أن يُفرِطَ البشاشةَ والهشاشةَ للناس، ولا أن يُقِلَّ منها؛ فإن الإكثارَ منهما يؤدِّي إلى الخفَّة والسُّخف، والإقلالُ منها يؤدِّي إلى العُجب والكِبْر، ولا ينبغي له أن يغضب؛ لأن قُدرَتَه من وراء حاجتِه، ولا له أن يكذب؛ لأنه لا يقدِرُ أحدٌ على استكراهه، ولا له أن يَبخل؛ لأنه لا عُذرَ له في منع الأموال والجاهِ معًا، ولا له أن يَحقِد؛ لأنه يجبُ أن يترفَّع عن المجازاة.

فأفضلُ السلطان: من لم يخالطْه البَطَر، وأعجزُهم: آخذُهُمْ بالهُوَينا[١] وأقلُّهمْ نظرًا في العواقب.

وخيرُ السلطان: مَن أشبَهَ النِّسرَ حوله الجِيَف، لا مَن أشبَهَ الجِيفَ حولها النسور.

ويجبُ عليه استبقاءُ الرياسة وما فيها من نِعَم الله عليه، بلزوم تقوى اللهِ وتفقُّدِ أمور الرعية، وإنصافِ بعضِهم بعضًا؛ لأنه ما من قَويٍّ في الدنيا إلا وفوقَه أقوى منه، فمتى ما عَرف السلطانُ فضلَ قوَّته على الضعفاء، فغَرَّه ذلك من قوةِ الأقوياء، كانت قوتُه حَيْنًا[٢] عليه وهلاكًا له.

والضعيفُ المحترس أقربُ إلى السلامة من القويِّ المُغتر؛ لأن صَرْعةَ الاسترسال لا تكادُ تُستقال.

ولا يجبُ أن يَعجَل في سلطانه بعقابِ مَن يخاف أن يندم عليه، ولا يَثِقَنَّ بمَن عاقبَه مِن غير جُرم.

وما أُشَبِّهُ السلطان إلا بالنار، إن قصُرَتْ بَطَل نفعها، وإن جاوزت عظُم ضرُّها، فخيرُ السلطان: مَن أشبه الغيثَ في أحيانه في نفعِ مَن يَليهِ، لا مَن أشبهَ النارَ في أكلها ما يليها.

والسلطانُ ـ إذا كان عادلًا ـ خيرٌ من المطر إذا كان وابلًا[٣]، وسلطانٌ

---

(١) يقصد: التأني المفرَط فيه. والله أعلم.
(٢) **الحَين** ـ بفتح الحاء ـ: الهلاك.
(٣) **الوابل**: الغزير.

غشوم خيرٌ من فتنةٍ تدوم، والناسُ إلى عدل سلطانهم أحوجُ منهم إلى خِصْبِ ديارِهم.

[٩٢٩] ولقد حدثنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا مرجَّى بن المؤمَّل بن المثنى المري، عن أبيه، قال:

قال الأحنفُ بن قيس: «الوالي من الرعية مكانُ الروحِ من الجسد الذي لا حياةَ له إلا به، وموضعُ الرأس من أركان الجسد الذي لا بقاء له إلا معه».

[٩٣٠] وأنشَدَني ابن الزنجي البغدادي للأفوه الأوْدي:

لا يَصْلُحُ الناسُ فَوْضى لا سَرَاةَ لهم ... ولا سَرَاة إذا جُهَّالُهمْ سادوا[١]

والبيتُ لا يُبْتَنَى إلا بأعمدةٍ ... ولا عمادَ إذا لم تُرْسَ أوتادُ

فإن تجمَّعَ أوتادٌ وأعمدةٌ ... وساكنٌ أدركوا الأمرَ الذي كادُوا

تُهْدَى الأمورُ بأهلِ الرأيِ ما صَلَحتْ ... فإن تولَّت فبالأشرار تنقادُ

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على السلطان ـ قبل كلِّ شيءٍ ـ أن يبدأ بتقوى اللهِ وإصلاحِ سريرته بينه وبين خالقه، ثم يتفكَّرُ فيما قلَّده[٢] اللهُ مِن أمر إخوانه ورَفْعِه عليهم؛ ليعلمَ أنه مسؤولٌ عنهم في دِقِّ الأمور وجِلِّها[٣]، ومحاسَبٌ على قليلِها وكثيرها، ثم يتخذُ وزيرًا صالحًا عاقلًا عفيفًا نصوحًا، وعُمَّالًا صالحين بَرَرَةً راشدين، وأعوانًا مستورين، وخَدَمًا معلومين، ثم يقلِّدُ عُمَّالَه ما لا غنَى له عنهم، ويَشترط عليهم تقوى اللهِ وطاعتَه، وأخذَ المالِ من حلِّه، وتفريقه في أهله.

ثم يتفقدُ أمرَ بيت المال بألَّا يُدخِلَهُ حبةً ـ فما فوقها ـ من قهرٍ أو جَور، أو سَلبٍ أو نهب أو رِشوة؛ فإنه مسؤولٌ عن كل ذَرَّةٍ منه، ومحاسَبٌ على كل

---

(١) السَّراة: الأشراف، والمقصود: الكبراء. (٢) قلَّده: علَّقه في رقبته.

(٣) دِقُّها وجِلُّها: صغيرها وكبيرها.

حبَّةٍ فيه، ثم لا يُخرجُه إلَّا في المواضع التي أمر اللهُ - جلَّ وعلا - في سورة الأنفال.

ثم يتفقدُ أمور الحرمَينِ، وطريقَ الحاجِّ، ومجاوِري بيت الله، وقبرِ رسول الله ﷺ[1].

ثم يتفقدُ ثُغورَ المسلمين، ولا يُوَلِّي على الثغور مِن عُمَّاله إلا مَن يعلم أن القتلَ في سبيل الله يكون آثرَ عنده من البقاء في الدنيا، ليغزيَ الناس ولا يعطِّلَ الثغر.

ثم يتفقدُ ثغور المسلمين ومَراقبَهم والأبرجةَ[2] التي بين المسلمين وبين عدوِّهم، بأن يَعمُرَها ويُقيمَ فيها أعيُنًا من المسلمين تتجسسُ أخبارَ العدو، ويُجْري عليهم من بيت مالِهم.

ثم يتفقدُ أولادَ المهاجرينَ والأنصارِ بعطاياهم، ويعرفُ فضيلتهم، وسابقةَ آبائهم، وأنه إنما نال ما نال بهم.

ثم يتفقدُ أمورَ الحكَّام، بألَّا يولِّيَ أحدًا على قضاء المسلمين إلَّا من يعلمُ منه العفافَ والعلم، وتَرْكَ الميلِ إلى الهوى والحكمِ بغير ما يوجبُه العلم.

ثم يتفقدُ أهلَ العلم والقرَّاء، والمؤذِّنين والصالحين، وضعفاءَ المسلمين، وليكنْ لمن هو أصغرُ سنًّا منه أبًا، ولمن هو أكبرُ منه ابنًا، ولأتْرَابه أخًا[3]، فيكونُ في تفقُّدِ أمورهم ولصلاحِ أسبابِهم أكثرَ من تفقدهم بأنفسهم.

ثم يختارُ من الرعية أقوامًا أُمناء، يَبعثُ بهم في كلِّ سَنةٍ إلى المدن؛

---

(١) المجاورةُ لا تكون إلا لـ«مسجد» رسول الله ﷺ، كما ثبت عنه في «الصحيح» أنه قال: **«لا تُشدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجد: مسجدِ الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي هذا»**، ولا يوجدُ أيُّ دليلٍ شرعيٍّ على جواز المجاورة للقبر الشريف - خاصةً -، فالذي يذهب للمدينة يذهب للمجاورة في مسجدِه الشريف ﷺ، ثم بعد ذلك يسلِّمُ عليه في قبره كما يشاء.

(٢) **الأبرجة**: جمع «بُرج».

(٣) **الأتراب**: الأقران متقاربو السن.

لِيُشرِفوا على العمال والحكَّام، ويتفقَّدوا أسبابَهم وسِيَرَهم، ويخبروه بها، فيَعزلُ مَن استحق منهم العزل، ويُقرُّ من اتبع الحق.

ثم يجعلُ لنفسه موضعًا لا يُمنعُ منه لطرح القَصص[1]، ويَبرُزُ للرعية في كل يوم ـ أو في كلِّ ثلاثةِ أيام، أو في كل أسبوع ـ، ليرفعوا إليه حوائجَهم.

ولْيجتنب الحِدَّة، ولْيَلزَم الحلمَ الدائم فيما يردُ عليه من أشيائِهم.

[٩٣١] وقد حدثنا عبد الله بن قَحطبة: حدثنا محمد بن زنبور:

حدَّثنا أبو بكر بن عيَّاش: «إن أهل الجاهلية لم يكونوا يُسوِّدُون عليهم أحدًا لشجاعةٍ ولا لسخاء؛ إنما كانوا يسوِّدُون من إذا شُتِمَ حَلُم، وإذا سُئل حاجةً قضاها، أو قام معهم فيها».

[٩٣٢] وأنشدَني الأبرش:

وقد يُبْغِضُ الحيَّاتِ أولادُ آدم ... وأبغضُ ما فيها إليهم رؤوسُها
وما ابتُلِيَتْ يومًا بِشرٍّ قَبيلةٌ ... أضرَّ عليها من سَفيهٍ يَسُوسُها

قال أبو حاتم ﷺ: لا يَستحقُّ أحدٌ اسم «الرياسة»، حتى يكونَ فيه ثلاثة أشياء:

١ ـ العقل.
٢ ـ والعلم.
٣ ـ والمنطق.

ثم يتعرَّى عن ستة أشياء:

١ ـ عن الحدة.
٢ ـ والعجَلة.
٣ ـ والحسد.
٤ ـ والهوى.

(١) أي: لسماع الشكاوى التي تَرِدُ عليه في الأوراق. والله أعلم.

٥ ـ والكذب.

٦ ـ وترك المشاورة.

ثم لْيلزمْ في سياسته على دائم الأوقات ثلاثة أشياء:

١ ـ الرفق في الأمور.

٢ ـ والصبر على الأشياء.

٣ ـ وطول الصمت.

فمن تعرَّى عن هذه الأشياء ـ وهو ذو سلطان ـ عَمِيَ عليه قلبُه، وتشتَّتت عليه أموره.

ومَن لم يكن فيه خصلةٌ من هذه الخصال، نَقص من ضوءِ بَصَرِ قلبِه مثلُها، ودخل الخللُ في أموره نحوها.

وإنما مَثَلُ الرئيس والرعية؛ كمثل جماعةِ عميان، ليس لهم إلَّا قائدٌ واحد، فإن لم يكن ذلك القائدُ أحدَّ الناس بصرًا، وألطفَهم نظرًا، كان خليقًا أن يوقعَهم وإياه في وَهدةٍ[1] تندقُّ فيها أعناقُهم وعنقُه معهم.

والواجب على السلطان: ألَّا يَغفُل عن الأشياء الأربعة التي صلاحُه في دينه ودنياه فيها، وهي:

[٩٣٣] ما حدثنا به عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا عبيد الله بن محمد العيشي:

حدثنا المدائني قال: «خرج الزُّهريُّ يومًا من عند هشام بن عبدِ الملِك، فقال: ما رأيتُ كاليوم، ولا سمعتُ به كأربعِ كلماتٍ تكلَّم بهنَّ رجلٌ آنِفًا عند هشام بن عبدِ الملك! فقيل له: وما هنَّ؟ قال: قال له رجلٌ: يا أمير المؤمنين، احفَظْ عنِّي أربعَ كلماتٍ، فيهن صلاحُ مُلكِك، واستقامةُ رعيَّتك. قال: هاتِهنَّ. قال: لا تَعِدَنَّ عِدَةً لا تثقُ من نفسك

(١) الوَهدة: الهُوَّة.

بإنجازها، ولا يغرَّنَّكَ المرتقَى - وإن كان سهلًا -، إذا كان المنحدَرُ وعْرًا، واعلم أن للأعمال جزاءً، فاتقِ العواقب، وإن للأمور بغَتاتٍ[1]، فكنْ على حذر».

٩٣٤ وانشَدَني المنتصر بن بلال:

بلاءُ الناس مذ كانوا ... إلى أن تأتيَ الساعةْ

بحبِّ الأمرِ والنهي ... وحبِّ السمع والطاعةْ

قال أبو حاتم رضي الله عنه: لا يجبُ للعاقل طلبُ الإمارة؛ لأن مَن أُوتيَها عن مسألةٍ وُكِلَ إليها، ومَن أُعطيها من غير مسألةٍ أُعين عليها.

ومَن اشتُهر بالرياسة فلْيحترز؛ لأن الريحَ الشديدة لا تُحطِّمُ الكلأ، وهي تحطِّمُ دَوْحَ الشَّجَرِ ومَشِيدَ البنيان.

ولْيلزم المشورة؛ فإن في المشورة صلاحَ الرعية ومادةَ الرأي، ولْيصطنع إلى الناس كافةً في الوقت الذي يقدِرُ على الصنائع والمعروف، قبلَ أن يجيئَه الوقتُ الذي يفقدُ فيه القُدرةَ عليها.

ولْيعتبرْ بمن كان قبلَه من الملوك والأمراء والسادة والوزراء؛ لأن مَن ظَفِر بأمرٍ جسيمٍ فأضاعه فاته، ومَن أمكنته الفرصةُ فأخَّر العمل فيها لا تكادُ تعودُ إليه.

والسلطنةُ إنما هي قولُ الحق، والعملُ بالعدل، لا التفاخرُ في الدنيا واستعمال البذل[2].

٩٣٥ ولقد حدثنا محمد بن سعيدٍ القزَّاز: حدثنا خطاب بن عبد الرَّحمٰن الجنَدي: حدثنا عبد الله بن سليمان، قال:

قال أبو عمرو بن العلاء: «كان أهلُ الجاهليةِ لا يسوِّدُونَ إلا من

---

(١) البَغَتات: المفاجآت.

(٢) يقصد الإسراف، والله أعلم.

تكاملت فيه ستُّ خصال ـ وتمامُهنَّ في الإسلام السابعة ـ: السخاء، والنَّجْدة، والصبر، والحِلم، والبيانُ، والتواضع، وتمامهنَّ في الإسلام: الحياء».

[٩٣٦] وأنشَدَني الكريزي:

إذا نِلتَ الإمارةَ فاسْمُ فيها | إلى العلياءِ بالعمل الوثيقِ
بمحضِ خليقةٍ لا عيبَ فيها | وليس المحضُ كاللبن المَذِيقِ[1]
ولا تكُ عندها حلوًا فتُحسَى | ولا مرًّا فتَنْشَبَ في الحُلوقِ
وكلُّ إمارةٍ إلا قليلًا | مُغَيِّرةُ الصديقِ عن الصديقِ

قال أبو حاتم ﷺ: مَن صحب السلطان، فلا يجب أن يكتمه نصيحته؛ لأن مَن كَتم السلطان نصيحتَه، والأطباءَ مرضه، والإخوانَ بَثَّه؛ فقد خان نفسَه.

ومن يصحبُ السلطان لا ينجو من الآثام، كما أن راكبَ العَجَلِ لا يأمنُ العِثار، ولا يجبُ أن يأمن غضبَ السلطان إنْ صَدَقَه، ولا عقوبتَه إن كَذَبه، ولا يجترئَ عليه وإن أدناه؛ لأن الحازمَ العاقلَ لا يشربُ السمَّ اتكالًا على ما عنده من الترياق والأدوية.

وإني لأستحب لمن امتُحن بصحبة السلطان: أن يُعلِّمَه لزومَ تقوى الله والعملِ الصالح، كأنه يتعلمُ منه، ويؤدِّبَه كأنه يتأدَّبُ به، ويتقي سخَطاته، والسخطُ إذا كان من علةٍ كان الرضا عنه موجودًا، وإذا كان من غير علَّةٍ ينقطع حينئذٍ الرجاء.

ولا يجب للرعية أن تعلمَ كلَّ ما تأتي الملوكُ من أمورها؛ لأن في معرفتهم إياها بعضَ الفتنة. وهيهات! من ذا صحب السلطان فلم يُفتتن، ومَن اتبع الهوى فلم يَعطَب؟.

---

(١) **المحض**: الخالص. **المَذيق**: المخلوط بغيره.

إن الشجرة الحسنة ربَّما كان سببُ هلاكها طِيبَ ثمرتها، وربَّما كان ذَنَبُ الطاووس ـ الذي فيه جَمالُه ـ سببَ حَتْفِه؛ لأنه يُثقِلُه حتى يمنعه من الهرب.

ومَن صَحِب السلطانَ لم يأمنِ التغيُّرَ على نفسه؛ لأن الأنهارَ إنما تكونُ عذبةً ما لم تَنْصَبَّ إلى البحور، فإذا وقعت في البحور مَلُحت، على أن قعود العلماء عن أبوابِ الملوك زيادةٌ في نور علمهم، وكثرةُ غشَيانهم إياهم غِشاوةٌ على قلوبهم.

ومَن صَحِب الملوك لم يأمنْ تغيُّرَهم، ومن زايلَهم لم يأمنْ تَفَقُّدَهم، وإنْ قَطع الأمورَ دونهم لم يأمنْ فيها مخالفتَهم، وإن عزم على شيءٍ لم يجد بدًّا من مؤامرتهم.

وأسمجُ شيءٍ في الملوك الحِدَّة.

[٩٣٧] ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصُّوفي: حدثنا يحيى بنُ مَعين: حدثنا المبارك بن سعيد الثوري، قال:

كان يقال: «خَمسُ خِلالٍ هنَّ أقبحُ شيءٍ فيمن كنَّ فيه: الحدةُ في السلطان، والكِبْرُ في ذي الحسَبِ، والبُخلُ في الغَنيِّ، والحرصُ في العالِم، والفتوَّةُ في الشيخ[1]».

قال أبو حاتم ﷺ: رؤساءُ القوم أعظمُهم همومًا، وأدومُهم غمومًا، وأشغلُهم قلوبًا، وأشهرُهم عيوبًا، وأكثرُهم عدوًّا، وأشدُّهم أحزانًا، وأنكاهم أشجانًا[2]، وأكثرُهم في القيامة حسابًا، وأشدُّهم ـ إن لم يَعْفُ اللهُ عنهم ـ عذابًا.

ومِن أحسن ما يستعينُ به السلطانُ على أسبابه: اتخاذُ وزيرٍ عفيفٍ ناصحٍ

(١) المقصود بـ«الفتوَّة» هنا: التصابي ـ واللهُ أعلم ـ.
(٢) أي: أعظمهم أحزانًا وآلامًا.

ـ على ما تقدَّم ذِكرُنا له ـ؛ فإن الوزيرُ إذا غَفَل الأميرُ ذكَّرَهُ، وإن ذَكَر أعانه، وإن سوَّلت له[١] نفسُه سيئةً صدَّه، وإن أراد طاعةً نَشَّطه، فهو المحبَّبُ إلى الناس، والمستجلَبُ له دعاؤُهم.

[٩٣٨] ولقد أَنشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

إذا نَسِيَ الأميرُ قضاءَ حقٍّ   فإنَّ الذنبَ فيه للوزيرِ
لأنَّ على الوزيرِ ـ إذا تولَّى ـ   أمورَ الناس تذكيرَ الأميرِ

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على كل مَن يغشى السلطان، وامتُحن بصحبته: ألَّا يَعُدَّ شَتْمَه شتمًا، ولا إغلاظَه إغلاظًا، ولا التقصيرَ في حقِّه ذنبًا؛ لأن ريحَ العزَّة بَسطت لسانَه ويدَه بالغِلظة، فإن أنزله الوالي منزلةً رفيعةً من نفسه فلا يثقنَّ بها، وليجانب معه الكلام المَلِقَ[٢] والإكثارَ من الدعاء في كلِّ وقت، وكثرةَ الانبساط، فربَّ كلمةٍ أثارت الوحشة، بل يجتهدُ في توقيره وتعظيمِه عند الناس، فإنْ غضب فليَحْتَلْ في تسكين غضبه باللين والمداراة، ولا يكون سببًا لتهييجه.

[٩٣٩] ولقد حدثنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي:

حدثنا ابنُ عائشة عن أبيه قال: «بعث أبو جعفر إلى جعفر بن محمد قال: إني أستشيرُك في أمر، إني قد تأمَّلتُ أهلَ المدينة مرةً بعد أخرى، فلا أراهم يرجعون، ولا يُعتِبون! وقد رأيتُ أن أبعث فأحرِقَ نخلَها، وأُغَوِّر عيونها[٣]، فما ترى؟ فسكت جعفر. فقال: ما لك لا تكلَّم؟ قال: إن أذِنتَ لي تكلمتُ. قال: قل. قال: يا أميرَ المؤمنين، إن سليمان [عليه السلام] أُعطي فَشَكر، وإن أيوب [عليه السلام] ابتُلي فصبر، وإن

---

(١) أي: للسلطان.
(٢) أي: كلام النفاق والذي يُظهِرُ فيه الوُدَّ والمحبة المبالغ فيها.
(٣) أي: أُغيِّبُ ماءها.

يوسف [عليه السلام] قَدَر فغفر. وقد جعلك اللهُ من النسل الذي يَعفُون ويصفحون. قال: فطُفِئ غضبه وسكن».

[٩٤٠] حدثني محمد بن أبي عليٍّ الخلادي: حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد:

عن محمد بن حُميد بن فروة، عن أبيه، قال: «لمَّا استقرت للمأمون الخلافة، دعا إبراهيمَ بن المهدي ـ المعروف بابن شِكْلة ـ، فوقف بين يديه، فقال: أنت المتوثِّبُ علينا تدَّعي الخلافة؟ فقال إبراهيم: يا أميرَ المؤمنين، أنت وليُّ الثأر، مُحَكَّمٌ في القِصاص، والعفوُ أقرب للتقوى، وقد جعلك اللهُ فوق كلِّ ذي ذنْب، كما جعل كلَّ ذي ذنبٍ دونَك، فإن أخذتَ أخذتَ بحقٍّ، وأن عفوتَ عفوتَ بفضل، ولقد حضرتُ أبي ـ وهو جدُّك ـ أُتي برجل كان جُرمُه أعظمَ من جُرمي، فأمر الخليفةُ بقتله ـ وعنده المبارك بن فَضَالة ـ، فقال المباركُ بن فضالة: إن رأى أميرُ المؤمنين أن يستأني في أمر هذا الرجل حتى أحدِّثَه بحديثٍ سمعتُه من الحسن يحدِّثُ به عن رسول الله ﷺ؟ قال: إيهِ[1] يا مبارك، قال: حدَّثَني الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان يومُ القيامة، نادى منادٍ من بُطْنان العرش: ألَا؛ لِيَقُم العافُونَ من الخلفاء، فلا يقوم إلا من عفا**»[2]. فقال الخليفة له: يا مبارك، قد قبلتُ الحديث، وعفوتُ عنه، اخرُج ـ أيُّها الرجل ـ، فلا سبيل لأحدٍ عليك.

فقال المأمون: يا عمُّ، هاهنا، يا عم، هاهنا».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على مَن قُلِّد أمورَ المسلمين: الرجوعُ إلى اللهِ جلّ وعلا في كل لحظةٍ وطَرْفة؛ لئلَّا يُطغِيَه ما هو فيه مِن تسلُّطِه، بل

(١) أي: أخبرني وأعلِمْني، وأصل الكلمة: «زدنا من كلامك».

(٢) ضعيف: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩/ ٥٢٤ ـ ط: الرشد)، وفيه من لم يُعرفوا ـ كما قال محقق «الشعب» ـ.

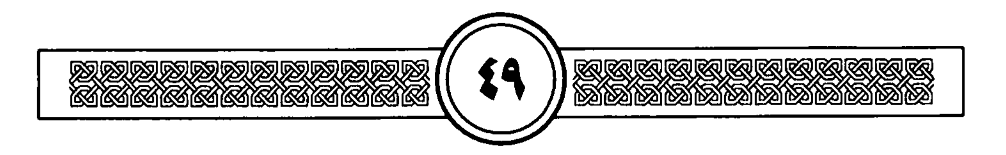
يذكرُ عظَمةَ الله وقدرتَه وسلطانَه، وأنه هو المنتقم ممن ظلم، والمجازِي لمن أحسن، فلْيَلزم في إمرتِه السلوكَ الذي يؤديه إلى اكتسابِ الخير في الدارَين، ولْيَعتبر بمن كان قبلَه من أشكاله؛ فإنه ـ لا محالةَ ـ مسؤول عن شُكر ما هو فيه، كما هو ـ لا محالة ـ مسؤولٌ عن حسابه، إذ المصطفى ﷺ قال: «**يقول اللهُ ـ تبارك وتعالى ـ يوم القيامة: ألم أحمِلْك على الخير، ورزقتُك النساء، وجعلتُك تَرْأَسُ وتَرْبَع**[1]**؟ فيقول: بلى. فيقول: فأين شُكرُ ذلك؟**»[2].

[٩٤١] وانشَدَني ابن زنجي البغدادي:

يـدبِّـرُ أسـبـابَ الـرجـالِ مـؤمَّـرٌ إذا صلحت في الصدرِ أشفى وأبيَنُ
مِن العقل أن تَحتاطَ فيما وَلِيتَهُ وتَحسِمُ ما تخشاهُ والأمرُ ممكنُ

(١) **ترأس**: تصير رئيسًا. **تَرْبَع**: تأخذ رُبُعَ الغنائم ـ على عادة كبراء الجاهلية ـ.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٦٨)، والترمذي (٢٤٢٨)، وابن حِبَّان (٤٦٤٢).



ذِكرُ الدنيا وتقلُّبِها بأهلِها

[٩٤٢] حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام: حدثنا عبدُ الله بن هانئ بن عبد الرَّحمٰن بن أبي عبلة: حدثنا أبي، عن عمِّه إبراهيم بن أبي عبلة، عن أم الدرداء:

عن أبي الدرداء [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن أصبح معافًى في بدنه، آمِنًا في سِرْبِه**[١]**، عنده قُوتُ يومه، فكأنما حِيزت له الدنيا.**

يا ابن جُعْشُم، يكفيك منها ما سدَّ جَوْعتك، وواری عَوْرَتك، فإن يكنْ ثوبًا تلبسُه فذاك، وإن كانت دابةً تركبُها فبَخٍ.

فِلَقُ الخبز، وماءُ الحُبِّ[٢]**، وما فوق الإزار حسابٌ عليك»**[٣].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجبُ على العاقل: ألَّا يغترَّ بالدنيا وزهرتها،

(١) سِرْبه ـ بكسر السِّين وسكون الراء ـ: الأهل والعيال. وضُبطت: «سَرْبه» ـ بفتح السين وسكون الراء ـ؛ أي: طريقه. وضبطت أيضًا: «سَرَبه» ـ بفتح السين والراء ـ؛ أي: بيته. انظر: «تُحفة الأحوذي» (٧/ ٩، ١٠).

(٢) الحُب ـ بضم الحاء ـ: وِعاء.

(٣) ضعيف ـ بهذا التمام ـ: رواه البيهقي (١٣/ ٧ ـ ط: الرشد)، وفيه من لم يعرف، ومن يحدث الأباطيل، وقد ورد عند البيهقي بلفظ: «يا ابن آدم..» دون «يا ابن جُعشم..». وقد ثبت الحديث مختصرًا حتى قوله: «... حِيزت له الدنيا»، وهو حسن: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٠)، والترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١)، من حديث عبيد الله بن محصن رضي الله عنه، وقد حسَّنه الإمام الترمذي والعلَّامة الألباني. ورواه ابن حِبَّان ـ بهذا الاختصار ـ (٦٧١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٤٩)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وحسَّنه بشواهده العلَّامة شعيب الأرنؤوط في «الإحسان» (٢/ ٤٤٦).

وحُسنِها وبَهجتها، فيشتغلَ بها عن الآخرة الباقية، والنِّعمِ الدائمة، بل يُنزِلُها حيث أنزلها اللهُ؛ لأن عاقبتها ـ لا محالة ـ تَصيرُ إلى فَناء، يَخرَبُ عُمرانُها، ويموتُ سكَّانُها، وتذهبُ بَهجتُها، وتَبيدُ[1] خَضِرَتُها، فلا يبقى رئيسٌ متكبِّرٌ مؤمَّر، ولا فقيرٌ مسكينٌ محتقَر، إلَّا ويجري عليهم كأسُ المنايا، ثم يصيرون إلى التراب فيَبلَون، حتى يرجعوا إلى ما كانوا عليه في البداية إلى الفناء، ثم يَرِثُ الأرضَ ومن عليها علامُ الغيوب.

فالعاقلُ لا يركَنُ إلى دارٍ هذا نعتُها، ولا يطمئنُّ إلى دنيا هذه صفتُها، وقد ادُّخر له ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خَطَر على قلب بشر، فيضِنُّ بترك هذا القليل، ويرضى بفَوتِ ذلك الكثير.

[٩٤٣] حدثنا محمد بن المسيب بن إسحاق: حدثنا يعقوبُ بن إبراهيم الدَّورقي قال:

سمعت بِشرَ بن الحارث يقول:

لا تأسَ في الدنيا على فائتٍ ... وعندك الإسلامُ والعافيةْ[2]

إن فاتَ أمرٌ كنتَ تسعى له ... ففيهما مِن فائتٍ كافيةْ

[٩٤٤] وأنشدَني الكريزي: أَنشَدَني شعيب بن أحمد:

لسليمان بن يزيد العدوي:

ألم ترَ أنَّ المرء يُودِي شبابُهُ ... وأنَّ المنايا للرجالِ تشعَّبُ[3]

فمِن ذائقٍ كأسًا مِن الموت مُرَّةً ... وآخرَ أخرى مثلَها يترقبُ

لها منهم زادٌ حثيثٌ وسائقٌ ... وكلٌّ بكأسِ الموت يومًا سيشربُ

وما وارثٌ إلا سيُورَثُ مالُهُ ... ولا سالبٌ إلا وشيكًا سيُسْلَبُ

ولا آلِفٌ إلا سيَتبعُ إِلفَهُ ... ولا نِعمةٌ إلا تَبيدُ وتذهبُ[4]

---

(١) تَبيد: تفنى.
(٢) تأس: تحزن.
(٣) يودي: يرحل.
(٤) الآلِف: المُحِب.

وما من مُعَافًى والمصائبُ جَمَّةٌ يعاورُها العصرانِ إلا سيَعطبُ
أرى الناسَ أضيافًا أقاموا بغربةٍ تُقلِّبُهم أيامُها وتَقلَّبُوا
بدارِ غرورٍ حلوةٍ يعمرونها وقد عاينوا فيها زوالًا وجرَّبُوا
يذمُّون دنيا لا يُريْحُون دَرَّها فلم أرَ كالدنيا تُذمُّ وتُحلَبُ(١)
تَسرُّهمُ طَورًا وطَوْرًا تُذيقُهم مَضيضَ مكاوٍ حَرُّها يَتلهَّبُ(٢)

٩٤٥ حدثنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي:

حدَّثنا عبيد الله بن محمد العيشي قال: عاد رجلٌ مريضًا، فسمع قائلًا يقول مِن ناحية البيت:

نادِ ربَّ الدار: ذا المالُ الذي جمع الدنيا بحرصٍ: ما فَعَلْ؟

فأجابه مجيب:

كان في دارٍ سواها دارُهُ علَّلتْه بالمُنى ثم انتقلْ
لم يُمتَّع بالذي كان حَوَى من حُطام المال إذا حلَّ الأجلْ
إنما الدنيا كظلٍّ زائلٍ طَلَعَتْ شمسٌ عليه فاضمحلْ

٩٤٦ **قال أبو حاتم** ﷺ: رأيت على حَجَرٍ بطَبَرِسْتان مكتوب:

العيشُ لونانِ: فحُلوٌ ومُر والدهرُ نصفانِ: فريفٌ وضُرْ
والنطقُ جزآنِ: فبَعْرٌ ودُر والناس اثنانِ: فنذلٌ وحُرْ
يومُك يومانِ: فخيرٌ وشر نهارٌ يزولُ وليلٌ يَكِرْ
كذاك الزمانُ على من مضى وكلُّ السنينَ على ذا تَمُرْ

٩٤٧ وأنشَدَني الأبرش:

إنما الدنيا نهارُ ضوءُها ضوءٌ معارُ
بينما غُصنُك غضٌّ ناعمٌ فيه اخضرارُ

---

(١) دَرُّها: لَبَنُها. والمقصود: أنهم لا يتركون اللهث وراءها.
(٢) مضيض: أوجاع. المكاوي: ما يُكوى به الشيء.

إذ رَمــــاه زُمْــــنــــاهُ فــإذا فـيــه اصــفــرارُ[١]
وكــذلــك الــلــيــلُ يــأتــي ثــم يــمــحــوهُ الــنــهــارُ

٩٤٨ وأنشَدَني ابن زنجي البغدادي:

يـا لائـمَ الـدهـرَ إذا مـا نـبـا لا تـلُـمِ الـدهـرَ عـلـى غَـدْرِهِ[٢]
الـدهـرُ مـأمـورٌ لـه آمـرٌ يـنـصـرِفُ الـدهـرُ إلـى أمـرِهِ
كـم كـافـرٍ بـالـلَّـهِ أمـوالُـهُ تـزدادُ أضـعـافًـا عـلـى كُـفـرِهِ
ومـؤمـنٍ لـيـس لـه درهـمٌ يـزداد إيـمـانًـا عـلـى فـقـرِهِ
لا خيرَ فيمن لم يكنْ عاقلًا يـبـسُـطُ رِجلَـيـهِ عـلـى قَـدْرِهِ

٩٤٩ وأنشَدَني الكريزي:

مـا الـدهـر إلَّا لـيـلـةٌ ويـومُ والـعـيـشُ إلا يـقْـظـةٌ ونـومُ
يـعـيـشُ قـومٌ ويـمـوتُ قـومٌ والـدهـرُ قـاضٍ مـا عـلـيـه لـومُ

٩٥٠ أنبأنا عبد الله بن محمد بن سلم: حدثنا أحمد بن أبي الحواري: حدثنا محمد بن إسحاق الموصلي، قال:

قال أبو حازم: «بضاعةُ الآخرة كاسدة[٣]، فاستكثِرْ منها في أوان كسادها؛ فإنه لو جاء أوانُ نَفاقِها[٤]، لم تَصِل منها لا إلى قليلٍ ولا إلى كثير».

قال أبو حاتم ﷺ: الدنيا بحرٌ طفَّاح، والناسُ في أمواجها يعومون، وفي أمثالها تضربُها الأيام للأنام ـ وما أكثرَ أشباهًا منها ـ لأن كلَّ ما يصير إلى فَناءٍ منها يشبهها، فمن أوتيَ من الدنيا أشياءَ ثلاثةً، فقد أوتي الدنيا بحذافيرها: «الأمن، والقوت، والصحة»، لا يغترُّ بشيءٍ منها إلا كلُّ خدَّاع، ولا يركَنْ إليها إلا كلُّ منَّاع.

(١) **زُمْناه** ـ بضم الزاي وسكون الميم ـ: طول الزمان.
(٢) **نبا**: أعرض. والمراد: أنه لم يواتِ المرءَ في رغباته.
(٣) **كاسدة**: لا شاريَ لها.
(٤) **النَّفاق** ـ بفتح النون ـ: الإقبال عليها.

فالعاقلُ يعلم أن ما لم يَبْقَ لغيره عليه غيرُ باق، وأنَّ ما سُلب عن غيره لا يُترك عليه، فالقصدُ إلى ما يعودُ بالنفع في الآخرة للعاقل في الدنيا أحرى من السلوك في قصدِ الضَّنِّ بها والجمعِ لها من غير تقديمِ ما يقدُمُ عليه في الآخرة من الأعمال الصالحة، وترك الاغترار بها، والاعتبار بتقلُّبها بأهلها، ولا شيءَ أعظمُ خطرًا من الحياة، ولا غَبنَ أعظمُ من إفنائها لغير حياة الأبد.

ومَن اشتَهى أن يكون حرًّا فليجتنب الشهوات ـ وإن كانت لذيذة ـ، ولْيَعلم أن كلَّ لذيذٍ ليس بنافع، ولكن كلُّ نافعٍ هو اللذيذ، وكلُّ الشهوات مملولة إلَّا الأرباح؛ فإنها لا تُملُّ، وأعظمُ الأرباحِ الجنة، والاستغناءُ باللهِ عن الناس.

[٩٥١] ولقد أَنشَدَني عليُّ بن محمد البسَّامي:

فأعظِمْ بصبرٍ للزمانِ فإنه ... على حالةِ المكروه ليس بدائمِ
تدورُ لنا أفلاكُه بعجائبٍ ... إذا ما انقضت كانت كأحلامِ نائمِ
سُرورٌ وَهمٌّ وانتعاشٌ وسَقطةٌ ... إلى أجلٍ دانٍ لذلك هادمِ
وباللَّهِ دون الناس فاستَغْنَ واستعِنْ ... إذا نزلت إحدى الأمورِ العظائمِ

[٩٥٢] وأنشَدَني محمد بن إسحاق الواسطي:

والناسُ في هذه الدنيا على رُتبٍ ... هذا يُحطُّ وذا يعلو فيرتَفِعُ
فأخْلِصِ الشكرَ فيما قد حُبيتَ بهِ ... وآثِرِ الصبرَ كلٌّ سوف ينقطعُ

[٩٥٣] وأنشَدَني المنتصر بن بلال:

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ... ويومٌ نُسَاءُ ويومٌ نُسَرْ
كذاك التقارُضُ بين الأنام ... فخيرٌ بخيرٍ وشرٌّ بشرْ

[٩٥٤] أنبأنا محمد بن عبد الله بن الجنيد: حدثنا عبدُ الوارث بن عبيد الله، عن عبد الله، عن مسعر:

عن مَعنٍ عن عَونٍ قال: «كم مِن مستقبِلٍ يومًا لا يستكملُه، ومنتظرٍ

غدًا لا يُدرِكه، لو تنظُرون إلى الأجل ومسيرِه، لأبغضتم الأملَ وغرورَه».

قال أبو حاتم ﷺ: السببُ المؤدي للعاقل إلى إنزاله الدنيا منزلتَها، وتركِ الركون إليها، مع تقديم ما قدِرَ منها للعيش الدائم والنعيمِ المقيم: هو تركُ طول الأمل، ومراقبةُ ورود الموت عليه في كلِّ لحظةٍ وطَرْفة؛ لأن طولَ الآمال قَطَعت أعناقَ الرجال، كالسَّراب أخلف مَن رجاه، وخاب من رآه.

فالعاقلُ يلزم تركَها، مع الاعتبار الدائم بمن مضى من الأمم السالفة والقرونِ الماضية، كيف عَفَتْ آثارُهم، واضمحلَّت أنباؤهم، فما بَقِيَ منهم إلا الذِّكْر، ولا مِن ديارهم إلا الرسم، فسبحانَ مَن هو قادرٌ على بَعثهم وجمْعهم للجزاء والعقاب.

[٩٥٥] ولقد أنشدنا عمرو بن محمد، قال: أنشدنا الغلَّابي، قال:

أنشَدَني مَهديُّ بن سابق:

كنَّا على ظَهرها والعيشُ ذو مَهَلٍ … والدهرُ يَجمَعُنا والدارُ والوطنُ
ففرَّق الدهرُ ذو التصريفِ أُلفتَنا … فاليومَ يَجمَعُنا في بطنِها الكفنُ[1]
كذلك الدهرُ لا يُبقي على أحدٍ … تأتي بأقدارِه الأيامُ والزمنُ

[٩٥٦] وأنشَدَني محمد بن عبد الله البغدادي:

حتى متى يَبقى حليفُ الأسى … مستشعرًا للدهر أحزانَا؟!
فلا يَرُدُّ الحزنُ شيئًا … ولا يُعْتِبُ هذا الدهرُ إنسانَا
قد يُقبِلُ الدهرُ بسرَّائِهِ … طَوْرًا وقد يُدبِرُ أحيانَا
فاصبرْ على ما جرَّ من حادثٍ … ما زال غدَّارًا وخوَّانَا
وأحسِنِ الظنَّ بمنْ لم يَزَلْ … عليك مِفضالًا ومنَّانَا

[٩٥٧] وأنشَدَني عمرو بن محمد قال: أَنشَدَني الغلَّابي:

لابن أبي عُيينة المهلَّبي:

---

(١) التصريف: تقلب الأمور.

ما راحَ يومٌ على حيٍّ ولا ابتكرَا ... إلَّا رأى عِبرةً فيه إنِ اعتبرَا
ولا أتت ساعةٌ في الدهرِ فانصرفتْ ... حتى تؤثِّر في قوم لها غِيَرَا[١]
إن الليالِيَ والأيامَ أنفسَها ... عن غَيبِ أنفسِها لم تكتُمِ الخبَرَا

[٩٥٨] أنبأنا عليُّ بن سعيد العسكري: حدثنا إبراهيم بن الجُنيد: حدثنا الحسن بن سعيد الجُرجاني، قال:

سمعت أبا مريمَ ـ الصلتَ بن حُكيم ـ يقول: «كانت امرأةٌ من بني إسرائيل متعبِّدةً، وكانت تُفطِرُ كلَّ سبت، فبينا هي ذاتَ يوم قد وَضعت إفطارَها بين يديها، جَعلت تقول: مُحِبٌّ يُحبُّ حبيبَه يتشاغلُ بالأكل عن خدمةِ مُحبِّه! فيوشك أن يَقدَمَ عليه رسولُ حبيبه وهو متشاغلٌ بأكله عن خدمته، فلا تقرُّ عينُه بلقائه.

فمكثت كذلك مدةً لا تُفطر. قال: ثم وضعت إفطارَها بين يديها، وجَعلت تقول مثلما كانت تقول، وإذا شابٌّ من ناحيةِ البيت جميلُ الوجه طيبُ الريح، فقال: سلامٌ عليكِ ورحمةُ اللهِ يا حبيبة الله ـ أو يا وليَّةَ الله ـ، قالت: وعليكَ السلام، مَن أنت؟ قال: أنا مَلَكُ الموت، قالت: يا ملكَ الموت، أتأذنُ لي أن أسجدَ سجدةً أُناجي فيها ربِّي، فإذا رأيتَني قد فعلتُ ذلك قبضتَ روحي؟ قال: لكِ ذلك، فنحَّت إفطارها، ثم وثبت فسجدت، فقبض رُوحَها في اجتهادها ﷺ»[٢].

وباللهِ التوفيق.

---

(١) الغِيَر ـ بكسر الغين، وفتح الياء ـ: تقلُّب الأمور.

(٢) لو صح هذا الخبر لكان تأخيرُ أجلها بإذن الله تعالى.

٥٠

ذِكرُ الحثِّ على لُزومِ ذِكرِ الموت وتقديمِ الطاعات

[٩٥٩] حدثنا عبدُ الله بن محمود بن سليمان السعدي: حدثنا يحيى بن أكثم ومحمود بن غَيلان، قالا: حدثنا الفضل بن موسى، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة:

عن أبي هريرة [ﷺ] قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكثِرُوا ذِكرَ هاذمِ اللذات[١]: الموت»[٢].**

قال أبو حاتم ﷺ: الواجبُ على العاقل: أن يضمَّ إلى رعاية ما ذكرنا من شُعَب العقل ـ في كتابنا هذا ـ لزومَ ذكر الموت على الأوقات كلِّها، وتركَ الاغترار بالدنيا في الأسباب كلِّها، إذ الموت رَحًى[٣] دوَّارةٌ بين الخلْق، وكأسٌ يدارُ بها عليهم، لا بدَّ لكل ذي رُوح أن يشربَها ويذوقَ طعمَها، وهو هاذمُ اللذات، ومنغِّصُ الشهوات، ومكدِّرُ الأوقات، ومُزيلُ العاهات.

[٩٦٠] ولقد أنشَدَني عبدُ العزيز بن سليمان:

أيا هاذمَ اللذاتِ ما منك مهربٌ ... تُحاذر نفسي منكَ ما سيصيبُها
رأيتُ المنايا قُسِّمتْ بين أنفسٍ ... ونفسي سيأتي بعدهنَّ نصيبُها

---

(١) الهاذم: القاطع.
(٢) حسن: رواه أحمد (٢/ ٢٩٢)، والترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (١٨٢٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، وابن حِبَّان (٢٩٩٢)، وحسَّنه الإمام الترمذي، والعلَّامة شعيب الأرنؤوط، وصحَّحه العلَّامة الألباني.
(٣) الرَّحى: الآلة المعروفة التي تطحن القمح.

[٩٦١] وأنشَدَني الكريزي:

إنَّ مَن عاش آمنًا في سرورٍ قاعدٌ مِن سرورِه في غرورِ
ما لمن يَذكرُ المقابرَ والمو تَ إذا كان عاقلًا مِن سرورِ

[٩٦٢] حدثنا عمرو بن محمد: حدَّثنا الغلَّابي: حدثنا مَهديُّ بن سابق، قال:

قرئ على قصرٍ هذه الأبيات:

هذي منازلُ أقوامٍ عهدتُهمُ في ظلِّ عيشٍ عجيبٍ ما له خطَرُ
صاحتْ بهم حادثاتُ الدهر فانقلبوا إلى القبورِ فلا عينٌ ولا أثَرُ

[٩٦٣] حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي: حدثنا عبدُ الله بن محمد: حدثني إبراهيم بن عبدِ الملِك:

حدَّثني عليُّ بن سلمة الحلبي، قال: سمعت أبي يقول: كان معاوية يقول: أنا ـ واللهِ ـ مِن زَرعٍ قد استُحْصِد.

ونُعي له عبدُ الله بن عامر بن كُريز، والوليدُ بن عقبة ـ وكان أحدهما أكبر منه، والآخر دونه ـ، فقال:

إذا سار مَنْ خلفَ امرئ وأمامه وأُفرد من إخوانه فَهْوَ سائرُ

[٩٦٤] حدثنا أحمد بن محمد الشافعي: حدثنا عبدُ الله بن محمد، قال: سمعت عبدُ الله بن مسلم بن زياد الهمداني، قال:

سمعت عمرَ بنَ ذرٍّ يقول: «وَرِثَ فتًى من الحي دارًا عن آبائه وأجداده، فهدمها، ثم ابتناها وشيَّدها، فأُتيَ في منامه فقيل له:

إن كنت تطمعُ في الحياةِ فقد ترى أربابَ دارِك ساكَنُوا الأمواتْ
أنَّى تُحِسُّ من الأكارم ذِكرَهم؟ خلت الديارُ وبادتِ الأصواتْ

قال: فأصبح الفتى متَّعِظًا، قد أمسك عن كثيرٍ مما كان يصنع، وأقبل على نفسه».

[٩٦٥] حدثنا عمر بن حفص البزَّار: حدثنا إسحاق بن الضيف: حدثنا جعفرُ بن عون، قال:

سمعت مِسعرًا يقول:

ومُشَيِّدٍ دارًا ليسكنَ دارَه ... سكن القبورَ ودارَهُ لم يَسكُنِ

[٩٦٦] وانشَدَني ابن زنجي البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ:

لو أنني أُعطِيتُ سؤلي لما ... سألتُ إلا العفوَ والعافيةْ

فكم فتًى قد بات في نعمةٍ ... فسُلَّ منها الليلةَ الثانيةْ!

[٩٦٧] حدثنا حمزة بن داود بن سليمان بـ«الأُبُلَّة»: حدثنا ذهل بن أبي شراعة القيسي، قال: حدثتني سُكَينة ـ وكانت علَّامةً ـ، قالت:

قال لي أبو العتاهية: دخلتُ على هارون ـ أمير المؤمنين ـ، فلما بَصُرَ بي قال: أبو العتاهية! قلت: أبو العتاهية، قال: الذي يقولُ الشِّعر؟ قلت: الذي يقول الشِّعر. قال: عِظني بأبياتِ شِعرٍ ـ وأوجِزْ ـ، فأنشدته:

لا تأمَنِ الموتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسٍ ... ولو تَمنَّعتَ بالحُجَّابِ والحرسِ

واعلمْ بأن سِهامَ الموتِ قاصدةٌ ... لكل مُدَّرِعٍ منَّا ومُتَّرِسِ

ترجو النجاةَ ولم تسلُكْ مسالكَها؟ ... إن السفينةَ لا تَجري على اليَبَسِ

قال: فخرَّ مغشيًّا عليه ـ أو كما قال ـ».

[٩٦٨] حدثني عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي:

حدّثنا أبو جعفر البغدادي قال: قرأتُ على بابِ قصرٍ بـ«السِّند»:

نزلَ الموتُ منزلًا ... سَلبَ القومَ وارتَحَل

فقلتُ: ما هذا؟ فقالوا: مات أهلُ القصر كلُّهم، فأصبحوا وهذا الكتابُ على الباب، لا يُدرى مَن كتبه».

[٩٦٩] وانشَدَني البسَّامي:

قد يَصِحُّ المريضُ بعد إياسٍ ... كان منه ويَهلِكُ العُوَّادُ

وبُصَادُ القَطَا فينجو سليمًا   بعد هُلْكٍ ويَهلِكُ الصَّيادُ

قال أبو حاتم ﷺ: العاقلُ لا يَنسى ذِكرَ شيءٍ هو مترقَّبٌ له، ومنتظرٌ وقوعَه من قدمٍ إلى قدم، ومن لحظةٍ إلى شَزرة، فكم من مكرَّمٍ في أهله، معظَّمٍ في قومه، مبجَّلٍ في جِيرته، لا يَخافُ الضِّيقَ في المعيشة، ولا الضَّنكَ في المصيبة، إذ ورد عليه مُذِلُّ الملوك، وقاهرُ الجبابرة، وقاصمُ الطغاة، فألقاه صريعًا بين الأحبَّة وجيرانه، مفارقًا لأهل بيته وإخوانه، لا يملكون له نفعًا، ولا يستطيعون عنه دفعًا.

فكم من أُمَّةٍ قد أبادها الموت، وبلدةٍ قد عطَّلها، وذاتِ بعلٍ قد أرمَلَها، وذي أبٍ أيتمَه، وذي إخوةٍ أفرده!!.

فالعاقلُ لا يغترُّ بحالةٍ نهايتُها تؤدِّي إلى ما قلنا، ولا يركنُ إلى عيشٍ مَغِبَّتُه[1] ما ذكرنا، ولا ينسى حالةً - لا محالةَ - هو مُوَاقعها، وما لا شك يأتيه، إذِ الموتُ طالبٌ لا يُعجِزُه المقيم، ولا ينفلتُ منه الهارب.

[٩٧٠] ولقد حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي: حدثنا عبدُ الله بن محمد: حدثني سلمةُ بن شبيب: حدثنا سهل بن عاصم، قال: سمعت الوضَّاحَ بن حسان يقول:

سمعت ابنَ السَّمَّاك يحدِّث، قال: «بينما صيادٌ في الدهر الأول يصطاد السمك، إذ رَمى بشبكةٍ في البحر، فخرج فيها جُمجمةُ إنسان، فجعل الصياد ينظرُ إليها ويبكي، ويقول: عزيزٌ! فلم تُترك لعزِّك، غنيٌّ! فلم تُترك لغِناك، فقيرٌ! فلم تُترك لفقرك، جوادٌ! فلم تُترك لجودك، شديدٌ! فلم تترك لشدتك، عالِمٌ! فلم تُترك لعلمك؟ يردد هذا الكلام ويبكي».

[٩٧١] وانشَدَني الكريزي:

أموالُنا لذوي الميراثِ نجمعُها   ودُورُنا لخرابِ الدهر نبنيها
والنفسُ تَكلَفُ بالدنيا وقد عَلِمَتْ   أن السلامةَ فيها تركُ ما فيها[2]

---

(١) مَغِبته: عاقبته.

(٢) تكْلَف: يشتدُّ حبُّها.

فلا الإقامةُ تُنجي النفسَ مِن تلفٍ ... ولا الفِرارُ من الأحداثِ يُنجيها
وكلُّ نفسٍ لها زَوْرٌ يصبِّحُها ... مِن المنيَّةِ يومًا أو يُمسِّيها[1]

[٩٧٢] حدثنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي قال: سمعت شعيب بن واقد المزِّي، قال:

حدّثنا عبدُ المُنعم الرِّياحي قال: فُقد مالكُ بن دينار يومًا، فقالوا: أين كنتَ ـ يا أبا يحيى ـ؟ قال: خرجتُ إلى «الأُبُلَّة»، قالوا: ما أحسنَ ما رأيتَ؟ قال: ما رأيتُ شيئًا أُعجبت به، إلَّا أني رأيتُ امرأةً تُصلِّي، فقالوا له: يا أبا يحيى، فما أعجبُ شيءٍ رأيت؟ قال: رأيتُ بالبحرين قصرًا مَشِيدًا، وإذا على بابه مكتوب:

طلبتُ العيشَ أسعدَ ناعمِيهِ ... وعشتُ من المعايش والنعيمِ
فلم ألبثْ وربِّ الناس طَوْرًا ... سُلبتُ من الأقارب والحميمِ

[٩٧٣] وانشَدَني الأبرش:

وللنُّفوسِ وإن كانت على وَجَلٍ ... مِنَ المنيَّةِ آمالٌ تُقوِّيها
والمَرْءُ يَبْسُطُها، والدهرُ يَقبِضُها ... والنفسُ تَنشُرُها، والموتُ يَطويها

[٩٧٤] أنبانا حمزةُ بن داود بن سليمان بـ«الأبلة»: حدثنا الهدادي: حدثنا حَلْبس الكلبي، عن سعيد بن أبي عَروبة:

عن قتادة قال: «لقيني عِمرانُ بنُ حِطَّان، فقال لي: يا أعمى، إنني عالِمٌ بخلافك، ولكنك رجلٌ تحفظ؛ فاحفظ عني هذه الأبيات:

حتى متى تُسقى النفوسُ بكأسِها ... ريبَ المنونِ وأنت لاهٍ ترتعُ؟
أفقد رَضِيتَ بأن تعلَّلَ بالمنى ... وإلى المنيَّةِ كلَّ يوم تُدفعُ؟
أحلامُ نومٍ أو كظلٍّ زائلٍ ... إنَّ اللبيبَ بمثلها لا يُخدَعُ
فتزوَّدَنَّ ليومِ فقرِكِ دائبًا ... واجمَعْ لنفسك لا لغيرك تَجمعْ

---

(١) الزَّوْر: الزائر.

[٩٧٥] حدثنا محمد بن نصر بن نوفل المروزي: قال: سمعت أبا داود السنجي يقول:

خرج أبو معاذٍ النحويُّ يومًا مع أصحابه، فقال: إنه قد نُعيَتْ إليَّ نفسي البارحة، أتاني آتٍ فقال:

يا أيها الإنسان إنك ميتٌ ... عما قليلٍ قمْ لنفسكَ واقعدِ
فكأنَّ ما قد كان لم يكُ إذ مضى ... وكأنَّ ما هو كائنٌ فكأنْ قدِ

[٩٧٦] حدثنا الحسن بن سفيان: حدثنا حَرْملةُ بن يحيى، قال:

سمعتُ الشافعيَّ كثيرًا ما يُنشد:

تمنَّى رجالٌ أن أموتَ وإنْ أمُتْ ... فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحَدِ
فقل للذي يَبغِي خلافَ الذي مضى ... تهيأ لأخرى مثلَها فكأنْ قدِ

[٩٧٧] حدثنا أحمدُ بن محمد الشافعي: حدثنا عبدُ الله بن محمد: حدثني إسماعيلُ بنُ عبد الله العِجْلي، قال:

أنشَدَنا رجلٌ - ونحن في المقابر -:

ألَا يا عَسكَرَ الأحيا ... ءِ هذا عسكرُ الموتى
أجابوا الدعوةَ الصغرى ... وهم منتظرو الكبرى
يَحُثُّون على الزادِ ... وما زادٌ سوى التقوى
يقولون لكم: جِدُّوا ... فهذا آخِرُ الدنيا

قال أبو حاتم ﷺ: إن اللهَ - جلَّ وعلا - خَلق آدمَ وذريَّتَه من الأرض، فأمشاهم على ظهرَها، فأكلوا من ثمارها، وشرِبوا من أنهارها، ثم لا محالةَ تنزلُ المنيَّةُ بهم، وتُغنيهم عن السَّعي والحركات، مع تعطُّلِ الجثث والآلات، ثم تُعيدهم إلى الأرض التي منها خلَقهم، حتى تأكل لحومَهم كما أكلوا أثمارَها، وتشربُ دماءهم كما شرِبوا من أنهارها، وتقطعُ أوصالَهم كما مشَوا على ظهرها، فالقبرُ أولُ منزلٍ من منازل الآخرة، وآخرُ منزلٍ من منازل الدنيا، فطوبى لمن مهَّد في دنياه لقبره، وقدَّم منها لآخِرته، فكم عفَّرت الأرضُ من عزيز، وأفقدت الغيرَ من أنيس!.

٩٧٨ حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي: حدثنا عبد الله بن محمد: حدثني محمد بن عباس: حدثنا إبراهيم بن يزيد، قال:

رأيتُ أعرابيًّا وقف على مقبرةٍ وهو يقول:

لِكُلِّ أناسٍ مَقْبَرٌ بفنائِهم ... فهم ينقُصُون وَالْقُبورُ تزيدُ
وما إن تَرَى دارًا لحيٍّ قد أقفرتْ ... وقبرًا لِمَيتٍ بالفِناءِ جديدُ
فهم جيرةُ الأحياء، أمَّا مَحِلُّهم ... فدانٍ وأما الملتقى فبعيدُ

٩٧٩ أنشدَني أبو غسان - سلمة بن نصر - لابن الزخامي:

إذا ما أتت للمرءِ سبعونَ وارتفعت ... عليه مع السبعينَ عشرٌ كواملُ
وما صاحِبُ السبعين والعَشرِ بعدَها ... بأخوفَ ممن حَنَّكته القوابلُ
ويُكِنَّ آمالًا يؤمِّلُها الفتى ... وفيهن للراجين حقٌّ وباطلُ

٩٨٠ وأنشدَني أحمد بن عبد الله الكرْجي لعمر بن شبَّة في نفسه:

يا ابن سَبعينَ وعشرٍ ... وثمانٍ كاملاتِ
غرضًا للموتِ مشغو ... لًا بـ: خُذْ مِنِّي وهاتِ
ويكَ لا تعلمُ ما تُلـ ... ـقَى به بعدَ المماتِ
مِن صغارٍ موبِقاتٍ ... وكبارٍ مهلكاتِ
يا ابنَ مَن قد مات مِـ ... ـن آبائهِ والأمهاتِ
هل تَرى مِن خالدٍ ... مِن ذي طُغاةٍ وعُتاةٍ؟
إنَّ من يبتاعُ بالديـ ... ـنِ خسيساتِ الحياةِ
لغبيُّ الرأي محفـ ... ـوفٌ بطولِ الحسراتِ

٩٨١ حدثنا عمرو بن محمد: حدثنا الغلَّابي: حدثنا شعيب بن واقد المري، عن عبدِ المُنعم الرِّياحي، قال:

سمعتُ صالحًا المُرِّي يقول: «دخلتُ المقابرَ يومًا في شدة الحر، فنظرتُ إلى القبور خامدةً، كأنهم قومٌ صُموت، فقلتُ: يا سبحان الله! مَن يجمعُ بين أرواحكم وأجسامكم بعد افتراقها، ثم يحييكم وينشئُكم من

طول البِلى؟ قال: فناداني منادٍ من بين الحُفَر: يا صالح، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم].

قال: فسقطتُ ـ واللهِ ـ مغشيًّا عليَّ».

الخاتمة

قال أبو حاتم ﷺ: قد ذكرنا اليسيرَ من الكثير مِن الآثار، والقليلَ من الجسيمِ من الأخبار - في كتابنا هذا - بما نرجو أن القاصدَ إلى سلوك سبيل ذَوي الحِجى، والسالكَ مقصدَ سبيل أُولي النهى: يكون له في غُنْيةٍ - إن تدبَّرَها واستعملها -، وإن كنَّا تَنكَّبْنا طرق المسانيد، وتخريجَ الحكايات، وأناشيدِ الأشعار، إلا ما لم نجد بدًّا من إخراجها، كالإيماءِ إلى الشيء، والإشارةِ إلى القصد.

جَعَلنا اللهُ ممن دعته تباشيرُ التوفيق إلى القيام بحقائقِ التحقيق؛ للتمكن من رحْمته، وطلب الوصول إلى محِلِّ أهل ولايته؛ إنه منتهى الغايةِ عند رجاء المؤمنين، والمانُّ على أوليائه بمنازل المقربين.

وصلَّى اللهُ على محمدٍ خاتم النبيين، وعلى آلِهِ الطاهرين الطيِّبين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا مباركًا فيه، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

*** وُجد في النسخة الأصلية ما صورته:**

فَرغ من نَسخه - بعون الله ورحمته - العبدُ الفقير إلى عفور ربه: أحمدُ بنُ محمد بنِ سالم بن جناب المَنبِجي بـ«الرُّها» المحروسة، يومَ الثلاثاء حادي عشر المحرم سنةَ ثمانٍ وعشرين وسِتِّمِئة.

خَتَم اللهُ له بخيرٍ ولوالديه ولجميع المسلمين!.

فهرس أطراف الأحاديث النبويَّة

فهرس موضوعات الكتاب

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة